



جامعة الاسكندرية

# مجلة كلية الآداب

العدد الثامن والأربعون

م ١٩٩٩/٩٨

6

20

1

تصدر " مجلة كلية الآداب " واصداراتها محكمة عن كلية  
الآداب بجامعة الاسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة  
على الآلة الكاتبة من ثلاث نسخ. ويجب ألا يزيد عدد صفحات  
البحث على ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة على  
الآلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم  
الأستاذ الدكتور / عثمان سئيمان موافى  
وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب  
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية  
الشاطبي - الإسكندرية  
جمهورية مصر العربية

100  
100  
100

6

100

100  
100

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور / محمد عبده محجوب

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د. / عثمان سليمان موافى

### هيئة التحرير

أ.د. / محمد خميس الزوكة.

أ.د. طاهر سليمان حمودة.

أ.د. أميرة حسن نويرة.

أ.د. ضحى محمد شيحة.

أ.د. حمدى عبد المنعم.

أ.د. ماهر عبد القادر محمد.

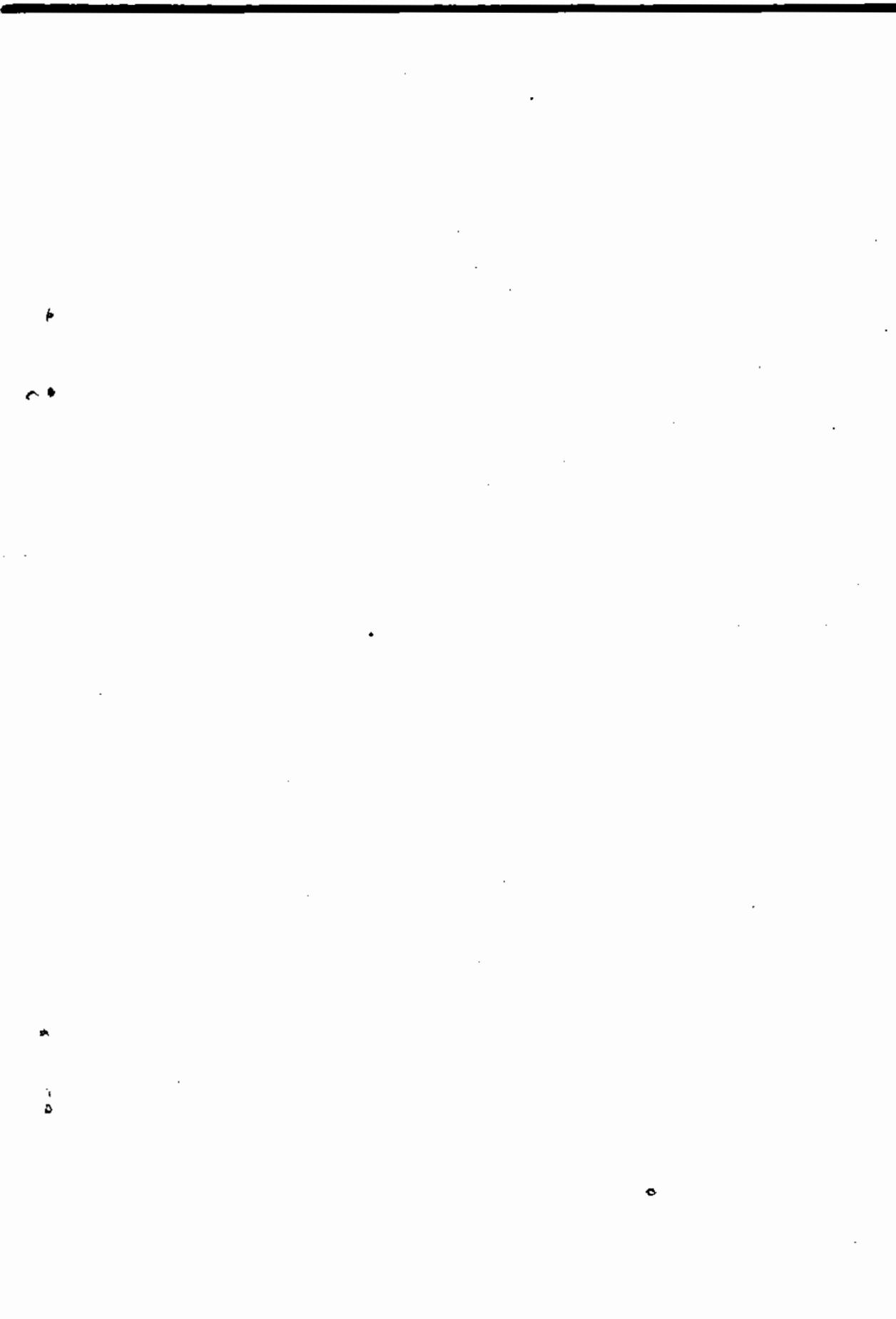
أ.د. السيد عبد العاطى السيد.

أ.د. محمد عباس إبراهيم.

أ.د. عزت قادوس.

أ.د. سهام محمد القارح.

د. مجدى أحمد عبد الله.



الصفحة	المحتويات
١	١- أ.د. عثمان سليمان موافى توفيق الحكيم الناقد الأدبي
٢٧	٢- أ.د. مصطفى الصاوي الجويني نسيج الحكمة والصورة والنغم فى البلاغة الشعبية
٥٧	٣- أ.د. عزة كـرارة المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر كما تراه صوفيا بول ولوسى داف - جوردن
٨١	٤- د. إبراهيم عبد العزيز زيادى محددات التوزيع الجغرافى للعمران فى البحرين «مدينة عيسى نموذج للنمو العمرانى»
١١٧	٥- أ.د. عبد الرحمن العيسوى الدكتور أحمد عزت راجح مؤلفاته، فلسفته، حياته، شخصيته.
١٨١	٦- د. محمد صالح الضالع اختلاس الصوائت القصيرة (الحركات) فى تلاوة القرآن الكريم
١٩٩	٧- د. ليلى عبد المنعم الأنانية فى مأساتى الكستيس وميديا ليوربيديس
٢١٩	٨- د. عمر الحديدى مشكلة الألغام فى الصحراء الغربية وموقف القانون الدولى منها.
٢٣٥	٩- د. مصطفى فتحى أبو شارب منحى أبى الشيعى الخزاعى فى التجديد الشعرى
٢٦٩	١٠- د. فريد عوض حيدر التضمين التمولى فى ضوء الدرر اللغوى

شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين فى القرن  
الثانى الهجرى

Dr. Fayez Mohammed El Essawy

Geographic Differentials of Fertility levels  
in Some Villages of the Newly Reclaimed  
Area of Sugar Beet, South of Alexandria.

1

Dr. Mervat Mohamed Ahmed Fashal

Some of the Vocal Emotional States An  
Acoustic Study

29

Africa and Africans in Harriet Beecher  
Stowe's

63

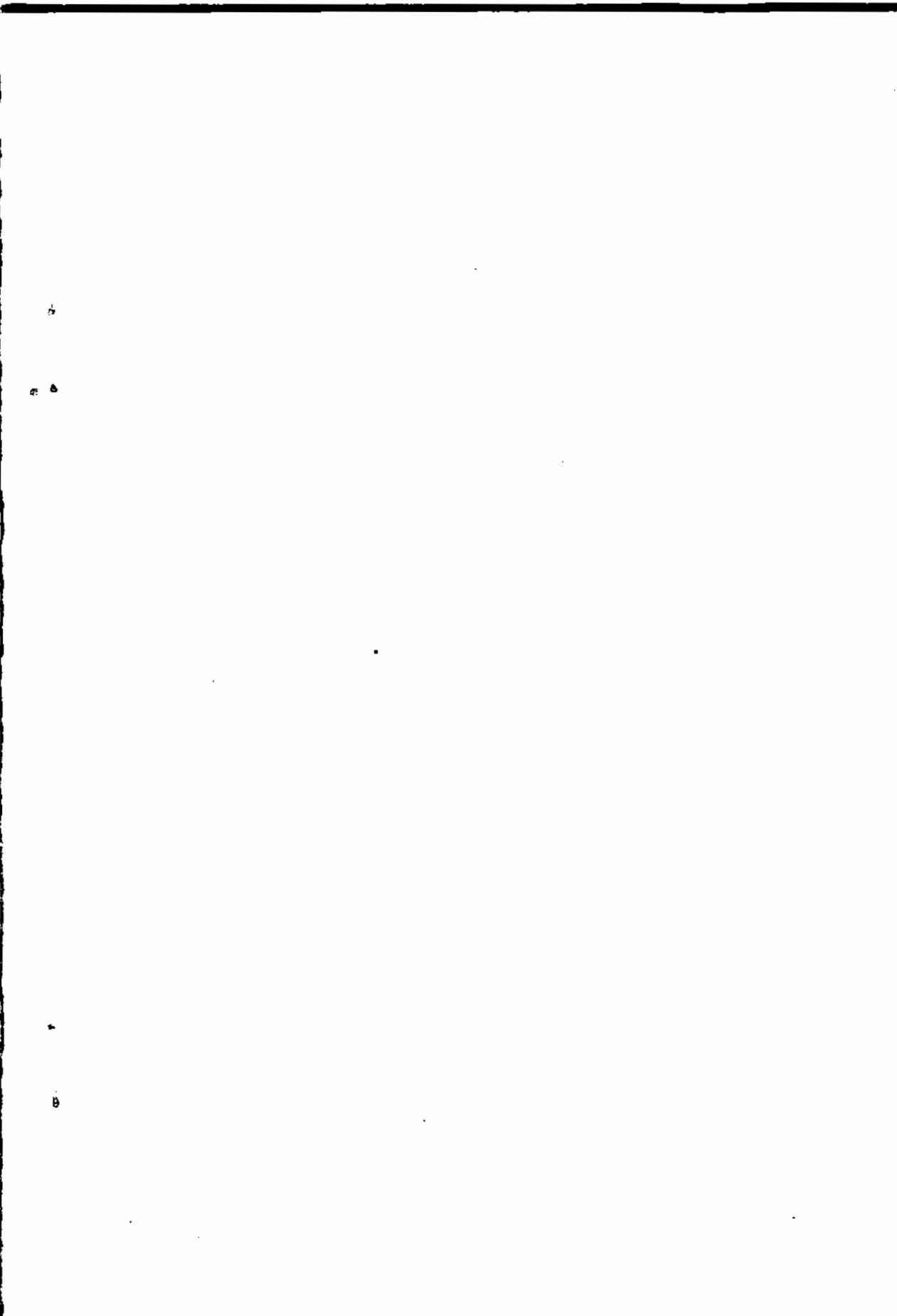
Dr. Essam M. Abdel Razek

New Light on the Gazelle in Egypt from  
Prehistory until the New Kingdom.

81

# توفيق الحكيم الناقد الأدبي

أ.د. عثمان موافى



## (توفيق الحكيم الناقد الأدبي)

١٨٩٨م - ١٩٨٧م.

إن من أقوى العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة الأدبية والنقدية في مصر، في النصف الأول من القرن العشرين، ظهور طائفة واعية من الأدباء والنقاد<sup>(١)</sup>، لم تقتصر في قراءاتها على الثقافة العربية وحدها، بل نهلت من ثقافات أخرى، غير عربية، وعلى رأسها الثقافة الأوروبية.

ويرجع الفضل الأكبر إلى هؤلاء الأدباء في توجيه الأعمال الأدبية نحو قضايا الإنسان، والانتقال بالأدب العربي من النطاق المحلي، إلى النطاق العالمي والإنساني.

ولا شك أن اتصال الأدب بأكثر من ثقافة، يوسع من آفاق معرفته، ويعمق إبداعه الأدبي.

ويعتد توفيق الحكيم واحداً من هؤلاء الأدباء، الذين لم تقتصر قراءاتهم على الثقافة العربية وحدها بل امتدت أنظارهم إلى ثقافات أخرى كالثقافة الفرنسية.

ومن المعروف أن هذه الثقافة تحمل بين طياتها، مذاهب واتجاهات أدبية وفكرية متنوعة، وأتواقاً متباينة<sup>(٢)</sup>.

وقد تركت أثراً عميقاً، في فكر توفيق الحكيم وفي أدبه.

(١) مثل طه حسين، ومحمد حسين هيكل، والمازني، والعقاد وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ومحمد منور، ولويس عوض.

(٢) توفيق الحكيم - تحت شمس الفكر ص ١١٨ - ١١٩.

ويبدو هذا واضحاً من قوله محمداً أهم الدوافع التي دفعت به إلى كونه مسرحية شهرزاد (كانت موجهة للإلحاد وإنكار الدين بغمر المحيط الثقافي الأوربي، عندما ذهبت إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى

وقد صدم هذا العقلية الشرقية المتدينة التي أحملها فوجدت كل هذه الأفكار المتضادة متنفساً لها في كتابه شهرزاد، شهريار فيها يمثل النموذج الذي أرادت الفلسفة الأوربية، أو أراد أن يتحرر فيها، فهو يبحث عن المعرفة من أي طريق، وينكر العاطفة إنكار تاماً وهو يهرب من أسانيته بالرحيل والتجوال، وأحياناً بالذهاب إلى حانات الأفيون كان يريد أن يترك الأرض بضعفها البشري ويطلق في السماء<sup>(١)</sup>

ويبدو هذا بوضوح، من الحوار الأتي الذي أجراه بين شهريار . وشهرزاد

شهريار . ليس في الحياة من جديد استنفدت كل شيء

شهر زاد . الطبيعة كلها ليس فيها لذة تغيرك بالبقاء

شهريار . الطبيعة ليست سوى سجان صامت يضيق على الخناق

شهر زاد . أقسم أنك جننت . أجهدت عقلك حتى اضطرب أي سر تبحث

عنه أيها الأبله؟؟

ألا تراك تضيع عمرك الباقي وراء حب استطلاع خادع

شهريار . ما قيمة عمري الباقي؟ لقد استمتعت بكل شيء وزهدت في كل

شيء.

شهر زاد : وهل تحسب هذا هو السبيل إلى ما تطلب؟؟

بل من أدراك أن ما تطلب موجود؟؟

(١) أحاديث شهرزاد ص ٦٥-٦٦ ط - الاهرام

أترى شيئاً فى ماء هذا الحوض؟ أليست عيناي أيضاً فى  
صفاء هذا الماء؟ أتقرأ فيها سرّاً من الأسرار..

شهر يار : تبا للصفاء وكل شىء صافٍ .. لشد ما يخيفنى هذا الماء؟ ..  
ويل لمن يفرق فى ماء صاف

شهر زاد : ويل لك يا شهر يار

شهر يار : الصفاء قناعها ..

شهر زاد : قناعها هى .. هى .. هى ..

شهر زاد : إنى أخشى عليك يا شهر يار ..

شهر يار : قناعها منسوج من الصفاء .. السماء الصافية .. الأعين  
الصافية .. الماء الصافى .. الهواء .. الفضاء .. كل ما هو صاف .. ما بعد  
الصفاء؟! إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء.

شهر زاد : كل البلاء يا شهر يار أنك ملك فقد آدميته وفقد قلبه ..

شهر يار : إنى براء من الأدمية .. براء من القلب لا أريد أن أشعر .. أريد  
أن أعرف<sup>(١)</sup>.

يضاف إلى ذلك أنه استلهم بعض أعماله الأدبية وكثيراً من أفكاره، من  
هذه الثقافة الأجنبية، وبعض الثقافات الأوربية الأخرى<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لى، أن قراءته الكثيرة فى هذه الثقافات الأجنبية، بالإضافة إلى  
موهبة الفنية، كانت وراء غزارة إنتاجه الأدبى وتنوعه بين كتابة المسرحية  
بألوانها المختلفة والرواية، والقصة القصيرة والترجمة الذاتية..

(١) شهر زاد : ص ٦٦ - ٦٩.

(٢) راجع مثلاً : بجمالون، وأديب، والرباط المقدس، وبراكسا وعصفور من الشرق، وزهرة العمر،  
وتحت شمس الفكر ...

وعلى الرغم من تنوع كتاباته وعزارنها. فإن قدرا كبيرا منها سمحور حول بعض القضايا الفكرية.

ولا غرابة فى هذا، فهو يؤمن بأن الفكر روح الفس<sup>(١)</sup>

وقد صرح فى بعض كتبه بأنه كان يصدر فى هذا النوع من الكتابة الأدبية، عن فلسفة كونها لنفسه من قراءاته وتجاربه فى الحياة، وأطلق عليها اسم التعادلية<sup>(٢)</sup>.

ولا يقصد بالتعادل هنا، المعنى اللغوى لهذا اللفظ، أى التساوى، كما لا يعنى بهذا الاعتدال، أو التوسط.

ولكنه يعنى التقابل، فالقوة المعادلة، هى فى رأيه (القوة المناهضة لقوة أخرى)<sup>(٣)</sup>.

والتعادلية ظاهرة متوافرة فى كل الكائنات الحية، فى الإنسان والحيوان والنبات<sup>(٤)</sup>.

وقد لخص مضمون هذه النظرية فى خمسة مبادئ هى :

التعادل فى الوجود يقوم على الغيرية، وتعادل الفكر والعمل، والخير والشر، والعقل والقلب، وقوة التعبير، وقوة التفسير. ويذهب إلى أن التعادلية (متفقة مع الوجودية ومع الواقعية الاشتراكية، وغيرها من المذاهب، التى تركز على مسئولية الفكر فى التوجيه والتطوير. ولكنها تختلف عنها، فى أنها تدعو إلى استقلال الفكر عن العمل)<sup>(٥)</sup>.

(٢) توفيق الحكيم التعادلية ص ٢٧ - ٢٩

(٤) التعادلية ص ١٢٥ - ١٢٩

(١) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ٧٩

(٣) أحاديث مع توفيق الحكيم.

(٥) المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٦.

وقد يكون هناك تشابه ما بين التعادلية، والمعادل الموضوعى The Objective Correlative عند توماس إليوت ، حيث إنه ينشأ نتيجة التعادل، بين قوتين متقابلتين مثل الحقائق الخارجية والوجدان، أو الموضوع والإحساس<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فهناك فارق كبير بينهما، يكمن فى أن تعادلية الحكيم، تعد مذهباً شاملاً، فى الفن، والفكر، والحياة.

أما المعادل الموضوعى، فمجاله الابداع الفنى، والنقد الأدبى، ويمكن عن طريقه وسم العمل الفنى بقدر كبير من الموضوعية.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنحى الفكرى، لا يقتصر على الأدب الأبداعى لتوفيق الحكيم، بل يتعدى ذلك إلى الوجه الآخر لهذا الأدب، أى النقد الأدبى.

فصاحبنا لم يكن أديباً وحسب، بل ناقداً أديباً كذلك، ويتمثل هذا الجانب النقدي عنده، فى مناقشته لأهم القضايا التى تتصل بالنقد الأدبى، والأدب وفنونه، واتخاذ موقفاً نقدياً إزاء كل قضية.

ومن هذه القضايا، قضية النقد والأثر الأدبى.

ويتلخص موقفه من هذه القضية، فى أن هناك صلة عضوية، بين طرفى هذه القضية المتقابلين.

فالنقد هو النافذة التى بطل منها الأثر الأدبى على الحياة والمجتمع وبدون هذه النافذة، يختنق الأثر الأدبى ويفقد حياته .

(١) فائق متى - إبيرت ص ٢٦ ط : دار المعارف بمصر.

ويتضح هذا من قوله (فالأثار الأدبية بغير نقد بنائى، يربط بين أجزائها، واتجاهاتها لا يمكن أن تصنع أدبا بالمعنى المعروف فى الآداب الكبيرة).

فمن الجائز أن تنبت قصيدة شعرية رائعة بين الزوج فى غابة من الغابات .. ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أدب الزوج، إلا إذا وجد النقد الذى ينظم آثار هؤلاء القوم، ويكشف عن مصادرها، وأهدافها، واتجاهاتها<sup>(١)</sup>.

والواقع أن صلة الأدب بالنقد، تشبه فى رأى هذه الصلة بين المنتج للسلعة، والمستهلك لها.

فكلاهما فى حاجة إلى الآخر، وحياة كل منهما، مرتبطة بحياة صاحبه، أوثق ارتباط.

فلا حياة للأثر الأدبى، بدون ناقد يقومه، ويعرف الناس به، ولا حياة للنقد، فى دنيا تخلو من الأثار الأدبية.

وعلاوة على ذلك، فإن الأدب والنقد، يشتركان فى صفة الإبداع فالأديب والناقد، كلاهما مبدع.

لذا يرى بعض النقاد، أن النقد فن، على حين يرى آخرون أنه علم.

وأنا أميل إلى تأكيد القول، بأنه فن وعلم يمتزج فيه العقل بالوجدان.

فالعقل يفسر ويعلل، والوجدان يتذوق، ويفضى بالأسرار الجمالية للأثر الأدبى.

وعلى هذا، فالنقد الأدبى، تفسير وتحليل وتقويم للأعمال الأدبية.

(١) فن الأدب ص ٢٢.

وإلى هذا يذهب توفيق الحكيم. يقول موضحاً مهمة الناقد، والمنهج الذى يتبعه فى نقده للأثر الأدبى (ولعل خير منهج للناقد أن يجمع فى نقده بين شتى الاعتبارات، ويؤلف بين مختلف النظرات، فيختار الأثر من بين مختلف الآثار، بذوقه كاشفاً عن نواحي جماله، ثم يحلله بغربال علمه، فيخرج لنا ما أنطبق منه على الأصول، وما لم ينطبق.

فإذا فرغ من ذلك، بقى أمامه، الشطر الأجل من عمله النقدي وهو تقويم الأثر، بقيمته فى المحيط الأدبى، أو القومى أو الإنسانى، وطبعه فى مكانه من خانة النوع، ومقارنته بالسابقين فى ذلك السجل، مبينا مدى تأثيره إياهم، ومبلغ اتفاقه معهم فى المذهب، واختلافه عنهم فى المسلك<sup>(١)</sup>.

ولا تقف مهمة الناقد فى رأى توفيق الحكيم، عند انتقاء الأثر الأدبى، وتحليله ثم تقويمه، ولكنها تتعدى ذلك إلى مقارنته، بغيره من الآثار الأدبية السابقة عليه، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

ويضيف أصحاب النقد الأيديولوجى إلى مهام الناقد، مهمة أخرى، وهى توجيه العمل الأدبى<sup>(٢)</sup>.

لكن كيف يتسنى للناقد القيام بواجبه على الوجه الأكمل؟؟

يرى توفيق الحكيم أن هذا لا يتأتى، إلا إذا تجرد الناقد من نوازعه الشخصية، وتحلى بالموضوعية، والحيدة التامة إزاء الأثر الأدبى الذى يتقده.

(١) توفيق الحكيم : فن الأدب ص ٢٠.

(٢) محمد منور : النقد والنقاد المعاصرون ص ١٩٧ وكذا محمد غنيمى هلال النقد الأدبى الحديث

ص ٢٢٢ ط : نهضة مصر ١٩٧٢م.

ويبدو هذا واضحا من قوله (ذلك أن الناقد يجب أن يحكم على الأثر الأدبي أو الفنى بناء على قيمته الذاتية، لا بما يمليه عليه مزاجه الخاص.

فالناقد الذي يكره مثلا شعر المديح، إما أن يمتنع عن نقد قصيدة فى المديح، وإما أن يتجرد من بغضه للنوع ويزنها بميزانها فى نوعها)<sup>(١)</sup>.

والواقع أن موقف الناقد من الأثر الأدبى موضع جدل كبير بين النقاد، فمنهم من يرى أن النقد عماده الذوق الشخصى، ومن ثم فالناقد ذاتى subjective، ومنهم من يرى أن الناقد موضوعى objective. وإلى هذا يذهب كثير من النقاد الأوربيين<sup>(٢)</sup>.

ومع تقديرنا لهذا الموقف النقدي، فإننا نرى أن تحلى الناقد بالموضوعية المطلقة، أمر يصعب تحقيقه.

فمهما حاول الناقد أن يكون موضوعيا، فإنه لا يستطيع أن يتجرد تجرداً تاماً من ذاته، وذوقه الشخصى.

وعلى رأى أحد النقاد الفرنسيين إن التأثيرية (تغلب علينا فى أحكامنا النقدية، وعلى هذا لا ينبغى أن نتجاهل العنصر الذاتى فى النقد)<sup>(٣)</sup>.

ويرى الأديب الناقد محمد حسين هيكل، أن النقد الموضوعى لا يخلو من مسحة ذاتية<sup>(٤)</sup>.

ومن ثم، فالأقرب إلى الصواب، القول بأن النقد مزيج من الذاتية والموضوعية.

(١) توفيق الحكيم : فن الأدب ص ٢٤.

(٢) محمد حسين هيكل - فى أوقات الفراغ ص ٩ ط : الثانية.

(٣) لانسون-منهج البحث فى تاريخ الأدب، المنشور ضمن كتاب النقد المنهجي لمحمد مندور ص ٢-٤.

(٤) فى أوقات الفراغ ص ١٠.

ومن القضايا التي تتصل بالآثر الأدبي وصاحبه قضية الخلق الأدبي وقد استأثرت هذه القضية باهتمام توفيق الحكيم. ومن أهم ما شغل به في هذه القضية. مفهوم هذا المصطلح الأدبي، فماذا تعنى كلمة الخلق الأدبي عنده؟؟

يبدو أنه لا يقصد بذلك الابتكار المطلق، بل الابداع على هدى من أصل سابق عليه.

ويتضح هذا من قوله (ليس الابتكار فى الأدب والفن، أن تطرق موضوعا، لم يسبقك إليه سابق، ولا أن تغير على فكرة، لم تخطر على بال غيرك إنما الابتكار الفنى والأدبى، هو أن تتناول الفكرة، التى قد تكون مأثوفة للناس، فتسكب فيها من أدبك وفنك، ما يجعلها تنقلب خلقا جديدا، يبهر العين ويدهش القلب)<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فالخلق الأدبي يرجع إلى الصياغة، وليس إلى الفكرة فى حد ذاتها.

ويتفق توفيق الحكيم فى هذا الرأى وبعض فلاسفة الجمال، مثل كروتشه الذى يرد الابداع فى الأدب والفن، إلى الصياغة، التى يتحد فيها الشكل بالمضمون ويمتزجان معا<sup>(٢)</sup>.

وإلى هذا يذهب بعض نقادنا القدماء.

ومن حججهم فى ذلك، أن الموضوع الواحد، قد يتناوله أديبان، ولكنهما يتباينان فى التعبير عنه، فيبدو تناول أحدهما له، أجود فنيا من تناول الآخر

(١) فن الأدب ص ١٢

(٢) محمد غنيمى هلال النقد الأدبى الحديث ص ٣١٧

ومرد هذا، إلى جودة صياغة هذا، عن صياغة الآخر<sup>(١)</sup>.

وأبعد من هذا، فقد يتناول الأديب معنى فاحشا، ولكنه يحسن التعبير عنه، فيبدو من تناوله معنى جيدا، وهذا بفضل حسن صياغته له<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم، فالإبداع الأدبي يرجع في كثير من الأحيان إلى المبدع، الذي يشكل مادة الإبداع، ويخلق منها فنه، ولا يكتسب هذا الفن صفته الأدبية، إلا أحدث أثرا في المتلقى سواء عن طريق الشكل، أم عن طريق المضمون ومصداقا لهذا قول توفيق الحكيم (إن الأثر الفني الكامل في نظري، هو الذى يحدث فينا، ذلك الشعور الكامل فى الارتفاع، وقلما يحدث هذا إلا عن طريق السمو فى اللب والأسلوب)<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا، يرد توفيق الحكيم هذه الظاهرة إلى متقابلين وهما الشكل والمضمون، وإلى المبدع والمتلقى.

وتبدو الصياغة الفنية عاملا موحدًا بين هذه المتقابلات.

وعلى هذا النهج يمضى فى تطبيق تعادلته، على بعض قضايا النقد الأدبي، كقضية الأدب والفن. حيث يضع كلا منهما مقابلا للآخر، محدثا نوعا من التعادل بينهما، ينتهى بالتقائهما معا.

ويوضح هذه الحقيقية قوله (الأدب هو الكاشف الحافظ للقيم الثابتة فى الإنسان والأمة، الحامل، الناقل لمفاتيح الوعى... والفن هو المطية التى تحمل الأدب خلال الزمان والمكان والأدب بغير فن، رسول بغير جواد، فى

(١) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ص ٤٢٣ ط: تحقيق شاكر.

(٢) قدامة بن جعفر - نقد الشعر ص ٢١ ط: الثالثة - الخانجي.

(٣) فن الأدب ص ٧٨.

رحله الحلو، والفن عبر أدب مطبوعة سدسه عبر حمل ولا هدف<sup>(١)</sup>

والواقع ان صلة الأدب بالفن على النحو الذى يبصيح من هذا البصر بعد صلة عضوية كصلة الروح بالجسد. والشكل بالمضمون فالفن جسد. والأدب روح

ومن التقاء هذين المتقابلين، ينشأ الفن الأدبى، ثمرة من ثمار التعادل بينهما

وكما وضع الأدب مقابل الفن. وضع الفن مقابل الدين معتقدا أن هناك صلة تجمع بينهما، وهى القوة المناهضة للقوتين المتقابلتين فى تعادليته ومما يوضح هذا قوله (هناك صلة فى اعتقادى بين رجل الفن ورجل الدين

ذلك أن الدين والفن، كلاهما، يضى من مشكاة واحدة هى ذلك القبس العلوى. الذى يملأ قلب الإنسان، بالراحة والصفاء والإيمان. وأن مصدر الجمال فى الفن، هو ذلك الشعور بالسمو الذى يعمر الإنسان عند اتصاله بالأثر الفنى من أجل هذا كان لابد للفن أن يكون مثل الدين قائما على قواعد الأخلاق هذا رأى. ولكن ليس رأى المشتغلين بالفن).

أما رأى المشتغلين بالفن فيتلخص فى قولهم (إن الفن يجب أن يتحرر حتى من الأخلاق، لأن الجمال فى الفن، ينبع من الاتقان وأن الاجادة فى تصوير الدمامة والرذيلة، لا تقل فضلا عن الاجادة فى تصوير الحس والفضيلة)<sup>(٢)</sup>

(١). من الأدب ص ٧٦

(١) مقدمه كتاب من الأدب

(٢). المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٦

ولا تقتصر تعادلية الحكيم هنا على التقاء الفن والدين، في المنبع والغاية، ولكنها تتجاوز ذلك إلى تقابل المقياس الخلقى والمقياس الفني، في تقويم الأعمال الأدبية.

وتبدو هذه التعادلية واضحة في مناقشة قضية الالتزام في الأدب والفن، حيث يضع في مواجهة الالتزام حرية الأديب فيقول (إن الأديب يجب أن يكون حراً، لأن الأديب إذا باع رأيه، أو قيد وجدانه، زهبت عنه في الحال صفة الأديب، فالحرية هي نبع الفن، ويغير حرية لا يكون أدب ولا فن.

... إنما التزام الأديب أو الفنان شيء ينبع حراً من أعماق نفسه، فإن لم ينبع الالتزام حراً، من قلبه وبيئته وعقيدته، فلا تلزمه أنت، ولا تلزمه قوة في الوجود<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم، مما يبدو من تعارض بين الالتزام وحرية الأديب فإن توفيق الحكيم، لا يرفض الالتزام في الأدب والفن إذا صدر عن اختيار حر، لا عن إكراه وإلزام.

وعلى هذا فالالتزام يرجع أساساً إلى الأديب، لا إلى الأدب نفسه.

وإذا وقف الأديب هذا الموقف، فإن هذا سينعكس على أدبه، ويصبح أدباً ملتزماً.

والالتزام بهذا المفهوم يعد ظاهرة قديمة «فالشاعر في المجتمع البدائي ولد ملتزماً بالدفاع عن القبيلة مشيداً بفضائلها، ولم ينسلخ تفكيره عن تفكير قبيلته، ولم يأخذ في التعبير عن أفكاره الفردية ومشاعره الشخصية إلا عندما بدأ المجتمع يتطور نحو التعقيد»<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨.

ومن ثم، فقد ينشأ الالتزام في بعض المجتمعات التي تعتنق فكرة من الأفكار، أو عقيدة من العقائد، التي تترك أثرا بعيد المدى في نفوس الناس. ويستشهد على هذا بالعقيدة الإسلامية، والالتزام ببعض الشعراء بالدفاع عنها، مثل حسان بن ثابت.

ومما يدل على صحة ذلك إشارة بعض النقاد العرب، مثل الأصمعي إلى أن شعر حسان بن ثابت في الجاهلية، أجود من شعره بعد الإسلام. وعلل هذا باتجاه شعره في الإسلام نحو باب الخير.

يقول (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر.. وغيرهم لان شعره.

وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار، والرُّحُل، والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر، والخيول والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان<sup>(١)</sup>.

ونحن نتفق مع هذا الناقد في الحكم، ولكننا نختلف معه في التعليل، فصحيح أن شعر حسان في العصر الإسلامي أقل جودة من شعره في العصر الجاهلي. أما تعليل ذلك باتجاه شعره في الإسلام إلى الموضوعات التي تتصل بالخير، لا إلى موضوعات الشر، التي هي أصل الشعر في رأي الأصمعي، فهذا التعليل غير صحيح من وجهة نظري.

(١) المرزباني - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ص ٧٩. تحقيق الجاوي ط : دار الفكر العربي - القاهرة.

أما التعليل الأقرب إلى الصحة في رأى. فأوجز ما يقال عنه هو أن حسان بن ثابت كان في الجاهلية شاعرا حرا طليقا. من أى التزام عقدي أو خلقى، يقول الشعر في أى موضوع يعن له، أما في الإسلام. فقد قيدت حريته، حيث التزم في شعره بالقيم الإسلامية والموضوعات التي تتفق وهذه القيم، ولم يخرج على هذا الاطار الإسلامى، ومن ثم، أثر هذا على إبداعه الفنى، وصياغته الشعرية فبدت أقل جودة من صياغته في الجاهلية.

ولم تقف جهود توفيق الحكيم في النقد عند هذا الحد، بل تعدت ذلك إلى مناقشة بعض القضايا التي تمس فنون الأدب شعرا ونثرا.

مثل الشعر ومحاكاة الطبيعة، وهذه القضية هي أساس نظرية المحاكاة الأرسطية، التي تذهب إلى أن الشعر فن يحاكي الطبيعة مثل أى فن من الفنون الجميلة.

ومعنى المحاكاة هنا، تصوير الطبيعة أو جانب منها، خلال وجدان الشاعر<sup>(١)</sup>، أى هي رؤية وجدانية للطبيعة أو الحياة.

وهذا ما دعا الناقد الرومانى فى هوراتيوس إلى القول بأن الرسم شعر صامت، والشعر رسم ناطق<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم، شاع القول بين النقاد الكلاسيكين الذين تبنا نظرية المحاكاة الأرسطية، بأن الشعر تصوير للحياة.

ولكن توفيق الحكيم لا يتفق مع هؤلاء النقاد فى هذا الرأى ويذهب إلى أن الشعر، ليس تصويرا للحياة.

(١) أرسطو - فن الشعر ص ٧١ - ٧٢ ترجمة عبد الرحمن بدوى

(٢) إحسان عباس - فن الشعر ص ١٦

فهناك فنون أخرى غير الشعر، تصور الحياة كالنثر والسينما والمسرح وإنما الشعر في رأيه (انعكاس الحياة على نفس الشاعر فالشاعر مثل القمر، لا يعطينا الحياة في أشعتها المحرقة ووهجها الذي يعمى البصر، ولكنه يتلقى بعض أشعتها ويصفيها خلال نفسه، ويعرضها علينا بعد ذلك ضوءاً جميلاً منظماً)<sup>(١)</sup>.

ويناء على هذا فالشاعر، لا ينسخ الطبيعة، ولا ينقل لنا ما يشاهده منها كما هو، بل ينقل وقع ما يشاهده على أحاسيسه ومشاعره.

ومصادقا لهذا، قول المازني عن الشاعر إنه (لا يصور الشيء كما هو، ولكن كما يبدو له، ولا يرسم منه هيكله العريان بل يخلع عليه من حلل الخيال، بعد أن يحركه الأحساس)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من فحوى قول المازني، وتوفيق الحكيم أن الشعر ليس تصويرا للحياة أو الطبيعة، بل تعبيرا عن إحساس الشاعر بهما.

وهذا يمثل وجهة نظر الرومانسيين في هذه القضية التي يلخصها قول ورد نورث «إن الشعر فيض تلقائي لعواطف إنسانية»<sup>(٣)</sup>.

حيث إنه ينبع من داخل الإنسان، لا من خارجه. إذ يبدو عند هؤلاء النقاد فنا لغويا يعبر عن عاطفة الشاعر ومشاعره، وليس تصويرا للطبيعة أو الحياة كما يرى الكلاسيكيون.

وعلى أية حال، فإن منحى توفيق الحكيم في مناقشة هذه القضية يقوم

(١) فن الأدب ص ٢١٢.

(٢) المازني - الشعر غاياته ووسائله ص ٥٩ تحقيق منحة الجيار.

(٣) إحسان عباس - فن الشعر ص ٢٩.

كما رأينا على إبراز، رأيين متقابلين فى مفهوم الشعر وهما : الشعر تصوير، أو الشعر تعبير، مرجحا أحدهما على الآخر.

ولا شك أن أثر تعادليته واضح فى هذا المنحى .

وثمة قضية أخرى تمس مستقبل الشعر، فى مواجهة طغيان العلم على شؤون الحياة المعاصرة والمجتمع، أثارها توفيق الحكيم، مطبقا فى دراسته لها منحاه السابق.

وخلص القول فيها، أن الشعر فى العصر الحديث يعانى من أزمة تهدد حياته، وأنه آخذ فى الضعف والاضمحلال.

ويرجع سبب ذلك إلى أن الشعر فن راق، يعلو على مستوى فهم العامة من الناس، لذا لا يقبل عليه إلا الخاصة وهم قليلون.

يقول «والشعر خلاصة الثقافة، وعصارة الذوق فهو لذلك فن مركز، يضغط فى أبياته القليلة، ما يوحى بالكثير إلى أصحاب الأفهام.

إنه ليس كالنثر، إسهاب وإيضاح، يفرغ فى رءوس الناس ما يريد من كلام، وثرثرة ومعلومات<sup>(١)</sup>.

لذا يرى أن سهولة النثر تدفع الناس إلى الاقبال عليه والابتعاد عن الشعر.

وقد يحظى النثر بشيء من الرقى فى الصياغة والتعبير والسمو الفكرى، وبهذا يقترب من الشعر، وهذا اللون من النثر، لا يستسيغه القارئ العادى وقد يحكم عليه بالفناء.

---

(١) فن الأدب ص ٢١٧.

والواقع أن هذه القضية، لا تختص بالشعر العربى وحده، ولكنها قضية عامة، تمس شعر كل الأمم والشعوب التى تأثرت بالحضارة الأوربية الحديثة وانطبعت بطابعها العقلى والمادى.

وكادت تطغى على الحياة الوجدانية، ومظاهرها الفنية كالشعر، الذى لم يعد يقوى على مواجهة الغزو العلمى للحياة المعاصرة.

لذا تنبأ بعض المفكرين والنقاد الأوربيين بزوال الشعر وسقوط دولته<sup>(١)</sup>. وعلى العكس من هذا يرى بعضهم، أن الشعر باعتباره فنا من الفنون الجميلة، يعد ضرورة، من ضرورات الحياة المعاصرة، ولا يمكن لأى عالم أو مفكر الاستغناء عنه<sup>(٢)</sup>، لأنه يجدد النشاط الذهنى ويقوى حاسة التخيل وملكة الابداع عند العلماء والمفكرين والأدباء.

وعلى أية حال، فإن اهتمام الحكيم بمستقبل الشعر على النحو الذى رأينا، يرجع إلى إحساسه بقيمة هذا الفن الأدبى الذى يعد فى رأيه، خلاصة ثقافة الشعب الذى ينتمى إليه وعصارة نوقه، ويعد معجزة فنية (لأن آلاف الأفكار، والصور والأخيلة، والمشاعر، يجمعها الشاعر فى سطر واحد.

هذا السطر العجيب الذى تراه ينتفض وأنت تقرأه بهذه الآلاف من الأفكار والمشاعر والصور.

... إن بيت الشعر الواحد يشبه طاقة مسحورة صغيرة تطل منها النفس على الوجود البشرى، بتجاربه وأفراحه ومعانيه<sup>(٣)</sup>.

(١) ستالى هايمن : النقد الأدبى الحديث ومدارسه ص ٤٤-٤٥ الحديث ص ٣٩ ط : الثانية.

(٢) رتشاريز - العلم والشعر (المقدمة) ترجمة مصطفى بوى.

(٣) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ٣٦.

وليس هذا، هو رأى توفيق الحكيم وحده، بل رأى معظم النقاد، قديما وحديثا .

إذ يردون جمال الفن الشعري، إلى لغته التي تتسم بالايجاز والتركيز، والدلالة غير المباشرة في التعبير<sup>(١)</sup>. ومصدقا لهذا قول البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته . . . وليس بالهذر طولت خطبه<sup>(٢)</sup>.

وتتصف المسرحية في رأى توفيق الحكيم ، بكثير من الصفات التي يتصف بها الشعر، كاليجاز والتركيز بنوع خاص.

ويتضح هذا من قوله (للمسرحية عندي اعتبار خاص، ذلك أن الحوار، بما فيه من إيجاز وتركيز، هو قالب الأدبي القريب إلى سليقتي، المحبة للنظام.

فالفن عندي نظام، والنظام عندي هو الاقتصاد أى البيان، بلا زيادة أو نقصان)<sup>(٣)</sup>.

وقوله معليا من شأن العنصر الشاعري في المسرحية سواء أكانت مكتوبة في قالب شعري، أم قالب نثري (لاشك أن العنصر الشاعري يزيد من قوة المسرحية وجمالها، لأنه الشيء الزائد عن إطارها المادى، وحتى المسرحية الواقعية أو الفكاهية ، أو أى نوع مسرحى آخر، لا يفترض فيه وجود الشاعرية، إذا تضوعت منه رغم واقعيته أو هزله وضحكه رائحه شعرية، فإن ذلك يزيد قطعاً من القيمة الأدبية والفنية للمسرحية)<sup>(٤)</sup>.

(١) ناقشت هذا الموضوع بإفاضة في كتابي «من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم راجع الفصل الرابع (لغة الشعر) ص ١٢٢ - ١٤٤ ط : الثالثة ، الناشر : دار المعرفة الجامعية.

(٢) ديوان البحترى ج ١ ص ٢٠٩ ط: دار المعارف بمصر.

(٣) فن الأدب ص ١٤٣.

(٤) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ١٤٥.

وهذا يفسر لنا، سر هذه الشاعرية، التي تفوح رائحتها في مسرحياته  
النثرية، بالرغم من اتسام مسرحه بطابع فكري.

ومصادقا لهذا قوله (مسرحى فكري حيث إنه يقوم على أفكار، ويمكن أن  
نعتبره عقليا وهو بالضرورة رمزي، لأن الرمز ما هو إلا أنعكاس لعمومية  
الفكر، التي تقوم عليها المسرحية.

وهذه الفكرة يتعدى مفهومها حدود ووقائع الشخصية وصفاتها، فهي  
ليست فكرة أحد الناس، ولكنها رمز لطابع بشري شامل<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الأفكار، التي يقوم عليها هذا المسرح الذهني، الصراع بين  
الإنسان والزمن، الذي أقام عليه بعض مسرحياته مثل أهل الكهف، ورحلة  
الغد، وعودة الشباب<sup>(٢)</sup>.

والصراع بين القوة والقانون، الذي بنى عليه مسرحية السلطان  
الحائر<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الصراع بين الفن والحياة، الذي صورته في مسرحية بجماليون<sup>(٤)</sup>.  
ولا تقتصر ذهنية هذا المسرح على موضوع المسرحية، ولكنها تتضمن  
كذلك الشخصيات التي يبتكرها عقل توفيق الحكيم.

وهذه الشخصيات لا تنطبق على أفراد بعينهم ، ولكنها نماذج بشرية،  
تمثل بعض أفراد المجتمع.

(١) المرجع السابق من ١٠٨.

(٢) محمد مندور - مسرح توفيق الحكيم من ٤٢ - ٦٠. راجع نصوص هذه المسرحيات، أهل  
الكهف، ورحلة الغد، وعودة الشباب.

(٣) راجع نص مسرحية السلطان الجائر.

(٤) راجع نص مسرحية بجماليون.

يقول (والشخصية عندي نمط شامل، هو وليد العقل لا النقل من بين عامة الناس).

الشخصية عندي شاملة من حيث إنها تمثل جمهرة كبيرة من الناس وتتكلم بلسانهم.

فمشيلينا بطل أهل الكهف، لا يتميز بصفات ينفرد بها عن سائر الناس، وإنما هو يمثل الناس في مواجهتهم ومقاومتهم للزمن، ونضالهم بأمل تحقيق الحياة خارج الزمن، أي الخلود<sup>(١)</sup>.

ويفرق ناقدنا بين رسم الشخصية في القصة أو الرواية، ورسمها في المسرحية.

فالقاص أو الروائي، هو الذي يصنع الشخصية، ثم ينسج حولها الأحداث والمشكلات، بينما تنشأ الشخصية في المسرحية من المشكلة أو القضية التي تتناولها المسرحية.

ومرد هذا، إلى أن المسرح في جوهره قضية، أو مشكلة، وليس حكاية، أو سردا للأحداث، كالقصة أو الرواية.

وعلى هذا يقول (فمن يريد أن يحكى حدوته، ويعرض حياة، فليكتب قصة أو رواية).

لكن ما يعرض على مسرح، هو مشكلة، أو قضية منها، تتبع رؤيا الحياة، وتتكون ملامح الشخصيات.

ثم يفرق بين الكاتب المسرحي، والقاص، فيرى (أن الكاتب المسرحي

(١) أحاديث مع توفيق الحكيم ص ١٠٩.

يبدأ من القضية إلى الحياة، بينما القاص أو الروائي، يبدأ من الحياة إلى القضية، التي قد توجد في روايته وقد لا توجد<sup>(١)</sup>.

ومن ثم ، فالكاتب المسرحي، قريب في نهجه من الفيلسوف أو المفكر الجدلي، الذي ينطلق في تفكيره من قضية كلية محاولا تطبيقها على حالات جزئية.

بينما يعد القاص قريبا في نهجه، من نهج العالم الذي يبدأ في دراساته وبحوثه، من الحالات الجزئية، محاولا الوصول منها إلى قانون عام، أو قضية كلية.

وتعد هذه المقابلة بين القاص والكاتب المسرحي، وبين المسرحية والقصة مظهرا من مظاهر تعادلية توفيق الحكيم.

وتنتهي هذه التعادلية بين هذين الفنين إلى تفضيله المسرحية على القصة.

وربما يرجع هذا في رأيه، إلى عدم اهتمام بعض كتاب القصة بتناول الموضوعات الإنسانية، وخاصة أصحاب الاتجاه الواقعي الذين يعنون، بتصوير الواقع الخارجي، بون الكشف عن أعماق الحياة، ونوازع الإنسان، وبواخل النفس البشرية.

لذا يرى إخراج هذا اللون القصصي من دائرة الفنون الأدبية.

يقول (والأدب من ناحيته، سوف يرى أنه غير مستطیع أن يعمل طليقا في أجزائه العليا، وهو مرتبط بالقصة ...

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢

لقد أراد أن يستعين ببيريقها وتشويقها في اجتذاب الناس ولكن الناس ما إن يروا قصة تافهة القيمة، محبوكة الصنعة حتى يندفعوا إليها، متحمسين صائحين هذه هي الحياة وينصرفوا بجموعهم عن القصة الأخرى التي تطوى في أعماقها الحياة الحقيقية، تلك التي غاص لها الأدب والفكر ضجرين قائلين ، ليست فيها حياة.

ذلك أن الحياة عندهم، هي التي يدونها فقط بعواطفهم السطحية، جاهلين أن الحياة في الأدب والفن، ليس معناها السطحية في النظر إلى الحياة<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من تحامل ناقدنا على القصة على النحو الذي أشار إليه فإنها تكاد تستحوذ في الأدب الأوربية الحديثة على سائر الفنون النثرية<sup>(٢)</sup>.

وقد طغت في العصر الحديث على كثير من فنون الأدب العربي حتى إنها غزت الشعر، وتسابق كبار الشعراء في نظمها شعرا<sup>(٣)</sup>.

يضاف إلى ذلك، أنها تعد أقرب نوع أدبي إلى واقعنا الاجتماعي<sup>(٤)</sup>، وأكثر الفنون الأدبية تعبيراً عن قضايا مجتمعنا المعاصر ومشكلاته.

ويظهر أن تحامل ناقدنا على القصة مرده إلى أن أصولها الفنية لم تكن قد رسخت في الأدب العربي آنذاك.

ولذا فقد كانت المشكلة التي استحوذت على تفكيره، وهو بصدد دراسة هذا الموضوع، هي هل تعد القصة فناً أدبياً؟؟

(١) فن الأدب ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) محمد حسين هيكل ثورة الأدب ص ٦٧.

(٣) عثمان موفى، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث ص ٧٨ - ٩٤.

(٤) شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ص ٢٢٦.

وبهذا يضع باقدنا القصة فى ناحية، والأدب فى ناحية أخرى بحيث  
يواجه كل منها الآخر

ومن ثم تبدو تعادلية توفيق الحكيم، وتنتهى إلى تصور حدوث زواج بين  
هذين الفنين، ولكن هل ينتهى هذا الزواج نهاية سعيدة، أو يحكم عليه  
بالفشل؟؟

وقد لخص هذا الموقف فى قوله (أليس من الجائز أن يتم زواج بين  
الأدب والقصة؟ ما من ريب فى أن هذا شأن الحدوث، غير أن هذا الزواج،  
شأنه شأن كل زواج كثيرا ما ينتصر فيه طرف على طرف، ويتغلب طبع على  
طبع فإذا تغلب الأدب، فنحن أمام فن ناقص، وإذا تغلبت القصة فنحن أمام  
فن رخيص.

أما إذا حدثت المعجزة، وتم التوازن التام فى هذه الزوجية الموفقة ...،  
وتمشى الأدب فى القصة، فنحن إذا أمام معجزة فى الفن<sup>(١)</sup>.

والواقع أن توفيق الحكيم قد حقق هذه المعجزة فى بعض أعماله الروائية  
مثل عودة الروح، كما تحقق هذا فى كثير من روايات نجيب محفوظ<sup>(٢)</sup>،  
وبعض قصص رواد القصة القصيرة فى الأدب العربى الحديث، مثل محمود  
تيمور ويحيى حقى، ويوسف إدريس.

وبناء على هذا، لا تقف تعادلية توفيق الحكيم عند حد التقابل بين طرفى  
هذه القضية، الأدب والقصة، بل تتجاوز ذلك إلى التقاء الطرفين فى نقطة  
واحدة، واتحادهما معا بحيث يصبحان شيئا واحدا.

(١) فن الأدب ص ٢٢٢ ٢٣

(٢) مثل الثلاثية، وبدابة ونهاية، ورفاق المدق، والشحاذ واللص والكلام

وهنا تنتهى التعادلية إلى نتيجة ايجابية، وهذا على عكس ما رأينا فى كثير من القضايا السابقة.

وصفوة القول أن تعادلية توفيق الحكيم، التى تعد خلاصة فكره وفلسفته فى الحياة، تطل برأسها على كثير من أعماله الأدبية، وفكره النقدى، بحيث يمكن اتخاذها مفتاحاً، لفهم فكره، وتفسير إبداعه الأدبى، ومواقفه النقدية.

# نسيج الحكمة والصورة والنغم

فى

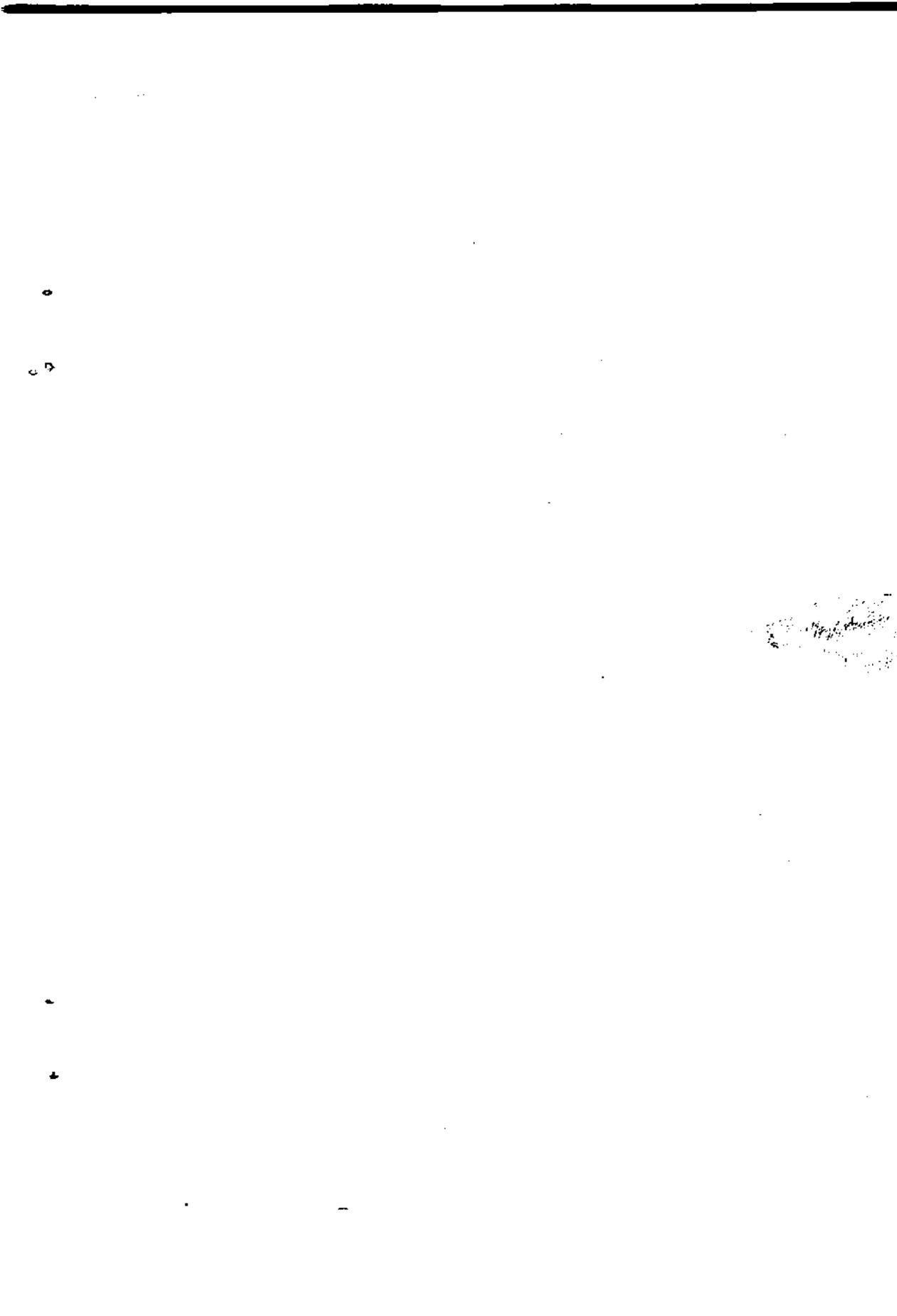
البلاغة الشعبية

تأليف

د. مصطفى الطاوى الجوينى

أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغية المفرغ

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## محاوَر البلاغة الشعبية

تدور البلاغة الشعبية حول المحاور التالية :

١- الأمثال.

٢- أشعار العامية.

٣- عبارات ولغة الحياة اليومية.

٤- الأغنية الشعبية.

٥- الأزجال.

٦- الصحافة، ونضيف إلى ذلك الصحافة الفكاهية، لكنها اختفت

من حياتنا اليومية .

منذ نحو خمسين عامًا أو تزيد أصدر الصحفي محمود عزت المفتى مجلة (البعكوكة) وكان لها دور خطير في إشاعة البهجة في النفوس، ورسم البسمة على الشفاه خاصة أنها كانت تصدر أيام الحرب العالمية الثانية وسخرت من كل شيء في الحياة وفي المجتمع، ويكفي لبيان خفة دمها أن تنصدر صفحتها الأولى (صاحبها متبرى منها) (والعدد في الليمون) (وغرة تليفونها لا طلعت ولا نزلت)، ومن ألوانها (أم سحلول) و(دكتور مكسوريان) و(المغلقات والمشعلقات).

### الموقف من الصياغة للبلاغة الشعبية :

تواجهنا ثلاثة مراقف في صياغة البلاغة الشعبية :

(١) أولها ويتمثل في الأمثال والسير والأغاني وكلها مجهول المؤلف، وإن كان مؤلفها هو الفكر الشعبي والوجدان الجمعي، والخيال الشعبي، والذوق النغمي الجماهيري.

(٢) ثانيها رجاءت مع عصر الصناعة وتلك تمثلها دواوين الأزجال وشعر العامية والأغنيات المطبوعة، معروفة المؤلف وإن كانت ولدت فى حجر الشعب، وتلتزم الصدق ومرارة الانتماء إليه وتعبير عن وروح الشعب بأمانة.

(٣) وثالثها وتظهر فيما نحاور به ويحاورنا رفاقنا من أبناء الشعب وتلك العبارات وإن كانت يعرف صاحبها لحظة الحوار لكنه بعد ذلك يُنسى القائل بالتحديد، وقد يتوارد على تلك اللغة والعبارات مثل لها من أشخاص آخرين، ومن هنا تصبح ترأثاً مجهول القائل كالأمثال والسير وأغانى الفولكلور، وإن كان مؤلفها هو هذا المجموع الشعبى.

ولن نخطئ أبداً سمات الشخصية المصرية فى هذا الكم البلاغى الهائل عُرف مؤلفه أو جهل لأن المؤلف بداية ونهاية هو هذا الشعب المصرى المتحضر.

### **القيمة الجمالية للغة العامية عند القدماء والمحدثين :**

يروى الجاحظ أن النكسة حين تقال بلغت العامية تملح وتحسن ولكن إذا حُوت من العامية إلى الفصحى سمجت وبرُدت.

وفى القرن الخامس يشير ابن شيث - فى العصر الفاطمى - إلى أن من قيم الجمال فى الكتابة استخدام اللفظة العامية ويسمى هذا (رشاقة).

وفى العصر الحديث كان الأديب يحيى حقى - وهو المتعصب للفصحى - يرى أن استخدام اللفظة العامية فى الموضع الذى لا يحسن فيه غيرها يعطى للتعبير حيوية وتجدداً. ويسير فى هذا الاتجاه محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، وحسين فوزى، ونجيب محفوظ وكوكبة من أعلام أدبنا الحديث.

## هدف البلاغة الشعبية :

النقد الاجتماعي، والترجيح السياسي والتربوي والخلقي، وأضرب مثلاً على هذا عبد الله النديم في (المسامير) وسلامة النديم في (التنكيث والتبكيث).

## نبات البلاغة الشعبية :

نبتت البلاغة الشعبية في بيئة مصر الزراعية وآلاف مؤلفة من الشواهد على ذلك، لكن بحسبنا ما يأتي :

- في السخرية من الجهالة : (تورا الله في برسيمه).
- فيمن ينفع غيره ولا ينفع أهله : (زى القرع يمد لبره).
- في اختلاف وجهات النظر : (كل فولة ولها كيال).
- فيمن تتواصل مشقة عمله : (زى الساقية تملى وتفضى).
- ويضرب مثلاً للغدر ونكران الجميل : (زرعتك قلعتنى).
- وحب الأرض يتعلق بها المصرى الذى يقول : (اللى غيطه على باب داره هنياله).

وكانت الشهور القبطية مصدر الكناية لديهم :

- (الاسم لطوبة والفعل لأمشير) وذلك بنسبة الشيء إلى من لم يعمله.
- (برمهات روح الغيط وهات) وذلك لأنه شهر الخصب والحصاد.
- (كيهاك صباحك مساك) وذلك بشأن تسارى ساعات الليل والنهار.
- (غدوة في الصعيد ماهيأش بعيد) مثل إقليمى للإنسان الطفيلى.
- (آخر الزمر طيطا) المصدر هنا المرسيقى.

- (سيدنا موسى مات، ناشف طرى هات). بما يعنى بعد موت النبى سبان الحزن والسرور. وهو من آثار اليهود فى الأمثال المصرية.
- (ابن الحاكم يقيم) سياسة فى عدم استقرار الحكم يقول الفنان الشعبى : السلطان مع هيبتة ينشتم فى غيبته.
- ومن تجارب المصريين مع الحكام قالوا :
- (آخر خدمة الغز علقه) حكمة التاريخ من تعاملهم مع الأتراك.
- (على قلبها لطالون) مثل يرجع بالتاريخ إلى العهد الطولونى.
- يشير أن أحمد بن طولون أسس بمصر دولة لها استقلالها بعد أن كانت ولاية إسلامية.

## الحكمة (إيجابية)

وهذه نوعية إيجابية من أمثال هى حصاد التجربة الإنسانية لأبناء مصر.

### (المرأة والحظ) :

- يقولون فى يدى البنحوت لمكتكتين الروس وأم الشعور بختها منحوس.
- (اللى عنده قرش محيره يشتري حمام ويطيره) يقولون فى السفية
- (القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود) حكمة الإدخار يقول
- الرزق لله (اللى يعطيه خالقه مين يخانقه) لا يستطيع أحد أن يمنع رزق الله.
- (أخذ ابن عمى واتغلى بكمى) تفضيل القريب من الزواج.

- (آخر الحياة الموت) فلسفة الإنسان

- (آخر ده يجيب ده) (منطق) ربط السبب بالنتيجة.

- (آخر المعروف ينضرب بالكفوف) تجربة غدر بين الإنسان

- (آمنوا على مشنه مليانة عيش ولا تآمنوا على بيت مليان

جيش) فلسفة الحياة والموت، فى الخوف من الحرب.

- (الإبرة اللى فيها خيطين ما تخيطش) استحالة الشركة.

- (إبليس ما يخرّبش بيته) فلسفة عميقة فى أن الشر يتمونه

للغير ولا يتمونه لأنفسهم.

- (ابن آدم فى التفكير والرب فى التدريب) التوكل على الله.

- (أبو جوخة وأبو فلة فى القبر بيدل) الموت يسارى بين الغنى

والفقير.

- (اشترى الجار قبل الدار) حكمة الجيرة.

أو فى تحضر المصريين وحبهم للنظافة يقول : (اكفس بيتك ورشه

ما تعرف مين يخشّه).

- (الكبر كبرنا والعقل ما كملنا) فى تصوير أن الحكمة ليست

بكبر السن أحياناً.

- (ما نابنا فى غربتنا إلا عوجة خيبتنا) حكمة المستغرب يأخذ

بالظاهر من الأجانب.

### إيجابية السعى فى طلب الرزق :

هذه حوارية بين الرجل الشعبى وربه :

(اسعى يا عبد وأنا وياك).

ويقولون (الرزق يحب الخفية).

(والإيد البطالة نجسة). فى كرم المصرين وقناعتهم.

فى الدعاء للكريم يقال (يجعل بيت المؤمنين عمار) و(بصلة

المحب خروف) و(الجودة من الوجود).

بل ويكفى حلالة اللقاء دون حلالة الغذاء (لاقيني ولا تغدينى).

### مراجعة المثل (السلبيات)

بعض أمثالنا لأنها تاج تجارب فردية يخلص منها الإنسان إلى الحكمة أو القاعدة التى تحكم فكره وسلوكه فهى بحاجة دوماً إلى مراجعة لأنها نجت عن خطأ فى الحكم أو تحت ضغط من أحادية التفكير أو لظرف خاص، خذ مثلاً :

(القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود) حكمة عاقلة عن الإدخار

وبازائها (اصرف ما فى الجيب يأتىك ما فى الغيب).

والحكمة (احيينى النهاردة وموتنى بكرة) بازائها (تجرى جرى

الوحوش غير رزقك ما تحوش) و(خليها على الله).

وللإنسان أن يسعى وهو مأمور بذلك ولكن الرزق ومقداره أمر

من الله مُقدَّر ولا نستسلم للمثل القائل (قيراط حظ ولا فدان شطارة).

ويقولون فى القرابة من السلطة الحاكمة :

- اللى له ظهر ما ينضربش على بطنه.

وفى القناعة بالعاجل دون الآجل

- بيضة النهاردة ولا فرخة بكرة.

- ادينى اليوم صوف وخذ بكرة خروف.

- (ارقص للقرن في دولته) التعامل بالنفاق مع حاكم  
 - (اسأل مجرب ولا تسأل طبيب) في سماع نصيحة غير  
 المتخصص  
 - (اصباح الخير يا جاري انت في دارك وأنا في داري) في عدم  
 التعاون.

## تشكيلات أسلوبية

لدى الأديب الشعبي فنون في تشكيلات أسلوبية فهو مرة يدير  
 عبارته في حوار وفي ثنائية يرسلها في صورة حدوتة قصيرة وفي ثالثة  
 يرسلها عبارة مكثفة موجزة تقطر منها الحكمة والدرس المستفاد من  
 التجربة.

وهنا بعض النماذج لما تقول.

### فنى الحوار :

(الذست قال للمغرفة يا سودة يا معجرفة قالت كلنا أولاد مطبخ)  
 وهذه صورة فيها حوار ساخر.

### تشكيلات أسلوبية :

(هات عمك ويوم القيامة خُدها) سخرية في تصوير المماثلة.  
 (دور العويل في دفاتره لقي له نص كلب شك) صورة ساخرة  
 للمفلس.

(جحا عامل ساقية تملأ من البحر وتكب فيه) تصوير للغفلة.  
 (ما يفرك الباب وتزويقه شوف اللي جواه فطر ولا على ريقه)  
 صورة ساخرة.

(الجنازة حارة والميت كلب) الشعب يصور بصورة الساخرة من المظهر الحزين.

### الأسلوب الحوارى فى المثل :

(عيشك يحلى لى يا خالى، قال : من سوء بختى يا ابن أختى) مثل حوارى.

(يا صياد صدت شىء : قال حتى اللى فى الشبكة راج) صورة للصيد.

وعن استمرار الظالم لظلمه : (قالوا إيه فرعنك يا فرعون : قال : مالتش حد يصدنى).

وعن موطن للإنسان حوار جحا : (قالوا بلدك فين يا جحا ؟ قال اللى فيها عيالى)، وفى رواية أخرى (اللى فيها أكل عيشى).

وعن الإلحاح فى طلب المستحيل هذا الحوار الهازل الساخر : (أقول تور، يقول أحليه).

وفى الصبر على المكاره : (قالوا إيه رماك على المر ؟ قلت : اللى أمر منه).

وفى منطق الشر إذا تعاون ركناه يقول المثل الشعبى : (حداية ضمننت غراب، قال : يطيروا الاتنين).

(يشوف الغنم سارحة، يقول : سألناكم الفاتحة) تصوير ساخر للبلاهة.

(كلب أبيض وكلب أسود، قال : كلهم ولاد كلاب) مثل فى صورة منطقية. تكون له القيادة والسخرية هنا من كثرة ما مر على مصر من أجناس الغزاة). تشكيل أدبى فى صورة حدوتة لها مغزى.

(الغنى شكته شوكة بقت البلد فى دوكة . والفقير قرصه تعبان .  
قالوا : اسكت بلاش كلام) سخرية فى صورة قصصية مرجزة عن حظ  
الفقر والغنى فى هذه الدنيا .

(الفار وقع م السقف ، قال له القط : اسم الله عليك ، قال : سبنى  
وخلى العفارىت تركبنى) صورة قصصية ساخرة رمزية فى إبداء الشفقة  
والنية الشر .

(جبله ومرضة وشايلة أربعة وطالعة للجبل تجيب دوا للحبل  
وتقول يا قلة الذرية) السخرية من عدم الرضا بما رزق الله من الذرية .

### ومن التشكيلات الأدبية :

#### المثل :

وقد تشكل فى معارض من فنون الزخرفة البديعية، وتعد الكناية  
من أكثر صور البديع استخداماً فى البلاغة الشعبية ومعها الجناس  
والسجع... ومن البيان التشبيه .

#### الكناية :

- عن الاضطراب (الدنيا بتضرب وتقلب)
- عن الاضطراب (الدنيا واقفة على رجل).
- عن الاحتقار (رماه من عينه).
- عن الدهاء (يسرق الكحل من العين).
- عن الخلط (سمك لبن تمر هندي).
- عن شدة الامتراج (سمن وعسل).
- عن القرب (فركة كعب).

- عن سرعة الاختفاء (فص ملح وداب).
  - عن المناظرة أو المماثلة (قد وقدود).
  - عن اليسر (قول يا باسط)
  - عن الشك والخوف (لعب الفار فى عبه)
  - عن طول اللسان (متلفع بلسانه).
  - عن المستحيل (آدى السما وآدى الأرض).
  - عن عدم اللقاء (آدى وش الضيف).
  - عن الضررة (آدينى حيّة لما أشوف اللى جيّة).
  - عن حظ الناس (ابن الكبة طلع القبة وابن اسم الله خده الله).
  - عن الغفلة (ابنه على كتفه ويدور عليه).
- من عبارات العامة فى الذم بأسلوب الكناية : يقولون :
- اللهو الخفى - اللى ما يتسمى - المدعوق - المدهول على عينه -  
اللى بالى بالك.

### الطباق :

الصورة حركية مع الإيحاء الصوتى فى الطباق وفى صياغة المثل  
بصيغة اسم الفاعل :

(البانى طالع والفاحت نازل). حكمة فى صورة طباق

(المتغطى بالأيام عريان)

### الجناس :

(إن طاب لك طاب لك وإن ما طاب لك حول طلباك)

(جيت أتاجر فى الكتان كتوت الأحران).

### عبارات مصورة وعصوية :

فى الجرع يقول زجل الشعب (عصافير بطنى بتزقزق).

وينصحك بالحلم فالخلاف طبعى (دى مصارين البطن بتتخانق).

والآن يقال لمن سيطيل الحديث (هات من الآخر) يعنون آخر

شريط الكاسيت ومع نظام القنوات فى التليفزيون يقال لمن يعدد ما أنعم

الله به على من يحاوره فيجيبه (ده نظام نق بقى).

وكان يقول من يزعم السرعة (طيران فريرة) أما الآن يقول لك

(صاروخ وهارجع لك).

### تشكيلات لغوية

وللغة العامية نحوها الخاص سراء فى بنية الكلمة أو فى دلالتها

أو إعرابها الفعل المضارع

(اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب).

### الصرف :

قلب الذال زأيا :

أ- (زنيه على جنبه).

ب- (اتمفل)

(اتمسكن لما تتمسكن)

(كوتيس ورخييص وابن ناس)

النفى :

(نصّ البلد ما يعجبني وأنا أعجب مين)

الحروف لما بمعنى حتى

(مكسور ما تاكلى وصحيح ما تكسرى

ركلى يا مرات ابنى لما تشبعى).

يا بمعنى إِمَّا

(اصبر على الجار السوي يا ير حل يا تجى له داهية).

(موت يا حمار لما يجيك العليق).

ويرورى : على ما يجيك : وعلى هنا معناها (إلى أن).

(اللى انت خايف منه هُلبت عنه) - بتشديد من وعن

(اللى ما يخاف الله خاف منه).

قام بمعنى الفاء (قالوا للكاتب استريح قام وقف).

الاستفهام :

(تروح فين يا زعلوك بين الملوك)

إن وأخواتها :

(أكننا يا بدر لا رحنا ولا جينا).

النداء :

(آهى ليلة، وفراقها صُبْح) - آ، كأنها للتببيه وهم يقولون آهر قاعد

## التعجب

(يا قلب يا كتاكت ياما فيك وانت ساكت)

(يا قلب يا قفص ياما فيك من غصص)

التفصيل :

(المركب اللى تودى أخير من اللى تجيب).

(ما أحسن من ستى إلا سيدى).

الجمع :

(ياما فى الحبس من مظالم)

اسم المفعول :

(باب النجار مخلص)

المثنى :

(من قدم شىء ببيداه التقاه)، ونلاحظ أن المثنى مرفوع كسرًا

للقاعدة الفصيحة.

المذكر والمؤنث :

(مال لحمتك مشغقة قال من جزار معرفة).

اسم الفعل (العلم) :

(سيدى بندق ما سدق)

الاسم الموصول :

(يا بخت من قدر وعفى)

(احنا بنقرأ فى سورة عبس) ( حنا بمعنى عس )

(فيها والآأخنيها) - أى الغنيمة وما فى معناها

(تبات نار تصبح رماد، لها رب يدبرها) - أى المصيبة

اسم الإشارة :

يستخدم فى صياغة الحكمة الراحدة سواء فى التسليم بمشيئة الله  
أو بيان الحقيقة.

(آدى الجمل وآدى الجمال).

(آدى الله وآدى حكمته).

الأسماء الستة :

(نار جوزى، ولاجنة أبويا)

المبنى للمجهول :

(لأجل عين تكرم ألف عين)

العطف :

(رحت بيت أبويا استريح، سبقنى الهواء والريح).

هر من عطف المرادف، لأنهم يريدون بالهراء الريح

وأديب الشعب ينحت ألفاظاً وصورة مثلاً :

(ادلعدى، الغندورة، ... اسم النبی حارسها)

(ست أبوها، بخاطرها، ماشا الله).

(بسملة قهوة من جيب الأغا)

(كل شى له يشبهن له)

وهنا البراعة الشعبية فى النحت اللغوى

اختصار الكلمتين فى لفظة مثلاً

(أى شىء) يتحول فى التعبير الشعبى إلى (إيش)

- (إيش تعمل الماشطة فى الوش العكس).

اسم (أفندى) واللفظة الأفندى قصته.

فاللقب أفندى كان يطلق على الحكام الذين يلبسون الطربوش

والبدلة، فإذا كان يلبس جلياباً وطربوشاً، قالوا إنه أفندى بظرميط.

**ومعنى بظرميط :**

إنه ملخبط، فهو أفندى للبيه الطربوش، وابن بلد للبيه الجلاب،

وكذلك يسمون الرلد يأتى من أبوين أحدهما مصرى والآخر سودانى .

بظرميط، ويسمون الفراخ التى تأتى من ديك هندى وفرخة بلدية أو

بالعكس بظرميط.

ويقولون : (بلاش بظرمة أى كلام فارغ).

وأصل اسم الأفندى كان محصوراً فى العائلة المالكة فى الأستانة،

يقابل برنس الأفرنجية، وكان يطلق على السيدة المحترمة "أم الأفندى" (أم

أفندينا).

وإلى عهد قريب برطشتت الكلمة فصارت تطلق على الفراشين

الذين يلبسون البدلة ويخدمون فى الأفرح والمآتم. تمييزاً هم عن الفراشين

## كلمات فارسية في اللغة العامية

وإن كان الحكم الفارسي لمصر الذي دام ثلاثة قرون لم يترك أثرًا في أدبنا الفصيح لكن التقطته ذاكرة ابن البلد ودار على لسانه منذ حكمهم قبل الإسلام إلى يومنا الحاضر ويكفي هذا القليل :

بالوظة = بالورده

برغل = برغل (القمح)

كهنة = قديم

برواز = بروز

طشت = تشت.

يغنى = نفس المعنى.

### عبارات معاصرة :

وفي مراجعة مسجد الشعراني بالقاهرة (محل لحمه راس) تقول لانتته (كل كبده ومخ ضاني واقرأ الفاتحة لسيدك الشعراني).

### ثراء البلاغة الشعبية :

يكفي التذليل على هذا كيف تصرف ابن الشعب في لفظة (عين):

(عينه منها) : معجب بها

(عينه عليها) : يطمع في خطبتها

(عينه فيها) : يطمع فيها.

(العين ما تعلاش على الحاجب) : في احترام الكبير

(عينه تندب فيها رصاصة) : كناية عن البجاجة

(عينى يا عينى) نتعجب

(عينى عليك باردة) : للسرور براحة بدنه أو صحته.

(عينى بترف) : كناية عن القلق

(عينك ما تشوف إلا النور) : كناية عن الوقوع فى شر.

وفى اليد يقولون :

(إيده طرشة) : وهنا تراسل الحواس وكناية عن قوة البطش.

(إيده طويلة) : كناية عن السرقة.

(إيده تتلف بحرين) : كناية عن إتقان الصنعة.

(إيده خفيفة) : كناية عن براعة الجراح، أو عن مهارة اللص.

(إيدى على إيدك) : كناية عن طلب التعارن والاتحاد، وضدها،

(إيد واحدة ما تصقنش).

### (١) مجتمع الباعة :

وله أسلوبه البلاغى الخاص فلقد يقدم المشبه به على المشبه : كيزان  
العسل يا بطاطة - قشدة يا جرافة - ورد يا طماطم.

ويقدمون الصفة على الموصوف : شفاء وحمير يا عرقسوس - حمار  
وحلاوة يا بطيخ - ريان يا فجل.

وربما قدم أيضاً موطن الثمر : رشيدى يا بلح - منفلوطى يا رمان  
- أسيوطى يا بلح... الخ

وفى صبأى لحظت أحد باعة الخضر الظرفاء يستخدم فى نداءاته  
أسلوب التعريض معابثاً العجائز والصبأيا : فإذا مرت مليحة كان نداؤه

(بامية يا مقمعة) (لوز يا فاصوليا). ويد مرت يدس م يرفد مصعبه  
صرخ (قرعة قرعة).

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وقد انخفضت الأجور وعلت  
الأسعار، وتعامل التجار مع العملاء بأسلوب الشكك، وبعض التجار رفض  
هذا وعلق لافتات منها ما يقول بأسلوب السجع :

(الشكك ممنوع والزعل مرفوع).

والمفلسف يقول (إذا نطق الديك شكك أديك).

### مجتمع الأطفال :

وله عباراته المسجعة، التلقائية، العبثية، ففي واحدة من ألعابه يقول  
(حادى بادى كرنب زبادى، شاله وحطه كله على دى).

وإذا أبصروا مفطراً فى رمضان صرخوا فى وجهه (يا فاطر  
رمضان، يا خاسر دينك، سكينه الجزار تقطع مصارينك).

ومع مشارف العيد يغنى الصغار : (يا برتقال يا أحمر يا جديد،  
بكرة الوقفة وبعده العيد).

بل يعاتبون الشمس وهى طالعة والمطر ينزل فهم بفطرتهم يلحظون  
المخالفة بطلوع الشمس وسقوط المطر فيقولن (عيب عليك يامطره والشمس  
طالعة).

### مجتمع المتسولين :

ولأن التسول فى معظمها تمثيل يقوم فريق على رأسه من يقول  
(حسنة قليلة تمنع بلاوى كثيرة، هنيالك يا فاعل الخير) ويرد الكورس  
من زوجته وبعض صبيته (عشاننا عليك يا رب) (كريم يا رب، حلیم يا  
رب).

ثم يقرم قائد الفريق يقول (من قدم بيداه شيء التقاه) (هنيالك يا  
فاعل الخير)، ويردد الكررس مغيراً العبارات : أنت الكريم يا رب، أنت  
الرحيم يا رب.

ونلاحظ هنا أسلوب التردد وفي التردد حية صوتية.

## شعراء العامية والأغاني

رخطا شعراء العامية في شعرهم لغة الشعب وأمثاله وعباراته  
وتشكيلاته المتعددة وضمنوها الموسيقى والإيقاع ودفعوا بها إلى المطربين  
والمطربات أصحاب الخناجر الذهبية ليضاف إيقاع إلى إيقاع وأداء تعبيرى  
ليشمر جمالاً ساحراً يغزو القلوب، يسحرها، يسكرها مقعم بلذة رائعة.

في البحر لم فتكم في البر فتونى

بالتبر لم بعتمك بالتبن بعتونى

صورة من أغنية يغنيها محمد عبد الرهاب

الشمس طلعت نامت وصحيت وأنا اللى طول الليل سهران.

## التفاؤل والطبيعة والحب عند الرجل الشعبى :

يقول الشاعر

يا حلو صبح يا حلو ظل

يا حلو صبح نهارنا فل.

وأنت تلاحظ الموسيقى فى الإيقاع وفى تكرارا (يا حلو).

وفى ربط العطر الذكى للفل ببياض اللون خاصة وأن من عادة  
المصريين فى الصباح نهارك فل، صباحنا قشطة ولبن تفاؤلاً.

## الأغاني

انظر إلى الجنس الذي تحدّثه طريقة نطق المصريين للقف (ألفا)

تقول الأغنية :

يا أمة القمر على الباب

نور أناديله

يا أمة أرد الباب

ولا أناديله.

ولاحظ الكناية (القمر على الباب) و(أرد الباب)

في مرال محمد عبد المطلب يقول مستخدمًا صورة الجنس في

الأداء الصوتي :

أقوم من النوم أقول يا رب عد لها

بلد حبيبي قصاد عيني ومش قادر أعدى لها

**الفرانكو آراب :**

منذ منتصف القرن العشرين شاع بين فناني المونولوج الأغنية

الفرانكو آراب فيها بعض جمل فرنسية أو إنجليزية وشهر بذلك الفنان

الشعبي محمرد شكر كو : (مون أمور مون أمور مون أمور Mon Amour

Mon Amour Mon Amour حبيبي يا ساكن لي في آخر دور).

أو قوله : (حبيبي هاجر وهجره ده محصلش حبيبي الهجر ده ليه I

love you very much .)

ونظم أحد ظرفاء المعاهد الدينية، حين قررت .، أيهم دراسة اللغة

الإنجليزية، نظم أرجوزة هي مزيج من العربية ومفردات وجمل إنجليزية،

وجعل اللغة معربة وهى فى الأصل غير ذلك فيجعل الخير فى الجملة  
الإنجليزية مضمومًا ويشبع حركة الضم لتصير ر : على هذا نحو :

تحية الصباح قولى good morning

وتحية المساء يا صاح good evening

وهذا الحرص على التنغيم الصوتى من أغاني الفرانكو آراب، وفى  
خلال الأغنية عبارات بالفرنسية واليونانية.

ولعل أغنية (يا مصطفى يا مصطفى أنا بحبك يا مصطفى) ثمردج  
أغنية (فرانكو آراب).

يقول إسماعيل يس فى واحد من مونولوجاته :

**يا دمعى Stop Stop دمعى مش راضى يستوب Stop.**

حتى الكلمة الإنجليزية يركب لها تاء المضارعة مجتمع مع خفة  
الظرف المصرى.

ويسأل أحد الطباخين والساعة الثامنة والنصف فيجيبه : بامية  
ورز، وذلك من قافية المطبخ.

وهذه المهوبة منحته القدرة على الألفاظ الساخرة : مكعب -  
زقلط - مبجر - مخشرم - ملحوس.... الخ.

وتخترع اللفظة تخفيفًا للموسيقا والسخرية (اتلم عليه زعيط ومعيظ  
ونطاط الحيط).

وانظر إلى هذه العبارات الضاحكة (طمعنجى بنا له بيت فلسنجى  
سكن له فيه).

### **الموسيقى والدلالة :**

قد تمثل اللفظة الحركة (تيتى تيتى زى ما رحت زى ما جيت).

أو الهيئة (شالوه هيله بيله).

وتكرر النغمة محققة للموسيقى (قعه على قعه راح النهارده يا  
سعه).

والصياغة تتحرى الموسيقية (يا رايح كتر من الفضايح).

## طوت ونغم

الترخيم :

(اصبر يا ستيت، لما يخلي لك البيت).

التنوين :

(خيرن تعمل شرن تلقى)

التنوين :

(كل شى له يشبهن له) - هو كل شىء له ثم أدخلوا التنوين على  
الفعل فقالوا يشبه له.

(زى جمعية الغريان أولها كاك وآخرها كاك) صوت الغريان.

(توتة توتة فرغت الحدوتة) الصوت

(العيش من العيش والدناوة ليش) نغم موسيقى.

(بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا زهرة) موسيقى

(طمعنجى بنى له بيت فلسنجى سكن له فيه)

(الحاجة فى السوق تقول نينى نينى لما يجى الخايب يشترينى)  
صورة ساخرة + موسيقى.

(أبو جعران فى بيته سلطان).

ولو أن المضمون عند تفصيل الحكاية لكن العبارة موجزة تبدأ  
بحكاية الصوت وتختتم بالتحية اللفظية.  
(من طتطق لسلامو عليكو).

### عند الصوت والدلالة :

(من بره هله هله ومن جوّه يعلم الله) وذلك عند الاغترار بالمظهر  
الخداع.

### الصوت :

استحباب الكسر وهو أخف الحركات في نطق بداية آخر حرف  
من المبتدأ مع الحرص على إبراز التنوين والنون لها خاصية موسيقية متميزة.

- (يوم لك ويوم عليك).

- (خير تعمل شر تلتقى).

### الصوت :

(حالي شرم بوم)

(أخويا هايص وأنا لا ييص).

### الأزجال :

وتبلغ قمة الحكمة والنضج الفكري والإحساس بالإيقاع المتألق عند  
الزجالين فمثلاً "بيرم الترنسى" ينقد المجتمع الذي صار ينصرف عن الرعاظ  
وأهل النصح الاجتماعي ويعنى بالأرتيست.

يقول موجهاً حديثه لمحمود أبر العيون شيخ الإسكندرية الديني :

(يا بو العيون ياللي أنا وأنت خلاص فلست)

(والناس قالوا لي وقالوا لك يا عجوز هلوست)

(راح الزمان اللي بيقولوا المواعظ فيه)

(على المنابر وقامت توعظ الأرتيست).

ويقول ناصحًا الأمهات بألا يربوا أولادهن على الخرف

(وبطلى قولة العفاريت والغولة

ليطلع الواد عبيط والبنت مهبولة

ما تعرفيش الكلام ده يتلف الأولاد

ويفرجوكى المرار وتعيشى مخبولة).

ولعل يرم كان يرجم بالغيب حين دعا إلى الحفاظ على البيعة

فيقول مخاطبًا ابن البلد :

يا ابن البلد دى البلد مكتوب عليها اسمك

وزى ما تكون شوارعها يكون رسمك

حافظ عليها كما تحافظ على جسمك

لاتشمت الناس ولا تفرج عليك خصمك

أما شيخ الرجالين المعاصرين فهو "فواد حداد" الذى يتسم بخفة

الظرف وموسيقية العبارة، يقول فى وصف سوء فقره وسوء حاله :

(فنان فقير على باب الله).

(الجيب ما فيهش ولا سحتوت)

(والعمر فايت بيقول آه)

(والقطر فايت بيقول توت)

(صحيتنى ليه يا شاويش يا شاويش)

(أنا كنت سارح في الملكوت)

(لما بانام باحلم وباعيش)

(لما بافوق ما بافوقش باموت)

يقول فى روح طفولية مرحة محبة للحياة :

(طلعت أدب أدب ديبب)

ونزلت أدب سبع سراديب.

أنا أخوك الدب ما أنيش الديب

ومفجّل عينى تقول دا أديب

والا دا عاشق داب فى دباديب

الحلو اللى بيغطس ويتب

طلعت أدب نزلت أدب)

ونختم بصلاح جاهين الذى يسدر فى أزجاله متأماً ذا شجن  
يتعجب من فلسفة الحياة ويتأمل طويلاً فى فكرة الموت، يقول فى رباعياته:

مرغم عليك يا صُبح مغصوب يا ليل

لا دخلتها برجلينياً ولا كانلى ميل

شايئنى شيل دخلت أنا فى الحياة

وبكره ح اخرج منها شايئنى شيل

عجيبى !!

ويتأمل فى الكون ويخرج من سؤال إلى سؤال ولكن لا جواب

نظرت فى الملكوت كثير وانشغلت  
وبكل كلمة (ليه ؟) و(عشانيه) سألت  
اسأل سؤال ... الرد يرجع سؤال  
واخرج وحيرتى أشد مما دخلت

عجبنى !!

الأصل هو التراب وإذن هل الأصل الموت أم الحياة ؟

خرج ابن آدم م العدم قلت : ياه

رجع ابن آدم للعدم قلت : ياه

تراب بيحيا ... وحى بيصير تراب

الأصل هو الموت والا الحياة ؟

عجبنى !!

ويعجب لحظ الفؤاد الحساس :

عجبتنى كلمة من كلام الورق

النور شرق من بين حروفها وبرق

حببت أشيلها وقلبي ... قالت حرام

ده انا كل قلب دخلت فيه اتحرق

عجبنى !!

شجن الفنان دائم وإن ضحكت الطبيعة وتحملت بالأزهار :

دخل الربيع يضحك لقانى حزين

نده الربيع على اسمى ثم قلت مين  
حظ الربيع أزهاره جنبى وراح  
وإيش تعمل الأزهار للميتين

عجيبى ١١

ثم يعجب لحكمة الإنسان الذى لا يتعظ برحلة العذاب بمن سبقه:

سرداب فى مستشفى الولادة طويل  
صرخات عذاب ورا كل باب وعويل  
.. وفى الطريق متزوقين البنات

متزوقين للحب والمواويل

عجيبى ١١

## خاتمة

١. وهكذا تحمل كل مفردة أو تركيب شعبى عقب التاريخ المصرى عبر  
آلاف السنين ورامزة إلى فكر ابن النيل وإبداعه، ووجداته وخياله ولعله  
بعد ذلك تنزاح الغشاوة عن يرى سطحية وسذاجة ما ينطق به العامى  
المصرى.

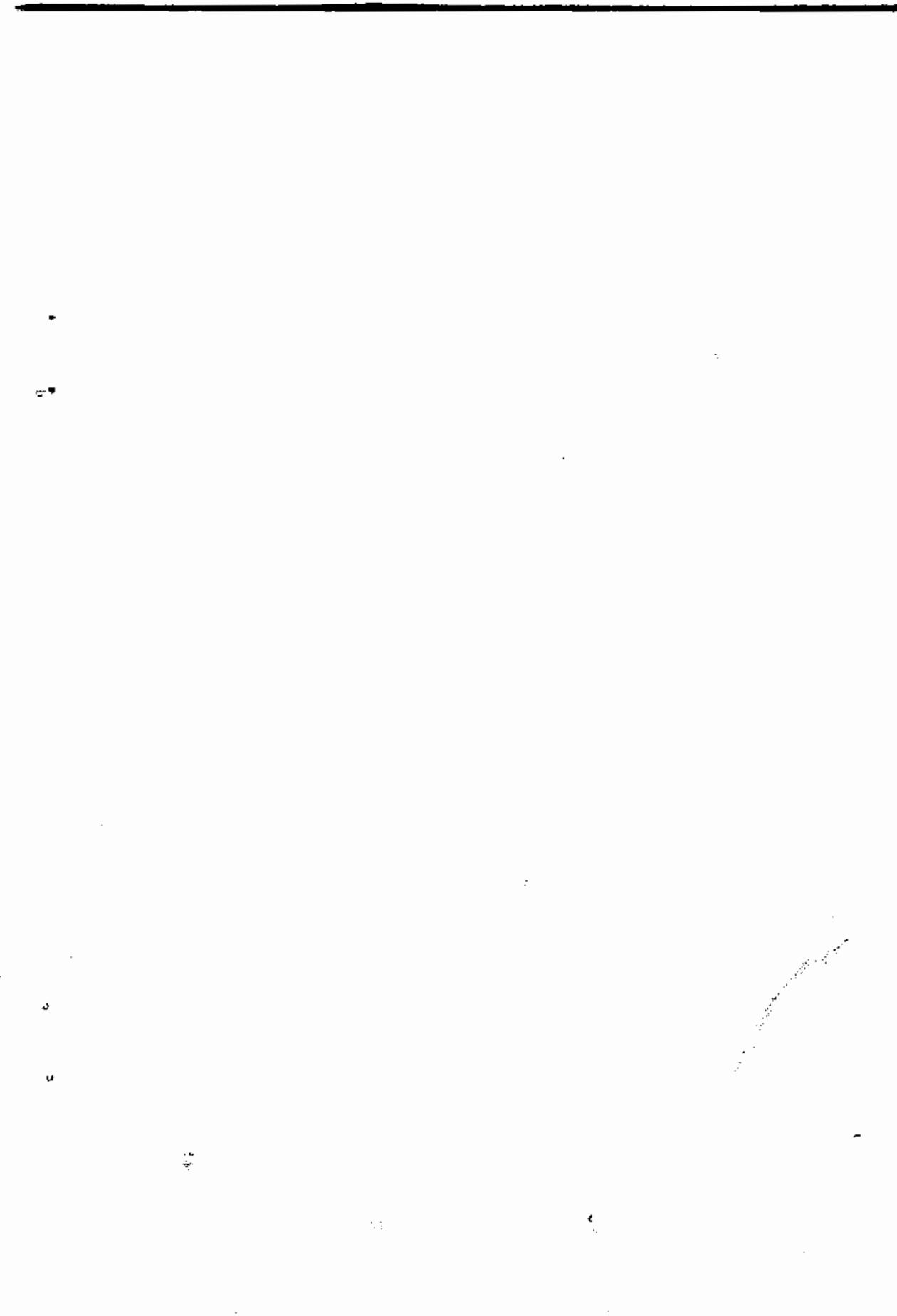
ثم تحية وفاء وحب إلى روح أستاذين جليلين انطلقت منهما دعوة  
كريمة إلى درس الأدب المصرى والفولكلور الشعبى إلى أستاذى عبد الحميد  
العبادى وأستاذى محمد خلف الله أحمد.

ولقد سارعت كليات الآداب والتربية فى جامعات مصر إلى تلبية  
الدعوة، وسؤالى الحائر.

٢. هلا لا يكفى موطن الدعوة بالصمت عن (لا) و (نعم)

شكراً لجميل انصاتكم.

ونلتقاكم دوماً على خير.



**المجتمع المصرى فى القرن التاسع  
عشر كما تراه  
صوفيا بول ولوسى دافا - جوردن**

بقلم: الأستاذة الدكتورة

**عزة كـراره**

1. The first part of the document is a list of names and titles.

2. The second part is a list of dates and times.

3. The third part is a list of locations and addresses.

4. The fourth part is a list of names and titles.

5. The fifth part is a list of dates and times.

## المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر كما تراه صوفيا بول ولوسى داف - جوردن\*

بقلم: أ.د. عزة كراه

قرأت فى جريدة الأهرام الإسبوعية الإنجليزية بتاريخ ٦-١٢ نوفمبر ١٩٩٧، عن مجموعة من طلبة أكاديمية الفنون الجميلة بفينا أتوا إلى القاهرة لقضاء بعض الوقت فيها، ليس لزيارة الآثار والمتاحف كعادة السائحين وإنما ليخوضوا تجربة فريدة من نوعها، بل مثيرة فى نفس الوقت. إنهم يكونون ما يسمى بورشة عمل متعددة التخصصات، بالاشتراك مع جامعتى القاهرة وحلوان، عنوانها «صور تخيلية للقاهرة». يسكن الطلبة فى فندق كلية السياحة بجوار المريديان، ومركز نشاطهم بيت الهراوى فى قلب مصر العتيقة، يأتون إليه بمفردهم، كل حسب مزاجه، إما سيرا على الأقدام بين الأزقة والحوارى وإما باستخدام طرق المواصلات العامة. الغرض من هذا المشروع هو أن يتعرف الأجانب على عالم يختلف تماما عن عالمهم من حيث تعدد الأوجه التاريخية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها من الاختلافات العديدة، ثم يسجلون انطباعاتهم بالرسم أو بالكتابة، ليس كمؤرخين ولكن كفنانيين من وجهة نظر فردية شخصية.

شعرت وكأن عجلة الزمان قذفت بى إلى أوائل القرن الماضى، التاسع عشر، لأرى إدوارد لين وغيره من الرحالة الأجانب يجولون فى مصر بحثا عن كل غريب وغير مألوف فى بلادهم، يسجلون ما يرون بالكلمة والصورة، وكثيرا ما يغلب عليهم نظرتهم الشخصية فيما يدونون فلا تبدو دائما صحيحة مطابقة للواقع.

\* محاضرة عامة أقيمت فى الموسم الثقافى بكلية الآداب جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى

١٩٩٧م - ١٩٩٨م

موضوعى ينحصر على التعريف بشخصيتين نسائيتين من بين الكثيرات والكثيرين الذين جاؤا إلى مصر فى خلال القرن التاسع عشر بحثا عن أشياء مختلفة. اخترت هاتين الشخصيتين بالذات لعدة أسباب أولها أنهما إمرأتان، واهتمامى الخاص هو بالرحالة من النساء، وأيضا لأنهما تميزتا عن سواهما، إذ أن كلا منهما عاشت فى مصر عدة سنوات واختلطت بالمجتمع المصرى وعرفته عن كُتب، بالإضافة إلى أنهما تعلمتا اللغة العربية وذلك مكنهما من التقرب من الناس والتحدث معهم بون وساطة المترجم كما كان يحدث مع باقى الرحالة الذين يقضون فى مصر فترة محددة طالت أو قصرت. هاتان المرأتان هما صوفيا بول ولوسى داف - جوردن.

كانت صوفيا بول شقيقة إوارد لين المستشرق المرموق صاحب كتاب «عادات وتقاليد المصريين المحدثين» الذى نشر فى إنجلترا عام ١٨٣٦ ولقى نجاحا منقطع النظير، فقد بيعت الطبعة الأولى بأكملها خلال أسبوعين من ظهورها، وبيعت ٦٥٠٠ نسخة من الطبعة الثانية بعد ذلك بقليل، وظل الكتاب حتى يومنا هذا أحد أهم المراجع لهذه الحقبة من تاريخ مصر أيام محمد على باشا.

تعلم إوارد لين اللغة العربية فى ريعان شبابه وهو فى إنجلترا، وقرر أن يزور مصر - كما يذكر - «ليس فقط للتسلية وزيارة الأهرام والمعابد وإشباع فضول عابر، ولكن لكى ألقى بنفسى بين شعب سمعت عنه روايات متناقضة، أريد أن أتبنى لغتهم وعاداتهم وملبسهم لكى أتمكن من دراسة أدبهم، إن رغبتى هى أن أرتبط ارتباطا كليا بسكان مصر من المسلمين». ولقد فعل هذا. وصل إلى الإسكندرية فى ١٩ سبتمبر ١٨٢٥ وهو فى الرابعة والعشرين من عمره واتجه لتوه إلى القاهرة التى طالما اشتاق أن يراها.

ارتدى ملابس أهل البلد من الأتراك، وأقام فى منطقة شعبية بجوار باب الحديد، ولم يختلط إلا بالمصريين، أو كما كان يطلق عليهم «العرب»، ومن على شاكلته من الأجانب أمثال بورخهارت وهائى وبيرتون، وتجنب كلية الاختلاط بمجتمع الفرنجة الآخرين. اعتنق إسم «الفقير لله الشيخ منصور» الذى صار يعرف به. أحب لين القاهرة حبا جما ولم يفتأ يشتاق لها ويحن للرجوع إليها بعد عودته إلى إنجلترا عام ١٨٢٨. اصطحب معه، بجانب حبه الشديد لمصر، عادات اكتسبها جعلته كما يذكر أحد أصدقائه «شرقيا حقيقيا» منها حبه للنارجيلة التى أصبح مدمنا لها، كما اصطحب معه أيضا جارية صغيرة تدعى «نفيسة» من سبايا حرب المورة، اشتراها وأهداها له صديقه هائى وهو فى مصر وجاء بها لين لتعيش معه ومع والدته. قاما بتثقيفها وتعليمها وأخيرا تزوجها عام ١٨٤٠ (لولا وجودها فى البيت وتعوده عليها ما كان تزوج البتة إذ أنه كان منقطعاً كلية لعمله وليس لديه من الوقت ما يتسع لمعرفة النساء). كانت زيارته الثانية لمصر عام ١٨٢٢ حتى ١٨٢٥ ثم عاد إليها ثالث مرة سنة ١٨٤٢ واصطحب معه فى هذه المرة زوجته نفيسة وأخته صوفيا بول وابنيها، ستانلى وريجينا، وكانت والدته قد توفيت عام ١٨٤١.

أنشغل لين فى هذه الزيارة الثالثة كلية بمشروع قاموس عربى - إنجليزى وكان دؤوبا فانكب على عمله بكل قوته يقرأ المصادر العربية التى يجلبها له الشيخ دسوقى ويساعده فى فهمها (انظر : أحمد أمين : الشيخ الدسوقى ومستتر لين فى «فيض خاطر»). لم يتسع وقته لدراسة المجتمع المصرى كما كان يفعل فى زيارته السابقتين، ثم إنه كان قد أكمل كتابه فى هذا الموضوع من كل الجوانب المتاحة له، لم ينقصه سوى ما ينتمى

إلى النساء فى أخص خصوصياتهن أى كل ما يتعلق بعالم الحريم. حقيقة لقد كتب عن المرأة فى الطبقات المختلفة، وعن عادات وتقاليد الزواج، وعن طرق المعيشة فى المنازل بما فى ذلك من ملابس ومأكّل، ولكنه استمد معلوماته كلها من الرجال، كان ينقصه معرفة المرأة القاهرية من خلال عين امرأة مثلها. رأى أن شقيقته صوفيا يمكنها أن تقوم بهذه المهمة على الوجه الأكمل بإرشاد منه، وطلب منها أن تملأ الفراغات التى جاءت فى كتابه بأن تدون ما تشاهده وما تسمعه هى بنفسها، وما يجول بخاطرهما بهذا الصد. ترددت صوفيا فى البداية إذ أنها لم تكن قد خاضت تجربة الكتابة من قبل ولكن لين اقترح أن تتخيل أنها تكتب خطابات شخصية لصديقة بإنجلترا تصف لها حياتها فى مصر وذلك ليزيل عنها هيبه الكتابة للنشر العام. وفعلا بدأت تدون سلسلة من الخطابات لصديقة وهمية أو بالأحرى لأى امرأة إنجليزية يهملها أن تعرف شيئاً عن مصر، هذا البلد الذى اكتسب أهمية سياسية وثقافية كبرى فى بداية القرن التاسع عشر.

عنوان الكتاب : «المرأة الإنجليزية فى مصر : خطابات من القاهرة من ١٨٤٢ إلى ١٨٤٦، بقلم شقيقة إى. لين مؤلف «المصريون المحدثون» أثناء إقامة معه فى هذه المدينة». هل كان تواضعا منها أنها لم تذكر اسمها على غلاف الكتاب؟ ذكرت اسمها فقط، صوفيا بول، فى نهاية المقدمة التى تشرح فيها ظروف كتابة مجموعة الخطابات، وفضل أخيها فى معاونتها بالرأى وباختيار ما يظنه هو صالحا للنشر. نشر الكتاب على دفعتين، جزء سنة ١٨٤٥، والجزء الثانى ١٨٤٦، ولم يعد نشره حتى الآن.

الكتاب يتضمن أربعين خطابا فى مجالات مختلفة، وغالبا ما ينفرد الخطاب بموضوع واحد، وقد يضم عدة موضوعات مترابطة، كما أن

موضوعا واحداً قد يتعدى الخطاب الواحد، تبين وصولهم إلى الإسكندرية في شهر يوليو ١٨٤٢ فتصف المدينة من نواح متعددة، ما تراه بعينها، وما ذكر لها، وغالبا تكون الرواية المذكورة نقلا عن أخيها مثلما تفعل حينما تتحدث عن آثار المدينة كمسلى كليوباتره ولم تكونا قد نقلتا بعد من موقعهما بجوار شاطئ الميناء الجديد، وعمود السورى، وفنار الإسكندرية، والمكتبة القديمة. وهنا تروى القصة التقليدية عن حرق عمرو بن العاص لمكتبة الإسكندرية القديمة وذلك أيضا نقلا عن رواية أخيها المستقاة من المصدر العربى لعبد اللطيف البغدادى، تجول بناظريها من نافذة الفندق الذى يقيمون فيه، والمشرف على ساحة القناصل (المنشية الحالية)، ويهرها المنظر الزاهى الذى تراه من تعدد أجناس البشر، من بدو وأتراك وعرب ونوبيين، بل ومن كل البلاد التى تحف بالبحر الأبيض المتوسط بأشكالهم وملابسهم المختلفة. وطبعا استرعى انتباهها منظر النساء المحجبات بمشيتهن الرشيقة وسحر عيونهن السوداء المكحلة التى يزيد من إبرازها إخفاء باقى الوجه. يصل إلى سمعها ضوضاء الطريق ولغط اللغات المختلفة التى تسود والتي يتخللها صيحات سائقى الجمال وهم يرددون دواما: «أوعه ... جواردا ... ساكن» بثلاث لغات، العربية والإيطالية والتركية.

يحز فى قلبها وهى تكتب أول خطاب لها ما تراه من تناقض بين الطبقات الميسورة بما يرتدونه من ملابس غنية زاهية وبين الفقراء الحفاة وملابسهم الرثة، فى حين أن الأطفال حتى الكبار منهم فى حالة من العرى التام، وهذا المنظر يجعلها تتعجب كثيرا. تلاحظ صوفيا أيضا كثرة عدد المصابين بالعمى التام أو الجزئى وخصوصاً بين المسنين، ولكنها تضيف

أنها تأثرت جدا حينما لاحظت الرعاية والعناية التي يلقيها المسنونون من الجميع. من أكثر الأشياء التي تثير الشجن في نفسها، منظر الأطفال الصغار بأجسامهم النحيلة ورعوسهم المتدلية التي تنم عن ضعف شديد، وهي ترثى لأمهاتهم اللاتي يتحملن ألم رؤية فلذات أكبادهن تذبل هكذا أمام أعينهن.

ثم إنها تبتدى أسى وحرنا لشدة فقر الطبقة الدنيا من العمال في المجتمع المصرى الذى يجعلهم يبدون كسالى مهملين، ولكنها تؤكد أنها سمعت أنهم إذا أعطوا عملا ينجزونه بدون كلل ويصبر لا نظير له، وتُشبههم بالجمال فى قدرة تحملهم، مع الفارق أن الجمل قد يرفض أن ينهض إذا زاد الحمل عليه فى حين أن الرجل يتحمل أعباء فوق طاقته بون تململ أو كلل وكأن لا إحساس له.

تشكو صوفيا من أكوام القمامة التي تغطى مساحات كبيرة من المدينة تخفى تحتها ما يكون بها من آثار قديمة قيمة. تنهى خطابها الثانى بإبداء الالهفة لترك الإسكندرية التي كانت فى الماضى من أعظم المدن ولكنها لا تبتعث فى النفس سوى الحسرة والأسى لما آلت إليه الآن.

لكى يصل جماعتنا المكونة من لين وزوجته وصوفيا وولديها إلى بولاق ميناء القاهرة، يجب أن يمرؤا فى ترعة المحمودية التي سُميت باسم سلطان تركيا حينئذاك، وتم حفرها عام ١٨١٩ بواسطة ما يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ رجل، توفى منهم كما يقال، حوالى ١٢٠٠٠ خلال عشرة أشهر العمل، أغلبهم بسبب سوء المعاملة والإرهاق ورداءه الماء والطعام. وكانت معداتهم فى العمل لا تتعدى الفأس الذى يستخدمونه فى الفلاحة، وأيديهم يجمعون بها التربة لينقلوها فى مقاطف. بعد اجتياز الترعة ينتقلون إلى مراكب

شراعية تسير فى النيل مارة بالقري على شاطئيه مثل مطوبس وفوة وشبراخيت وصان الحجر (سايس القديمة) وكفر الزيات حيث كانت جموع الناس محتشدة فى طريقها من وإلى طنطا لحضور مولد السيد البدوى، طوال هذا الطريق تعلق صوفيا على كل شىء تراه فتذكر أن مطوبس وفوة مشهورتان بجمال نسائهما، ولكنها تضيف أنها لم تشاهد هذا بعينها، إن المركب كانت تسير فى وسط النهر، وهى شخصيا ترى أن نساء الطبقات الدنيا عامة قبيحات المظهر جدا. تضيف أن فوة مشهورة أيضا بوفرة وحلاوة مذاق الرمان بها. وفى سان الحجر تتحدث عن سايس القديمة، عاصمة الدلتا وتطيل فى سرد أقاصيص وروايات عنها، وتذكر أن احتفالات دينية كانت تقام فى هذه المدينة أيام الفراغة على شرف الإلهة نيت، وترتبط هذه الاحتفالات بموالد العصر الحديث حينما تأتى وفود خفيفة من الرجال فى مراكب من القاهرة وأماكن أخرى بصحبة الغوازي والراقصات والمغنين للاحتفال بمولد السيد البدوى فى طنطا، وتضيف بأنه يقال إن المشروبات الروحية تحتسى بحرية مثل القهوة !

هذا نموذج مختصر من كتابة صوفيا، لانجد فى هذا الاسلوب نظاما معيناً فى الكتابة ولا منهجا واضحا مثلما نجد فى كتاب أخيها، ولكن هذا النوع من الكتابة له طرافته فى تلقائيته، وفيما يحتوى من معلومات عديدة مترامية الأطراف يمكن للقارئ أن يجنى منها ما ينفعه، وهناك شىء لكل مذاق.

لحظة وصولهم إلى بولاق تبدل صوفيا ونفيسة ملابسهما وترتديان الملابس الشعبية التى لا تظهر سوى الأعين ويمتطيان الحمير للوصول إلى مسكنهم. يخبرنا الشيخ الدسوقي أنه حينما كان يزور لين فى منزله للعمل

معها في المعجم، لم ير قط زوجته أو أخته إلا وهما ملتفتان بالحبرة.

تحدث صوفيا عن المنزل الذي أقاموا فيه أولا وكان مناسباً جداً، ولكنهم اضطروا لتركه بسبب «عقرية» يسكنه!. ثم تحدثت عن مشاكل الخدم خصوصا الفتيات، وتشكو من قذارتهن وتتحسر على الخاديات في انجلترا، ولكنها تمتدح الرجال من الخدم. وتذكر النوارى والطرائف التى تحدث فى الحياة اليومية فى منزلها ومع جيرانها فتعطينا صورة طريفة للمجتمع المصرى فى حياته اليومية كما يبدو للغريب، وربما تذكر أشياء تبدو عادية فى نظر الشخص المصرى العادى فى ذلك الوقت ولكنها غريبة بالنسبة لنا الآن. من نافذة منزلها فى الحى الوطنى (العربى) ترى المواكب المختلفة التى تمر، مواكب العرس والمواكب الجنائزية، وتذهب متتكرة فى زيارتها الوطنى لتشاهد مرور مواكب المحمل والدوسة وتزور الجوامع والحمامات والمارستان الذى به المعتوهات من النساء. وتحدثنا كثيرا عن قلعة صلاح الدين وما تشمله من أبنية لا أثر لها فى يومنا الحاضر، وهذه إحدى مزايا صوفيا الكبرى فى كتابها فهى تذكر الكثير الذى ليس له وجود الآن، ليس فقط فيما يخص الحياة الاجتماعية والعقائد السائدة وقتئذ، ولكن أيضا بالنسبة للمباني التى تهدمت واندثرت منذ ذلك الحين. إنها تصف قاهرة لا وجود لها الآن، قاهرة كانت لا تزال إلى حد ما تمثل نهاية العصور الوسطى، قاهرة المماليك وألف ليلة وليلة.

فيما يخص المجتمع فكان حسب روايات الرحالة الأجانب، ينقسم إلى ثلاث طبقات بيئة، العليا طبقة الأتراك التى تنعم بالسلطة والثراء، وطبقة متوسطة من التجار الأتراك والمصريين الذين ينقسمون بدورهم إلى عرب أى مسلمين وأقباط، ثم الطبقة السفلى وهم الفلاحون، ومنهم أيضا العرب

والأقباط. فلما نرى في روايات الرحالة كلمة المصريين، فهم لا يرون سوى العرب أى المسلمين والأقباط، وفي نظرهم لا يعتبر أقباط مصر مسيحيين حقيقيين، وكاتبة مثل صوفيا مثلا ترى لحالهم، وترى أنهم حادوا عن الدين المسيحي الحق، بل وكثيرا ما تفضل المسلمين عليهم.

ولكن أهم ما تنفرد به صوفيا في كتابها، ويجعلها تختلف عن باقى الرحالة من النساء، هو معرفتها الوثيقة بحريم أولى الأمر فى مصر من عظماء القوم. تعرفت على هذه الأسر بواسطة مسز ليدر، زوجة الراعى الدينى للكنيسة الإنجيلية فى مصر، وكان لهذه السيدة حظوة لدى سيدات الطبقة الراقية ربما لخصائص شخصية فيها، وربما لما كان للإنجليز عامة من مكانة خاصة لدى الدولة ومحمد على (أترك تفسير هذه الظاهرة للمؤرخين) ولكن هذه الظاهرة واضحة على الأقل فى خطابات صوفيا بول، فهى تشير دائما إلى أنها تُعامل معاملة خاصة كإنجليزية حينما تقابل سيدات عليا القوم، كما أنها تذكر شيئا طريفا له دلالة وهو أنها حينما تزور الحريم العالى، ترتدى ملابسها الإفرنجية وليس الملابس الوطنية التى ترتديها عادة، وذلك كما تقول لأن هذا المظهر كإنجليزية يجعلها تعامل ليس فقط كمنظرة لأشرف السيدات مكانة بل وأرقى منهن، كما أنه يجنبها ضرورة التواضع فى التحية بالطريقة المعتادة، وهى أن تتحنى باحترام وتخفض يدها اليمنى قبل أن تمس بها شفيتها وجبهتها، وهى تؤكد أنها لم تقم بهذه التحية سوى للسيدات المسنات اللاتى تريد هى أن تميزهن ! لا شك أن هنا نوع من الكبر والعجرفة. شىء آخر لا حظته وأنا أقرأ خطابات صوفيا هو أنها لا تصحب معها أبدا فى زيارتها للحريم العالى، زوجة أخيها نفيسة (الجارية السابقة) مع أنها تزور معها المساجد والأماكن الأخرى التى يذهبان إليها بالحبرة والبرقع.

كانت زيارات الحريم من ضمن «برامج» الأجنبيات اللاتي يزرن مصر والشام وكانت تصحبهن مترجمات مسيحيات، وبطبيعة الحال فى مثل هذه الظروف لم يكن الحديث الذى يدار سهلا وتلقائيا، بل كانت تغلب عليه الكلفة وغالبا لا يتعدى المجاملات الجوفاء والملاحظات السطحية؛ لذلك جاءت روايات الزائرات مغرصة، لا يرين فى الحريم سوى كل ما هو قبيح وتافه. هول هاريت مارتنو فى كتابها «الحياة الشرقية، حاضرها وماضيها» بعد أن زارت مصر والشام عام ١٨٦٤ : إن ما أثار الغضب فى نفسها وأحزنها حينما زارت حريما فى القاهرة وآخر فى دمشق هو الكسل والجهل والتفاهة التى تخيم على مثل هذه الحياة، النساء لا روح فيهن ولا عقل، وأغلبهن كما لاحظت يشتكين من عسر الهضم والتخمة، وترجع هذا إلى الأطعمة الدسمة العسكرية وقلة الحركة، وتنصحهن باستخدام حبل اللوثب ! وفلورنس نايتنجيل التى زارت مصر فى نفس الفترة التى زارها القصصى الفرنسى فلوبيير عام ١٨٤٩ / ١٨٥٠ تقول فى «خطابات من مصر» بعد أن زارت حريم سعيد أيضا بالإسكندرية : «إن هذا القصر الفخم سوف يظل فى ذاكرتى مثالا فخائرا من دوائر الجحيم»، وغيرهن وغيرهن.

أما صوفيا، فكانت تتحدث بطلاقة مع السيدات، ولهذا جاءت صورتها عن الحريم غنية بشتى المعلومات القيّمة التى تعطى صورة للحياة فيها، من جوانب شتى، كما تسرد الأحاديث التى تدور بين النساء واهتماماتهن، تقول إن قلة منهن من تكتب وتقرأ، ولكنها صادفت أسرة معينة حيث تعلم الابن فى أوروبا وبدوره علم إخواته البنات، وأن مكتبتهن تضم أعمال الشعراء الإيطاليين وأفضل ما كتب فى تركيا، وأنهن لا يقرأن فحسب، بل يستوعبن ما يقرأن. تروى حديثا دار بينها وبين بنات حبيب أفندى، محافظ القاهرة، عن بعض الأمور السياسية بين تركيا وبريطانيا وتبين اهتمامهن بهذا الشأن

ودرايتهن بما يحدث فى العالم خارج أسوار الحريم، ولكن مثل هؤلاء النساء بالطبع قلة. من طرائف ما تذكر أنها أبدت خلال حديث مع سيدة «عربية» سعادتها لأن ابنها الأكبر (ستانلى)، قوى البنية لا تتأثر صحته بالأمراض الطارئة، وفى الحال صاحت المرأة : «صلى على النبى ، صلى على النبى» أُرِدفت صوفيا بالطريقة الشرقية «الحمد لله على صحة أسرتى» و «إن شاء الله تدوم»، ولكن صديقتها كانت تريدها أن تقول «اللهم صلى على سيدنا محمد» حتى تدرأ عن الصبى عين الحسود ولو كانت عين الأم ذاتها!

بالطبع نجد أهمية خاصة لما تذكره صوفيا عن زيارتها لحريم محمد على فى قصر الدويارة والقلعة ومقابلاتها لسيداته أمثال نظلة هانم ابنته الكبرى وأرملة الدفتردار محمد بك التى، حسب صوفيا، تشبه أباهما بشكل واضح فى الذكاء الذى ينبثق من وجهها، وخصوصا فى العينين بنظرتهمما الثاقبة الفاحصة. تقابل أيضا زوجات الباشا اللاتى يلقبن باسم أبنائهن مثل «الهانم أم محمد على بك» الذى يبلغ من العمر تسع سنوات، وأرملة طوسون باشا وهى أم عباس باشا، وغيرهن، وتتناول صوفيا ومسز ليدر معهن وجبة الغذاء. فى هذه المناسبة تلتصق صوفيا دعوة من إحدى زوجات الباشا إلى حضور حفل زفاف يقام فى القصر عما قريب، وتعتذر صوفيا لصديقتها الوهمية التى تراسلها، عن ذكر اسم العروس. لقد قيل لها، ولكنه لا يزال من أسرار الدولة المصرية حتى يتحدد ميعاد الزفاف. كثيرا ما تصيبنا صوفيا هكذا بالاحباط فهى مثلا تصف بدقة متناهية ملبس حريم الباشا والمجوهرات التى يتزينُّ بها ولكنها تحجم عن وصف ملامحهن لأنها ترى أن فى هذا جرحا لحرمة الحريم ويتنافى مع اللياقة والأخلاق الكريمة ... خسارة ! وهى دائما مجاملة إلى أقصى حد، وتذكر فقط اللاتى يبهرتها بجمالهن وحسن منظرهن الأخاذ. أسفتُ جدا، لأنها فى مناسبة أخرى

تحدث عن زيارة قامت بها إلى حريم «عربي» أعجبت فيه جدا بسيدة للمنزل، بجمالها الرائع ولطفها ونوقها، وذكرت أنها زوجة لواحد من أهم شعراء مصر، ومع الأسف الشديد لم تذكر اسمه! مرة ثانية ... خسارة!

تأخر وصول الدعوة الرسمية لحضور حفل الزفاف بالقصر، يبدو أن هناك عائق، ولكن صوفيا تشعر بالحرَج من السؤال عن السبب، ولكنها تصيف أن إحدى قريبات السلطان همست في أذنها منذ بضعة أيام، بكل جدية أن سبب التأخير راجع إلى نقطة واحدة لم تحدد بعد، ألا وهي ... لختيار العريس!

أخيرا، في خطابها المؤرخ ١٦ ديسمبر ١٨٤٥، وصلتها ثالث دعوة إلى حضور الاحتفالات بمناسبة زفاف زينب هانم، صغرى بنات الباشا، إلى كامل باشا، كامل بك سابقا الذي يشغل منصب الياوران والسكرتير الخاص لمحمد علي، وقد منحه السلطان العثماني رتبة الباشوية حينما علم أنه اختير ليكون صهرا لوالى مصر. كانت احتفالات الحريم فى القلعة حيث توجهت صوفيا ومسز ليدر، وكان الطريق إلى القلعة مزدانا بعدد لا حصر له من الثريات الزجاجية الجديدة بكل منها عشرة قناديل مدّت بحبال عبر الطريق، وكذلك بطوله أعمدة ملونة، معلق بها مصابيح. أما ساحة القلعة فمدت فوقها ظلة مزركشة باللونين الأحمر والأبيض لتحجب وهج الشمس بالنهار كما أن الحديقة بدت فى أجمل منظر والمصابيح تتدلى منها مثل الفاكهة. بعد آخر مدخل، وصلا لسائر الحريم .... وهنا أترك صوفيا ومسز ليدر يدخلان إلى الحريم فى القلعة لتتعمما بتسعة أيام وليال ملاح بمباهج عرس ابنة محمد على باشا والى مصر، فالمسرات كثيرة، والشرح بطول فحتى لقاء آخر، أسدل سائر الحريم عليهما .

لقاؤنا الآخر مع رحالة فريدة أيضا من نوعها تتشابه في بعض النواحي مع صوفيا وتختلف عنها في نواح أخرى، هي لوسى داف - جوردين.

إذا كان لين وصفيا يصفان مصر وهي لا تزال إلى حد كبير تعكس أواخر العصور الوسطى التي بقيت معالمها واضحة حتى منتصف القرن التاسع عشر، فإن لوسى تصور مصر وهي تثب إلى التحضر الحديث الأوربي بقفزات مذهلة في بعض النواحي، أدت بها إلى الخراب والتفتت في نواح أخرى. صور لين وصوفيا عصر محمد على وصورت لوسى عصر إسماعيل ومن خلال كتاباتهم يمكن أن يتضح للقارئ الاتجاهات السياسية والاقتصادية التي كانت تسود في البلد في هذه الأوقات. وإن كان لين وصوفيا يصوران الحياة في القاهرة ومظاهر التمدين الذي بدأت تغير من معالم المدينة، فإن لوسى تعطي صورة لانعكاس هذه التطورات في ريف مصر، وبالذات في أعالي الصعيد حيث كان إسراف إسماعيل باشا يظهر من جانبه السلبي.

جاءت لوسى داف - جوردين إلى مصر عام ١٨٦٢ للاستشفاء، فقد أصيبت بداء السل مما اضطرها إلى ترك أسرتها بحثا عن مناخ جاف دافئ يمكنها من تحمل هذا المرض العضال.

نعرف الكثير عن لوسى، عن نشأتها وحياتها في إنجلترا قبل مجيئنا إلى مصر، فقد ولدت عام ١٨٢١ وكانت الابنة الوحيدة المدللة اللامعة الذكاء لأبوين ينتميان إلى مجموعة من كبار المفكرين الليبراليين الراديكاليين في المجتمع الإنجليزي أمثال جون ستيوارت ميل، وجيريمي بانثام، وتوماس كارلايل، وسيدنى سميث، وماكولى. تأثرت منذ نعومة أظافرها بأرائهم ومعتقداتهم وظلت هذه النزعة المتحررة في التفكير تلازمها طيلة حياتها.

كانت تجيد اللغتين الفرنسية والألمانية ، ومثل أمها كانت تقوم بالترجمة من هاتين اللغتين إلى الإنجليزية. أحببت وتزوجت المسير ألكساندر داف – جوردن وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، وكانا مضيافين وبيتهما «مفتوحا» لدائرة كبيرة من الأصدقاء ضمت شخصيات مثل ثاكارى، وديكنز، وواربتون، وكارلايل، وكنجليك، والشاعر تينيسون، وجورج ميريديث الذى وصفها فى شبابها بأنها «متألقة الجمال radiantly beautiful».

ظهرت عليها بوادر المرض فى نحو الثلاثين من عمرها واكتشفت أن تدخين السيجاري يقلل من شدة السعال فكانت تمارس هذا النوع المبتكر من الدواء وهى جالسة إلى مكتبها تكتب أو ممتطية سهوة جوادها تترىض، غير مبالية لما لهذا العمل الشاذ من وقع على من يراها. وظلت دائما هكذا، تفعل ما تقتنع به غير عابئة لما يقوله الناس.

تركت مضطرة، زوجها وأبناءها الثلاثة لتقيم فى مصر مدة سبع سنوات من ١٨٦٢ إلى ١٩٨٦، قضت معظمها فى الأقصر مع زيارات متقطعة إلى القاهرة والإسكندرية حيث كانت تقيم كبرى بناتها بعد زواجها عام ١٨٦٠ من تاجر إنجليزى ومدير بنك بهذه المدينة. أحضرت لوسى معها وصيفتها سالى واستأجرت ترجمانا مصريا كما كان يفعل الأوربيون ليقوم بمهمة الترجمة، وليكون أيضا خادما ومرافقا لها. كان شابا إسكندرانيا يدعى عمر أبو حلوة ظل وفيا لها طيلة السنوات السبع، وكان يجيد اللغة الإنجليزية، كما كان طاهيا ماهرا (وبالذات فى عمل القوزى المحشو بالفسدق، والطلوى بعسل النحل) وكان أجره ثلاثة جنيهات فى الشهر. :

سحرتها القاهرة العربية وودت أن تقيم فيها ولكن مرضها ألزمها أن تسرع بالسفر إلى جنوب مصر. استأجرت، بمساعدة عمر، مركبا تدعى

«زينة البحرين» بها ريس وتسعة أنفار وصبى بمبلغ ٢٥ جنيها في الشهر. أبحرت من ميناء بولاقي ومعها خطابات تعريف لمختلف القناصل في مدن وادي النيل، كما رفع علما بريطانيا وأمريكا على صارى المركب. كانت تعرف النيل من خلال ما كتبه هيروdot وغيره من قدامى ومحدثين، ولكن سرعان ما اكتشفت أن القراءة شيء والمشاهدة شيء آخر. سحرها النيل وشعرت أنها تعيش في الماضي السحيق، إذ لم تتغير الطبيعة، حسب قولها، بسماؤها وحقولها وفلاحيتها منذ ٥٠٠، ١٠٠٠، بل ٦٠٠٠ سنة! توقفوا في بني سويف لشراء لحم وخبز وكانت لوسى تسير في السوق بملابسها الإفرنجية ممسكة بمظلة وأمامها عمر وخلفها اثنان من البحارة في يد كل منهما هراوة ضخمة. كانت النساء يتجمعن حولها ويطلبن منها باللغة العربية التي بدأت تفهمها، أن تدخل في بيوتهن المبنية من اللبن، ليقمن بواجب الضيافة وكانت أحيانا تلبى دعوتهن، وإن اعتذرت كن يأتين لها بالخبز والزبد والحليب والتمر والبيض، وكانت الأيام تمر مثل الحلم. في يوم توقفت المركب عند قرية بها كنيسة قبطية وشريت لوسى القهوة مع القسيس الذي كان يذكرها بأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وتجمعت كل القرية وجلسوا القرفصاء حولها، والخراف والماشية أيضا تحاول أن تجد مكانا لنفسها بينهم. كانت لوسى، مثل كثير من الرحالة، تنظر إلى الأقباط بشيء من عدم الارتياح، فلا هم مسيحيون مثل الأوربيين، ولا هم مسلمون مثل العرب.

توقفت «زينة البحرين» عند الأماكن الأثرية وأعجبت لوسى بالمعابد كلها ولكنها تذكر أن أجمل شيء رأته في حياتها كانت جزيرة فيلة. ولكن الآثار كانت على العموم بالنسبة لها شيئا ثانويا فقد كان شغلها الشاغل، الناس حولها. أعجبت بالأقصر وقررت أن تقضى فيها الشتاء التالي بدلا من

الإقامة فى القاهرة أو التجوال بمركب فى النيل. فبجانِب جمال الأقصر وجدت أن جوها الحار الجاف يناسبها صحيا وأن السعال المضمئى كان ينتابها فى فترات متباعدة وأقل شدة، بالإضافة إلى أن فى الأقصر يمكنها أن ترسل وتتلقى الخطابات عن طريق تاجر مصرى يدعى مصطفى أغا آيات وهو ممثل لقنصليات بريطانيا وبلجيكا وروسيا، وكان قد سافر إلى أوروبا ويتكلم الإنجليزية والفرنسية والإيطالية بطلاقة.

رجعت «زينة البحرين» إلى القاهرة وجاءت لوسى إلى الإسكندرية لتقضى بعض الوقت مع ابنتها لحين موعد سفرها إلى أوروبا للقاء زوجها. ولكنها كرهت الإسكندرية ليس فقط بسبب عدم ملاءمة الجو لصحتها ولكن لأنها لم تتجاوب مع أصدقاء ابنتها وزوجها من المستوطنين الأجانب بعقليتهم الإمبريالية، كانت الإسكندرية فى نظرها مدينة مُهجئة، تقول «لقد أزلت الأفكار والعادات الأوربية كل ما هو عربى، وما تبقى، أفسده الاختلاط» كما ألمها ترحيب الأوربيين بما فيهم ابنتها وزوجها وأصدقائهم بما يقوم به الوالى إسماعيل باشا من «إصلاحات» مكلفة أدت إلى ديون باهظة أرهقت الشعب بالضرائب على كل شئ يمكن تصوره، كما تطلبت عمالة لرصف الطرق وبناء الكبارى والسكك الحديدية وحفر القنوات، وخصوصا قناة السويس، كلها دون شك ضرورية، ولكن الثمن كان فادحا فقد استخدمت السخرة بأبشع مظاهرها لجمع الرجال من المدن والقرى ليعملوا مثل العبيد فى هذه المشاريع. تقول لوسى «لا جدال فى أن هذه المرافق العامة يجب أن تتم بأى ثمن كان، لاشك أنها سوف تأتى بالثراء، ولكن سوف يؤدى ذلك إلى القضاء على الشعب.» كانت نشأتها الإنسانية تجعل قلبها وتفكيرها ينحصران فقط فى الناس ومعاناتهم.

كانت لوسى ترسل خطابات كثيرة جدا إلى أسرتها، إلى زوجها وأولادها وإلى أمها، وكانت هذه الخطابات تضم فقرات مكتوبة بعناية ودقة، تصف فيها كل ما هو طريف عن البلد وأهلها وعاداتهم وأيضا ما يجيش في صدرها من أحاسيس وغضب حينما ترى ما آل إليه الشعب بسبب سوء إدارة الدولة وتعسفها، كما احتوت الخطابات على فقرات شخصية بحتة تتحدث فيها عن حالتها الصحية وغيرها من أمور الأسرة؛ وكانت والدتها تنقح هذه الخطابات وتختار ما تراه صالحا ليعرض على جمهور القراء، وبهذه الطريقة تم نشر كتاب «خطابات من مصر» عام ١٨٦٥ بواسطة دار مكميلان وسرعان ما نفدت الطبعة الأولى من السوق (١٥٠٠ نسخة) وقبل نهاية العام تم نشر طبعتين أخريين.

كيف عاشت امرأتان إنجليزيتان، واحدة في سن الأربعين والأخرى في الثلاثين، بمفردهما في صعيد مصر منذ أكثر من قرن من الزمان، وليس معهما سوى ترجمان/ خادم إسكندرانى؟ إنه لمن نواغى العجب فعلا مدى الأمن الذى كان يسود البلاد فى القرن الماضى، وهذا ما يذكره نوما الرحالة. ومن المعروف أن سياسة الدولة كانت حريصة جدا على هذا وكانت العقوبات للمذنبين صارمة بل شديدة القسوة، وهذا ما نقرؤه أيضا فى صفحات الجبرتى.

رجعت لوسى إلى مصر بعد إقامة فى إنجلترا أنهكت قواها وجعلتها تئأس من الشفاء وتكتب لأمها «الفراق مرير ولكنه سوف يجنب الآخرين عذاب مشاهدة مرض متباطى وموت لايد منه».

استقبلها ابنتها وعمر فى ميناء الإسكندرية وهما فى سعادة متناهية وفرحة للقائها، تقول «إن الشمس كانت تنهمر مثل المطر فى إنجلترا

وفرنسا وأن أصحاب المحال التجارية فى السوق كانوا يحيونها بالسلام ويقولون إن فراقها كان مرا والحمد لله أن الست رجعت».

سافرت لوسى مع سالى وعمر فى مركب بخارى حكومى ووصلوا إلى الأقصر بعد إسبوعين عانت فيهما الأمرين من البراغيث والفيران ولكن خصوصا من البراغيث! عند وصولهم فى ١٢ يناير ١٨٦٤، قابلهم بالترحاب مصطفى أغا الذى قادهم إلى ما تسميه «قصرها» وهو ما يعرف عادة باسم «البيت الفرنسى» الذى كان بناه هنرى سالت القنصل العام البريطانى، من طوب اللبن المطفى بالجير عام ١٨١٥ فوق الركن الجنوبى الغربى لمعبد الأقصر. وكان منزلا رحبا، حسب وصف لوسى، له جدران سميقة ونوافذ زجاجية وأبواب لبعض الغرف. باعه سالى للحكومة الفرنسية عام ١٨٢٠، وممن أقاموا فيه فرانسوا شامبوليون عام ١٨٢٩ والضباط الفرنسيون الذين جاؤا بعد ذلك لنقل إحدى مسلات معبد الأقصر الكبرى القائمة الآن بساحة الكونكوردي فى باريس؛ كما سكن فيه جوستاف فلوبيير وصديقه ماكسيم دى كامب عام ١٨٥٠. أزيل البيت وباقى قرية المعبد عام ١٨٨٥ حينما أمر ماسبيرو مدير مصلحة الآثار الجديدة، بإخلاء المكان.

تجردت لوسى شيئا فشيئا من ملابسها الإفرنجية حينما بدأت وطأة الحر تزداد، وكان آخر ما تخطت عنه الكورسيه. وتجردت أيضا من عاداتها وتقاليدها الإنجليزية وازداد اندماجها فى بيئتها الجديدة وعالمها المصرى. عاشت مع القوم وأحبتهم فأحبوها وحينما ظهر وباء فى القرية، لجأوا إليها لتطبيهم بما لديها من خبرة أولية وصندوق سحرى به أدوية وعقاقير لم تبخل عليهم بها. وعرفت بأنها «حكيمه» الأقصر وفى يوم جاعتها امرأة تقبل قدميها وتشكرها لأنها أنقذت حياة ابنها الوحيد وتطلب منها معرفة اسمها

لتدعو لها فى صلاتها. شرحت لها لوسى أن معنى اسمها بالعربية «نور» ولكن حيث إن هذا الاسم يخص الله وحده لا يمكنها أن تلقب به. صاح رجل كان يقف بالقرب منهما: فى هذه الحال يصبح اسمك «نور على نور»، ومنذ ذلك الحين، صارت تعرف فى كل مكان بهذا الاسم.

إزداد جبروت إسماعيل باشا، وفرضت، لتمويل حفر قناة السويس وغيرها من المشروعات، ضرائب ابتزازية على كافة المحاصيل تقريبا وعلى الماشية والفحم والزبد والملح وغيرها من لوازم الحياة الضرورية. كانت لوسى وهى تطل من شرفة منزلها ترى الفلاحين يساقون بالكرباج إلى مراكز الحكومة لتتقلهم إلى حيث لا يعلمون وغالبا إلى غير رجعة. تقول «إن مصر ضيقة لسيد لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، يسوق عبده دون غذاء ودون راحة». وتتعجب حينما ترى الذهبيات المزدانة كالمعتاد، تحمل الزائرين من الأجانب لا يعلمون ولا يهتمون بما يدور حولهم من مأسى. تقول «إنتى أشعر بالغبية حينما أقابل وأجلس مع الإنجليز، فقد أصبحت بحق بنت البلد». وتشكو أيضا من أهلها الذين لا يتأثرون بما تسطر فى خطاباتها من صيحات الأكم لما هو حادث فى البلاد، وكأن أحدا لا يسمعها إلا إسماعيل باشا وعيونه الذين فطنوا لخطورة ما تكتب بعد نشر مجموعة خطاباتها عن مصر فى إنجلترا، وذلك لأن ما تذكره كان يسىء إلى اسمه وصورته فى بريطانيا وأوربا. ولذلك قرر تعقب تحركها واتصالاتها حين تكون بالقاهرة وأن تصدر خطاباتها من الأقصر. وسرعان ما أدركت لوسى ضياع خطاباتها التى ترسل بالبريد وسبب ذلك، فقررت ألا تستخدم البريد وأن ترسل خطاباتها مع المسافرين من الأجانب.

اشترى لها زوج ابنتها ذهبية خاصة بها ثمنها ٢٠٠ جنيه، أسمتها «يورانيا» وجعلتها سكنا لها، وعند السفر تستخدم ريسا وطاقما من

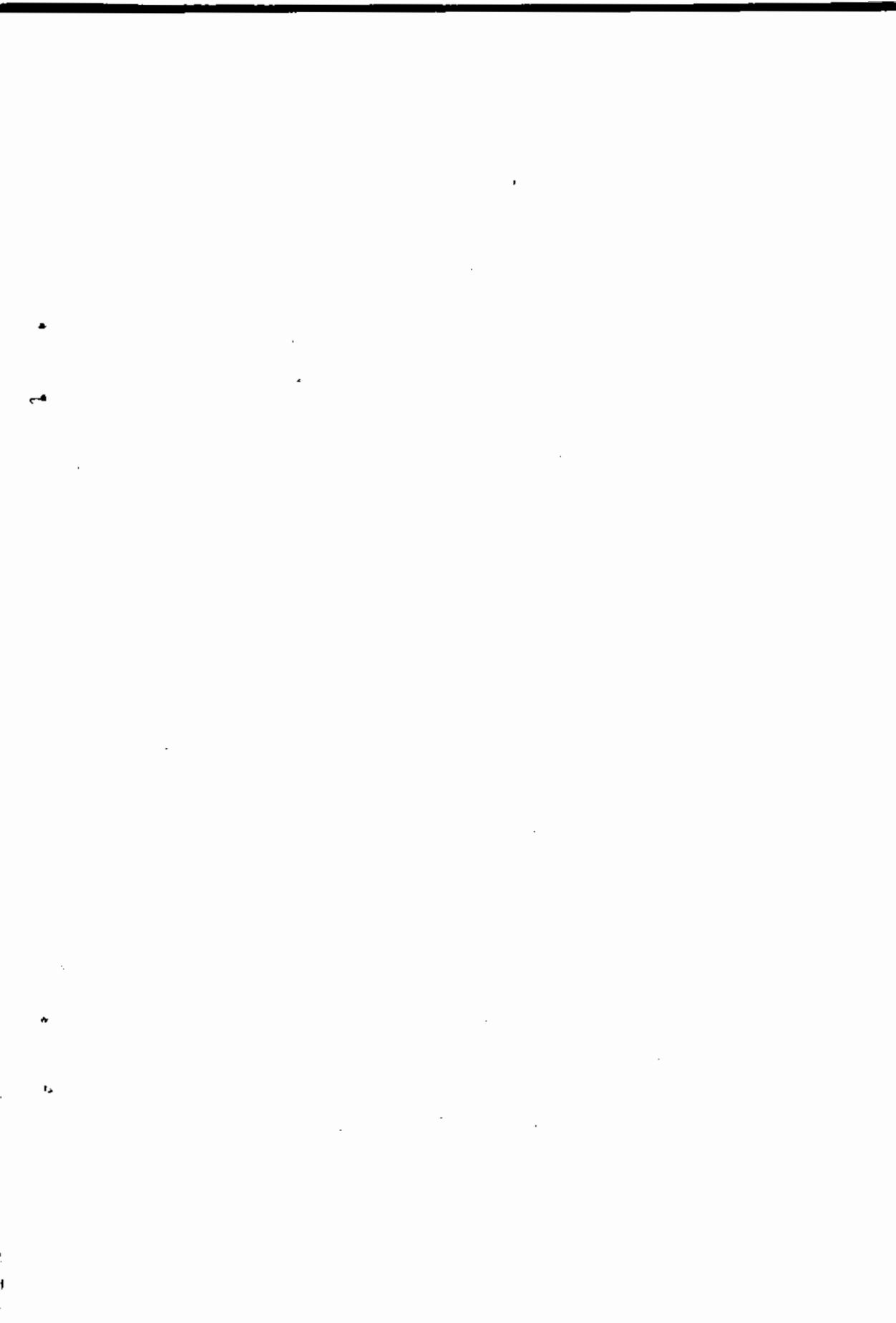
فلاحين يضم ثمانية أو عشر رجال وصبي. كان عمر رفيقها الوفي بعد أن حكمت من سالى التى سببت لها بعض المشاكل، وكان يرعاها ليل نهار حين كلل، وذات مرة حين اشتد عليها المرض واعتقدت أنه قد وافاها الأجل المحتوم، أنقذها عمر كما ظنت بأن عالجها باستخدام كاسات الهواء. وفى القاهرة أخبرها طبيبها الإنجليزي بأن رئتيها ملتهبتان بشدة، وكان يزورها مرتين فى اليوم بينما يرعاها عمر ويمرضها طول الوقت. كما أتى بشيخ من الأزهر يقرأ القرآن على باب غرفتها.

أمضت باقى سنوات حياتها القليلة فى مصر فى معاناة متصلة سواء بسبب نوبات مرضها أو بسبب انفعالها لما يعانیه الفلاحون من قهر وعسف تحت وطأة حكم إسماعيل ومشروعاته. وبمناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، حضر إلى مصر ولى عهد بريطانيا ابن الملكة فكتوريا وزوجته، وكان على علم بأمر لوسى واستدعاها لمقابلتهما ولكنها اعتذرت لاشتداد المرض عليها وكانت عندئذ فى أسوان، فلم يتردد الأمير فى أن يسارع بزواجه لزيارتها. فى هذه المناسبة طلبت منه أن يلحق عمر بخدمته ك مترجم بعد موتها، ووعدا الأمير بتحقيق رغبتها.

أيقنت لوسى أن نهايتها قد اقتربت وقررت الذهاب إلى القاهرة عن طريق الأقصر، البلد التى أحببتها وتعلق بها أهلها. حاول القاضى أن يقنعها بأن تظل معهم وأن تموت بينهم ووعد بدفنها فى مقبرته بين أهله. احتشد أهل الأقصر عن بكرة أبيهم على شاطئ النيل يودعون «نور على نور» وهى ترحل عنهم وأغدقوا عليها هداياهم على طريقتهم الريفية من خبز وزبد وجبن وبيض وسمك وطيور وكبش. وبصعوبة حملها عمر لشدة ضعفها وسط الزحام إلى داخل الذهبية.

رست الذهبية فى حلوان وظلت لوسى طريحة الفراش يرعاها عمر  
وخادمة إنجليزية والمراكبية حتى توفيت فى صباح يوم ١٤ يوليو ١٨٦٩.  
وأصر عمر أن تدفن فى نفس اليوم بكفن كان قد أحضره كما أوصته، كما  
جاء بشيخين لقراءة القرآن أمام غرفتها. حمل النعش طاقم المركب على  
أكتافهم إلى متواها الأخير فى الجبانة المسيحية وقام بمراسيم الدفن  
الدكتور جارت لحد المبشرين الأمريكين.

هذه ملامح من تجارب امرأتين إنجليزيتين أقامت كل منهما فى مصر  
سبع سنوات، ولمست كل ولحظة منهما جانبا مختلفا من المجتمع المصرى  
فى فترة حاسمة من تاريخ مصر الحديثة، وفى تجربتيهما نبغ ينبض  
بالحيوية من انطباعات شخصية مباشرة يمكن أن يستقى منه دارسو  
التاريخ الاجتماعى مادة قيمة تفسر مواقف وتطورات كانت تحدث فى  
المجتمع المصرى كما عرفته كل من صوفيا بول ولوسى داف - جوردن.



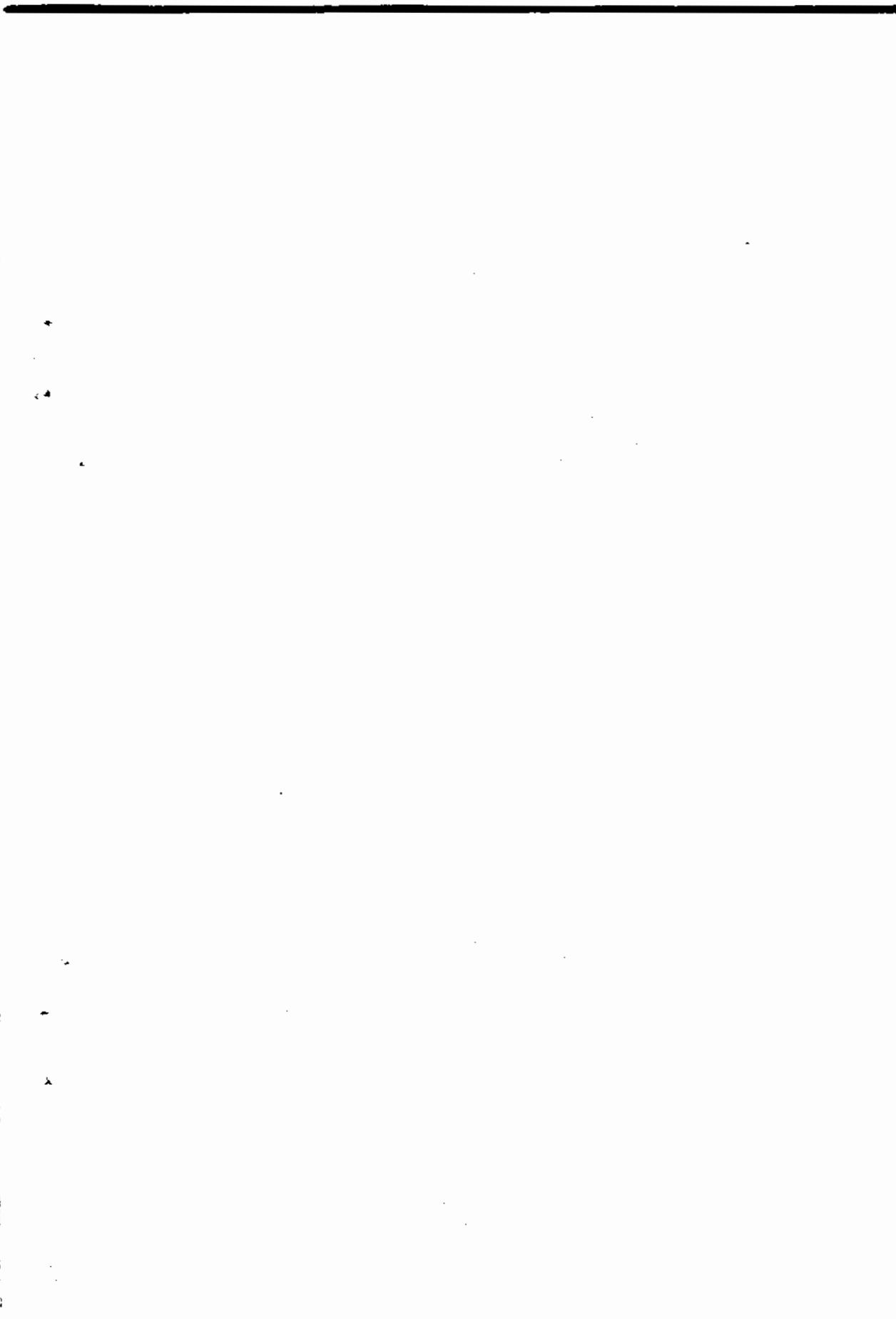
محددات التوزيع الجغرافي للعمران  
فى البحرين  
« مدينة عيسى نموذج للنمو العمرانى »

دكتور

إبراهيم عبد العزيز زيادى

قسم الجغرافيا

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



يحكم التوزيع الجغرافي للعمران محددات يئبة توجه النشاط البشرى، ويكون العمران نئبة التفاعل بين المكان والإنسان. وقد وجهت معطيات الئبة الجغرافية لجزر البحرين ومحدداتها التوزيع الجغرافى للعمران وأماطه، فتركزت أنوية المراكز العمرانية فى القسم الشمالى من جزيرة البحرين دون غيرها من بقية جزر دولة البحرين، وفى كل من جزيرتى المحرق وسرة، بالإضافة إلى عدد من المخلات العمرانية الصغرة تتوزع على سواحل جزيرة البحرين حيث قرى الصيد. وترتب على التغير فى معطيات الئبة وإضافة النفط باعتباره مورداً اقتصادياً جديداً فى العقد الثالث من القرن الحالى تطور متلاحق فى النمو العمرانى حول الأنوية العمرانية والاتجاه نحو الحضريية فى طفرة عمرانية ميزت كل منطقة الخليج العربى. فقد توجه سكان البحرين القدامى نحو البحر كحتمية جغرافية للظروف الئبية فاحترفوا الصيد والغرض، وطوعوا الئبة وفقاً لمعطياتها المحدودة. وعمل اكتشاف النفط واستغلاله إلى توجه السكان نحو أنشطة اقتصادية جديدة وتطبيق خطط للتنمية الاقتصادية المستدامة، ومن ثم حلت صناعة الخدمات والتصنيع والسياحة محل الأنشطة الاقتصادية الأولية.

وأدى استغلال النفط وعائداته إلى زيادة أعداد السكان وارتفاع مستوى المعيشة والتحول نحو الحضريية لتصبح الصفة الغالبة على العمران. واتسعت المراكز العمرانية وتلاحمت فى شمال جزيرة البحرين، واتصلت بجزيرة المحرق فى الشمال الشرقى، وجزيرة سرة فى الشرق، وجزيرة أم النعمان فى الغرب عبر جسور لتكون مجمعة مديية، ونطاقاً جاذباً للعمالة والتسويق والتوزيع فى مجاجات السكان. وتسيطر مديية النامة على حين تمثل بقية المراكز توابع لها ترتبط جميعاً بشبكة جيدة للطرق، ولها مصادر مشتركة للخدمات، مع وجود سلطة أمن مشتركة تحقق الأمن والاستقرار لكل السكان<sup>(١)</sup>.

ترتب على ما سبق وحفاظاً على المظهر الحضارى ومستوى أداء الخدمات فى المراكز العمرانية الحضريية فى شمال البحرين وضع خطة للتنمية العمرانية بإنشاء عدد من المدن الجديدة المخططة بهدف تفرغ السكان من الشمال نحو داخل الجزيرة الأم البحرين. ترتبط هذه المدن بالمراكز العمرانية بشبكة جيدة للطرق تشع من منطقة النامة حيث منطقة الأعمال المركزية (C.B.D.)، كما روعى فى اختيار مواقعها أن تتوزع تدريجياً من الشمال صوب الجنوب لتشجيع السكان على سكانها حيث القرب من منطقة الجذب الرئيسية وتطوير السكان تدريجياً على السكنى على بعد يتزايد تدريجياً صوب الجنوب.

(١) أحمد على إسماعيل، (١٩٨٥): دراسات فى جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة، ص ص ١١٨ - ١٢٢.

Dziewonski, K. (1975): The Current Forms and Patterns of Urbanization, in Essays on World Urbanization, by Ronald Jones, London. PP. 30 - 33.

## أولاً : المحددات الجغرافية للبحرين :

### ١ - البيئة الجزرية :

تنظم جزر البحرين ضمن أرخبيل يضم ٣٦ جزيرة، ويقع ما بين دائرتي عرض ٣٢° ٥٢٥، ٢٠° ٥٢٦ شمالاً، وفيما بين خطي طول ٢٠° ٥٥٠، ٥٠° ٥٥٠ شرقاً، وتبلغ مساحتها ٧٠٣،٦٣ كيلو متراً مربعاً. وتعد جزيرة البحرين أكبر الجزر البحرينية مساحة، إذ تبلغ مساحتها ٥٨٨،٨٦ كيلو متراً مربعاً تمثل ما نسبته ٨٣،٦٩٪ من مساحة دولة البحرين، ويتركز بها نحو ٣٨٨ ألف نسمة يمثلون ٧٦،٤٦٪ من جملة سكان البحرين. ويتوزع بقية السكان على كل من جزيرة المحرق التي تضم ٨٢،٨٦ ألف نسمة يمثلون ١٦،٣١٪ من جملة السكان، وجزيرة سكرة وتضم ٣٦،٧٦ ألف نسمة يمثلون ٧،٢٣٪ من جملة سكان البحرين البالغ عددهم ٥٠٨،٠٣٧ ألف نسمة حسب آخر تعداد في عام ١٩٩١. على حين تخلو بقية الجزر أو تكاد من السكان<sup>(١)</sup>.

ويتميز سطح الجزر بالاستواء، فيتراوح منسوب سطح الأرض ما بين صفر، ٥٠ متراً ويتوسط جزيرة البحرين منطقة حوضية بيضاوية الشكل على منسوب ٣٥ متراً يحيط بها حاجز صخري تقطعه مسيلات التصريف مثل وادي الزلاق. ويعلو سطح الجزر عدد من الروابي والتلال، ويعد جبل الدخان الذي يتوسط جزيرة البحرين أعلى هذه التلال منسوباً، ويبلغ ارتفاعه نحو ١٣٤ متراً فوق متوسط منسوب سطح البحر.

ويتعرج ساحل جزيرة البحرين بعدد من الخلجان والجنات والرعوس من أهمها خليج الصويقية في شمال البحرين، وخلجان عراد والقضيبة وتوبلي وعسكر على الساحل الشرقي، وخلجان الجزائر والمطللة على الساحل الغربي حيث توجد أهم مواقع الإنزال السمكي (البنادس)<sup>(٢)</sup>.

وتحد الشعاب المرجانية الطولية سواحل البحرين، ويعلو بعضها التكوينات الرملية التي تعرف باسم الفشت تغمرها مياه المد وتكشف في أوقات الجزر. وتمثل هذه الشعاب بيئة مناسبة لعدد من الكائنات البحرية تسكنها، وتتغذى على ما ينمو حولها من نباتات بحرية. وتعتبر بمثابة حضانة ليرقات أسماك الهامور، والشعري، والفسكر، وقمل الممرات فيما بينها مسالك للأسراب أسماك الماكريل والباراكودا، على حين تمثل قيعان الخلجان الضحلة بيئة مناسبة لتكاثر وشمو الريان<sup>(٣)</sup>.

(١) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المجموعة الإحصائية ١٩٩٦، إدرية الإحصاء، البحرين، جدول رقم ٢، ٠٢، ص ١٧.

(٢) جردة حسين جردة، (١٩٨٥): العالم العربي، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٣١٩.

- دولة البحرين، (١٩٩٧): خريطة خورفشت إلى جنان، مقياس ١:١٠٠٠٠٠٠.

(٣) محمد صبري محسوب، (١٩٩١): جيمورفولوجية السواحل، دار الثقافة والنشر والتوزيع، الجزء الأول، القاهرة، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

وتمثل سواحل شمال جزيرة البحرين، والمخرق، وسرة أهم مناطق الصيد التي قام عليها قرى الصيد، وتركز بها السكان، وامت هذه المحلات العمرانية ثم تحولت بعد اكتشاف النفط وتوظيف عائداته إلى المظهر العمراني الحضري.

وتمثل ظاهرة المد والجزر ظاهرة واضحة في جزر البحرين ذات السواحل منخفضة المنسوب، ولها تأثيرها المباشر على صور النشاط البحري من جانب، وعلى العمران الساحلي من جانب آخر. ويبلغ المد أعلى ارتفاع له في كل من ميناء سلمان، وميناء النامة، وميناء سرة، وفشت الجارم؛ إذ يصل ارتفاع المد إلى نحو ٢,١٥ متراً في المتوسط، وجميع هذه المناطق تقع في شمال البحرين حيث يقوم النشاط البحري وحيث تركز العمران والسكان<sup>(١)</sup>.

## ٢ - مناخ البحرين :

يعد مناخ البحرين محددًا رئيسياً أملى على السكان التوجه البحري، ومن ثم التوزيع الجغرافي للمحلات العمرانية، فقد لعبت الظروف المناخية دورها في جفاف البحرين؛ إذ يبلغ المعدل السنوي للأمطار نحو ٧٤ ملممترًا متذبذبًا الكم والتوقيت، ومن ثم ندرة النبات الطبيعي وفقرة الرية من جانب، وخلو البحرين من صور الجريان السطحي. ويعد تأثير المسطح المائي خليج البحرين مقصوراً على زيادة نسبة الرطوبة في الهواء، مما يزيد صفة التطرف المناخي، خاصة في فصل الصيف؛ إذ يبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية نحو ٧٦,٢٪<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - موارد المياه :

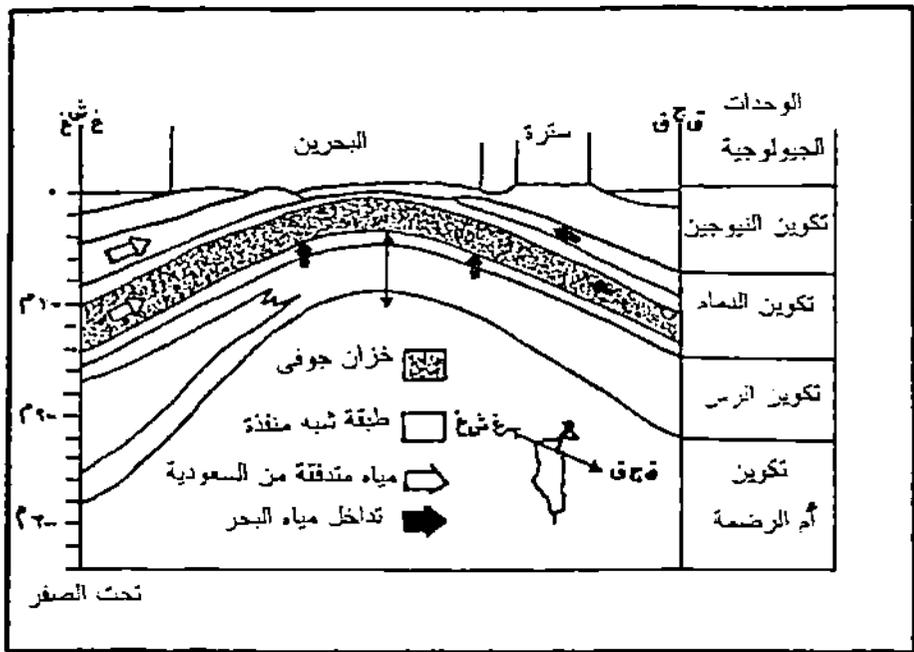
تعتبر المياه الجوفية المحدد الرئيسي في توزيع السكان، ومن ثم اغلات العمرانية ونموها باعتبارها المصدر الطبيعي الوحيد للمياه التي هي أساس الاستقرار والعمران البشري. وتحظى البحرين بنصيب طيب من المياه الجوفية التي تحملها الطبقات الجيرية التي تنتمي إلى عصر الإيوسين (الأوسط والأدنى)، وتتكون من ثلاث طبقات متعاقبة هي (علاء، خير، أم رضمة) وتمثل كل طبقة منها خزاناً مستقلاً، ويوضح الشكل رقم (١) القطاع الهيدرولوجي للبحرين. وتندفع المياه من هذه الخزانات الإرتوازية بمجرد حفر الآبار، كما تنشق مياها تحت مياه خليج البحرين، وتعرف محلياً باسم (الكواكب) وعددها ٢٣ كوكبة. ويبلغ عدد آبار المياه الجوفية في جزر البحرين نحو ٣٤٦ بئراً،

(١) وزارة السكان والبلديات والبيئة، (١٩٩٨): جداول المد والجزر، ١٩٩٨، إصدار إدارة المساحة قسم المساحة البحرية، ط ٧٠٠، البحرين. ص ٢ - ٣١.

(٢) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جدول رقم ١,٠٣، ص ٧، وجدول رقم ١,٠٥، ص ١١.

- Civil Aviation Affairs, Directorate of Meteorology, (1998): Monthly Climatological Summary, Climatology Section, BAHRAIN.

منها ٢٩ بئراً في جزيرة المحرق، ١٧ بئراً في منطقة المنامة، وتوزع بقية الآبار على البحرين. وتتميز المياه الجوفية في القسم الشمالي بعذوبتها ووفرتها وغزاره إنتاجها؛ إلا أنها غير متجددة. ويقدر ما يتدفق وما يضح من المياه الجوفية سواء على اليابس أو من على قاع الخليج بنحو ١٥٠ مليون متر مكعب سنوياً يختص شمال البحرين بالنصيب الأوفى على حين تقل غزارتها وترتفع ملوحتها في الجنوب لتصل إلى نحو ٤٠٠٠ جزء في المليون. مما يؤكد أن محدد المياه الجوفية كان مؤثراً في تحديد مناطق الزراعة في مساحات محدودة في الشمال، جعل من كل من جزيرة المحرق ومنطقة المنامة نواة للتركز السكاني ونشوء المخلات العمرانية الرئيسية، بالإضافة إلى عدد محدود من المخلات الأصغر مبعثرة التوزيع على امتداد سواحل جزيرة البحرين<sup>(١)</sup>.



شكل رقم (١) القطاع الهيدرولوجي للبحرين

After, Doornkamp, (1980), P. 235

(1) Doornkamp, J. C., Brunnsden, D., and Jones, D. K. C., (1980): Geology and Geomorphology of Bahrain, Geo. Abstract Ltd., University of East Anglia. Norwich, NR4, ITJ., UK., PP. 331 - 332.

- محمد متولى. محمود أبو العلا، (١٩٨٥): جغرافية الخليج وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية، مكتبة الفلاح، الطبعة الثانية، الكويت، ص ص ١٢٠ - ١٢٤.
- جودة حسين جودة، (١٩٨٥): المرجع السابق، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٣.
- إدارة المياه، (١٩٩٥): التقرير السنوي الإحصائي، البحرين

يتضح من العرض السابق أن المحددات البيئية قد صاغت أطر أنماط استخدام الأرض، وتوزيع السكان وأنماط العمران منذ ما يزيد عن ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد وحتى العقد الثالث من القرن العشرين، فقد أدى اكتشاف النفط واستخدامه إلى حدوث تحول جذري في الأنشطة الاقتصادية والاتجاه نحو الحضرية، ولكن ظل ذلك حبيس المراكز العمرانية ذاتها التي بدأت في الاتساع والاتصال مكونة ما يعرف بالمجمعة المدنية وترتب على ذلك ضرورة مواجهة التزايد السكاني وتحدي النظام البيئي وتوفير مصادر للمياه المحلاة حيث أقيمت ثلاث محطات لتحلية مياه البحر منذ عام ١٩٧٥ في مناطق الحد جنوب جزيرة المحرق، وشمال جزيرة سترة، والثالثة عند رأس الدر على الساحل الشرقي لجنوب جزيرة البحرين، بالإضافة إلى محطة رابعة تقوم بتحلية المياه الجوفية عند رأس أبو جرجور في منتصف الساحل الشرقي لجزيرة البحرين. وقد هيا ذلك الظروف للتخطيط لإنشاء محلات عمرانية جديدة إلى الجنوب من النطاق العمراني الرئيسي في الشمال في كل من مدينة عيسى، ومدينة حمد (شكل رقم ٢).

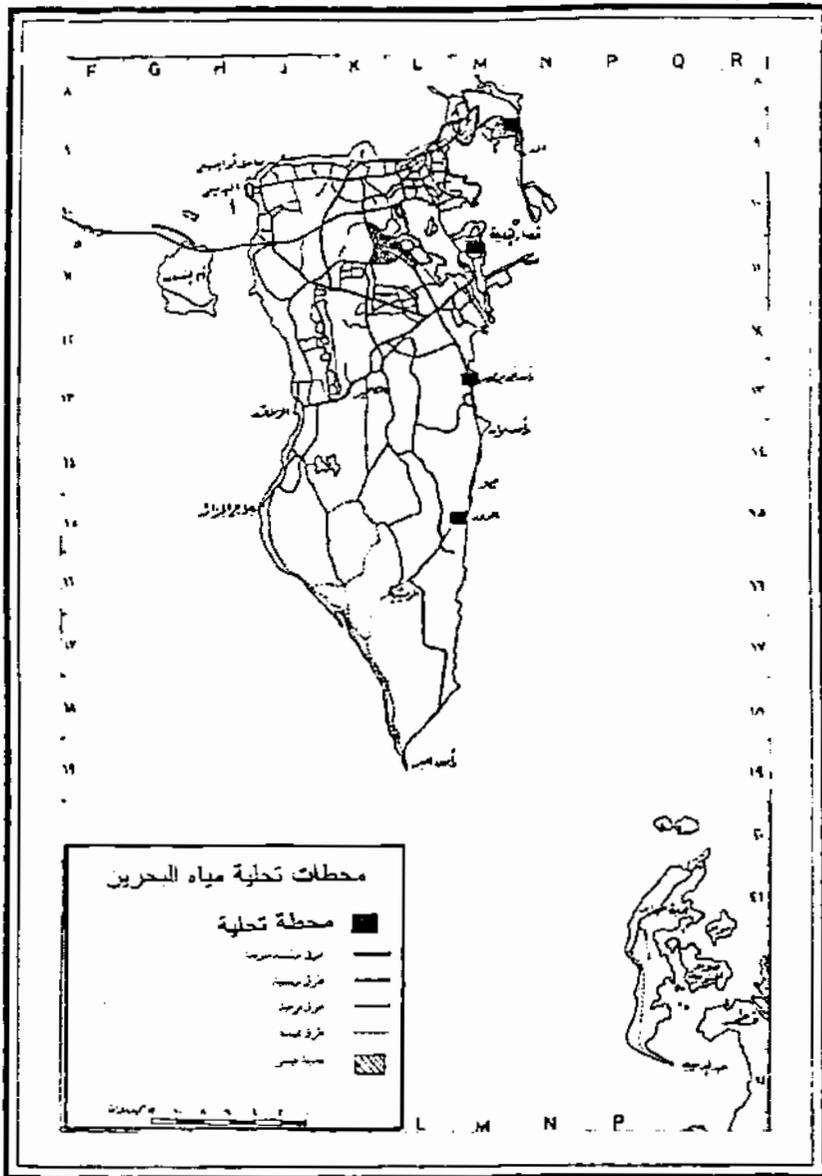
#### ٤ - السكان والعمران :

تمثل المتغيرات السكانية من حيث حجم السكان وكثافتهم محددًا من أهم المحددات التي تحكم التوزيع الجغرافي للعمران وأنماطه وتطوره. ويتضح ذلك جلياً في دولة البحرين حيث أدى التحول الاقتصادي، وارتفاع مستوى المعيشة، وجذب العمالة الوافدة إلى تغير في حجم السكان وتوزيعهم، ومن ثم التوسع العمراني سواء في مراكز العمران القائمة، أو بإنشاء مراكز عمرانية جديدة تستوعب الزيادة المضطردة في أعداد السكان. ويوضح الجدول رقم (١) تطور أعداد السكان في دولة البحرين على مدى نصف قرن منذ عام ١٩٤١ وحتى آخر تعداد في عام ١٩٩١.

جدول رقم (١) تطور أعداد السكان ونسب التغير ومعدل الزيادة السنوية<sup>(١)</sup>

السنة	١٩٤١	١٩٥٠	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٧١	١٩٨١	١٩٩١
عدد السكان	٨٩٩٧٠	١٠٩٦٥٠	١٤٣١٣٥	١٨٢٢٠٣	٢١٦٠٧٨	٣٥٠٧٩٨	٥٠٨٠٣٧
المدة البيئية	٩	٩	٦	٦	١٠	١٠	سنة
نسبة التغير	٢١,٨٧	٣٠,٥٣	٢٧,٢٩	١٨,٥٩	٦٢,٣٥	٤٤,٨٢	%
معدل الزيادة السنوي	٢,٤٣	٣,٩٣	٤,٥٥	٣,١٠	٦,٢٣	٤,٤٨	%

(١) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جدول رقم ٢,٠١، ص ١٦.  
- النسب من حساب الباحث.



شكل رقم (٢)

١ - ويتضح من استقراء بيانات الجدول رقم (١) الآتي :

تزايد سكان البحرين من ٨٩٩٧٠ نسمة في العام ١٩٤١ إلى ٥٠٨٠٣٧ نسمة بنسبة بلغت ٤٦٤,٦٧% على مدى نصف قرن بمعدل زيادة سنوية ٩,٢٩%، وهو معدل مرتفع. إلا أن التغير في النشاط الاقتصادي، وما واكبه من تنمية اقتصادية قد حفز الهجرة الوافدة، خاصة من العمالة الآسيوية، فقد بلغ عدد السكان غير البحرينيين نحو ١٨٤٧٣٢ نسمة يمثلون نحو ٣٦,٣٦% من جملة سكان البحرين.

٢ - بلغ معدل الزيادة السنوية ٢,٤٣٪ في عام ١٩٥٠، وذلك بالنسبة لسنة الأساس ١٩٤١، ووصل ذروته في الفترة التعدادية من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٨١ حيث بلغ ٦,٢٣٪، وهي فترة بداية التحول الاقتصادي بعد اكتشاف النفط وتوظيف عائداته وتنفيذ خطة التنمية الاقتصادية واجتذاب العمالة الرافدة التي بلغ عددها في عام ١٩٨١ نحو ١١٢٣٧٨ نسمة أى ما نسبته ٣٢,٠٣٪ من جملة سكان البحرين في العام نفسه.

٣ - تراجعت نسبة التغير خلال الفترة التعدادية من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩١ لتبلغ ٤٤,٨٢٪ ليبلغ معدل الزيادة السنوية ٤,٤٨٪، وذلك بعد الانتهاء من البنية الأساسية التي هيأت للبحرين تحقيق التحول من النشاط البحري إلى الأنشطة الاقتصادية النفطية والخدمية والصناعية والسياحية.

يتضح مما سبق أن عدد سكان دولة البحرين قد تضاعف أربع مرات فسي خلال نصف قرن الأمر الذي أدى إلى الضغط على مراكز العمران القائمة، مما تطلب التوسع على حساب البحر في المناطق الشمالية، والامتداد العمراني حول الأتوية العمرانية في الداخل.

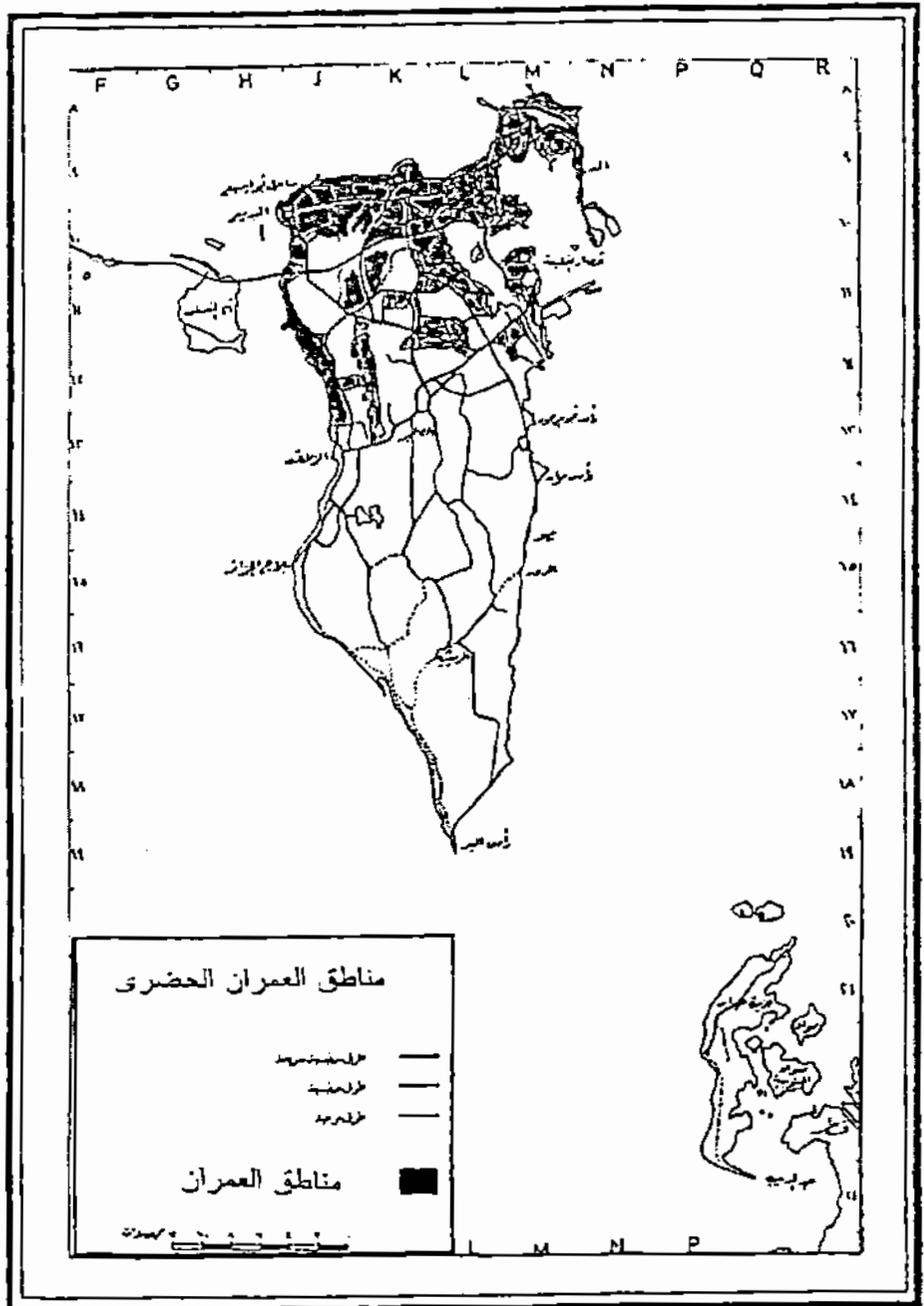
ويوضح الجدول رقم (٢) تطور توزيع السكان في المناطق الإدارية بالبحرين ومساحاتها وكثافة السكان بكل منها باعتبار كثافة السكان من الأسس الديموغرافية للتصنيف الحضري، وذلك في تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١.

جدول رقم (٢) تطور توزيع السكان وكثافتهم في مناطق البحرين في تعدادي (١٩٨١، ١٩٩١)<sup>(١)</sup>

السنة	١٩٨١				١٩٩١			
	المطقة	العدد	المساحة	الكثافة	الانحراف - +	العدد	المساحة	الكثافة
الحد	٧١١١	٣,٥	٢٠٣٢	١٥٠٠	٦٤٩	١٣٨٠	٦,٢٤	٨٦١٠
اغرق	٦١٨٥٣	١٥,٥	٣٩٩٠	٣٤٥٨	٣٧٩٦	٤٥٢٧	١٦,٤٠	٧٤٢٤٥
النامة	١٢١٩٨٦	٢٤,٠	٥٠٨٣	٤٥٥١	٤٥٧٣	٥٣٠٤	٢٥,٨٣	١٣٦٩٩٩
جددخص	٣٣٦٩٨	١٧,٠	١٩٨٢	١٤٥٠	١٣٢٢	٢٠٥٣	٢١,٨١	٤٤٧٦٩
الشمالية	٢٢١١٧	٣٥,٥	٦٢٣	٩١	١٨٢	٩١٣	٣٦,٩٧	٣٣٧٦٥
سرة	٢٢٩٩٣	٢٣,٣	٩٨٧	٤٥٥	٥٤٤	١٢٧٥	٢٨,٨٣	٣٦٧٥٥
الوسطى	١٦٧٧٦	٣٢,٥	٥١٦	١٦	٢٤٠	٩٧١	٣٥,٣٤	٣٤٣٠٤
م.عيسى	٢١٢٧٥	٧,٣	٢٩١٤	٢٣٨٢	٢٠٦١	٢٧٩٢	١٢,٣٦	٣٤٥٠٩
الرفاع	٢٨١٥٠	٣٠٠,٣	٩٤	٤٣٨	٥٣٤	١٩٧	٢٥٢,٩٥	٤٩٧٥٢
الغربية	١٤٥٠٣	١٤٩,١	٩٧	٤٣٥	٥٩٠	١٤١	١٥٦,١١	٢٢٠٣٤
الشرقية	٢١	٥٠,٣			٦٩٥	٣٦	٨٩,٣٠	٣٢٤٢
م. حمد					١٤٨٤	٢٢١٥	١٣,١٢	٢٩٠٥٥
الجملة	٣٥٠٤٧٨	٦٥٨,٣	٥٣٢			٧٣١	٦٩٥,٢٦	٥٠٨٠٣٧

(١) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جدول رقم ٢,٠٩، ص ٢٨.  
- الانحراف عن المتوسط العام لكثافة السكان في المناطق المختلفة من حساب الباحث.

١ - يتبين من الجدول رقم (٢)، ومن الشكل رقم (٣)، الآتى :  
 تركيز السكان فى القسم الشمالى من أرخبيل جزر البحرين فى توافق مع معطيات  
 البيئة الجغرافية، وتقل أعدادهم بالاتجاه صوب الجنوب فى جزيرة البحرين الرئيسية.



شكل رقم (٣) التوزيع الجغرافى للعمران الحضري فى البحرين

- ٢ - تزايد مساحات عدداً من المناطق الشمالية مثل الحد، وانحرق، والنامة، وسرة، على حساب مياه الخليج بعمليات الردم (الدفان) بهدف التوسع العمرانى لاستيعاب الزيادة السكانية.
- ٣ - تزايد مساحات عدداً من المناطق الداخلية مثل المنطقة الوسطى، والمنطقة الغربية، والمنطقة الشرقية بالامتداد العمرانى على دواشى المراكز العمرانية التى كانت قائمة وغر العمران بصورة مضطربة.
- ٤ - قيام مدن جديدة مخططة مثل مدينة عيسى، ومدينة حمد اللتان استوعبتا أعداداً كبيرة من السكان.

ويتضح من أرقام الجداول، ومن الشكل رقم (٤) مدى التغير الذى طرأ على كثافة السكان فى المناطق المختلفة ما بين تعدادى عام ١٩٨١ و عام ١٩٩١ والذى يتلخص فى الآتى:

- ١ - زاد المتوسط العام لكثافة السكان من ٥٣٢ نسمة/كم<sup>٢</sup> فى عام ١٩٨١ إلى ٧٣١ نسمة/كم<sup>٢</sup> فى عام ١٩٩١. وارتفعت كثافة السكان فى عدد من المناطق مثل انحرق (٥٣٧)، والنامة (٢٢١)، وجدحفص (٧٢)، وسرة (٢٨٨)، والمنطقة الوسطى (٤٥٥) والرفاع (٨٥)، والمنطقة الغربية (٤٤) مما يتطلب ضرورة إنشاء مجتمعات عمرانية جديدة.

- ٢ - انخفضت الكثافة السكانية فى عدد من المناطق مثل الحد (٦٥٢) نتيجة لعملية التوسع على حساب البحر والانتقال إلى المدن الجديدة، ومدينة عيسى (١٢٢) نتيجة للتوسع العشوائى خارج كردون المدينة المخطط.

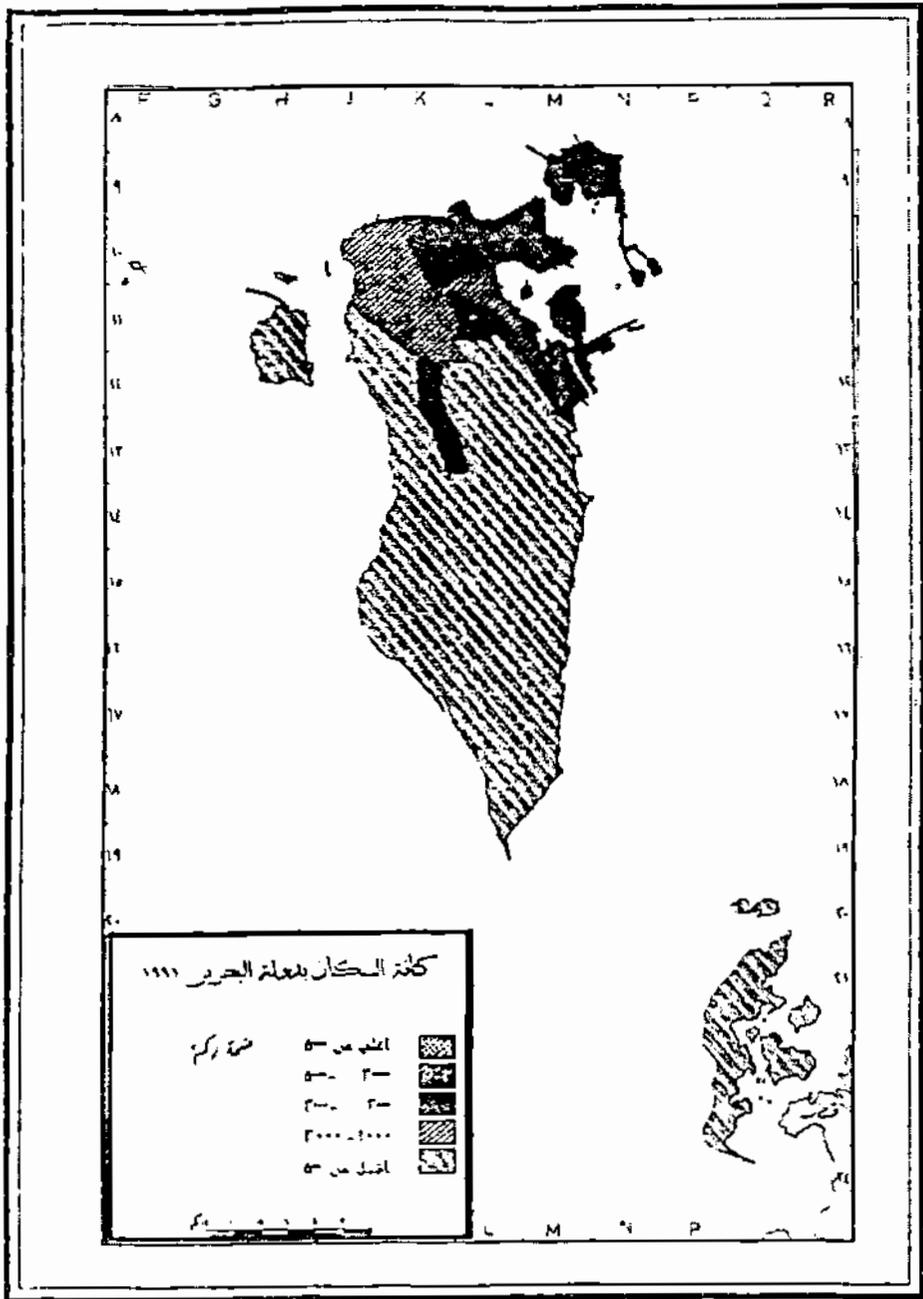
- ٣ - تظل مراكز العمران فى شمال البحرين مناطق جذب لتركز الأنشطة الاقتصادية بها، ويؤكد ذلك الانحراف الموجب لكثافة السكان فى المناطق الشمالية عن المتوسط العام، مما يؤكد دور المحددات الجغرافية التى تحكم توزيع السكان، ومن ثم كثافتهم.

- ٤ - تزايد كثافة السكان فى جميع مناطق البحرين عن المؤشر المتبع فى الولايات المتحدة كأساس ديموغرافى لتصنيف المدن، والذى يبلغ ٨٠٠ نسمة/كم<sup>٢</sup>، فيما عدا ثلاث مناطق هى الرفاع (١٩٧ نسمة/كم<sup>٢</sup>)، والمنطقة الغربية (١٤١ نسمة/كم<sup>٢</sup>)، والمنطقة الشرقية (٣٦ نسمة/كم<sup>٢</sup>)، ومن ثم تصنف مناطق البحرين على أنها حضرية<sup>(١)</sup>.

وقد تم اعتبار المدن والتجمعات السكانية فى البحرين التى يزيد عدد سكانها عن ٢٥٠٠ نسمة من الحضر، وكذلك مدينة عوالى رغم انخفاض عدد سكانها عن ٢٥٠٠ نسمة إدارياً فى تعداد عام ١٩٩١، ويتفق ذلك مع مؤشر الحضرة المتبع فى الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(٢)</sup>.

(١) أحمد على إسماعيل، (١٩٨٥): المرجع السابق، ص ١٧ - ١٨.

(٢) جمال حمدان، (١٩٧٧): جغرافية المدن، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة، ص ٥ - ٦.



شكل رقم (٤)

## ٥ - الحضرية :

يحكم عملية التحضر بصفة عامة ثلاثة اتجاهات ديموغرافية، واقتصادية، واجتماعية حيث النمو السريع للمدينة كأثر مباشر لزيادة أعداد السكان، والتغير في البناء الوظيفي

المصاحب للتنمية الاقتصادية، وما يترتب عن ذلك من تغير اجتماعي. وتوضح هذه الاتجاهات الثلاثة في البحرين حيث النمو الحضري المتلاحق وارتفاع درجة التحضر<sup>(١)</sup>.

ويوضح الجدول رقم (٣) توزيع السكان بمناطق البحرين من الحضر والريف حسب تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١.

جدول رقم (٣) تطور أعداد السكان من الحضر والريف في تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١<sup>(٢)</sup>

١٩٩١		١٩٨١		سنة التعداد	
ريف	حضر	ريف	حضر	المنطقة	
	٨٦١٠		٧١١١	العدد	الحد
	١٠٠		١٠٠	%	
٤٨٥	٧٣٧٦٠	٤١٦٥	٥٧٦٨٨	العدد	المحرق
٠,٧	٩٩,٣	٦,٧	٩٣,٣	%	
٩٤٢١	١٢٧٥٧٨	٦٩٣٢	١١٥٠٥٤	العدد	المنامة
٦,٩	٩٣,١	٥,٧	٩٤,٣	%	
١٥٥٥٤	٢٩٢١٥	١٢٩١٠	٢٠٧٨٣	العدد	جد حفص
٣٤,٧	٦٥,٣	٣٨,٣	٦١,٧	%	
٨٦٣٢	٢٥١٣١	٩٧٩٩	١٢٣١٨	العدد	الشمالية
٢٦,٦	٧٤,٤	٤٤,٣	٥٥,٧	%	
١٠٥٢٠	٢٦٢٣٥	١٣٣٧٥	٩٦١٨	العدد	سرة
٢٨,٦	٧١,٤	٥٨,٢	٤١,٨	%	
٢٩٠٥	٣١٣٠٩	٦٥٥٦	١٠٢٢٠	العدد	الوسطى
٨,٧	٩١,٣	٣٩,١	٦٠,٩	%	
	٣٤٥٠٩		٢١٢٧٥	العدد	مدينة عيسى
	١٠٠		١٠٠	%	
٢٤٢	٤٩٥١٠	٥٧٤٢	٢٢٤٠٨	العدد	الرفاع
٠,٥	٩٩,٥	٢٠,٤	٧٩,٦	%	
٧٧٠٠	١٤٣٣٤	٨١٣٦	٦٣٦٧	العدد	الغربية
٣٤,٩	٦٥,١	٥٦,١	٤٣,٩	%	
٣٢٤٢		٢١		العدد	الشرقية
١٠٠		١٠٠		%	
	٢٩٠٥٥			العدد	مدينة حمد
	١٠٠			%	
٥٨٧٠١	٤٤٩٣٣٦	٦٧٦٣٦	٢٨٣١٦٢	العدد	البحرين
١١,٦	٨٨,٤	١٩,٣	٨٠,٧	%	

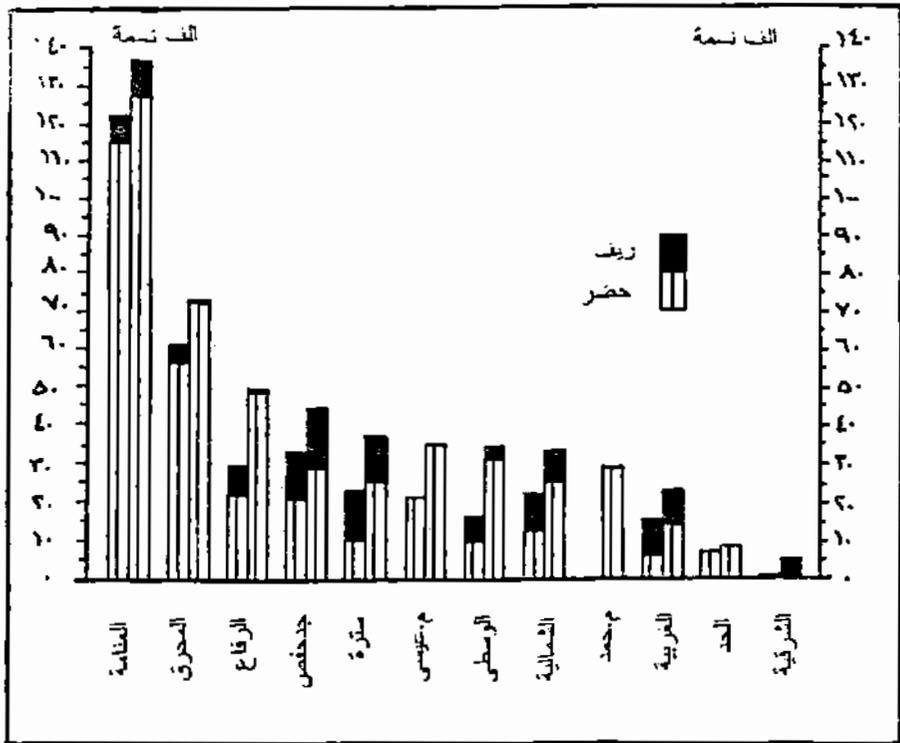
(١) عبدالاله أبو عياش، اسحق يعقوب القطب، (١٩٨٠): الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية.

وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى، الكويت، ص ١٢١ - ١٢٧.

(٢) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، ص ١٧.

- النسب من حساب الباحث.

- يتضح من استقراء بيانات الجدول رقم (٣)، ومن الشكل رقم (٥) الآتي:
- ١ - تمثل الحضرية الصفة الغالبة على السكان في دولة البحرين؛ حيث بلغت نسبة السكان من الحضر ٨٨,٤٪ من جملة السكان في عام ١٩٩١، ومن ثم فاجتمع البحرينى متمدن حيث يوصف المجتمع بالتمدن، إذا ما زادت نسبة الحضر فيه عن ٨٥٪.
  - ٢ - تتضح نتائج التنمية الاقتصادية في الاتجاه المتزايد نحو الحضرية في البحرين حيث ارتفعت نسبة السكان الحضر من ٧٨,١٪ في عام ١٩٧١، إلى ٨٠,٧٪ في عام ١٩٨١ لتصل إلى ٨٨,٤٪ في عام ١٩٩١.
  - ٣ - بلغت نسبة السكان الحضر ١٠٠٪ في المدن الجديدة مثل مدينة عيسى، ومدينة حمد، وزادت النسبة عن ٩٠٪ في كل من الحد، المحرق، الرفاع، والمنامة.
  - ٤ - انخفضت نسبة الحضر عن المتوسط العام في مناطق جدحفص، والشمالية، وسرة، والغربية مع استمرار صفة الغلبة للسكان الحضر.
  - ٥ - تظهر نتائج التحول الاقتصادي في جميع مناطق البحرين في زيادة نسبة الحضرية في كل المناطق عدا المنطقة الشرقية ما بين تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١.
  - ٦ - يصنف سكان المنطقة الشرقية وحدها على أنهم ريف؛ إذ بلغت نسبتهم ١٠,١٪ في تعداد عام ١٩٩١.



شكل رقم (٥) تطور أعداد السكان من الحضر والريف بين تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١

يوضح العرض السابق دور المحددات الجغرافية الطبيعية والبشرية فى توزيع سكان دولة البحرين على المراكز العمرانية، وكذلك التحول إلى الحضرية شبه الكامل. وتبرز أهمية الترجه لحر إنشاء محلات عمرانية جديدة بهدف إعادة توزيع السكان وتخفيف العبء عن المراكز العمرانية القائمة، والتي تحولت إلى مدن ترابع تتبع المدينة الأم النامية التي ترتب على زيادة الحركة إليها ومنها وتضخم المنشآت تلاشى ميزة سهولة الاتصال. وكذلك محاولة تميم مناطق جديدة وجذب السكان إليها من الشمال صوب الجنوب تدريجياً، خاصة مع صغر مساحة جزيرة البحرين النسبى، وأنها فى ذات الوقت أكبر جزر البحرين مساحة وتتركز فيها كل أوجه النشاط البشرى وكل السكان<sup>(١)</sup>.

### ثانياً : مدينة عيسى : (دراسة لمجتمع عمرانى جديد) :

تعتبر مدينة عيسى نموذجاً للنمو العمرانى المخطط الذى واكب التنمية الحضرية المعاصرة فى البحرين، ونتيجة مباشرة للمحددات الجغرافية التي حكمت التوزيع الجغرافى للعمران. وقد تم وضع مخطط المدينة فى عام ١٩٦٣ بحيث تمثل منطقة جذب للسكان تحقق شروط السكن التي تناسب المجتمع البحرينى. فالوحدات السكنية مستقلة، وإن كانت ضمن العمارات فكل وحدة تشغل طابقاً مستقلاً، وتضم الوحدات حدائق وحظائر للسيارات، بالإضافة إلى عنصر السكن الجديد كأحد عوامل الجذب، مع توفر شبكة جيدة للنقل ومستوى راق من الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية. وقد روعى فى تخطيط المدينة المرونة والترابط اللذان يحققان الشمولية والتوازن والتجانس بين كل من المناطق السكنية وحجم السكان. وتم اختيار موقع مدينة عيسى على بعد ثمانية كيلو مترات جنوب شرق مدينة النامة العاصمة مركز النقل السكانى والاقتصادى فى البحرين بحيث تعمل المدينة على توفير الخدمات لعدد من المجاورات تحاط من كل الجهات بطرق رئيسية، وتضم عدداً من المناطق المفتوحة، ويتحقق فيها الارتباط المورورى دون الاختراق<sup>(٢)</sup>. شكل رقم (٦).

ويندرج موقع مدينة عيسى ضمن المواقع النسية حيث يتميز الإطار المساحى بالتجانس الحركى أو ما يعرف طبقاً لتصنيف راتزل، وإلین سمبل بمواقع الجوار<sup>(٣)</sup>. ويضم إقليم مدينة عيسى عدداً من المراكز العمرانية التي يمكن أن نطلق عليها بعد انتهاء المدينة وتعميرها مدن التراجع، تقع جميعاً مجاورة للمدينة، وتشترك معها فى الحدود من جميع الجهات.

ويوضح الجدول رقم (٤) هذه المراكز والتباعد النسبى بين مراكزها وبين وسط مدينة عيسى وكذلك أطوال حدود الجوار.

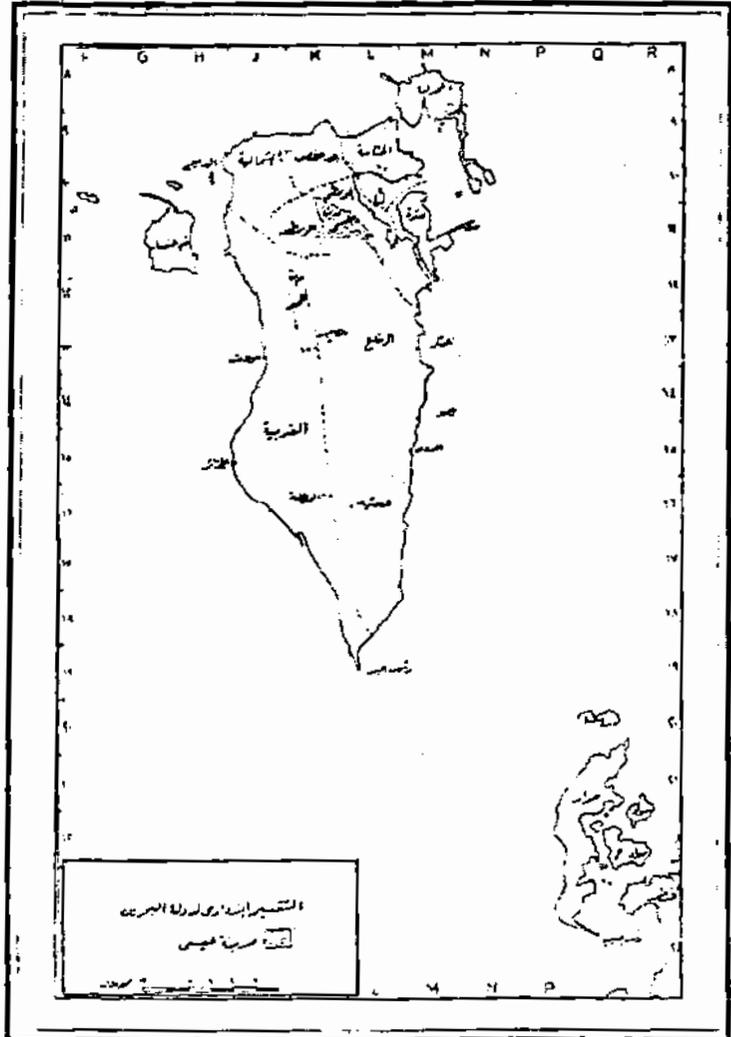
(١) أحمد على إسماعيل، (١٩٨٥): المرجع السابق، ص ٩٢، ص ٩٦.

(٢) محمد شوقى مكي، (١٩٨٦): المدخل إلى تخطيط المدن، دار المريخ للنشر، الرياض، ص ٣٨ - ٤٠.

(٣) جمال حمدان، (١٩٧٧): جغرافية المدن، عالم الكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ص ٢٨٦.

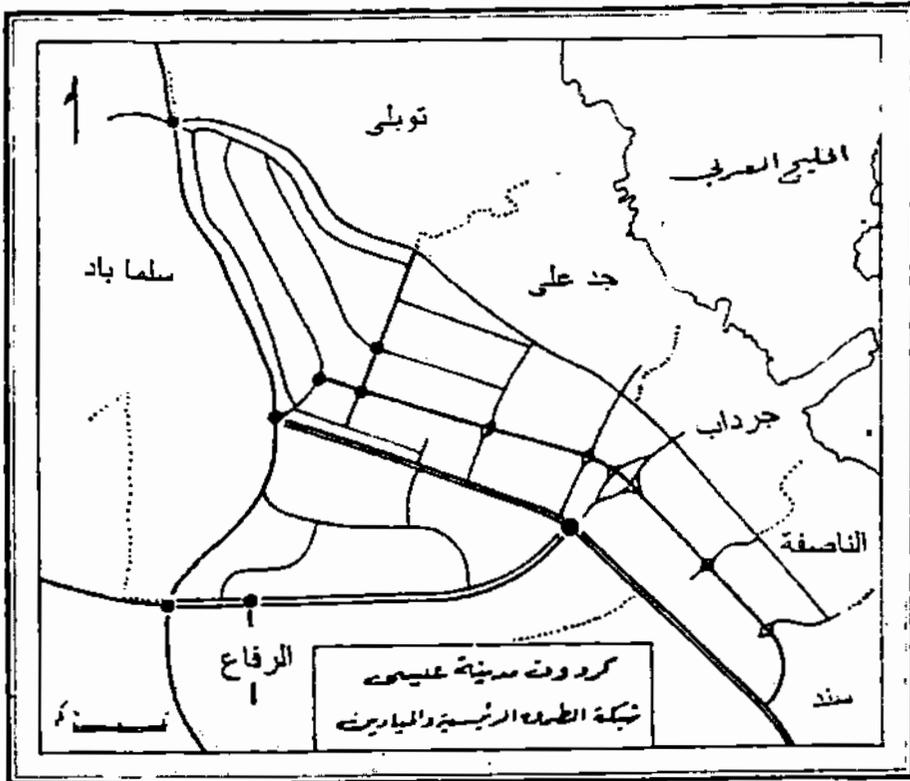
جدول رقم (٤) المراكز العمرانية في إقليم مدينة عيسى

المركز	موقعه من المدينة	التباعد بالكيلومتر	حدود الجوار بالكيلومتر
توبلي	الشمال والشرق	٢,٠	١,٧٦٦
جد علي	الشرق	١,٠	١,٥١٤
جرداب	الشرق	١,٥	١,٧٩٦
الناصحة	الشرق	٢,٠	٠,٨٩٨
سند	الجنوب	٢,٥	٠,٩٤٣
الرفاع الشرقي	الجنوب	٣,٠	١,٠٠٩
الرفاع الغربي	الجنوب	٣,٠	٣,٣٦٧
سلما باد	الغرب	٢,٥	٣,٤٤٧
المتوسط		٢,٢	



شكل رقم (٦)

- يتضح من الجدول رقم (٤)، ومن الشكل رقم (٧) الآتي: (١)
- ١ - ترمط مدينة عيسى نطاقاً عمرانياً يضم ثمانية مراكز موزعة على طول حدود كردون المدينة، وتخدم المدينة بعدد من الخدمات خاصة الخدمة التعليمية؛ إذ يشكل تلاميذ الإقليم نحو ١٢٪ من تلاميذ مدارس مدينة عيسى، بالإضافة إلى كليات جامعة البحرين بالمدينة.
  - ٢ - يبلغ الباعد بين مدينة عيسى وبين مراكز الإقليم ٢,٢ كيلومتراً في المتوسط، مما يعنى أن إقليم المدينة يمتد حتى نقطة الانقطاع على حدود دائرة نصف قطرها ٣ كم، وأن مساحة إقليم المدينة تقدر بنحو ١ كيلومتراً مربعاً.
  - ٣ - يبلغ أقصى طول لحدود الجوار مع منطقة سلماهاد، إذ يبلغ ٣,٤٤٧ كيلومتراً، على حين يبلغ أقصر حد جوار ٠,٨٩٨ كيلومتراً مع منطقة الناصفة.
  - ٤ - تمت بعض هذه المراكز العمرانية في اتجاه مدينة عيسى حتى تلاحت معها من جهة الشمال والشرق في منطقتي توبلي، وجد على، ونسبة أقل في منطقة جرداب في الشرق.



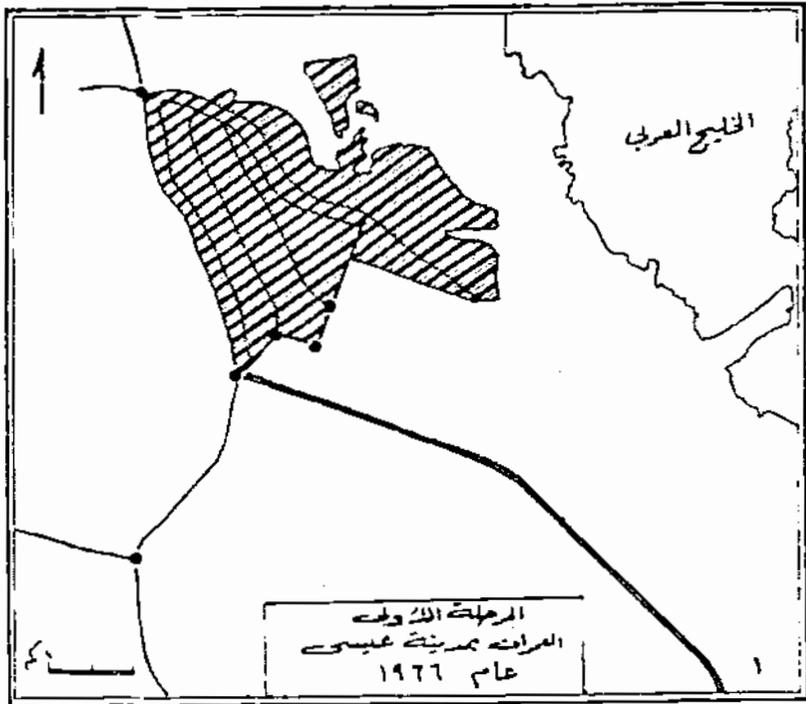
شكل رقم (٧) كردون مدينة عيسى وإقليم المدينة

## - مراحل نمو المدينة :

بدأت عملية إنشاء المدينة بعد اختيار المخطط المناسب فتم إنشاء طريق بطول ١٤,٧٤ كيلومتراً يحيط بالمساحة المقررة لإقامة المدينة وهي ١٢,٤٣ كيلومتراً مربعاً يعد بمثابة كردون المدينة. وتم إنشاء طريق يتوسط المدينة يمتد من الشمال الغربي صوب الجنوب الشرقي يتقاطع معه عدد من الطرق الفرعية التي تقسم المدينة إلى خمسة عشر قسماً مع ربط المدينة بمناطق العمران الرئيسية من جانب، وبأقاليم المدينة في الجوار من جانب آخر عبر ربطها بشبكة الطرق الرئيسية المؤدية إلى المنامة شمالاً، وإلى الصخير جنوباً وإلى سرة شرقاً.

## ١ - المرحلة الأولى :

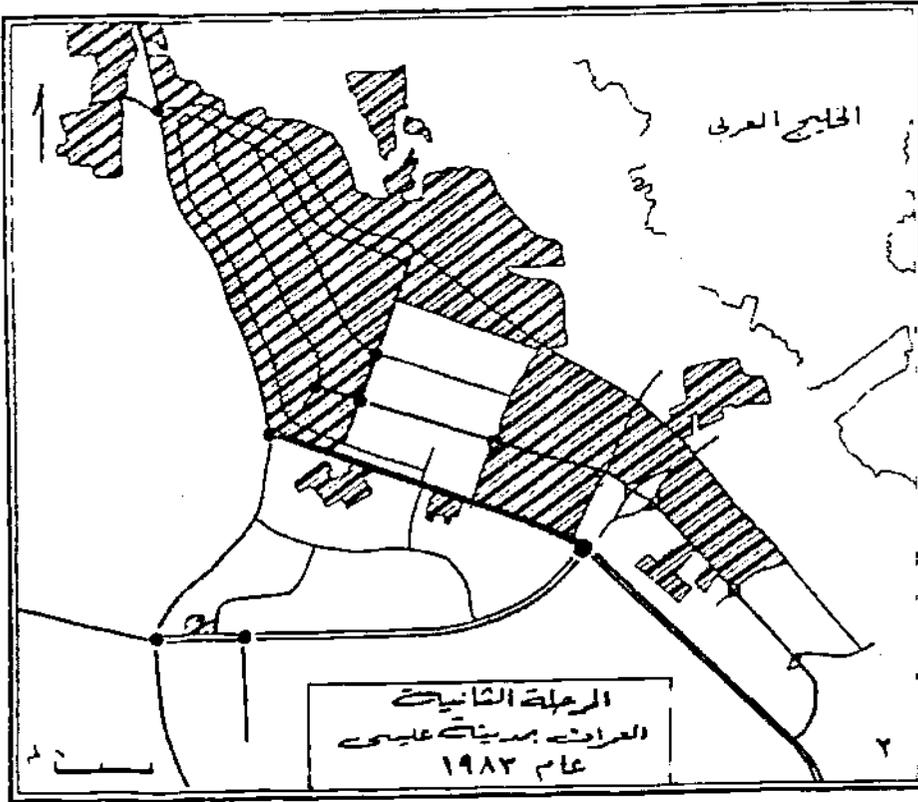
تم تعمير القسم الشمالي من المدينة في المرحلة الأولى بإنشاء مجموعة بيوت الشيخ عيسى، حيث تم بناء ٣٥٠ وحدة سكنية تزايدت إلى ١٢٦٠ وحدة في عام ١٩٧١ أقيمت على ٢٠٪ من مساحة المدينة الحالية. وقد تم اختيار القسم الشمالي من المدينة كمرحلة أولى حتى تجذب السكان من مناطق التركيز السكاني في الجوار في توبلى ومن شمال البحرين، وحتى يظل القرب من مناطق العمران في الشمال عاملاً نفسياً مشجعاً على سكنى المدينة، بالإضافة إلى التيسرات التي قدمتها الدولة للسكان من حيث القيمة الإيجارية بهدف التملك، ثم التفاوض عن جزء من المستحق عليهم. شكل رقم (١-٨).



شكل رقم (١-٨)

## ٢ - المرحلة الثانية :

ترتب على نجاح خطة التعمير والتوطين في المرحلة الأولى البدء في استكمال مخطط المدينة في عام ١٩٨٣ ببناء لتعمير القسم الجنوبي من المدينة، والإتجاه صوب الشمال حتى تم الالتحام، واستكمال بناء المدينة وتعميرها في عام ١٩٩١ لتضم ٥٦٠٤ وحدة سكنية ما بين بيت شرقي أو فيلا أو عمارة متعددة الطوابق. شكل رقم (٢-٨).

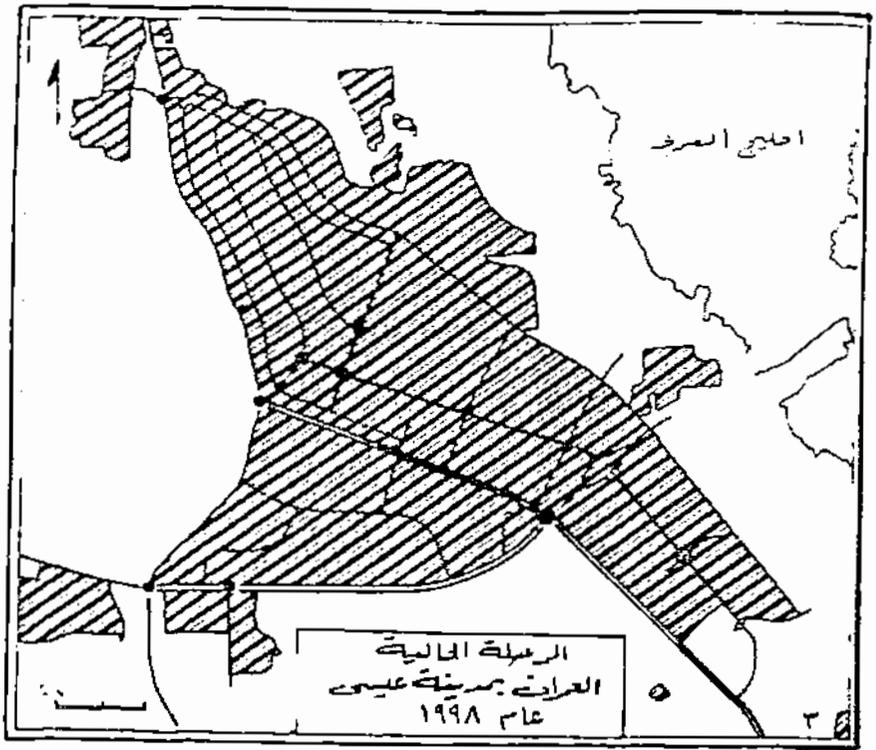


شكل رقم (٢-٨)

وتوضح الخريطة شكل رقم (٣-٨) الوضع الحالي للمدينة بعد اكتمالها، وقد استوطنها ٣٩٧٨٤ نسمة في عام ١٩٩٦. وقد شكل نجاح إنشاء مدينة عيسى جهة صنع القرار فقامت على إنشاء مدينة حمد في غرب وسط جزيرة البحرين، ويجري الآن تنفيذ مدينة تالته هي مدينة زايد في شمال البحرين لتمثل مجتمعات عمرانية جديدة تعمل على تخفيف العبء عن مراكز العمران القائمة وتعيد توزيع السكان.

وتتخذ مدينة عيسى الشكل المستطيل حسب مؤشر (بويس - كلارك) الذي بلغ ٣٢,٤ على حين يشير مؤشر (باوندز) إلى ميل المدينة للإندماج فقد بلغ معدل الإندماج ٩٩,٤٪. ويمتد داخل مدينة عيسى شبكة جيدة من الطرق الداخلية تتصل بالطرق السريعة حول المدينة عبر ثلاثة

مخرج. ويبلغ طول شبكة الطرق الداخلية ٥٩.١ كيلومترا، ومن ثم تكون كثافة الطرق نحو ٤.٧٥ كيلومتر لكل كيلومتر مربع من المساحة. أو أن كل ٦٧٣ نسمة يخدمهم كيلومتر واحد من الطرق الداخلية ويؤكد ذلك حسن الاتصال. ومرونة الحركة الداخلية والخارجية بين المدينة وبين إقليمها من جانب، وبينها وبين مناطق العمران الرئيسية في شمال البحرين<sup>(١)</sup> من جانب آخر.



شكل رقم (٣-٨)

(١) فتحى عبد العزيز أبو راضى، (١٩٨٩): التوزيعات المكانية - دراسة فى طرق الرصف الإحصائى وأساليب التحليل العددي - سلسلة الدراسات الجغرافية الحديثة، الكتاب الثانى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص ٣٦٠ - ٣٦٦.

$$\text{الإحتراف المعيارى المكانى} = \sqrt{\frac{\text{مجموع مربع بعد الموقع عن المركز المتوسط}}{\text{عدد المواقع} + 1}}$$

$$\text{المسافة المعيارية} = \sqrt{\frac{\text{مجموع } \bar{ص}^2 - \frac{\text{مجموع } \bar{ص}^2}{\text{ن}}}{\text{ن}}}$$

س = الإحداثيات الأفقية للمحلات العمرانية.

مت = الإحداثى الأفقى للمراكز المتوسطة.

ص = الإحداثيات الرأسية للمحلات العمرانية.

ص = الإحداثى رأسى للمركز المتوسط

و يتبين من حساب الانحراف المعياري المكاني بين المركز المتوسط لمدينة عيسى وبين مناطق العمران في إقليم المدينة، والذي بلغ نحو ثلاثة كيلومترات، ومن حساب المسافة المعيارية التي بلغت نحو ٢,٧ كيلومتر عن المركز المتوسط للمدينة أن إقليم المدينة تحدده دائرة نصف قطرها نحو ٢ كيلومتر، وتبلغ مساحتها ٢٢,٨ كيلومتراً مربعاً وتعمل المدينة على تقديم الخدمات لهم التعليمية والاجتماعية والترفيهية، وتمثل موقعاً جذاباً للتسوق من مركزها التجاري.

### سكان مدينة عيسى :

تطور عدد السكان في مدينة عيسى وفقاً لمراحل النمو العمراني؛ فقد استوطن المدينة ٧٥٠١ نسمة بعد الانتهاء من إنشاء المرحلة الأولى في عام ١٩٧١، وتزايد عدد السكان مع الانتهاء من تعميم المدينة في عام ١٩٨١ ليبلغ ٢١٢٧٥ نسمة. ويعد سكان المدينة من المهاجرين من مناطق الازدحام السكاني، ومن إقليم المدينة، ومن محدودى الدخل وحديثى العهد بالزواج. وتعتبر مناطق الحد والحرق وتوبلى وجدعلى وسند من مناطق الطرد السكاني إلى مدينة عيسى المجتمع العمراني الجاذب بما يتميز به من تخطيط عمراني حديث وارتفاع مستوى الخدمات، بالإضافة إلى التسهيلات التي قدمتها الدولة لتشجيع الانتقال والاستقرار في هذه المدينة الجديدة.

ويوضح الجدول رقم (٥) تطور مساحة مدينة عيسى وتطور أعداد سكانها ونسب الزيادة في الفترة من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٩٦.

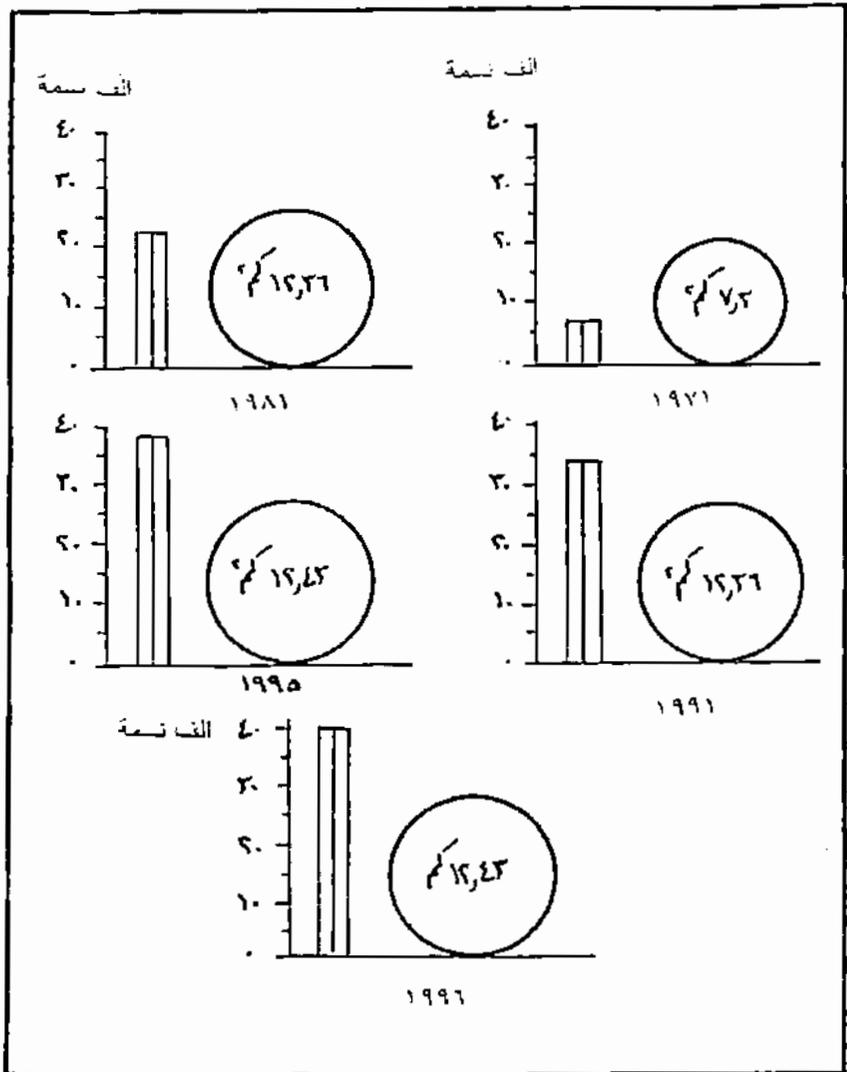
جدول رقم (٥) تطور مساحة مدينة عيسى وتطور أعداد السكان ونسب الزيادة في الفترة من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٩٦ (١)

السنة	المساحة (كيلومتر مربع)	النسبة المتوية للزيادة	عدد السكان	النسبة المتوية للزيادة	متوسط الزيادة السنوية %
١٩٧١	٧,٣٠		٧٥٠١		
١٩٨١	١٢,٣٦	٦٩,٣٢	٢١٢٧٥	١٨٣,٦	١٨,٤
١٩٩١	١٢,٣٦		٣٤٥٠٩	٦٢,٢	٦,٢
١٩٩٥	١٢,٤٣	٠,٥٧	٣٨٥٧٤	١١,٨	٢,٩
١٩٩٦	١٢,٤٣		٣٩٧٨٤	٣,٢	٣,٢

(١) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جدول ١,٠٢، ص ٦، و جدول ٢,٠٢، ص ١٨.

- النسب من حساب الباحث.

- ١ - يتضح من الجدول رقم (٥)، ومن الشكل رقم (٩) الآتي :  
تضاعف سكان مدينة عيسى خمس مرات في خلال ربع قرن؛ فقد زاد عدد السكان من ٧٥٠١ في عام ١٩٧١، إلى ٣٩٧٨٤ نسمة في عام ١٩٩٦ .



شكل رقم (٩) تطور مساحة مدينة عيسى وأعداد السكان خلال الفترة من ١٩٧١ - ١٩٩٦

- ٢ - ترتب على الإقبال على سكنى المدينة من سكان المناطق الحدية من محدودى الدخل مع تيسيرات التملك، وخفض قيمة الوحدات السكنية، خاصة تلك المخصصة للإسكان الشعبى، أن سجلت الفترة البينية من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٨١ تزايداً تزامناً مع التوسع فى تعمير المدينة بلغت نسبته ١٨٣,٦٪.

٣ - تعد الزيادة العددية خلال الفترة من عام ١٩٩١ وحتى عام ١٩٩٦ هي الزيادة الطبيعية للسكان بعد استقرارهم، وبعد أن اتخذت المدينة موقعها على خريطة العمران الحضري في البحرين. وقد بلغت نسبة الزيادة السنوية ٢,٩٪ في عام ١٩٩٥، ٣,١٤٪ في عام ١٩٩٦ وهي أقل من نظيرتها على مستوى البحرين التي بلغت ٣,٦٪ عن نفس الفترة<sup>(١)</sup>.

٤ - يتزامن التزايد في أعداد السكان مع التزايد في مساحة المدينة واكتمالها؛ فقد بلغت نسبة الزيادة في أعداد السكان ٦٢,٢٪ في عام ١٩٩١، على حين بلغت نسبة الزيادة في مساحة المدينة ٦٩,٣٪.

### - كثافة السكان :

تعد مدينة عيسى على الرغم من أنها مجتمع عمراني جديد من مناطق البحرين ذات الكثافة السكانية المرتفعة. وتأتي مدينة عيسى في المرتبة الثالثة من حيث كثافة السكان بعد كل من منطقتي المنامة والخرق، وذلك في تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١. ويوضح الجدول رقم (٦) تطور كثافة السكان في مدينة عيسى خلال الفترة من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٩٦<sup>(٢)</sup>.

جدول رقم (٦) كثافة السكان في مدينة عيسى في السنوات من ١٩٨١ إلى ١٩٩٦

السنة	١٩٨١	١٩٩١	١٩٩٥	١٩٩٦	نسمة/كم <sup>٢</sup>
الكثافة	٢٩١٤	٢٧٩٢	٣١٠٣	٣٢٠١	

يوضح الجدول رقم (٦) تزايد كثافة السكان بالمدينة خلال فترة وجيزة لتتحول إلى واحدة من مناطق التركز السكاني في البحرين. وقد ترتب على ذلك ظهور العشوائيات الأفقية والرأسية. أما عن النمو العشوائي الأفقي، فقد امتد العمران ليلتحم بإقليم المدينة في الجوار، وأصبح التمييز متعدياً على هوامش المدينة، وعن العشوائيات الرأسية فقد بدأت ظاهرة التعلية غير المرخص بها وإضافة طوابق جديدة إلى الوحدات السكنية خاصة الشعبية منها على هوامش المدينة بالمخالفة للمخطط العام للمدينة، ومع ذلك فمازال للمدينة طابعها المعماري المميز.

### - قوة العسل :

تطورت أعداد الأيدي العاملة في مدينة عيسى من ٦٤٩٧ نسمة في تعداد عام ١٩٨١ إلى ١٠٨٢٣ نسمة في تعداد عام ١٩٩١ من البحرينيين وغير البحرينيين. ويوضح الجدول رقم (٧) تطور أعداد الأيدي العاملة حسب النوع والجنسية في تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١ مقارنة بأعداد الأيدي العاملة في دولة البحرين.

(١) الجهاز المركزي للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جداول ٢,٥٤، ٢,٥٥، ٢,٥٦، ص ص ٨٨ - ٩٠.

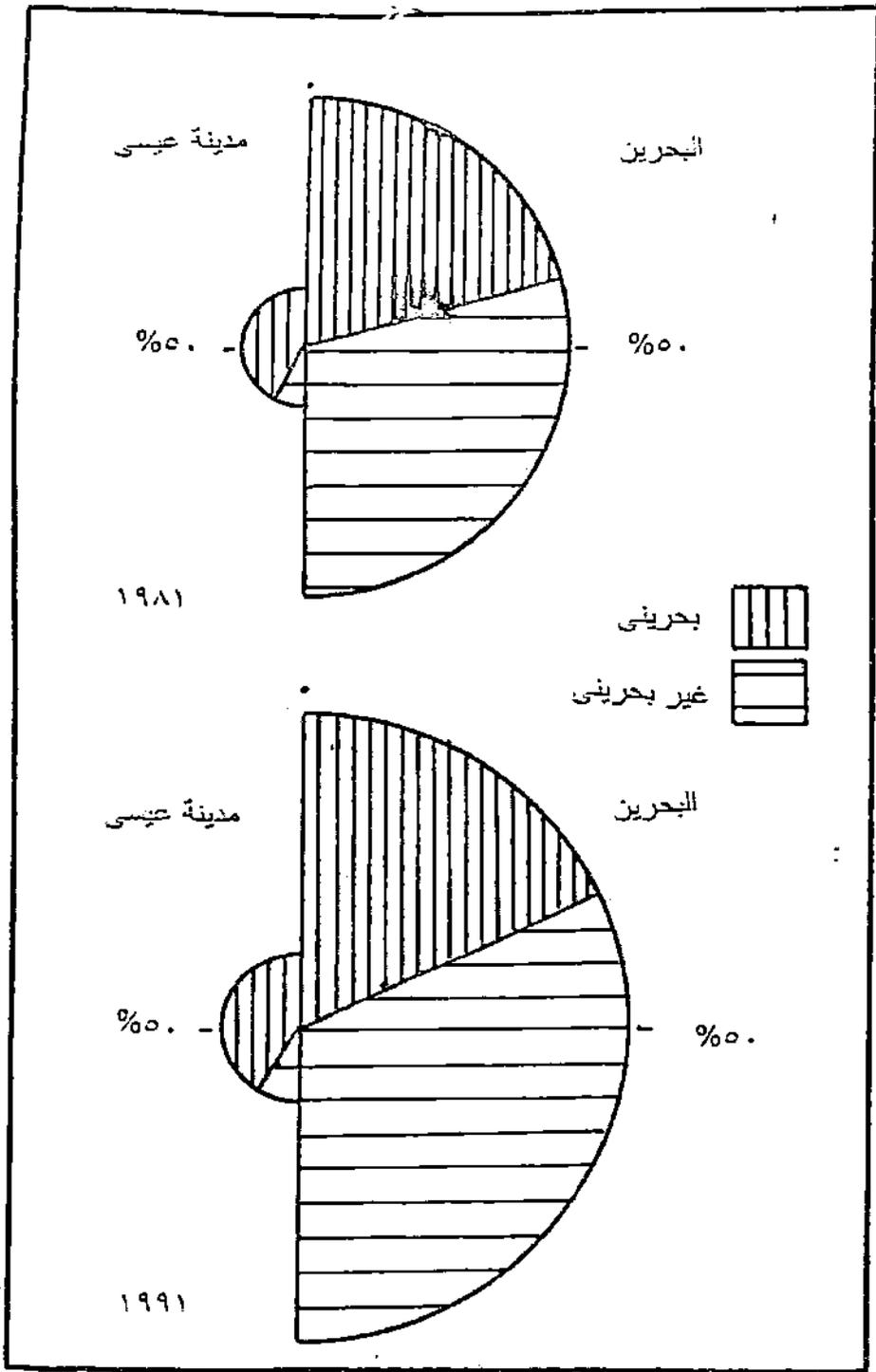
(٢) الكثافة من حساب الباحث اعتماداً على بيانات التعداد السكاني وتوقعات النمو والتقديرات الكافية.

جدول رقم (٧) تطور قوة العمل بين تعدادي ١٩٨١، ١٩٩١ (١)

الجنسية	النوع	دولة البحرين			مدينة عيسى		
		١٩٨١	١٩٩١	التغير %	١٩٨١	١٩٩١	التغير %
بحرينى	ذكور	٤٩٣٠٤	٦٤٠٨٣	٢٩,٩٨	٤٤٧٧	٦٤٤٥	٤٣,٩٥
	إناث	٧٨٧٤	١٣١٨٥	٦٧,٤٥	١١٣٢	١٧١٩	٥١,٨٦
شعب بحرينى	ذكور	٧٣٩١٧	١١٣٠٧١	٥٢,٩٧	٤٧٨	١١١١	١٣٢,٤٣
	إناث	٦٧٩٧	٢١٧٣١	٢١٩,٧١	٤١٠	١٥٤٨	٢٧٧,٥٦
جملة الأيدي العاملة		١٣٧٨٩٢	٢١٢٠٧٠	٥٣,٧٩	٦٤٩٧	١٠٨٢٣	٦٦,٥٨

- يتضح من استقراء بيانات الجدول رقم (٧)، ومن الشكل رقم (١٠) الآتى :
- تطورت أعداد الأيدي العاملة من البحرينيين فى مدينة عيسى فى الفترة البينية بين التعدادين بنسبة أعلى منها على مستوى البحرين بين الذكور. فقد بلغت نسبة الزيادة ٤٣,٩% مقابل ٢٩,٩% فى البحرين. وتقل نسبة الزيادة فى أعداد الأيدي العاملة من الإناث فى مدينة عيسى عنها على مستوى البحرين بنحو ١٥,٦%. ويعزى ذلك إلى أن مدينة عيسى مجتمع عمراني جديد انتقل إليه السكان من البالغين وأسرهم من إقليم المدينة حيث مازالت التقاليد تحد من إسهام الإناث فى قوة العمل.
  - تزيد نسبة العمالة غير البحرينية فى المدينة عنها على مستوى البحرين فقد بلغت نسبة زيادة الذكور ١٣٢,٤% فى مدينة عيسى مقابل ٥٢,٩% على مستوى البحرين. حيث هباً المجتمع الجديد فرص عمل للعمالة غير الفنية والمساعدة. وينطبق ذلك على الإناث حيث يتطلب البيت البحريني من يقوم بالأعمال المنزلية، ومن ثم فقد بلغت نسبة زيادة قوة العمل من الإناث غير البحرينيات ٢٧٧,٦% فى عام ١٩٩١ عن ما كانت عليه فى عام ١٩٨١.
  - يسهم مجتمع مدينة عيسى بنسبة ٥,١% من إجمالي قوة العمل فى البحرين، يعمل منهم نحو ٤٥٢٨ نسمة يمثلون ٤١,٨% بالمؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية ونحو ٣٩٣٩ نسمة يمثلون ٣٦,٤% يعملون بالإدارة والدفاع والأمن، ومن ثم فإن نحو ٧٨,٢% من قوة العمل بمدينة عيسى يعملون بقطاع الخدمات. وقد بلغ إسهام العمالة فى قطاع الصناعة التحويلية والناجم والتشيد ما نسبته ١٠,٥% من قوة العمل فى مدينة عيسى، على حين بلغ إسهامهم نحو ٠,٨% فى قطاع الزراعة والصيد. ويعد ذلك مؤشراً على ارتفاع مستوى الدخل النسبي، ومن ثم ارتفاع مستوى معيشة السكان فى مدينة عيسى.

(١) الجهاز المركزى للإحصاء، (١٩٩٧): المرجع السابق، جدول رقم ١١,٠٣، ص ٣٥٢.  
 - الجهاز المركزى للإحصاء، (١٩٩٣): التعداد العام للسكان والمساكن والشآت، ١٩٩١، الخصائص الاقتصادية للسكان، الجزء الرابع، رقم ٤ - ٥٠٠/٢. إدارة الإحصاء، جدول رقم ٢٥,١، ص ٤٣٠.



شكل رقم (١٠) تطور قوة العمل بمدينة عيسى مقارنة بدولة البحرين في عامي ١٩٨١، ١٩٩١

## أنماط استخدام الأرض في مدينة عيسى :

### ١ - استخدام الأرض السكنى :

يشغل استخدام الأرض السكنى مساحة قدرها ٥,٠٩٦ كيلومتراً مربعاً تمثل نسبة ٤١٪ من مساحة مدينة عيسى، وتضم هذه المساحة ٥٠٢٨ وحدة سكنية من الإسكان المخطط. وقد تطور عدد الوحدات السكنية مع نمو المدينة واكتمال مراحل انشائها من ١٢٦٠ وحدة في المرحلة الأولى في عام ١٩٧١، إلى ٣٤٠٣ وحدة في عام ١٩٨١، ليصل في عام ١٩٩١ إلى ٥٠٢٨ وحدة بنسبة زيادة قدرها ٢٩٩٪ عن سنة الأساس.

ويتكون هيكل العمران في المدينة من ثلاثة أنماط هي البيوت الشرقية، والفيلات، والعمارات على النحو الذي يبينه الجدول رقم (٨).

#### جدول رقم (٨) أنماط العمران السكنى في مدينة عيسى

(وحدة)

النمط	بيوت شرقية	فيلات	عمارات	الجملة
العدد	٤٧٤٠	١٥٦	١٣٢	٥٠٢٨
النسبة المئوية	٩٤,٢٧	٣,١٠	٢,٦٣	٪١٠٠

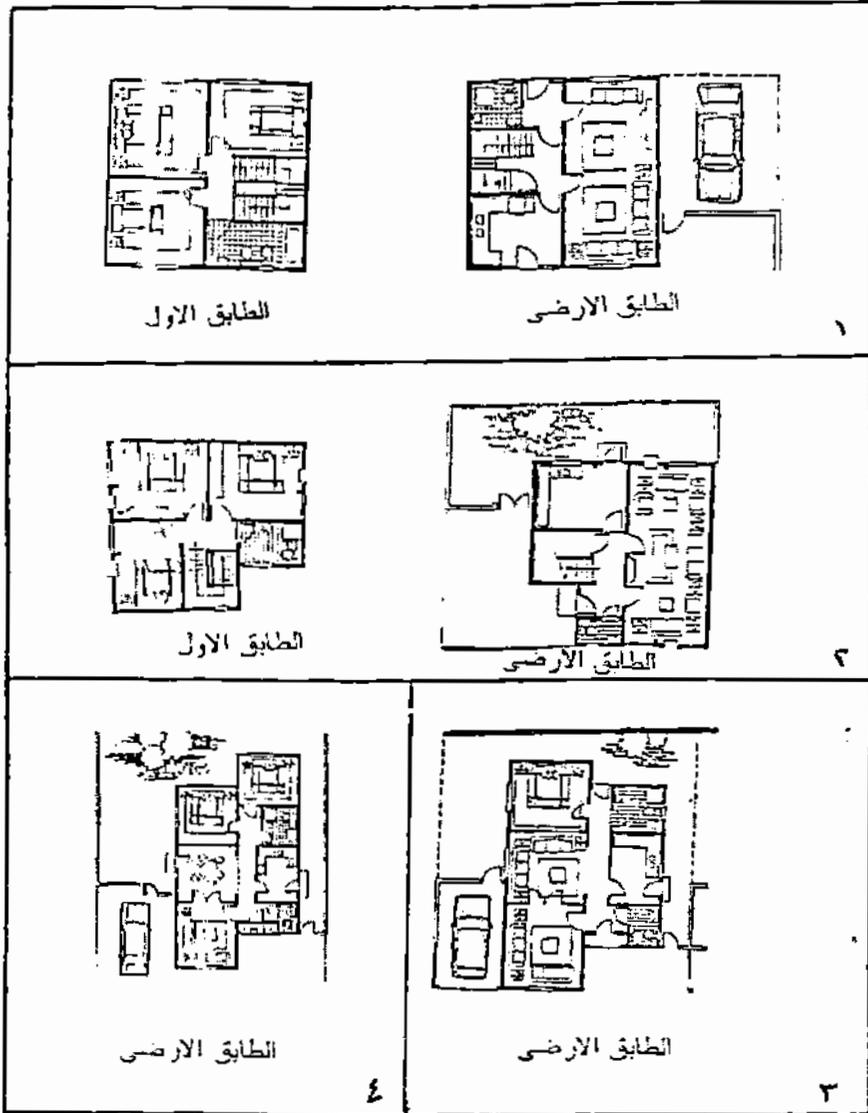
ويتضح من الجدول رقم (٨) أن البيوت الشرقية تمثل النمط العمراني الغالب؛ إذ تمثل ما نسبته ٩٤,٣٪ من جملة المباني السكنية في مدينة عيسى بما يتفق ومتطلبات المجتمع البحريني الذي يميل إلى الخصوصية الاجتماعية، وبما يتناسب وصغر حجم السكان بدولة البحرين.

وتأتي الفيلات في المرتبة الثانية بعد البيوت الشرقية وتمثل غطاءً عمرانياً يميز العمران الحديث في البحرين يختص بها ذوى الدخل المرتفعة، وجميعها مخططة طبقاً لنماذج محددة، يوضح الشكل رقم (١١) عدداً من المساقط الهندسية لهذه النماذج، وتضم كل منها مساحة خضراء وحظائر للسيارات، ويشتمل بعضها على أحواض للسباحة، ويغلب عليها الفيلات المكونة من طابقين<sup>(١)</sup>.

تمثل العمارات السكنية متعددة الطوابق غطاءً عمرانياً جديداً على المجتمع العمراني ظهر مع زيادة نسبة الحضرية وإنشاء المدن الجديدة خاصة في المناطق الداخلية التي تبعد عن مركز النقل السكاني في شمال البحرين. وتشكل هذه العمارات متنفساً يمتص الزيادة السكانية ويناسب قدرات محدودى الدخل، والأسر الجديدة. ويدل هذا الاتجاه نحو التوسع

(1) Ministry of Housing, (1996): General Report on Housing and Urban Development, Celebration of UN Conference on Human Settlement, 3 - 4 Jun. 1996, Istanbul.

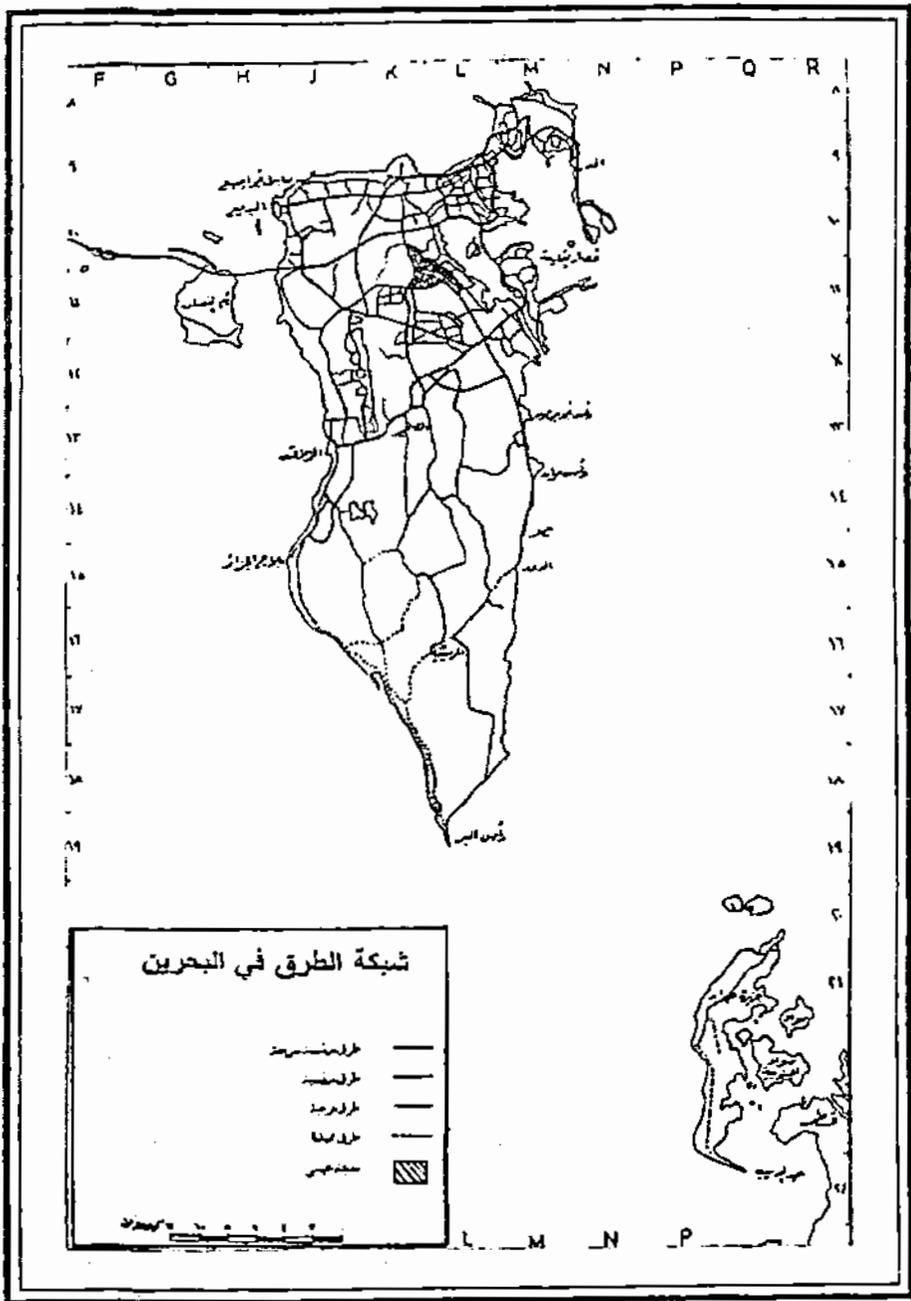
الرأسي في العمران على بداية لتغير أنثروبولوجي للسكان، وتقبلهم لنمط الحياة المشتركة. وقد حرص المخطط على تحديد ارتفاع هذه الوحدات وعدد الطوابق للحفاظ على النواحي الجمالية والحد من التلوث البصري.



شكل رقم (١١) نماذج للمسقط الأفقي للوحدات السكنية بمدينة عيسى

وقد بلغ عدد الأسر في مدينة عيسى ٥٦٦٥ بمتوسط قدره ستة أفراد للأسرة، وقد ترتب على إنشاء مدينة عيسى ونموها التوسع العمراني غير المخطط لبعض مناطق إقليم المدينة مثل توبلي، وجد على، وجرداب ليلتحم أو يكاد بمدينة عيسى من جهتي الشمال والشرق.

ويوضح الشكل رقم (١٢) استخدام الأرض السكنى في مدينة عيسى بنمطيه المخطط، وغير المخطط.



شكل رقم (١٢)

## ٢ - استخدام الأرض العام :

يشغل استخدام الأرض العام مساحة ٦,٥٩ كيلومتراً مربعاً، تمثل ٥٣٪ من مساحة مدينة عيسى. ويتمثل هذا الاستخدام من الاستخدام الحكومي الذي يشمل الترويج التعليم والإدارة والأمن، وفي الاستخدام للخدمات الاجتماعية والمنشآت الدينية ومن أهم أغطا استخدام الأرض العام :

### أ - الترويج :

روعى فى تخطيط مدينة عيسى أن تضم عدداً من المناطق المفتوحة موزعة على أقسامها المختلفة. وتشغل المناطق المفتوحة نحو ٦٪ من مساحة المدينة، بالإضافة إلى عدد من المنشآت الثقافية ودار للمرح والسينما، والاستاد الرياضى، وعدد من ملاعب كرة المضرب.

### ب - التعليم :

تضم مدينة عيسى تسع عشرة مدرسة موزعة على أنحاء المدينة منها عشر مدارس للتعليم الابتدائى، منها ست مدارس للذكور، بالإضافة إلى مدرستين للتعليم الإعدادى إحداهما للذكور والثانية للإناث، وثلاث مدارس للتعليم الثانوى العام منها اثنتان للإناث. وبالمدينة مدرسة للتعليم الثانوى التجارى وأخرى للتعليم الثانوى الصناعى، بالإضافة إلى مدرسة مشتركة لكل من التعليم الابتدائى والإعدادى معاً، وأخرى للتعليم الإعدادى والثانوى معاً وتخدم هذه المدارس نحو ٩٧٨٤ تلميذاً وتلميذة.

وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية ٤٨٩٨ تلميذاً وتلميذة يمثلون ٥٠,١٪ من جملة التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة، مما يدل على زيادة أعداد صغار السن فى هذا المجتمع العمرانى الناشئ. ويبلغ عدد تلاميذ المرحلة الإعدادية ٢٥٠٢ تلميذاً وتلميذة بنسبة ٢٥,٦٪ من جملة التلاميذ، على حين بلغ عدد طلاب المرحلة الثانوية ٢٣٨٤ طالباً وطالبة. وتمثل مدينة عيسى منطقة جذب لنحو ١١٧٤ من أبناء إقليم المدينة يمثلون نحو ١٢٪ من جملة تلاميذ المدارس بالمدينة<sup>(١)</sup>.

ويضم كردون مدينة عيسى المباني الأكاديمية للكليات العملية بجامعة البحرين، ومن ثم تمثل المدينة مركزاً للتعليم الجامعى لجميع مناطق البحرين فى هذا التخصص.

### ج - الخدمات الاجتماعية والصحية :

توزع مناطق استخدام الأرض المخصصة للخدمة الاجتماعية على مناطق مدينة عيسى فى ٤٣ منشأة تضم مركزاً اجتماعياً، ومركزاً لرعاية المعاقين، وداراً للمسنين، وداراً لرعاية الطفولة، ومركزاً للتنمية والصحة والبيئة.

(١) الجهاز المركزى للإحصاء. (١٩٩٧): المرجع السابق. الجداول أرقام ٧,٠٧، ٧,٠٨، ٧,٠٩، ٧,١٠، ٧,٤١ ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٩١.

ويقع في قلب المدينة المركز الصحي. بالإضافة إلى أربع عيادات. وقد بلغ عدد المترددين لطلب الخدمة الصحية ٢٩ ألف حالة خلال عام ١٩٩١. ويقدم المركز بالنطيمات ورعاية الأمومة والطفولة وقام بخدمة ١٦ ألف طفل. ٥٥٩٩ حالة رعاية أمهات خلال عام ١٩٩١ من سكان المدينة وإقليمها.

## د - استخدام الأرض التجاري والصناعي :

تتوزع مناطق استخدام الأرض التجاري في تدرج هرمي يشغل قمته المركز التجاري الرئيسي الذي يقع بالقرب من البوابة الغربية في جنوب المدينة، وتتوزع قاعدته على مناطق المدينة على هيئة مراكز تجارية أصغر من حيث المساحة والقدرة على توفير احتياجات السكان. ويخدم المركز الرئيسي للمدينة سكان إقليم المدينة والمناطق المجاورة الأخرى في الرفاع وعالي ويخفف العبء عن قلب المدينة الرئيسي المنامة في شمال البحرين. وتقدر المساحة التي يشغلها الاستخدام التجاري بنحو ٢٥ ألف متر مربع. أما عن استخدام الأرض الصناعي فيشغل مساحة محدودة في شمال غرب مدينة عيسى وتعرف بالمنطقة الصناعية حيث توجد ورش الحرفيين.

## الخلاصة :

يتضح من الدراسة سيادة صفة الحضرية على العمران في دولة البحرين والنمو السريع للمراكز العمرانية، والخروج عن الإطار الذي صاغ التوزيع الجغرافي للعمران حتى بداية العقد الثالث من القرن العشرين. وتتلخص أهم نتائج الدراسة في النقاط الآتية:

١ - يمثل اكتشاف النفط واستغلاله حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل التوزيع الجغرافي والنمو العمراني في البحرين هما :

### أ - المرحلة الأولى :

وهي مرحلة ما قبل النفط حيث تتضح الختمية الجغرافية في التوزيع الجغرافي للعمران التي فرضتها المحددات الجغرافية ومعطيات البيئة. فقد ارتبط السكان، ومن ثم المخلات العمرانية بمواضع انبثاق المياه الجوفية من العيون على اليابس. ومن الكواكب على قاع الخليج في منطقة شمال البحرين، بالإضافة إلى البيئة البحرية المناسبة لممارسة حرفة الصيد، والتي بوأت البحرين مكانة تجارية مهمة على ساحل الخليج العربي. ومن ثم نشأت المخلات العمرانية ونمت المنامة كحاضرة للإقليم، ومن حولها عدد من الأنوية العمرانية في كل من المحرق وتوبلي والبيدع وغيرها على طول الساحل الشمالية لجزيرة البحرين وجزيرة المحرق

## ب - المرحلة الثانية :

وهي مرحلة ما بعد النفط حيث تمكن الإنسان البحريني من تطويع البيئة، وتحلية مياه البحر، ومن ثم توفير أحد مقومات العمران الرئيسية، وتغيير أنماط النشاط الاقتصادي، والتحول إلى قطاع الخدمات والصناعة، والاتجاه المتسارع نحو الحضارية التي بلغت نسبتها في البحرين ٨٨,٤٪ في عام ١٩٩١.

٢ - ترتب على النمو الحضري للمراكز العمرانية في شمال البحرين نحو المراكز العمرانية أفقياً ورأسياً نمواً متلاحقاً لتلاحم أو تكاد مكونة ما يعرف بالمجموعة المدينة.

٣ - اهتم صناع القرار بالبنية الأساسية للبحرين خاصة توفير مصادر جديدة لمياه الشرب موزعة على سواحل الجزيرة، مع إنشاء شبكة عالية الجودة للطرق تربط جميع مناطقها في نظام مروري يضمن مرونة الحركة والاتصال والأمان. شكل رقم (١٢).

٤ - واكب اكتشاف النفط تنمية اجتماعية وارتفاع في مستويات المعيشة وتغير في البناء الأنثروبولوجي للسكان خاصة مع الاهتمام الكبير بالتعليم تقبل السكان لتغيرات في النمط الجغرافي المكاني والشكلي. فقد أقبل السكان على المجتمعات العمرانية الجديدة وخرجوا من إطار المنامة وإقليمها، بل وبدأ المجتمع في تقبل السكنى في عمارات متعددة الطوابق بعد أن كانوا يفضلون خصوصية السكن المستقل.

٥ - حفز ذلك صناع القرار على التوجه نحو إنشاء مجتمعات عمرانية جديدة بعيداً عن مناطق التركيز السكاني والعمراني في الشمال وبصورة تدريجية بدأت بإنشاء مدينة عيسى على بعد نحو ثمانية كيلومترات جنوب شرق المنامة، ومن بعدها مدينة حمد على بعد نحو ٢٥ كيلو متراً جنوب غرب المنامة، ويجري الآن إنشاء مدينة زايد إلى الغرب من مدينة المنامة.

٦ - تم اختيار موضع مدينة عيسى في منطقة خالية تتوسط عدداً من المحلات العمرانية التقليدية، وبالقرب من مراكز العمران الرئيسية في شمال البحرين محاطة بشبكة جيدة للطرق السريعة. وقد تم إنشاء القسم الشمالي منها أولاً الذي ما لبث أن عمر بأكمله، ومن ثم تم استكمال خطة التنمية العمرانية حتى أصبحت المدينة مركزاً عمرانياً يضم نحو ٤٠ ألف نسمة في عام ١٩٩٦.

٧ - تعد مدينة عيسى نموذجاً للعمران الحضري المخطط تنوع فيها أنماط العمران وتوفر فيها الخدمات والمرافق، وتترابط عبر شبكة جيدة من الطرق الداخلية، بالإضافة إلى المناطق المفتوحة.

٨ - يعتبر نجاح خطة التنمية العمرانية بمثابة الضوء الأخضر للاتجاه جنوباً بعيداً عن مناطق العمران المعتادة، ومن ثم بدأ تعمير مدينة حمد في البحرين على الساحل الغربي بنمط عمراني جديد في الثمانينات بإعتباره مجتمعاً عمرانياً حَضْرِيّاً جديداً يضم ٥٣١١ وحدة سكنية على مساحة قدرها ١٣,١٢ كيلو متر مربع، وبلغ عدد سكانها نحو ٣٠ ألف نسمة حسب تعداد عام ١٩٩١.

٩ - تدل خطة التنمية العمرانية على الاتجاه نحو تعمير جزيرة البحرين بأكملها بتوجيه خطط العمران الحضري نحو الجنوب الذي مازال مخلخل السكان يخلو من المراكز العمرانية الحضرية ذات الثقل السكاني، ويساعد على ذلك التيسيرات المتاحة لتملك السيارة - وسيلة الانتقال الوحيدة في البحرين - وشبكة الطرق الجيدة بحيث يمكن الانتقال من شمال الجزيرة إلى جنوبها في زمن لا يتجاوز الساعة الواحدة.

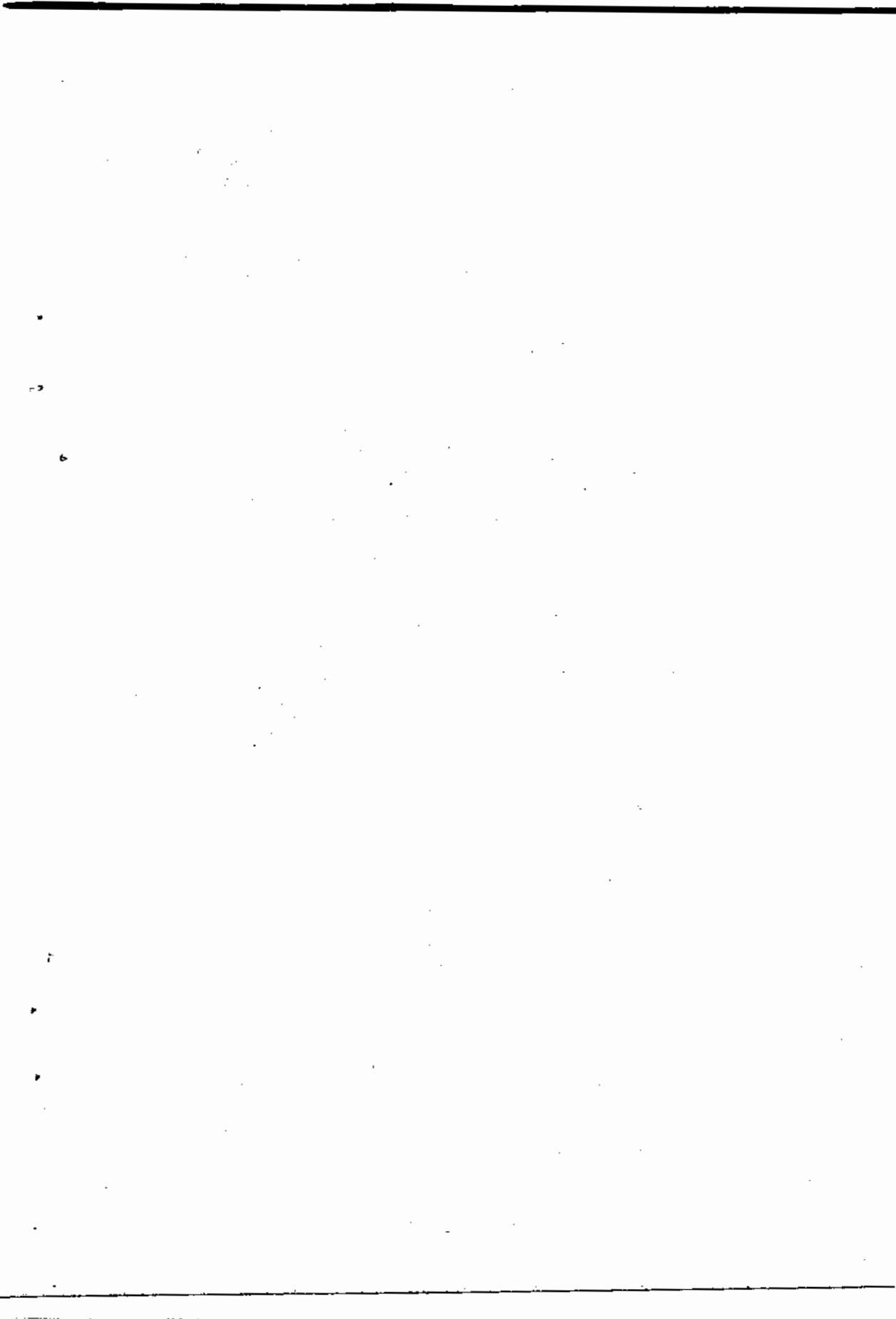


- ١١- فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٥): جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت.
- ١٢- كاســــــــــــــتللو، ف، (١٩٨٠): التحضر فى الشرق الأوسط، ترجمة أبو بكر باقادر، دار القلم، بيروت.
- ١٣- محمد السيد غلاب، يسرى الجوهري، (بدون تاريخ): جغرافية الحضر، دراسة فى تطور الحضر ومناجى البحث فيه، منشأة المعارف، الإسكندرية
- ١٤- محمد متولى موسى، محمود أبو العلا، (١٩٨٥): جغرافية الخليج وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية، مكتبة الفلاح، الطبعة الثانية، الكويت.
- ١٥- محمد شوقى مكى، (١٩٨٦): المدخل إلى تخطيط المدن، دار المريخ للنشر، الرياض.
- ١٦- محمد صبرى محسوب، (١٩٩١): جيمورفولوجية السواحل، دار الثقافة والنشر والتوزيع، الجزء الأول، القاهرة.
- ١٧- وزارة الإسكان والبلديات والبيئة، (١٩٩٧): خريطة البحرين الكنتورية، مقياس ١ : ٥٠.٠٠٠، طبعة ١٩٩١، الطبعة - ٥، لوحة رقم ١، البحرين.
- ١٨- وزارة الاسكان والبلديات والبيئة، (١٩٩٧): خريطة خورفشت إلى جنان، مقياس ١ : ١٠٠.٠٠٠، البحرين

### ثانياً - مراجع باللغة الانجليزية :

- 1 - **Berry, B. J. L., & Marble, D. F.,** (1968): Spatial Analysis, A Reader in Statistical Geography, Englewood Cliffs.
- 2 - **Carter, H.,** (1975): The Study of Urban Geography, 2nd. ed., Edward Arnold, London.
- 3 - **Civil Aviation Affairs,** (1998): Monthly Climatological Summary, Directorate of Meteorology, Climatology Section, Bahrain.

- 4 - Doornkamp, J., C., Brunnsden, D., and Jonen, D., C., (1980): Geology and Geomorphology of Bahrain, Geo. Abstract Ltd., University of East Anglia, Norwich, NR4, ITJ, UK.**
- 5 - Dziewonski, K., (1975): The Current Forms and Patterns of Urbanization, in Essays on world Urbanization, By Ronald Jones, London.**
- 6 - Freedman, J., (1975): Urbanization Planning and National Development, London.**
- 7 - g:\users\softb\essaaa\cso.dgn.Mar.02, 1999.**
- 8 - Johnston, R. J., (1978): Multivariate Statistical Analysis in Geography, Longman, London.**
- 9 - Lindsay, J. M., (1997): Techniques in Human Geography, Routledge, London.**
- 10 - Ministry of Housing, (1996): General Report on Housing and Urban Development, Celebration of UN Conference on Human Settlement, 3 - 4 June, Istanbul.**
- 11 - Paul, K., (1990): Urban Social Geography, An Introduction, Edward Arnold, London.**
- 12 - Schwirlian, K., P., (1974): Comparative Urban Structure Studied of Cities, D. C., Heath Company, London.**

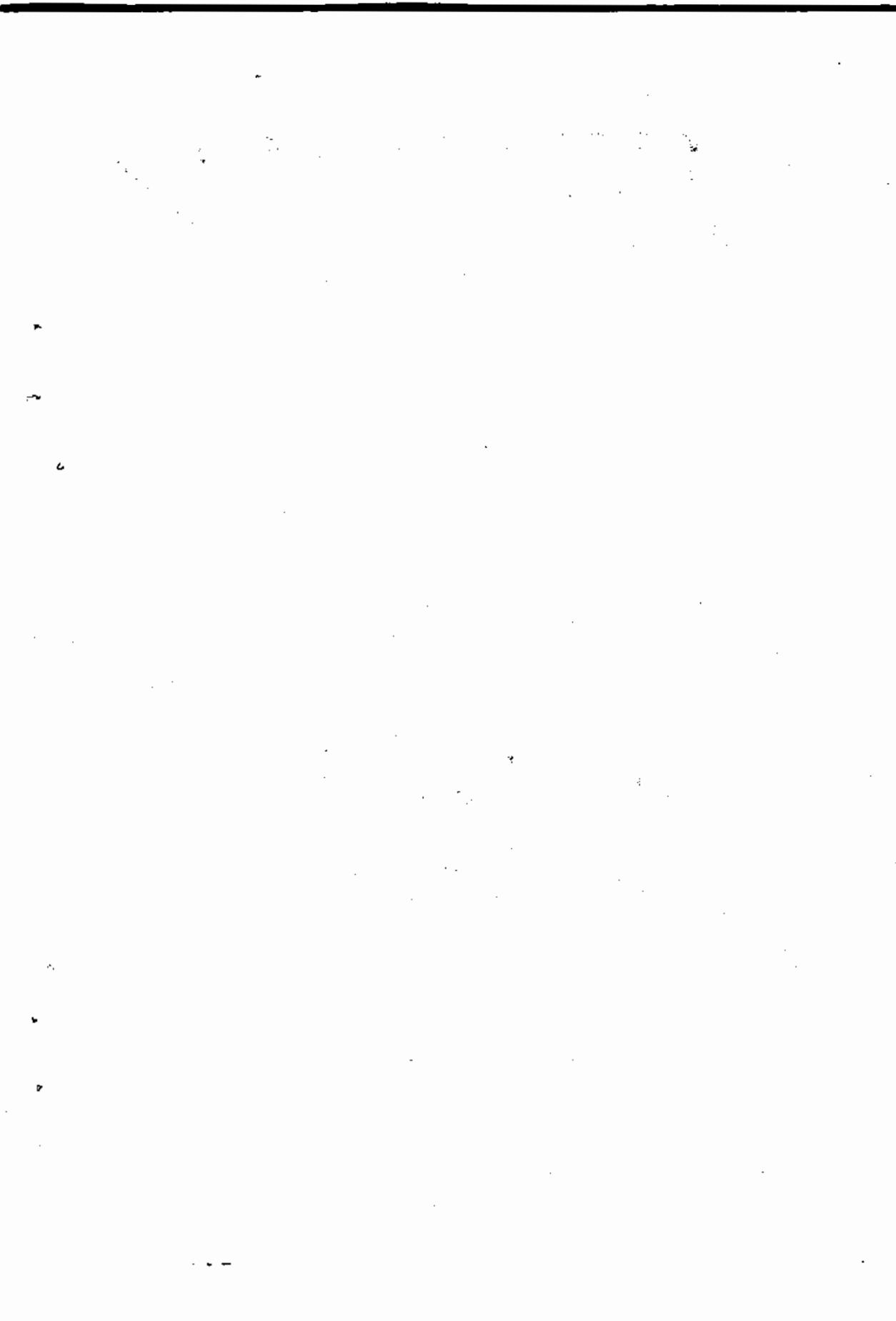


الدكتور أحمد عزت راجح  
مؤلفاته ، فلسفته ، حياته ، شخصيته

إعداد  
الدكتور

عبد الرحمن العيسوي

أستاذ علم النفس بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## إهداء خاص

إلى الأخوين الكريمين الأستاذين الجليلين :

أ.د / محمد عبده محبوب عميد كلية الآداب

أ.د / عثمان موافى وكيل كلية الآداب للدراسات العليا  
والبحوث والعلاقات الثقافية .

تقديرًا لعلمهما الغزير وفضلهما وعطائهما الفياض وجهودهما فى  
سبيل نشر العلم والثقافة الرفيعة والنهوض بحركة التنمية الثقافية . وبفضلهما  
رأى هذا البحث النور وخرج إلى حيز الوجود معبراً عن وقائهما لأحد رموز  
هذه الكلية وأقطابها وهو أ . د / أحمد عزت راجح .

المؤلف

1000

## شكر وتقدير :

يتقدم الباحث بمزيد من الشكر والتقدير والامتنان لكل من ساهم بالعون والقول والفعل فى إعداد هذه الدراسة التى تجئ تكريما لرائد عظيم من رواد هذا الجيل ومن أقدر أساتذته ، وأخص بالشكر والثناء والتقدير الأستاذ الدكتور فتحى محمد أبو عيانه عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية على ما تفضل من توجيه ومعلومات أضاعت الطريق أمامى فى الحصول على كثير من المعلومات والحقائق . كما أتوجه بالشكر للسادة الأساتذة أعضاء لجنة التربية وعلم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة ، وعلى رأسهم مقرر اللجنة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال ، وحامد زهران ، وحامد عمار ، وزين العابدين درويش ، وعبد الفتاح خجاج ، وفاروق صادق ، وفؤاد أبو حطب ، وقدرى حبنى ، ومصرى حنورة ، ويحىى الرخاوى ، ونادية جمال الدين وذلك على تفضلهم بترشيحى لنيل شرف الاسهام فى التعبير عن لمحة وفاء وتكريم لأستاذى وأستاذ الجيل الدكتور أحمد عزت راجح وغيره من الرواد ، الذين تتلمذت عليهم بطريق مباشر وغير مباشر وهم :

محمد فؤاد جلال

عبد العزيز القوصى

أسماء فهمى

مصطفى زيور

عبد العزيز السيد

سمية فهمى

صلاح قطب

إسماعيل القبانى

كما أشكر الأستاذة زينب فايز والأستاذة فريال صقر على ما أبدياه من إهتمام  
وجهد مشكور ومحمود .

وأعبر عن خالص شكرى لكل من قدم العون والرأى والمشورة فى هذا  
البحث ، وأخص السادة الأساتذة الآتى أسماؤهم :

محمد عبد المعز نصر	ياسر البولاقى
السيد محمد بدوى	طه ندا
محمد على أبو ريان	عثمان موافى
سعد زغلول عبد الحميد	منى أحمد عزت راجح (كريمة الدكتور راجح)
محمد زكى العشماوى	عصام الدين عبد الله ( زوجها )
محمد مصطفى هدارة	عمرو أحمد عزت راجح ( نجله )
حمدى محمد ياسين	عبد الفتاح محمد العيسوى
محمد جلال شرف	إيفون كمال جبران
مدحت عبد الحميد	خليل ميخائيل معوض
عزت الطويل	محمد عبد الظاهر الطيب

لكل هؤلاء ، أعمق معانى الشكر على إسهامهم الإيجابى فى هذه  
المناسبة الإنسانية التى تتجلى فيها معانى الوفاء والعرفان بالجميل والاعتراف  
بفضل روانا وأساتذتنا وعلماؤنا . ولاشك أن لهذه اللفتة الكريمة من جانب  
المجلس الأعلى للثقافة كل التقدير والإعجاب ، ونرجو أن تكون سنة يستتها  
المجلس الموقر فى تكريم باقى الرواد وفاء لفضلهم وجهدهم وعطائهم .

وبمناسبة تفضل الأستاذ الكريم والعالم الجليل الدكتور محمد عبده محجوب  
عميد كلية الآداب بالموافقة على نشر هذا البحث تكريما وتخليدا وعرافانا

بالجميل لأحد أقطاب الكلية وأساتذتها وهو الدكتور أحمد عزت راجح ، كما أشكر الزميل الكريم والأخ النبيل الأستاذ الدكتور عثمان موافى وكيل كلية الآداب على شموله لهذا البحث بالرعاية أثناء طباعته ونشره وأشكر مجلس كلية الآداب الموقر على موافقته الكريمة على هذا النشر وأود أن أشير بالشكر الخاص للأستاذ الدكتور فتحى أبو عيانه والذي أصبح رئيساً لجامعة بيروت وكان عميداً للكلية وقت إعداد هذه الدراسة .

أحمد عزت راجح :

حياته ونشأته :

هو ( الأستاذ الدكتور ) أحمد عزت راجح الذى ولد بمدينة دمياط فى ١٩٠٨/٩/٤ ، وتلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة دمياط الابتدائية ، ثم رحل مع أسرته إلى مدينة القاهرة ، حيث تلقى تعليمه الثانوى ، وفى عام ١٩٢٩ أى وهو لم يتجاوز الحادية وعشرين من عمره ، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة تخصص طبيعة . ولما كان متفوقا وحائز على المرتبة الثانية على زملائه ، فقد أوفده الدكتور طه حسين إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه فى بعثة حكومية . ومن جامعة باريس حصل على :

دبلوم معهد علم النفس للتربوى عام ١٩٣٣

وعلى درجة ليسانس أداب عام ١٩٣٤

وعلى دبلوم معهد علم النفس العام عام ١٩٣٥

وعلى دبلوم الدراسات العليا للفلسفة عام ١٩٣٦

وعلى درجة الدكتوراه فى علم النفس عام ١٩٣٨

مؤكددا بذلك نبوغه وولعه وشغفه بالعلم وبإكتساب المعرفة والاستفادة القصوى من البعثة والإقامة فى فرنسا ، حيث حصل على العديد من المؤهلات فى فترة وجيزة نسبيا مداها ٩ سنوات ، أى فى المدة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٨ . ولعل تعدد هذه المؤهلات وتنوعها كان وراء فكره الشمولى وثقافته المتعددة والواسعة .

ولقد شغل العديد من الوظائف الهامة ومنها مايلي :

- ١ - مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمات ١٩٣٨
- ٢ - مدرس علم النفس بدار المعلمين العليا ببغداد ١٩٣٨
- ٣ - مفتش علم النفس بمدارس المعلمين ١٩٤٣
- ٤ - أستاذ علم النفس للمساعد بمعهد التربية بالإسكندرية ١٩٤٦
- ٥ - أستاذ كرسى علم النفس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩٥٤

ولقد كان تقديماً منذ نشأته ، فكان أول من أقترح أسم وزارة المعارف العمومية لتصبح وزارة التربية والتعليم ، كما يرجع إليه الفضل فى إنشاء قسم علم النفس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية بعد أن كان علم النفس يدرس ضمن موضوعات قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، كما يرجع إليه الفضل فى انتشار الدراسات النفسية وتُدْعِيْهَا فى كثير من المعاهد والكليات المصرية والعربية ، فسافر معاراً إلى العراق فى المدة من ١٩٦٤ - ١٩٦٧ .

وكان يعمل بالمعهد العالى للتربية بالإسكندرية حتى عام ١٩٥٢ ، حيث نقل إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتدرج فى المناصب الجامعية حتى وصل إلى أستاذ كرسى علم النفس ورئيس قسم علم النفس بها . وكان له الفضل فى تأسيس معمل علم النفس .

ومن زملاءه الأوائل يوسف مراد ، وعبد العزيز القوصى ، ومصطفى زيور ، والمستشار محمد فتحى ، ومحمد عبد المعز نصر ،

ومحمد ثابت الفندى ، ومحمد على أبو ريان ، والسيد بدوى ، ونجيب بلدى ،  
وعلى عيسى ، وعلى سامى النشار ، وعبد الحميد صبره .  
وتوفى بالإسكندرية فى ١٩٨٠/٥/٧ ؛ أى منذ تسعة عشر عاما ؛ عن  
عمر يناهز ٧٢ عاما . ولقد ساهم فى الجامعات العربية فعمل فى العراق  
وفى السودان ؛ وتولى مسئولية التدريس فى كثير من معاهد العلم المصرية ؛  
منها كلية الآداب بالإسكندرية والقاهرة وعين شمس ومعاهد التمريض  
ومعاهد الخدمة الاجتماعية وكليات الطب الصيدلة والزراعة .

### أسلوبه وشخصيته:

كان راجح شخصية جذابة مشرقة ؛ ذات حضور إنساني إبداعا  
وفكرا ؛ وأداء لدرجة انه يعتبر من أكثر المحاضرين جذبا لانتباه الحاضرين  
وأسماعهم وإعجابهم وأكثرهم قدرة على شد الحاضرين وتشويقهم واستغراقهم  
معه وذلك لبلاغته ، وروعة أسلوبه وأدائه الصوتى ، وتمكنه من اللغة  
العربية كتابة ونطقا ومن اللغة الإنجليزية والفرنسية .. لقد كان راجح واسع  
الاطلاع يعشق القراءة والبحث عن كل ما هو جديد فى علم النفس وفى  
العلوم المتصلة به ، فكان يقرأ كل ما تقع عليه يده . لا يملئه السامع وأن  
أطال الحديث ، يستعين بالشعر وبالفكاهة وبالأمثال الشعبية فى كتاباته  
ومحاضراته كان متواضعا تواضع العلماء . فلم يعرف الكبر إلى نفسه سبيلا

كان لطيف المعشر مع زملائه وتلاميذه ، عاش محبوبا من الجميع يكره التعصبات والتكتلات والشللية فكان شخصية مستقلة تتمتع بحب الجميع ، وكانت نفسه سمحة تحتضن الجميع ، فضلا عن إلتزامه الدقيق بأداء الواجب والمحافظة على مواعيد المحاضرات . وكانت مواهبه تظهر فى اللمحة الذكية وفى التهكم والسخرية ، تلك التى كانت تستبطن رفضا داخليا لما فى عالمنا من عبث أو تفاهة . كان ناقدًا ولكن بشكل ساخر وتهكمي . كان يشعر بالظلم الذى وقع عليه فى فترات من حياته كغيره من العظماء الذين لاتخلو حياتهم من الظلم والإضطهاد . كان يضحك السامعين وهو صامت ورغم نبوغه هذا لم تخل حياته الشخصية من الصعاب .

فقد كان له دور هام فى نقل علم النفس إلى مصر ونشره ودفع المجتمع للإيمان بجداره ، فضلا عن تأسيسه لمدرسة علم النفس فى الإسكندرية والتي مازالت تثرى المكتبة العربية وحقل علم النفس فى العالم العربى والتي يشرف كاتب هذه السطور بأن يكون من بين أعضائها وأن يكون ثمرة من ثمار عطاء هذا الرجل العظيم .

فراجع من أوائل العلماء الذين أسهموا فى إدخال علم النفس فى الدراسات الجامعية . وخاصة فى كليات الآداب والمعلمين والتربية والطب والخدمة الاجتماعية والتمريض .

وكانت لغته سهلة وواضحة ورصينة ، فكانت أدبا علميا رفيع المستوى ، ولم تظهر فى أعماله فى يوم من الأيام نغمة الترجمة الحرفية أو النقل عن الغير على الرغم من أن علم النفس وافد إلى مصر .

لقد نجح فى تبسيط علم النفس وتداوله وتقريبه بإستعمال السهل الممتع والجذب والتشويق ولفت الانتباه والسخرية والتهمك وضرب الأمثال من الحياه المصرية الواقعية والفكاهة . وقد درس لكبار الشخصيات من أمثال محمد أبو ريان ، وكان دقيق النظر يشك فى صحة الأمور حتى تتحقق له .

لقد عمل راجح بقسم الفلسفة بجامعة الإسكندرية ذلك القسم الذى تتطور فى عام ١٩٤٧ ليصبح قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية . وفى عام ١٩٧٤ إنقسم هذا القسم الكبير إلى أربع أقسام مستقلة هى قسم الفلسفة وقسم الاجتماع وقسم الأنثروبولوجيا وقسم علم النفس وسبق ذلك تشعب كان من نصيب علم النفس أن يكون متحدا مع الفلسفة فى شعبة واحدة هى شعبة الفلسفة وعلم النفس ، تعبيرا عن الصلة التاريخية بين الفلسفة وعلم النفس . ويسهم علم النفس فى حل مشاكل المجتمع وما يعانیه من أزمات وتوترات وأمراض نفسية وعقلية ويقدم فهما أوضح للشخصية من الناحيتين النفسية والعقلية ( جامعة الإسكندرية فى خمسين عام ص ١٥٥ ) .

لقد كان راجح يقدم خدماته للمجتمع من خلال تدريس علم النفس ونشره .. هذا ولقد أسس معمل علم النفس الموجود حاليا بكلية الآداب والذى يسهم فى الإعداد العملى لدارسى علم النفس بالكلية وغيرها .

لقد بدأ قسم الفلسفة فى عام ١٩٣٩ برئاسة الدكتور أبو العلا عفيفى وإستمر فى التقدم بفضل توافد عدد من الأساتذة الذين إلتحقوا به منهم على سامى النشار ومحمد ثابت الفندى ، وأحمد عزت راجح ( كلية الآداب ، اليوبيل الذهبى ١٩٤٢ - ١٩٩٢ ص ٢٦ ) .

لا يعد راجح مؤسس قسم علم النفس فى الإسكندرية وحسب ، بل أنه يعد أحد مؤسسي كلية الآداب نفسها ، واستطاع راجح أن يغطى جميع المحاضرات بقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية لسنوات طويلة وحده حتى عاد من فرنسا سامى محمود على وكان اتجاه الأخير تحليليا ، فاختلف الرجلان فأثر سامى محمود على العودة إلى فرنسا وما يزال بها حتى الآن . لقد تم نقل راجح إلى كلية الآداب على يد أبو العلا عفيفى رئيس القسم فى ذلك الوقت وعميد كلية الآداب ، فحل راجح محل مصطفى زيور بالإسكندرية حيث سافر زيور إلى فرنسا لاستكمال دراسته للحصول على الدكتوراه .

لقد تميز راجح بأسلوبه " العلمى المتأدب " والسهل الممتنع ، فكان يعرض العلم فى قالب أدبى شيق وأسلوب طبع سلس ومشوق . لقد كان لانشأته فى دار المعلمين العليا أثرها القوي فى شخصيته وفى علمه وتدريبه ، فلم ينسى لحظة أنه معلم محترف . لقد قال عنه بعض تلاميذه القدامى أنه كان موسوعة متنقلة حية ، له باع طويل فى كل فروع علم النفس المزدهرة فى عهده وسرعان ما ملأت كتاباته العالم العربى فطبع كتابه " أصول علم النفس " فى أكثر من بلد عربى .

وكان راجح أول من ألف فى علم النفس الجنائى بعد المستشار محمد فتحى . وكان عطوفا على طلابه متواضعا معهم . ولم يكن يهوى الإحصاء والبحوث والتحليل الإحصائية كثيرا بقدر ما كان يهوى نشر علم النفس وتطويعه وإنزاله إلى الأرض وجعله فى متناول القارئ العادى .

أما عن طبيعة الفترة التي عاش فيها راجح وتربى وإزدهر ، فكانت في طفولته وشبابه مرحلة هدوء وإستقرار نعم بها المجتمع ، ولكنه عاصر حربين عالميتين : الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) والثانية ( ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ) فكانت فترات قلل قصوى وفي مصر عاصر أكبر حدث تاريخي وهو نشوب ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما دعت إليه من الإشتراكية وما صاحبها من إنهيار قيم أصيلة في المجتمع وإنتشار نمط من الحكم الشمولى كملت فيه الأفواه وتربى الناس على الرياء والنفاق للسلطة . أما مرحلة ما قبل الثورة فلقد كانت بالنسبة له ولغيره من الشوامخ مرحلة تنافس علمي ونبوغ وترف وإستقرار وتقدير للعلم وأصحابه . هذا العصر الذي أفرز أم كلثوم ونجيب محفوظ ويوسف مراد وعبد العزيز القوصي وعبد الوهاب ومحمود قاسم ومصطفى زيور وغيرهم من الرواد والشوامخ .

ولقد كان راجح مغرما بالشعر والاستعانة به لتوضيح ما يريد نقله للقارئ .. ففي وصف حيلة الإسقاط يقول :

نعيب زماننا والعيب فينا .. وما لزماننا عيب سوانا

( أصول علم النفس ص ٥٥٨ ) .

وفي تأثير الحالة النفسية في عملية الحكم يقول :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة .. وعين السخط تبدى المساويا

وفي شرح تأثير الحالة الجسمية على عملية الإدراك الحسى يقول نقلا عن

أبي الطيب :

ومن يك ذا فم مر مريض .. يجد مرا به الماء الزلالا

## معالم علم النفس عند أحمد عزت راجح

لقد جاء فى الطبعة الحادية عشر لكتابه " أصول علم النفس " الصادر عن دار المعارف بمصر فى عام ١٩٧٧ وهو مجلد ضخم يقع فى ٦٠٧ صفحة جاء فيه أن لهذا الكتاب هدفين :

الأول نظرى لاستعراض المبادئ والنتائج الأساسية التى أسفرت عنها بحوث المدارس السيكولوجية المعاصرة على اختلافها ، وكذلك الجمع بين آراء هذه المدارس إزاء الموضوع الواحد ، دون إنحياز إلى إحداها ، فالأمور تزداد وضوحا حين تسلط عليها الأضواء من أكثر من جانب . وقد بدأ هذا واضحا فى معالجة موضوعات الدوافع والإدراك والتعلم وقياس الشخصية ( ص ٥ ) ويكشف ذلك بوضوح عن إتجاه راجح فى الاعتماد ، فيما يستعرضه ، على البحوث ونتائجها التى كانت تسيطر على الفكر السيكولوجي قبل إستقلاله عن الفلسفة ، كما يبدو ذلك مثلا بكتابات وليم جيمس وغيره كهنرى برجسون . كذلك يتضح أن منهج راجح كان منهجيا شموليا يتناول بالعرض والتحليل آراء مختلف المدارس والاتجاهات السيكولوجية ، فلم يقصر نفسه فى إطار مدرسة بعينها ، كالمدرسة السلوكية أو التحليلية أو مدرسة الجشطالت مثلا . فلم يكن منحازا لأى من مدارس الفكر السيكولوجي على الرغم من هضمه واستيعابه الجيد لتفاصيل وأراء ونظريات كافة المدارس على قدم المساواة . وذلك إيمانا منه بأن الأمور التى يتصدى لإستعراضها إنما تزداد وضوحا عندما تسلط عليها الأضواء من مختلف الزوايا والاتجاهات وعندما ينظر للموضوع الواحد كالدوافع مثلا من

زوايا ورؤى السلوكية والتحليلية والجشطات . وراجح حين يكتب لم يكن ينسى أنه ، فى المحل الأول ، أستاذ ومعلم ، وليس داعية لفكر أو لمدرسة بعينها ، بحيث يحجب الرؤى المختلفة عن طلابه ، وإنما كانت تدفعه أستاذيته وأمانته العلميه أن يعرض لمختلف الاتجاهات والتيارات للسيكولوجية إككاما لفهم الطالب وتنوع فكره وشمول معرفته بالتراث العلمى للسيكولوجى تاركا الحرية للطالب لى يختار المنحى الذى يرغب فيه . ولعل من ينحازون لمدرسة واحدة من مدارس الفكر السيكولوجى يقتصر فهمهم واستيعابهم على هذه المدرسة دون غيرها . ولكن راجح كان يمتاز بسعة الأفق وسعة الاطلاع وعمقه . ولم يبخل بذلك على قرائه وتلامذته ، فجلبت كتبه معبرة عن فلسفته التربوية الشمولية . كما يكشف ذلك عن قدراته على مقارنة الفكرة بالفكرة فى أطر مختلفة . وعلى التحلى بالموضوعية العلمية والحيدة الفكرية ، وهو وإن كان يستعرض كل الآراء لم يكن مجرد ناقل أو شارح ، وإنما كان يبدي رأيه الشخصى ، ويعبر عن خبراته فيما يعرض من آراء . فكان عرضه يتسم بالنزعة النقدية وليس مجرد السرد الآلى .

ويستطرد راجح فى شرح أهدافه من وضع كتاب "أصول علم النفس" فيقول أن الهدف الأول ، وإن كان هدفا نظريا ، فإن الهدف الثانى هدف تطبيقي عبارة عن تزويد القارئ بطائفة من المعلومات والمبادئ تعينه على الاستبصار فى نفسه وفهم غيره ، كما تعينه على حل مشكلاته اليومية ومعونته على المحافظة على صحته النفسية ، وفى الكتاب ما يعين الوالد على معاملة ولده ، والطالب على تحصيل دروسه ، والمعلم على أداء رسالته ، والأخصائى الاجتماعى على مساعدة الناس على حل مشكلاتهم .

وفيه ما يحتم على الطبيب أن ينظر إلى "سريض نظرة كلية شاملة، تهتم بالجانب النفسي والاجتماعي من الإنسان قدر اهتمامها بالجانب الجسمي.. ذلك أن الإنسان وحدة جسمية نفسية إن اضطرب جانب منها اضطربت له الوحدة كلها " ص ٥ " محاولة من راجح في مساعدة القارئ ، على توظيف ما يكتسبه من المعلومات النفسية الواردة في مؤلفه ، تتمثل في فهم ذاته واستبصارها وادراك حدودها وأوجه القوة والضعف فيها ؛ الى جانب مساعدته على حل ما يجابهه من المشكلات اليومية وذلك ، بالطبع ، بأسلوب علمي وموضوعي . فلقراءة علم النفس فائدة وقيمة ذاتية لمن يطالعها وفي الدعوة للمحافظة على صحة الإنسان ضرب من " الإرشاد الذاتي " وإلى جانب فهم الإنسان لذاته ذلك الفهم الذي يعد أساسا لفهم الإنسان لغيره ، فإن علم النفس يساعد جميع طوائف المجتمع كالآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والطلاب والأخصائي الاجتماعى والطبيب . ولعل هذه الدعوة التى بدأها راجح كانت النواة التى أثمرت على أيدي كبار أئمة علم النفس فيما بعد والذين طالبوا مشكورين بتعيين أخصائي نفسى فى كل مدرسة على مختلف مستويات التعليم ومراحله . تلك الدعوة المباركة التى بدأت بالفعل فى وزارة التربية . وتمتد هذه الدعوة إلى ميادين أخرى لتعيين أخصائي نفسى فى كل تجمع بشرى أو إنسانى كالمصنع والشركة والبنك والنادى والنقابة والجمعيات الشبابية وغيرها وذلك لتوفير الرعاية والوقاية والعلاج لمن يحتاجها . ويشرف كاتب هذه السطور بأن يكون من دعاة تعيين أخصائي نفسى فى كل تجمع بشرى ..

كان راجح سباقا إلى هذه الدعوة ، التي تبدأ من استفادة القارئ نفسه ثم استفادة أصحاب المهن والتخصصات الأخرى كالمهندس والمدير والمشرف والملاحظ والرئيس . وهنا يمكن القول بحق ، أن راجح أخرج علم النفس من معامله ومختبراته إلى الحياة الواقعية إلى عمق المجتمع ، وفي داخل الأفراد أنفسهم . فإذا كنا نقول أن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض حيث درس الأخلاق ، فإننا نقول أن راجح أخرج علم النفس من معامله إلى واقع حياة المجتمع وأفراده . كان يسعى لغرس الحس السيكولوجي أو الوعي السيكولوجي أو البصيرة السيكولوجية .

وحين ينادى راجح الطبيب بأن تكون نظرتك إلى مريضه نظرة كلية شمولية تتناول كافة عناصر شخصيته الجسمية والنفسية والاجتماعية ، إنما يكون بذلك قد سبق تلك النزعة التي ظهرت فيما بعد والتي تعرف بإسم "الطب الكلي" ونزعة " طب المجتمع " . لقد أكد راجح على أهمية العنصر النفسى فى شخصية المريض ولم يكن ذلك على حساب اهتمامه بالجانب الجسمى ، وإنما كانت دعوته شمولية بحيث يعطى الطبيب إهتمامه لكل من النفس والجسم ، منكرًا بذلك بحقيقة هامة تزداد أهميتها ووضوحها يوما بعد يوم وهى الوحدة القائمة بين نفس الإنسان وجسده تلك الوحدة المتفاعلة والتي باتت تؤيدها وتدعمها مجموعة الأمراض السيكوسوماتية تلك التي تتجم عن تفاعل قوى الإنسان النفسية مع قواه البدنية ، إذ تنشأ هذه المجموعة من الأمراض من أسباب نفسية كالقلق ، بينما تتخذ أعراضها شكلا جسيما تلك الأمراض التي أخذت فى الانتشار فى أيامنا هذه ومنها ضغط الدم المرتفع

والقرح والسمنة والربو وبعض أمراض الدورة الدموية وبعض الأمراض الجلدية وبعض أمراض الأسنان واللثة .

لقد كان راجح من أوائل الذين يدعون إلى نشأة أو تأسيس " علم نفس عربي " تتبع حقائقه ووقائعه ومكتشفاته من واقعنا العربي والإسلامي وتأتي نظرياته عربية خالصة معبرة عن الشخصية العربية والثقافة العربية والحضارة العربية . ولم يكن راجح قانعا بمجرد نقل التراث السيكولوجي إلى القارئ العربي عن الدراسات الأوربية والأمريكية ، وإنما كان يسعى جاهدا أن يصبغ كل ما يقوله بالصبغة العربية وأن يضرب الأمثلة من واقعنا العربي ، وأن يمزج بين الفكر الغربي والعربي ، ولم يكن مجرد ناقل للتراث، وإنما كان دائما يضيف من عنديته على كل هذه الحقيقة بقوله والكتاب يزخر بكثير من الأمثلة الواقعية المستمدة من بيئتنا ومن غيرها ، وهي أمثلة تقرب المعنى إلى القارئ ، وتثبت في ذهنه ، وتعينه على رؤية العلاقات بين كسوف علم النفس وفروضه وبين ما يجري في الحياة اليومية من أحداث " ص ٥ " .

وراجح ، وإن كان يقصد من سرد الأمثلة العربية تقريب المعنى في ذهن القارئ وتطبيق القارئ لما يقرأ من مبادئ وحقائق ونظريات في الحياة الواقعية ، فإن هذه الدعوة ، أصبحت تقام لها المؤتمرات وتعقد لها الندوات للمطالبة بتأسيس علم نفس عربي . للعلم قيمة زائدة إذا أمكن تطبيقه على حياة الفرد والمجتمع . وإذا أمكن استخدامه في تعديل سلوك الإنسان ، ذلك هو العلم النافع والهادف والتطبيقي . هذا هو جوهر التعلم وهو تعديل سلوك الفرد إلى ما هو أفضل .

لقد كان راجح يستهدف من وراء كتبه تعديل سلوك القارئ .

وفى سعيه لصبغة علم النفس بالواقع العربى لم يكن راجح متعصباً لعرويته ، وإنما كان منفتح الذهن واسع الصدر فهو يسرد الأمثلة من الواقع العربى جنباً إلى جنب مع الأمثلة المستمدة من التراث الغربى وفى ذلك فرصة لعقد المقارنات للدراسات غير الحضارية . وتوكيدا وإهتماماً بالنزعَة التجريبية فى علم النفس يسرد راجح مجموعة من التجارب العلمية التى أجريت فى مختبرات علم النفس فى مصر وخارجها ، والتى من شأنها أن تفرق بين الرأى والحقيقة ، وتفصل بين الشائع والواقع ، وتبين إلى أى حد يعمل هذا العلم الناشئ على أن يحنو حنو العلوم الطبيعية الأخرى " ص ٥ " حيث يعرض كثيراً من التجارب العلمية التى أجريت فى مختبرات علم النفس فى مصر وخارجها . وكان يرى أن التجربة هى التى تفرق بين مجرد الوأى الشائع وبين الواقع المادى المحسوس . للتجربة الكلمة النهائية والحاسمة فى الفصل بين الأراء . ترسيخاً للاتجاه التجريبى فى علم النفس فى مصر ، مؤكداً أن علم النفس يحنو حنو العلوم الطبيعية الأخرى التى تنتهج المنهج العلمى أو التجريبى وهو المنهج السائد بعد أن انفصل علم النفس عن " أمة " الفلسفة التى كانت مستودع كل العلوم فى وقت من الأوقات .

## منهج راجح فى الربط بين موضوعات علم النفس المختلفة :

لقد كان راجح شديد الحرص لا على ربط العلم بواقع الحياة وبحياة الفرد وحسب ، وإنما كان شديد الحرص على ربط مختلف موضوعات علم النفس بعضها بعضا تعبيرا منه عن الفهم العميق لمختلف موضوعات علم النفس وتوكيدا لما يوجد بينها من علاقات وصلات وتأثير متبادل أو تفاعل بين مختلف العمليات العقلية والسيولوجية التى تدور رحاها داخل الإنسان . فكان ينظر لعلم النفس على أنه وحدة وموضوعاته نظرة كلية شمولية ، ولذا جاء كتابه " أصول علم النفس " معبرا عن وحدة علم النفس وتماسك موضوعاته وتفاعلها . وفى هذا الصدد يقول راجح :

" ومما عملنا على مراعاته الربط بين موضوعات الكتاب المختلفة ، ذلك أن المعلومات المتناثرة غير المنظمة وغير المترابطة لا قيمة لها ؛ ولا يمكن أن تسمى " معرفة " وهى لا تصبح ذات معنى وقيمة إلا إذا تكاملت وتآلفت فى صيغة واحدة . أما أن ظلت فرادى مستقلة كما هى عليه كسانت كأجزاء الإناء المكسور حين تلصق جنبا إلى جنب كيفما اتفق فلا تلبث ان تتطاير من أول صدمة . من ذلك ما بيناه من الصلة الوثيقة بين الدوافع والعمليات العقلية ، وبينهما وبين الصحة النفسية للفرد . فدوافعنا تؤثر فيما ندركه وفيما نتذكره وفيما نتعلمه وفيما نفكر فيه وفى تكوين شخصياتنا . ولئن أحبطت دوافعنا القوية بصورة موصولة إهتزت شخصياتنا أو اضطربت . ومن ذلك أيضا الربط بين موضوع التعلم وسائر العمليات العقلية .

وكذلك الربط بينه وبين إكتساب الدوافع وتكوين الشخصية والذكاء .  
 وحين يحرص راجح على أن يأتي كتابه وحدة واحدة متماسكة  
 مترابطة ، فإنما يعبر عن تأثره بفكرة الشمولية أو الكلية التي تنحدر من  
 مدرسة الجشطالت " مدرسة الصيغ " . وأن الأجزاء المتناثرة لأمعنى لها فى  
 حد ذاتها ، وإنما هى تكتسب معناها ومغزاها ومدلولها ووظيفتها من الكل  
 الذى يحتويها ومعبرا عن فهمه وتطبيقه لمبادئ وشروط التحصيل الجيد  
 وقوانين الإدراك الحسى وعلى وجه الخصوص قانون الترابط . والحقيقة أن  
 جميع موضوعات دراسة علم النفس مترابطة وليست مستقلة بعضها عن  
 بعض شأنها فى ذلك شأن الانسان الذى تتخذ منه موضوعا لدراستها ،  
 فالإنسان وحدة نفسية جسمية اجتماعية روحية أخلاقية متفاعلة .

ولاينسى راجح أنه أديب ، فيصنع حقائق علم النفس ومنجزاته  
 ومكتشفاته الأدبية ، فيستخدم الاستعارة والمجاز والتشبيه والتضاد ومختلف  
 المحسنات البديعية ( إن ظلت فرادى مستقلة كما هى عليه كانت كأجزاء  
 الإناء المكسور حين تلتصق كيفما إتفق .. ) ووفقا لما يستعرضه راجح  
 من وجوه الترابط بين موضوعات علم النفس المختلفة إرتباط دوافع الإنسان  
 الشعورية واللاشعورية والفطرية والمكتسبة والسوية والشاذة بما يلى :

- |                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| أ - الإدراك الحسى         | د - عملية التعلم            |
| ب - تكيف الفرد النفسى     | هـ - عملية التفكير والتخيل  |
|                           | والتصور والإبداع            |
| ج - عملية التذكر والنسيان | و - بناء الشخصية وما يصيبها |
|                           | من اضطراب                   |

كذلك يربط راجح بين موضوع هام من موضوعات دراسة علم النفس وهو التعلم وبين كثير من العمليات الأخرى .. من ذلك :

- ١ - التفكير ٨ - الحكم
- ٢ - التخيل ٩ - المقارنة
- ٣ - الإدراك ١٠ - الاحساس
- ٤ - التذكر ١١ - اكتساب الدوافع المكتسبة
- ٥ - التعميم ١٢ - تكوين الشخصية عن طريق التعلم
- ٦ - التمييز ١٣ - استخدام الذكاء أو توظيفه
- ٧ - التجريد

وإذا كنا نسمع اليوم فى الأوساط الطبية بما يعرف باسم " الطب الكلى " وهو ذلك الاتجاه من الطب الذى يهتم بالإنسان ككل ولا ينظر فقط لجانب واحد أو لعرض واحد من الأعراض التى قد يشكو منها المريض .. فالمريض الذى يعانى من وجود خراج فى يده ، لا ينظر الطبيب إلى ذلك الخراج فقط بمعزل عن كل عناصر شخصية المريض وظروفه ، وإنما ينظر للمريض نظرة كلية شمولية تتناول كل جوانب شخصيته . إذا كنا نسمع ذلك فى مجال علم الطب ، فلقد سبق راجح هذا الاتجاه ودعا إليه وطبقه فى كتبه فى مجال علم النفس بحيث نستطيع أن نقول أن راجح هو " مؤسس علم النفس الكلى " أو الداعى إليه .

وعلى ذلك فإن من يتخصص فى التعلم مثلا لا ينبغي إلا يلم بالصحة النفسية مثلا أو بالشخصية .

ويطبق راجح فى وصفه معظم مؤلفاته مبادئ التحصيل الجيد ، فهو حريص على تزويد كل باب من أبواب كتبه بطائفة من الأسئلة والتمارين التى يمتحن بها القارئ نفسه فى مبلغ ماحصله ووعاه ، فخير طريقة للمراجعة هى الاجابة على أسئلة تتصل بالموضوع (ص ٦) . مؤكداً بذلك مبدأ " التسميع الذاتى " فى تجويد التعلم وعلاج مواطن الضعف فى تذكر أو فى تعلم الفرد وتدعيم مواطن القوة عنده وذلك أولاً بأول . فلم يكن ما يورده راجح من حقائقه مجرد حقائق جوفاء صماء خاوية من التطبيق ، بل كان يطبقها فى مؤلفاته وفى تدريسه .. وبذلك ربط بين النظر والتطبيق ، ولم يقتصر ما يورده بقصد المراجعة على الأسئلة التذكيرية وحسب بل كانت تتضمن تمارين عملية مشجعاً بذلك القارئ على التدرب على إجراء التجارب البسيطة بنفسه فى مجال ما يقرأ من موضوعات . وأخيراً يذيل الكتاب بمعجم انجليزى عربى لمصطلحات علم النفس تيسر الأمر على من يقرأ مراجع انجليزية .

### الاتجاه الموسوعى فى فكر راجح السيكولوجى :

كان راجح شمولياً وموسوعياً فى إنتاجه العلمى وفى نشاطه العلمى التدريسى ، فلم يقصر نفسه فى جانب واحد من جوانب علم النفس النظرية والتطبيقية المختلفة ، وإنما اهتم بكل جوانب علم النفس وموضوعاته ، وخير دليل على ذلك ما تضمنه كتابه الموسوعى " اصول علم النفس " فلقد عالج فيه الموضوعات الآتية :-

١ - موضوع دراسة علم النفس وفروعه المختلفة ومدارسه كالمدرسة

السلوكية ، والسلوكية الجديدة ، والمدرسة الغرضية ، ومدرسة التحليل النفسى ، ومدرسة الجشطالت .

٢ - مناهج البحث فى علم النفس ولاسيما المنهج العلمى ذلك المنهج القائم على دعائم الملاحظة والتجربة والموضوعية ، وأنواع البحوث فى علم النفس ، كالبحوث الكشفية والوصفية والتحليلية والتجريبية ومنهج الاستبطان والمنهج الاكلىنىكى واستخدامات الاحصاء فى علم النفس .

٣ - دوافع السلوك وتعريفها وأنواعها والحافز والغاية والباعث والحاجات والرغبات والأغراض والأهداف والأفعال المنعكسة مع الاشارة إلى الدوافع الفطرية والمكتسبة والدوافع الاجتماعية واللاشعورية والانفعالات . وعلى وجه الخصوص موضوع من أهم موضوعات الساعة وهو " الأمراض السيكوسوماتية " ونشأتها عند التعرض للانفعالات الطويلة والحادة .

٤ - العمليات العقلية وتشمل الانتباه والادراك الحسى والتعلم نظريا وتطبيقيا وإبتكار والنسيان والتفكير والاستدلال والابتكار .

٥ - الذكاء والاستعدادات والفروق الفردية والاسباب الوراثية والبيئة التى ترجع إليها هذه الفروق بين الأفراد ، وطرق قياس الذكاء واختباراته وكذلك دراسة الاستعدادات .

٦ - الشخصية ، من حيث بناؤها وطرق الحكم عليها والعوامل المؤثرة فى نموها وتكوينها وتعديلها .

٧ - الصحة النفسية وما أسماه بالأزمات النفسية وصراع الدوافع والحيل الدفاعية والأمراض النفسية والعقلية . ويتحدث فى هذا الصدد عن الهستيريا ، والنساوة ، والتوهان ، والتجوال النومى ، وعصاب الوسواس ، وعصاب

تلقى ، ويستعرض من الأمراض العقلية الفصام والذهان الدورى . ومن الأفكار الجيدة التى أهتم بإبرازها راجح مجموعة العوامل السببية المؤدية إلى المرض العقلى والتى قسمها إلى :-

(أ) مجموعة العوامل المهيئة أو الاستعدادية التى تهىء وترشح الفرد للإصابة بالمرض العقلى وتشمل العوامل الوراثية وخبرات الفشل والاحباط والقسوة والاهمال .

(ب) مجموعة العوامل المهيئة أو المعجلة ، بظهور المرض أو العوامل المفجرة ، وهى غير العوامل الممهدة للإصابة بالمرض أو الاستعدادية .. من تلك الافلاس أو خيانة الزوجة أو فقدان الوظيفة أو الفشل فى الحب .. وهى للعوامل المباشرة التى يحدث على أثرها الانهيار فوراً .

كذلك يتحدث عن العلاج النفسى وفقاً لمنهج التحليل النفسى و " العلاج النفسى المعقود " على المريض والعلاج السلوكى بالايحاء والعلاج الجماعى . ثم يتحدث عن الآثار أو النتائج التى تنتج عن ممارسة العلاج معبراً عن نظرة تقويمية لعملية العلاج النفسى .

ويختتم كتابه بفصل حول مبادئ الصحة النفسية متضمناً بعض التوصايا والارشادات التى تؤدى إلى تمتع الفرد بالصحة النفسية والعقلية للجيدة .. من ذلك :-

أ - تنوير الآباء والأمهات أو ما نعبر عنه اليوم بالرعى النفسى أو الثقافة النفسية تلك التى أصبحت موضوعاً لمجلة عربية تصدر فى لبنان الشقيق .

ب - أسس التربية النفسية السليمة .

ج - معاملة المراهق .

د - تحاشى أساليب التربية الخاطئة ومنها القسوة الزائدة والنبذ أو الطرد والتراخى والتدليل والتذبذب فى المعاملة والتكهنف الزائد والقلق الزائد على الطفل . والشجار بين الوالدين ، ودور المدرسة الجيد فى الوقاية والعلاج من اصابة تلاميذها بالاضطرابات النفسية ، ودور العيادات النفسية .

هذا الكتاب يجمع بين أهم الموضوعات النظرية فى علم النفس كدراسة الدافعية والادراك الحسى ومناهج البحث فى علم النفس وبين الجوانب التطبيقية العملية كالتعلم والتذكر والنسيان والقياس والاستدلال وتعديل الشخصية وبنائها وإلى جانب ذلك يتضمن الكتاب الموسوعى العلاج والارشاد والنصح والتوجيه للفرد نفسه وللمعلم وللوالدين وللمجتمع بصفة عامة .. فالكتاب ليس كتابا واحدا وإنما هو دائرة معارف فى علم النفس العربى الحديث .

**مفهوم الصحة النفسية فى فكر راجح :**

لم يكن اهتمام راجح قاصرا على موضوعات علم النفس العام ، وإن كان كتابه الموسوعى ظل المرجع الرئيسى فى علم النفس فى مختلف ربوع عالمن العربى لفترة طويلة ، أدت إلى إعادة طباعته مرات عديدة ، ورغم ذبوع صيت هذا الكتاب وسمعته الطيبة ، إلا أن لراجح مؤلفا آخر فى مجال الصحة النفسية والعقلية ، هو " الأمراض النفسية والعقلية : أسبابها وعلاجها وأثارها الاجتماعية " صدرت طباعته الأولى فى عام ١٩٦٤ أى منذ أكثر من ثلاثين عاما عن دار المعارف بمصر ، فما الذى كان يقصده من وراء نشره

وماهى أهدافه من وضع هذا المؤلف وما هى أهم الموضوعات التى عالجه  
منهجه فى معالجتها. الكتاب أقل حجماً نسبياً عن كتاب "أصول علم النفس"  
يُقع فى ٣٣١ صفحة من القطع المتوسط .

وكانه كان يستطلع المستقبل المظلم الذى يعيشه مرضى الأمراض  
العقلية فى هذه الأيام ، وما كشفت عنه معاملاتهم فى مستشفى الخانكة  
والعباسية من الإهمال والبؤس والشقاء .. بل والتعذيب والقتل وهتك العرض  
والاستغلال والابتزاز فضلاً عن الحرمان والقسوة والمعيشة وهم شبه عراة  
حفاة .. بل ما كشفت عنه بعض التحقيقات من أن موظفى المستشفى  
يؤجرون المرضى من الأناث خدماً فى المنازل ويتقاضون هم أجورهن ..  
رق أبيض فى القرن العشرين !!

وفى هذا الصدد يستهل راجح كتابه قائلاً : " كثر الحديث فى  
الأمراض النفسية والأمراض العقلية ، وتطلع الناس إلى علم النفس يلتمسون  
منه الإجابة على كثير مما يتصل بنشأة هذه الأمراض وعلاجها . وكان  
تساؤلاً لايقوم على حب الاستطلاع والحاجة إلى المعرفة بقدر ما يقوم على  
القلق من ذبوعها والقصور فى شفاؤها " .

والواقع أن ما تتبأ به راجح وما تخوف منه قد حدث بالفعل ، فلقـد  
زاد انتشار الأمراض النفسية والعقلية من ناحية وتبين القصور فى شفاؤها من  
ناحية أخرى .

ويحدد هدفه من وضع كتاب " الأمراض النفسية والعقلية " فى  
الإجابة على عدد من التساؤلات العلمية النابعة من استقراء التراث التاريخي  
فى علم النفس ، فهناك ، فى طيات هذا التراث ، من يقول أن هذه الأمواض

وليدة حضارة العصر ، تلك الحضارة التي تتسم بالتعقيد والتشابك والتنافس والتناحر والتطاحن والصراع والحرمان والسرعة .. تلك الحضارة التي وإن كانت قد أمدت الانسان بكثير من المقومات المادية والتكنولوجية التي سببت له كثيرا من وجوه الراحة ، قد وضعت في موقف لا يحسد عليه من الناحية النفسية بما احتوته من صراع وقلق وتوتر وطمع وجشع . ويسود ، في التراث العلمي أيضا ، رأى مغاير لذلك ، مؤداه أن هذه الأمراض وتلك العلة موجودة منذ القدم وغاية الأمر أن تقدم وسائل الفحص والتشخيص والتدقيق هي التي كشفت عنها الآن .

ولذلك يتساءل راجح في هذا المجال قائلا " أكانت هذه الأمراض في طي الخفاء حتى كشفت عنها الطرق الحديثة في الفحص والتحليل ، أم أنها توابك الحضارات المعقدة التي تزيد من أعباء الانسان المادية والمعنوية بما لا يحتمله كثير من النفوس ؟ " .

ويستهل كتابه بطرح عدة تساؤلات منها :-

١ - مم تنشأ هذه الأمراض بمعنى ما هي أسبابها أو العوامل المؤثرة في نشأتها وبذلك يتعرض راجح لواحد من مباحث الطب وهو مبحث الاليتولوجيا أى بحث أسباب نشأة المرض .

وبالطبع يقود هذا التساؤل إلى بحث الأسباب الوراثية والأسباب البيئية المكتسبة والمؤدية لنشأة الأمراض العقلية والنفسية .

٢ - كيف تنشأ هذه الأمراض بمعنى تطورها وسيرها .

٣ - ولم تكون من حظ بعض الناس دون بعض ، اشارة بذلك إلى ماقد يوجد بين الناس من فروق فردية .

٤ - هل من الممكن علاجها ؟

٥ - على يد من تعالج هذه الأمراض ؟

فالكاتب مبحث في أسباب الأمراض وتشخيصها وعلاجها . ويقرر راجح أن كتابه محاولة للإجابة على هذه الأسئلة بأسلوب يرضى المختص في علم النفس ولايشق على غيره .. أنه محاولة لإلقاء الضوء على النفس الإنسانية حين يطيش بها المرض فيكون مانعا لها من حقها في الطمأنينة والسلام ومن واجبها في بذل الجهد والتعاون والسير على سواء السبيل " .

و حين يشير راجح إلى أسلوبه في الكتابة ومعالجة موضوعاته فإنه أسلوب يرضى المختص في علم النفس وفي ذات الوقت لايشق على غيره من غير المختصين ، إنما يعبر بذلك عما كان يمتاز به من عبقرية الأسلوب والابداع والقدرة الفائقة على حسن التعبير وجمال العبارة وسلاسة الأسلوب ورقية وسهولته ووضوحه وجلانه وروحه العربية البلاغية . لقد كان راجح صاحب قلم فياض وأسلوب ممتع . لقد امتلك ناصية اللغة العربية وأحكم فهمها واستوعب مفرداتها وتعبيراتها . فمزج الحقائق العلمية بالآداب وأذابتها في صيغ أدبية جميلة فأستخدم الشعر والمحسنات البديعية والأمثال والأقوال المأثورة وأجزاء من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف وغير ذلك في أسلوبه . وبذلك وفر للقارئ متعة القراءة وفي ذات الوقت وسع من دائرة الافادة من كتبه ، وجعل في متناول القارئ غير المتخصص فهمها واستيعابها ، محققا بذلك " شعبية علم النفس " وزيادة انتشاره وسهولة تناوله ، خاصة وأنه علم حديث منقول إلينا عن الغرب ولم يكن قد استقر في العربية بعد . وكانت معظم الكتابات يغلب عليها طابع الترجمة وفي كثير من

الأحيان الترجمة الحرفية عسيرة الفهم ، وبذلك نستطيع أن نقول أن راجح قد " عرب " علم النفس ومصره ونشره بين قطاعات أوسع من مجرد دائرة المتخصصين فيه . وهذه مهمة جليلة لأن علم النفس ، علما وافدا وجديدا ، كان يلقي كثيرا من المقاومة والرفض كالثان مع كل جديد من عناصر الثقافة ، ولكن نزول علم النفس إلى القاعدة الشعبية وتطويعه ليفهمه أبناء المجتمع عامة كان من عوامل إيمان هذا المجتمع وسلطاته بقيمة علم النفس ودوره فى حياة المجتمع وبالتالي ايجاد أماكن للعمل لحملة مؤهلاته . ذلك لأن من أقوى وسائل الاقتناع الفهم . وبذلك لم يهتم راجح بنشر كتبه ومخاطبة المختصين فى علم النفس وحدهم ، وهم قلة فى زمانه ، بل كان يسعى للمخاطبة الرجل العادى توسيعا لرسالة علم النفس وابرازا لدوره فى المجتمع داعيا الطبيب والمعلم والاختصاصى الاجتماعى والمدير والأب والأم لقراءته . والكتاب محاولة جادة وناجحة فى إلقاء الضوء على النفس الانسانية حين يضييها المرض ويحرمها من الطمأنينة والسلام . ومعنى ذلك أن راجح كان ينادى بما يمكن أن تسميه اليوم " السلام النفسى " إذا كان هناك مايعرف باسم السلام الاجتماعى ، ويعتبره حقا من حقوق النفس ، أن تعيش متمتعة بالسلام والطمأنينة . وحين يقرر أنه من واجب الإنسان أن يبذل الجهد ، وان يتعاون ، وأن يسير على الطريق السوى أو على سواء السبيل . مؤدى ذلك أنه كان يرى أن لعلم النفس دورا فى تحقيق الامتثال لقيم المجتمع ومعاييرهِ ومثله العليا وأنماط السلوك فيه وما يترتب على الامتثال من التكيف النفسى والاجتماعى ومن التماسك الاجتماعى.

0

1

2

3

4

5

عمله فى وقت ارتكاب الفعل . أما لجنون أو عاهة فى العقل ، وإما لغبوبة ناشئة عن عقاقير مخدرة أيا كان نوعها إذا أخذها قهرا أو على غير علم منه بها".

أما الصحة النفسية فتتصل اتصالا مباشرا بعلم الطب وممارسته ، فيما يتعلق بإجراءات الفحص والتشخيص وفى تحديد قدرات المريض وذكاؤه وأمراضه . وبناء على هذه الصلة ظهرت كتابات كثيرة فى علم النفس الطبى من بينها الإسهامات المتواضعة التى قام بها كاتب هذه السطور فى مجالات القانون والقضاء وعلم النفس الطبى . كذلك ترتبط الصحة النفسية بالصناعة ، فبيئة العمل وما قد تحويه من تلوث وغازات وأبخرة وغبار وأتربة وزغب ودخان ورزاز وأحماض ومعادن وكىماويات سامة قد تصيب العامل بالأمراض العقلية والنفسية والجسمية . بل إن الجو الإدارى والاجتماعى فى داخل المصنع قد يدفع العامل إلى حافة المرض العقلى أو النفسى.

والصحة النفسية تسهم فى حركات الإصلاح الاجتماعى وتطوير المجتمع وفى معارك التنمية وملاحم الإنتاج وفى تطبيق النظم الديمقراطية والإنسانية.

وفى تأكيد دور الآباء والأمهات فى تمتع أبنائهم بالصحة النفسية والعقلية وخلوهم من الأمراض يقول راجح " إن هذه الأمراض ما هى إلا مأسى كتبت فكرتها فى عهد الطفولة بيد الآباء والأمهات ، ثم يقوم الفرد بتمثيلها حين تبهظه تكاليف الحياة وشدائدها فى عهد الكبر . حتى لقد صرح أحد العلماء بأننا إذا أردنا أن نحول دون المجتمع أن يصبح مصححة عقلية

فلنبدأ بتربية الآباء والأمهات تربية نفسية صحيحة . يشترك المعلمون مع هؤلاء في كتابة هذه المأساة خاصة معلمى الصغار . فالمعلم غير المؤهل ينشر الاضطرابات النفسية بين التلاميذ كما لو كان مصاباً بمرض معد يصيب به الأطفال ممن هيأته أسرته للإصابة به .

ويتفق هذا القول مع قول آخر جاء فى تفسير جنوح الأطفال وانحرافهم بأنه لا يوجد لدينا أطفال جانحون ، وإنما لدينا آباء جانحون تأكيداً لدور الآباء فى تربية الأبناء وصقل شخصياتهم وتشكيلهم وتشئة إجتماعية سوية أو مرضية. وعلى ذلك فالأولى بالتربية والمعالجة الصائبة ، هم الآباء والأمهات . ويكشف هذا النص أسلوب راجح المميز فى الكتابة الأدبية والاستعارة والتشبيه والبلاغة ، فكان المرض النفسى قصة يكتب فكرتها الآباء والأمهات ، وهذه القصة يقوم المريض بتمثيلها فى عهد الكبر .

ولم يكن راجح ليهتم بما يعرف باسم الكاية التقنية فى علم النفس تعبيراً عن رغبته وقدرته الأدبية وحرصه فى المحل الأول ، على نقل المعنى لقارئه بأسهل وأمتع ما يمكن . .فها هو ينقل عن أحد العلماء قوله بتربية الآباء والأمهات تربية سوية إذا أردنا أن نحظى بجيل سوى، فلا يهتم بذكر اسم العالم ولا جنسيته ولا تاريخ قوله هذا ولا مكان نشر هذه العبارة ولا الدراسة أو العينة التى استمدت منها ولا المنهج والأدوات التى استخدمت فى استخلاصها ولا المعالجة الإحصائية التى أدت إليها . وإنما يكتفى بنقل روح الفكرة ذاتها كأن يقول "دل البحث " " دل التجريب " لقد أتى جيل من الأساتذة بعد ذلك كانوا وما يزالون ينصحون شباب الكتاب بأن يتوخوا تدوين

المعلومات الآتية فيما يستعرضونه من الدراسات والأبحاث  
والتراث السابق :-

١. اسم المؤلف كاملا بالعربية والانجليزية .
٢. أسم المصدر " مجلة أو كتاب أو حولية أو رسالة أو محاضرة " .
٣. مكان النشر وجهته وتاريخه .
٤. اسم البحث ٥ - نوع العينة ٦ - نوع أدوات القياس
- ٧ - الأسلوب الإحصائي المستخدم .

لم يكن راجح ليهتم بحشد هذه المعلومات بقدر ما كان مهتما بنقل  
خلاصة الفكرة إلى القارئ حتى لاتضيع الفكرة في خضم هذا الحشد من  
التفاصيل المنهجية ، تعبيرا منه من ناحية أخرى ، على ثقته في نفسه . فما  
يقوله هو ليس أقل مما يقوله فرويد أو أدلر أو يونج أو غيرهم .

وحين يصور الأمراض النفسية على أنها مأساة يقرر أن المعلمين  
وخاصة معلمى الصغار يشتركون في صنع هذه المأساة مشيراً إلى التضافر  
بين العوامل البيئية وأشتراك المعلمين مع ما أفسدته الأسرة وفي ذلك ادراك  
لمعنى تفاعل المؤثرات وتراكمها فتبدأ المأساة فى المنزل وتكتمل فى  
المدرسة . فالأسرة تمثل بتأثيرها العامل المهيئ لاستعدادات المرشح للإصابة  
بالمرض ، ويأتى المعلم غير المؤهل ليستكمل تلك المأساة . مما يتضمن  
ضرورة تأهيل المعلم سيكولوجيا وتربويا وعلميا .

وواضح من هذا تأثير راجح بخبرته التربوية كمعلم وكمفتش بوزارة  
المعارف وكخريج فى دار المعلمين .. فهاهو يؤكد أثر المدرسة فى صحة  
أطفالها .

وفي هذا الصدد يشير راجح إلى حقيقة سيكولوجية هامة تؤكدها ملاحظات والأبحاث الحالية من أن المرض النفسى مثلته مثل المرض الجسمى ينتقل بما يشبه العدوى ، فالأم الخائفة أو الفوبية تربي أبناءها على للخوف الفوبى أو تنقل إليهم ( بالعدوى الاجتماعية ) هذه المخاوف . ومخالطة المرضى تؤثر فيمن يخالطهم حتى الأطباء والعاملين معهم . وما عليك إلا أن تتصور الحالة النفسية لمجموعة من العمال أوقعم حظهم العاثر للعمل تحت إدارة مدير مريض أو سادي أى محب للتعذيب .

**أثر المجتمع فى نشأة الأمراض النفسية والعقلية :**

يستطرد راجح شارحا أسباب حدوث الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية ، فيشير إلى أثر الظروف الاجتماعية المحيطة بالفرد فى حصولها ، مؤكدا وجود تفاعل بين الأمراض النفسية والأمراض الاجتماعية أى تأثير متبادل ، فالمرض النفسى يودى إلى المرض الاجتماعى والعكس صحيح حيث يودى المرض الاجتماعى إلى المرض النفسى . فالظلم أو الفساد أو التسبب أو الفقر أو الغلاء أو البطالة أو الصراع الاجتماعى أو الطبقي أو التعصب كلها تقود إلى المرض العقلى .

" كما سيرى القارئ ما بين الأمراض النفسية والأمراض العقلية وبين الامراض الاجتماعية من ترابط وصلة وثيقة متبادلة . ف شخصية الفرد " مرآة صافية " أو " مرآة كدرة " تتعكس عليها صورة المجتمع والحضارة التى يعيش فيها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالعلل الاجتماعية كثيرا ما تكون مظاهر أو مصاحبات لاضطرابات فى شخصية أفراد المجتمع . إن

الضريبة التي لابد أن يدفعها الفرد للمجتمع لقاء ما يزوده به المجتمع من أمن مادي ومعنوي هي الامتثال لمطالبه ومجاراته قيمه ومعاييرها " فيصور الالتزام والامتثال على أنه ضريبة يدفعها الفرد وفي ذلك تعبير كامن من راجح عن الرفض والنقد والسخرية ولاستهجان الكثير مما يوجد في المجتمع .

المشاكل التي يعاني منها المجتمع تنعكس على شخصية الفرد ، والفرد المريض صاحب الشخصية المعتلة يشوه صورة المجتمع التي تسقط على حواسه ويفسدها . وبعبارة أخرى تتأثر الحياة الإجتماعية بالأفراد وتؤثر فيهم . ويؤكد ذلك راجح بقوله المتكرر : الإنسان ابن البيئة والوراثة معا . الشخص المريض يؤدي إلى إصابة المجتمع بالمرض . ويرى راجح أن المجتمع يمثل قوة ضاغطة على الفرد بما يفرضه عليه من وجوب الامتثال والاسرام لقيمه ومثله ومعاييرها . ولكن هناك نفرا من الناس يرفضون هذا الامتثال وهؤلاء كما يقول راجح هم المجرمون . وهناك فريق من الناس يرون أن سعادتهم في الامتثال لقيم المجتمع فيمتثلون .. وهناك من يمتثل خوفا من عقاب المجتمع ومن هؤلاء جماعة المرضى النفسيين ، حين يريد الإنسان أن يتمرد على الواقع ، ولكنه لا يستطيع فيكتم ذلك في نفسه ، فتصاب بالعلل النفسية . وفريق آخر يديرون ظهورهم ويستسلمون هربا من تحمل هذه التبعات ، وهؤلاء هم المصابون بأمراض عقلية " وبذلك يوضح راجح شطرا من تأثير المجتمع في صحة أفرادها النفسية ويتمثل هذا الشطر في قضية الامتثال أو الخروج على قيم المجتمع .

ويجسد راجح ادراكه الصلة بين المرض العقلي والجريمة ، فالأسباب الإجتماعية التي قد تدفع شخصا ما إلى المرض العقلي هي التي قد

تفجع شخصا آخر إلى الجريمة . كذلك فإن المرض العقلي قد يدفع صاحبه إلى الجريمة والجنوح والانحراف.

### تأثير الأمراض النفسية في الحياة الاجتماعية:

ويرى راجح أن هذا التأثير يتمثل في اضطراب وتفكك العلاقات الإنسانية ونقص في كفاءة الفرد الإنتاجية . ولا شك أن المرض النفسى أو العقلي يقعد صاحبه عن العمل الكفاء والإنتاج المتميز والخلق والإبداع ويبدد طاقته ويهدرها.

ولما كان راجح يرى أن تفكك العلاقات الإنسانية وانخفاض معدلات الإنتاج " أمراض اجتماعية لا تقل في خطورتها عن الفقر أو الإجرام أو الإمان وغيرها من العلل الاجتماعية الصارخة " .

### التفاعل بين الجسم والنفس:

ويؤكد راجح هذه الحقيقة بقوله " وفي الكتاب عرض لما بين اعتلال النفس واعتلال الجسم من علاقة متينة وتفاعل موصول . فكثيرا ما تكون الأمراض الجسمية مظاهر لعلل نفسية ومن ثم لا يمكن علاجها وشفائها بالنظر إلى جسم المريض وحده ، بل باعتبار المريض وحدة نفسية جسمية اجتماعية متضامنة متكاملة ، أن اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " . إشارة منه إلى الأمراض السيكوسوماتية تلك الأمراض التي ترجع لأسباب نفسية وتتخذ أعراضها شكلا جسما والتي أصبحت تسمى الآن في عرف التصنيف المرضية العالمية " الأمراض جسمية الشكل " .

ويشير راجح إلى أن علاج هذه الأمراض لا يكون بالتصدي لأعراضها وحسب ، وإنما بعلاج " أسبابها " التي تتمثل فيما يتعرض له الفرد من الضغوط والصراعات والتوترات والقلق والأزمات والمشاكل النفسية والاجتماعية وخبرات الفشل والإحباط والحرمان والقسوة والطرده والنبذ أو التدليل الزائد والحماية الزائدة . كما يؤكد الوحدة بين النفس والجسم ، وحدة الإنسان ويستشهد بجزء من الحديث النبوي الشريف .

### الإعفاء من المسؤولية الجنائية :

ويشرح راجح وجهة نظره فيما يعرف باسم " الإعفاء من المسؤولية الجنائية " إذا ما ارتكب الإنسان فعلاً مؤثماً وهو فاقد الوعي أو البصيرة أو وهو واقع تحت تأثير مخدر ما أيا كان نوعه .. يقول راجح " وفي الكتاب أيضاً أكثر من إشارة ودليل تطمئن إليه " قلوب " رجال القانون فيما يتصل بمشكلة تعد من أعقد المشكلات التي تصادفهم ، ألا وهي مشكلة المسؤولية عند من ينحرفون ويجنحون . فلقد بينا ، في أكثر من موضع ، أن كثيراً من الناس يجدون أنفسهم أسرى دوافع شاذة غريبة واندفاعات قسرية تفرض نفسها عليهم فرضاً فلا يستطيعون ضبطها وكفها ، وان جهودوا في هذا الضبط ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . أنها لا ترغمهم على القيام بأنواع من السلوك يذهلون لها ويخجلون منها لأنها تشف عما ارتضوه لأنفسهم من مثل وقيم ، ولكنهم لا يملكون لأنفسهم من أمرها رشداً . فلئن كان على الإنسان بعض الوزر فيما يفعل ، فإنه له كذلك بعض من العذر فيما يفعل ."

والحقيقة أن هذه المسألة مثار جدل فيما يعرف اليوم بعلم النفس الجنائي أو القانوني أو القضائي ، وعمّا إذا كان المصاب بالعصاب النفسى أو ذلك الذى يرتكب الجرم وهو فى حالة شديدة من الانفعال والتهيج والثورة يعفى من المسؤولية الجنائية من عدمه ، والرأى الراجح الآن هو فقط إعفاء مرضى الذهان دون مرضى العصاب النفسى . وواضح أن راجح يقصد مرضى العصاب بدليل قوله أن هؤلاء يرتكبون السلوك الشاذ ، ثم يذهلون ويخجلون منه لتعارضه مع ما لديهم من " قيم ومثل " . ومرضى الذهان لا يدركون قيما ولا مثلاً . على كل حال يفتح راجح الطريق أمام ما ندعو إليه الآن من ضرورة إجراء فحوص عقلية ونفسية وكتابة تقارير عن مرتكبى بعض الجرائم.

### رياء أو نفاق الذات:

ويعبر راجح عن ذلك بمهارة فائقة وكأنه يعتذر لقارئه عن كشف مستور نفسه وخبايها ، فيقول فى أسلوب استعارى ساخر " والكتاب " مضطر " ، بحكم موضوعه ، إلى الكشف عن كثير من خبايا النفس الإنسانية واماطة اللثام عن كثير من مستوراتها مما قد يزيغ بصر الإنسان العادى ، ويكاد يدمى عينيه ، ويمس كبرياءه . ذلك إن الإنسان قد مهر فى خداع نفسه ، وتبرير سلوكه ، وستر عوراته النفسية حتى خيل إليه أنه صنيعه العقل فلا يحكمه غير العقل ، أما العاطفة والانفعال فلا سلطان لهما إلا على ضعاف النفوس . ولو وفق هذا الكتاب إلى ان علم الأمراض النفسية والعقلية

-----

9

10

11

12

13

14

## جهود راجح فى التحليل النفسى

لم يقصر راجح نفسه على مدرسة معينة أو اتجاه معين من الاتجاهات التى كانت سائدة فى علم النفس فى زمنه ، وإنما أراد أن يكون شمولياً وموسوعياً ، فاستعرض وكتب وألف وهضم وحاضر وبحث فى علم النفس الصناعى أو المهنى ، والصحة النفسية ، وعلم النفس العام ، والتحليل النفسى . فى عام ١٩٥٢ صدر له بالاسكندرية ترجمة لكتاب سيجمند فرويد " محاضرات تمهيدية فى التحليل النفسى " ثم توالى الطبقات حتى الطبعة الرابعة التى صدرت عن مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٧٨ من ترجمة راجح ومراجعه المستشار محمد فتحى . Introductory Lectures on psychoanalysis تأليف Sigmund Freud وهو كتاب ضخيم يقع فى أكثر من ٥١٢ صفحة . ويعالج الكتاب كثيراً من الموضوعات منها : سيكولوجية الهفوات ، المحتوى الظاهر والأفكار الكامنة ، وأحلام الأطفال ، والرقابة فى الأحلام ، والرمزية فى الأحلام ، وإخراج الحلم ، وتحليل الأحلام ، والسماوات الطفلية فى الأحلام ودورها فى تحقيق الرغبات ، ويتحدث الكتاب عن النظرية العامة فى الأمراض النفسية . وهنا يتحدث فرويد عن التحليل النفسى والطب العقلى ومعنى الاعراض ، واللاشعور ، والمقاومة ، والكبت ، وحياة الإنسان الجنسية وتطورها ، والنكوص ، والحصر ، والطرح ، والعلاج النفسى .

هذا ويمكن استخلاص الحقائق الآتية حول موقف راجح من التحليل

النفسي :

١. يعيب راجح على المسرفين في تأييد مدرسة التحليل النفسي ، وكذلك على المسرفين في المعارضة ، معبرا عن موقفه الذي يتسم بالتوسط والإعتدال . ويرجع الاسراف في التأييد وفي المعارضة إلى عدم استقاء هؤلاء وهؤلاء معلوماتهم من مصادر حقيقية عن الرجل ومدرسته في التحليل النفسي ، فيقول " وأكبر الظن أن هؤلاء وأولئك قد جمعوا آرائهم عنها من نتف من معلومات متناثرة بتراء ظفروا بها عن طريق السماع ، أو من الكتب أو الصحف الرخيصة ، أو مما يصوره بعض الكتاب في رواياتهم دون تحري الحقيقة " وهو بذلك ينتقد عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية والعمد المتعمدة في شأن مدرسه التحليل واعتمادهم على حد قول : أحد أنصارها الآن ، على " الهواة " ممن يكتبون دون تعمق عن التحليلية . ويشير بذلك إلى حقيقة منهجية ضرورية وهي عدم الأخذ عن الغير والتأكد من صحة الأسناد بالرجوع إلى المصادر الأصلية . وهو يقرر أن نظرية التحليل النفسي نشأت وتحورت وتطورت ولو توخى هؤلاء الدقة لخرجوا بفكرة سليمة تجافي ما يذهبون إليه وبذلك يقف راجح من التحليلية موقف المحامي المدافع .

٢. يتضح لنا أن وزارة التربية هي التي رأت نقل هذا الكتاب إلى العربية وأنها بذلك أحسنت صنعا لأنه خير بداية لمن يريد أن يدرس التحليل

النفسي .. عمل مشكور من الوزارة وخاصة إذا علمنا أن ذلك كان في عام ١٩٥٢ ، أي منذ ( ٤٨ ) . لأنه ملخص مكتمل واستيعاب موجز للنظريات الأساسية التي قال بها " فرويد " وقامت على قواعدها مدرسته " في التحليل النفسي " .

٣ ويؤكد أن فرويد لم يكن مجرد مؤسس مدرسة ، بل أنه أحدث انقلاباً في علم النفس وفي نظرة الناس للطبيعة البشرية مشيراً بذلك إلى مدرسة التحليل النفسي التي أثرت في كافة العلوم والفنون والآداب وخاصة الفن الحديث أو ما عرف باسم السريالية.

٤ يشير راجح إلى أن نظرية التحليل النفسي تعرضت إلى الهجوم من خصوم فرويد ومن أصدقائه أو أتباعه ، مشيراً بذلك إلى أولئك العلماء الذين انفصلوا عنه ومنهم كارل يونج على سبيل المثال .

٥ يقرر راجح أن فرويد نجح في الدفاع عن مدرسته بسبب قوة حجته وجاذبية العرض ، وثقافته العريضة ، والجرأة في الاستمساك بما يراه حقاً هذا إلى نفاذ في الملاحظة ، وبراعة في صوغ للفروض .

٦ كانت التحليلية ، في فكر راجح ، ذات جدة وطراقة ولأنها اصطدمت بأراء ومعتقدات متسلطة مشاعة بين القوم . وظهرت التحليلية على أنها تفضي من شأن الانسان ومن كبريائه أشبه بأراء دارون في التطور والنشوء

وانحدار الإنسان عن القردة . من ذلك أن يشكك فرويد في حب الأب لأبنته بإرجاعه إلى العكسية أو حب البنت لأبيها فيرجعه إلى عقدة الكـنـترا وهكذا .

٧. كشفت هذه المدرسة ، عن كثير من أسرار النفس ، ونالت بذلك من غرور الإنسان وأن كثيرا مما يؤمن به الناس ليس إلا أوهاما .

٨. يدافع راجح عن التحليلية ويقول أنها تلقى معارضة شديدة شأنها شأن كافة النظريات الجديدة ويستشهد بأمثلة من الطب وابتكار عملية التخدير قبلى إجراء العمليات الجراحية ، فقد جاهد كل من " مورتين " و " سمسن " جهاداً عنيفاً كى يقنع الناس " بالتخدير " فى أثناء العمليات الجراحية . وكان هناك من يعتقد أن التخدير يخالف إرادة الله تعالى . وكذلك لقى كل من " باستر " و " لستر " كثيرا من السخرية من جراء كشفهما فى البكتريا وعمليات التحقيم . وينتهى راجح إلى القول بأنه لولا فرويد لما كان هناك علم الطب النفسى الحديث .

٩. لقد بدأت مدرسة التحليل النفسى كمنهج من مناهج العلاج النفسى لبعض الاضطرابات النفسية ، ثم أصبحت بعد ذلك نظرية أو مدرسة سرعان ما أثرت فى علوم أخرى كالاقتصاد والفلسفة والسياسة .

١٠. أن انصار التحليلية لم يهتموا بتنظيم مبادئهم ، وإنما التمسوا الدليل على صحتها من نجاحهم فى " العلاج " وأصبح لها أثر بعد ذلك فى عمليات التشخيص والتفسير والعلاج .

١١. قامت هذه المدرسة على وقائع أكلينية مستمدة من علاج المرضى . ومن ثم لم يكن راجح يرى أنه من المنطقى أن يتم انتقادها إلا عن طريق هذه الوقائع العلاجية نفسها . وكأنه يريد أن يقول أن ادعاءات التحليلية تصدق

فقط على المرضى والشواذ الذين استخلصت النظرية من حالاتهم وبالتالي لا يجوز تعميم هذه النتائج على الحالات السوية . كما أنه كان يرى أنه من الظلم أن تخضع التحليلية لنقد موجه من غير المختصين فيها .

١٢ . والكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها سيجمند فرويد على الأطباء وعلى طلاب الطب في جامعة فيينا في موسمي الشتاء من عامي ١٩١٥ - ١٩١٧ بمعنى أنها بدأت منذ نحو (٨٤) عاما مضت . والجزء الأول والثاني من الكتاب - كما يقول راجح - عبارة عن تمهيد أو مقدمة للدخول في الموضوع . أما الجزء الخاص بالاضطرابات النفسية فأكثر عمقا وتركيزا . والكتاب في جملته ، لا يقرأ قراءة عابرة ، وإنما يحتاج إلى ببطء وتأمل وإمعان .

١٣ . يمدح راجح فرويد ويعجب بأسلوبه في الكتابة والعرض " ذلك الأسلوب البديع للعرض الذي تفرد به المؤلف في كتابه من الناحيتين العلمية والأدبية ... هذا إلى قدرة على التدليل والاستشهاد وتحليل الشواهد تحليلا تسطع فيه الحجة " .

١٤ . ويقرر راجح أنه صادف صعوبتين في أثناء ترجمة هذا الكتاب ، الأولى تتمثل في إبراز فرويد لكثير من الأمثلة الغربية التي لا تحمل نفس المعنى للقارئ العربي ، ولذلك يستعيض عنها راجح بأمثلة عربية تشاكل في الأصل وتقصده إلى ما يريده المؤلف من حيث موضوعه وروحه ومغزاه في غير تجاوز غير مشروع . وهنا تبدو مهارة راجح وتمكنه من اللغة العربية والثقافة العربية في استبدال الأمثال الأجنبية بأمثال عربية .

أما الصعوبة الثانية التي واجهت راجح في الترجمة فهي أن الكتاب يزخر بكثير من الاصطلاحات الجديدة أو القديمة التي خلع عليها المؤلف دلالات

خاصة ، فكان عليه أن يجد لها اصطلاحات عربية تتناسبها عن طريق الاشتقاق أو النحت أو التحكم فى اللفظ أو غير تلك من الوسائل التى تتطلب من المترجم مشقة وعناء لا يعرفهما إلا من كابد تعريب أمثال هذا الكتاب على هذا النحو " .

١٥ . وواضح أن عمل راجح كان تعريبا أكثر منه ترجمة حرفية ، بل أقرب إلى التحقيق والشرح والتعليق والتعقيب .

١٦ . لا يقدم راجح مجرد ترجمة لهذا النص ، وإنما يقدم ما يشبه الدراسة التحليلية للنص ، فلقد زود الكتاب بالهوامش التى تصف بعض العبارات والمصطلحات أو إضافة بعض الحقائق والمعلومات التى تتعلق بالنص من ذلك قوله " كان فرويد ينصح لمرضاه بالألا يترددوا على محاضرات للتحليل النفسى " وكان يترجم كلمة Concrete بكلمة " عيانية " أى مشخصة ، وكلمة migraine بالشقيقة ثم يشرحها بقوله أنها عبارة عن ألم فى نصف الرأس والوجه وهو ما يعرف الآن باسم " الصداع النصفى " . كما يورد بعض الأمثلة العربية لتعبير عن المعنى وليس الألفاظ ، التى كان يقصدها فرويد من ذلك قوله " ومن أمثال هذه الهفوات الملحة ما حدث لجريدة ديمقراطية اشتراكية أرادت أن تعلق على حفلة من الحفلات فقالت : " وكان وزير الدولة من الحاضرين ، بدلا من أن تكتب وزير الدولة . فحاولت فى اليوم التالى أن تصحح الخطأ وتستتركه فاعتذرت فائتة : " وكان زير الدولة من الحاضرين "

ولم يكن راجح يعشق روح الدعابة والفكاهة فى محاضراته وأحاديثه وحسب بل كان يرددتها أيضا فى كتبه ومؤلفاته حتى المترجم منها .. فهاهو يقول أنه يورد مثلا ماخوذا من المسرح المصرى ، ولكنه يحمل فكرة

المؤلف بدون تجوز إلا ما تقتضيه روح الفكاهة للقارئ العربى حيث يرد فى الترجمة ما نصه :

لست أدرى ما إذا كنتم تعرفون أن قلنات اللسان يمكن استئثارها بصورة ما عن طريق الإيحاء .

فإليكم فكاهة توضح ما أريد : عهد إلى ممثل مسرحى ناشئ أن يقول العبارة الآتية فى موقف جدى من مواقف الرواية " من علامات الرحمة أن تكون خيارا لا اضطرار " . فأراد أحد زملائه أن يداعبه بأن أخذ يعيد عليه هذه العبارة محرفة على النحو الآتى : " من علامات الرحمة أن تكون خيارا لا فشارا " . فلما كان المساء وبدئ فى التمثيل ، إذا بذلك الممثل الناشئ يتسورط مكرها فى العبارة المحرفة على الرغم من أنه حذر من ذلك تحذيرا كافيا قبل التمثيل ، أو لعله تورط فى الخطأ من جراء هذا التحذير بعينه " ص

١٨

وتؤكد الترجمة تمكن راجح من اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية وإمامه ببعض الألفاظ الألمانية كما تؤكد سعة اطلاعه وإدراكه للأمتة العربية وعلم اللغة العربية وتطبيقاته . إلى جانب معلوماته التاريخية والجغرافية والفلسفية فيقول فيما يقول : " إن الجائع يحلم بسوق العيش " و " الكلب الجائع يحلم بقطعة العظم " . ولقد أقيمت هذه المحاضرات التى عكف على ترجمتها راجح أبان الحرب العالمية الأولى . ويكشف عن معرفته بالمنطق فيصف مل يعرف باسم قياس الخلف وهو ما يستدل فيه بامتناع أحد النقيضين على تحقيق صحة الآخر ( ص ١٥٠ ) وكذلك معرفته بالفسيولوجيا والطب .

ومن أمثلة استشهاده بالشعر العربى قوله :

الحمد لله لا خطب ولا جلال      ولاعزاء إذا أهل البلاد رحلوا  
خليفة مات لم يحزن له أحد      وآخر قام لم يفرح به رجل (ص ١٧١)

لقد كان راجح يتمتع بروح عالية في الدعابة والفكاهة والسخرية والنقد اللاذع ، وكان ذلك يبدو واضحا في محاضراته وفي كتبه ، وتعكس مؤلفاته شخصيته وملاحظها إلى حد بعيد . لقد كان صادقا في التعبير عن نفسه وعن فلسفته وعن شخصيته .

### جهوده في الترجمة

ترجم راجح عددا من الكتب - الانجليزية والفرنسية - إلى العربية كما قلم بمراجعة ترجمة بعض المؤلفات وهذه الترجمات هي :

- 1 - Freeland,G., Modern Educational Practice in Elementary School.
- 2- Freud.,S., Introductory Lectures on Psychoanalysis  
محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ١٩٥٢ م .
- 3 - Freud,S., New Introductory Lectures on Psychoanalysis.
- 4 - Piaget, J., Le Langage et la pensee chez l'enfant.  
اللغة والتفكير عند الطفل سنة ١٩٥٤ .
- 5 - Wallon, H., La Psychologie Applique  
علم النفس التطبيقي ، سنة ١٩٦٠ م .
- 6 - Jousain, Les Classes Sociales      مراجعة طبقات المجتمع
- 7 - Guill Aume, Psychologie de la Forme      مراجعة
- ٨ - تكوين الشخصية الانسانية ، لايزنك      ١٩٥٣
- ٩ - سيكولوجية الشخصية      ١٩٥٣

لقد كان راجح مترجما رائعا ، بحيث كانت تأتي أعماله " المترجمة " كما لو كانت " مؤلفة " حيث كان يصبغها بالصبغة العربية الأصيلة ويحولها إلى المعنى العربي الواضح والصريح وإلى الموسيقى والروح والذوق والتعبير العربي الخالص . وله الفضل فى رسوخ ترجمة كثير من المصطلحات التى استقرت فى وضعها العربى على يديه وأمثاله من رواد علم النفس الأول . ولم تكن جهوده فى الترجمة قاصرة على ما قام بترجمته من الكتب والمراجع ، وإنما كانت كتبه المؤلفة تحتوى على معجم يأتى فى آخر الكتاب متضمنا أهم المصطلحات الفنية الانجليزية ومقابلتها العربية . بل أن المتن نفسه كان يتضمن المصطلح العربى ومقابله الانجليزى أما فى السياق نفسه أو فى هوامش الكتاب ، الأمر الذى أدى إلى انتشار هذه المصطلحات واستقرارها مما كان له أثر طيب فى جهود المترجمين والمؤلفين فيما بعد الذين استفادوا من جهود راجح ومن بينهم كاتب هذه السطور الذى يدين بالفضل الكثير لراجح فيما قام به من ترجمة أو مؤلفات . بل اننى حذوت حذوه وتعلمت منه وضع معاجم فى مؤخره الكتب وتعلمت ايراد المصطلحات فى متنها جريا وراء منهجه وتعاليمه فى سعيه لنقل علم النفس إلى القارئ العربى وتسهيل مهمة من يقرأ فى كتب إنجليزية . وكان راجح يستفيد مما تركه علماء العرب من مصطلحات كلفظ " الشقيقة " اشارة إلى الصداع النصفى . ومن طرائف ترجمته كلمة Amnesia " بالنسأوة " أى فقدان الذاكرة .

## جهوده فى علم النفس الصناعى

صدر لراجح الطبعة الأولى من كتابه " علم النفس الصناعى " عن دار المطبوعات الحديثة بالإسكندرية منذ ٣٨ عاما أى فى عام ١٩٦١ . وجاء كتابا ضخما ، كغيره ، يقع فى ( ٥٠٢ ) صفحة ، ويكشف عن تنوع اهتمام راجح وشموله للتحليل النفسى وعلم النفس الصناعى أيضا ، مؤكدا دور علم النفس فى حياة العمل والعمال وفى العملية الإنتاجية ، وما يرتبط بها من الاقتصاد القومى ، وما يعرف اليوم باسم " التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية " . لقد كان راجح سابقا إلى هذه المحاولات التى تسعى لاستخدام العلم وتطبيق مناهجه فى مجالات العمل والإنتاج والتنمية فكان يرى ما يلى :-

١ - إن علم النفس الصناعى يستهدف حل المشكلات المختلفة التى تترخر بها دنيا الصناعة حلا " علميا إنسانيا " يراعى راحة العامل ، وصحته وكرامته قبل أن يهتم بزيادة الإنتاج . مشيرا بذلك إلى نزعة الإنسانية فى معالجة موضوعاته . فالإنتاج لا يزداد ولا ينبغى أن يزداد عن طريق القهر والقسو والتسلط على العامل وإرهاقه وإرهابه ،

٢ - يستعرض راجح ، بصورة مأسوية ، معاملة العمال فى الماضى معاملة الرقيق . ثم تطورت النظرة للعمال وأصبحت تعتبرهم كالات التى يديرونها ، ثم أصبح العمال سلعة تباع وتشتري ، مشيرا بذلك للاتجاهات الرأسمالية المتطرفة التى كانت تستعبد العمال وإلى التفكير الشيوعى البغيض الذى نقل العامل من عبودية رأس المال إلى عبودية الدولة . مما أدى إلى ذبوع التمرد والصراع بين صفوف العمال وبينهم وبين رجال المال والإدارة .

٣ - كشف التاريخ أن قسوة رجال الأعمال على العمال إنما تضير أصحاب العمل أنفسهم كما تضير العمال ، لا يمكن تصور " المحرك البشرى " كالمحرك الآلى ، رافضا بذلك معاملة الإنسان معاملة الآلة .

٤ - ظهور علم النفس الصناعى مستهدفا تهيئة جميع الظروف المادية والنفسية والاجتماعية التى تكفل زيادة الإنتاج وتحسين جودته فى أقصر وقت وبأقل مجهود ، وبأكثر قدر من شعور العامل بالرضا عن عمله وراحته .

٥ - وكان من أوائل الموضوعات التى اهتم بها علم النفس الصناعى " وضع الرجل الصالح فى المكان الصالح " وتوفير التدريب العلمى والمهنى .

٦ - وأخذ علم النفس الصناعى يهتم بالظروف الفيزيائية كالإضاءة والتهوية ، والحد من العوامل التى تسبب شعور العامل بالتعب والإرهاق أو شعوره بالملل والضجر وتزيد من معدلات إصابة العمل وحوادثه .

٧ - يؤكد راجح أنه سرعان ما أتضح أن الجو المادى للعمل ليس كل شئ ، ذلك لأن المصنع ليس مجرد " مخزن " من الآلات والناس بل جماعة بشوية منظمة لهم هدف معين وتحكمهم إدارة تقوم بالتخطيط والتنسيق والتنظيم والتوجيه . يؤكد على ضرورة وجود علاقات إنسانية فى الصناعة بين العمال والإدارة وبين العمال فيما بينهم ، تلك العلاقات التى تؤثر فى الإنتاج بما يعادل أثر العوامل المادية ويزيد .

ويقول فى وصف كتابه والتقديم له ولقد " فصلنا " هذا الكتاب بما يستوعب

هذه النواحي المختلفة فجعلناه أجزاء ثلاثة :-

أولها يتناول موضوعات التوجيه المهنى ، والاختيار المهنى ، والتأهيل المهنى ، والتدريب المهنى ، وتحليل الأعمال المهنية . وهذا ما أسميناه " المواعمة المهنية " .

أما الجزء الثاني فيعالج أفضل طرق لأداء العمل وتكثيف الآلات والأدوات حتى تتناسب العامل الذي يديرها . كما يعالج الظروف الفيزيائية للعمل كالإضاءة والتهوية ، ودرجة الحرارة والرطوبة ، ودراسة التعب والملل وحوادث العمل . وهذا ما يعرف باسم " الهندسة البشرية " .

أما الثالث فخصصناه للعلاقات الإنسانية في ميدان الصناعة ، كدوافع العمال وبواعث العمل ، والروح المعنوية والقيادة والإشراف ، والتنظيم الاجتماعي للمصنع والصراع الصناعي بين العمال وأصحاب العمل ، ثم الصحة النفسية للعمال .

ويصف منهجه في العرض قائلًا :

ولقد تحاشينا الجدل النظري ، ونحن نستعرض هذه الموضوعات والمشكلات ، إذ ليس أَدعى إلى ارتباك القارئ من أن يواجه بآراء يضرب بعضها بعضاً ، كما تجنبنا التفاصيل حتى لا يشغلنا " الشجر عن رؤية الغابة " ، وحتى لا تلهينا العوارض عن إدراك الجوهر ، بل بسطنا هذه الموضوعات على نحو يفيد من يطلب العلم ، ومن يمارس العمل ، ومن يرجو أن يسهم في النشاط الصناعي الذي بدأنا نأخذ بأسبابه والذي نرجو من ورائه خيراً كثيراً .

مؤكدًا بذلك أهمية علم النفس التطبيقية في مجال الصناعة وخاصة وأن المجتمع ، كان في ذلك الوقت ، على مشارف الدخول في حياة صناعية كبرى . وبذلك يجمع راجح بين الهدف التطبيقي العملي الميداني وبين إبهام الحقائق والنظريات العلمية في وقت واحد ومحققًا ما يرجو من علم النفس من نفع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع . يقول راجح :

" والكتاب أكثر من معلومات ووقائع تلقى الضوء على أفق جديد نحن فى أمس الحاجة إلى إرتياده والاستعداد له " ويقصد بذلك أفق الصناعة المصرية أو بصورة أعم أفق الصناعة العربية . وتطبيق المنهج التجريبي على موضوعاته واستخدام القياس الكمي فيها ، ذلك لأن التجربة هى صاحبة الكلمة الفصل بين الحق والباطل فى مجال العلم . ويطبق علم النفس الصناعى فى موضوعات جديدة كالشعور بالملل والضجر والرتابة والروح المعنوية وتماسك جماعة العمل . " ذلك أن مشكلات الصناعة الحديثة أخطر من أن تترك للتخمين أو الارتجال أو لما استقر فى عقول الناس من رأى سابق وحل غير مدعوم .

٨ - لقد كان راجح يسعى لإيجاد مكان للأخصائى النفسى فى الحقل الصناعى إلى جانب أصحاب التخصصات الأخرى كالطب المهنى والهندسة المهنية .

" لقد كان يظن أن تنظيم المصانع الحديثة وتوفير ظروف الإنتاج فيها من شأن من اختصاصوا فى دراسات الهندسة المهنية ، والطب المهنى ، فعمل قارئ هذا الكتاب أن يخرج منه بأن للسيكولوجى الصناعى مكانته إلى جنب هؤلاء ما دام هناك جانب إنسانى يجب أن يحسب له كل حساب " .

٩ - كان راجح يتصور أن للسيكولوجى مهمة أكثر من مجرد المحافظة على العلاقات الإنسانية فى الصناعة بل كان يرى دوره إلى جانب ذلك ، فى اختيار العمال وفى تدريبهم وتعيينهم وقياس قدراتهم واستعداداتهم وسماتهم وعليه حمايتهم من الآثار الضارة للتعب ووقايتهم من حوادث العمل وإصاباته " ويجب أن يزامل مهندس الكفاية ومهندس الصيانة ، ومهندس

الإضاءة ، مبرزاً بذلك أهمية الأخصائى النفسى فى الحياة الصناعيّة ودوره فى جميع الأنشطة الصناعيّة .

١٠ - لقد كان راجح أسبق فى الدعوة إلى إسهام خريجي كليات الآداب فى تنشيط النهضة الصناعيّة وتنظيمها وأقامتها على أسس علمية وإنسانية . ولقد تبلورت هذه الدعوة الآن ، وأصبحت تتادى بضرورة تعيين أخصائى نفسى فى جميع الشركات والمصانع ووحدات الإنتاج .

أما الطبعة الثانية من كتاب علم النفس الصناعى فلقد ظهرت فريدة ومنقحة وتحمل إضافة إلى عنوانها على النحو الآتى : -

علم النفس الصناعى : المواعمة المهنية والهندسة البشرية والعلاقات الإنسانية ، وصدرت فى العام ١٩٦٥ عن الدار القومية للطباعة والنشر ، أى بعد أربع سنوات من صدور الطبعة الأولى فى عام ١٩٦١ . وهى أكبر حجماً إذ تقع فى (٦٠٠) صفحة من القطع الكبير . ويضع تعريفاً لعلم النفس الصناعى بقوله " أنه فرع تطبيقى من فروع علم النفس ، يستهدف رفع الكفاية الإنتاجية للعامل أو الجماعة العاملة ، وذلك عن طريق حل المشكلات التى تعشى ميدان الصناعة والإنتاج " حلاً علمياً إنسانياً " يحرص على راحة العامل وكرامته حرصه على زيادة الإنتاج " .

وواضح من ذلك حرص راجح على العوامل الانسانية وتوخيها ونحن بصدد رفع كفاية العامل الإنتاجية ، فلا تكون عن طريق السخرة والاضطهاد والتهديد بالطرده من العمل والقسوة عليه ودفعه دفعا قسرا وقهرا لزيادة

الإنتاج بحيث يلهث أنفاسه أمام سياط الإدارة فيشعر بالتعب والإرهاق والقلق ، كذلك يستهدف راجح تطبيق مناهج العلم فى حل مشكلات الصناعة بمعنى المزوجة بين العوامل الإنسانية والمناهج العلمية . كان راجح يؤمن

بالأخذ عن الغير ونقل تجارب الغير لمجتمعنا ، ولم يكن يرغب فى الانغلاق على الذات ، وهاهو يقرر ذلك " ومما تجدر الاشارة إليه أن معظم البحوث والتجارب التى وردت فى هذا الكتاب مستمدة من الخارج من ثقافات غير ثقافتنا ، ولا جناح علينا فى ذلك ، فنحن فى منتصف الطريق ، وحسب هذه البحوث أن توجه أنظارنا إلى ضرورة التوسل بالتجريب لحل ما يعرض لنا من مشكلات فى ميدان الصناعة ، وأن تحفزنا على التحقق من صلاحيتها لثقافتنا الخاصة ، بل حسبها فائدة أنها تعفينا من التورط فى كثير من الأخطاء وضروب التبذير التى تعرض لها من سبقونا فى هذا الميدان " ص ٦ .

فهو لا ينكر النقل عن الغير ، ولكنه يطالب بتوخى الدقة فيما ننقله ، بحيث لا يتعارض مع أمهات ثقافتنا الإسلامية والعربية ، فينقل السمين دون الغث ، وهذا شأن أمة 'على بداية طريق النهضة الصناعية . ولعل هذه التجارب المنقولة عن الغير تحفزنا لإجراء التجارب عندنا لحل ما يواجهنا من مشكلات . وهذه دعوة راجح للنهوض بالحركة البحثية فى مجالات علم النفس التطبيقى . وعلينا أن نبدأ من حيث انتهى غيرنا فلا نتورط فى أخطاء المحاولة والخطأ ، وإنما نستفيد من التراث العالمى السابق علينا فى بناء نهضتنا العربية الراهنة . ولا شك أن العلم لا وطن له فهو ميراث الإنسانية جمعاء .

لقد كان راجح يؤمن بالتطور والتقدم والإنقان والإجادة . ولذلك كان يضيف جديدا إلى طبقات كتبه المتتالية . وفى كتاب " علم النفس الصناعى " يقرر أن الطبعة الجديدة ، أى الثانية ( ١٩٦٥ ) جاءت متضمنة الكثير من الموضوعات الجديدة . ولقد كان متأثرا بما كان سائدا فى عصره من الفكر الاشتراكى العربى فنراه يقرر :

ولقد أضفنا إلى الطبعة الثانية كثيرا مما حققته الاشتراكية العربية في ميلادين التنمية الاقتصادية والتصنيع من حسن استثمار القوى البشرية وتعبئة جميع الطاقات والامكانات لتحقيق أرفع مستوى للإنتاج . فكان مما أضفناه : " ثم يذكر ما أضافه من موضوعات كالتأمينات الاجتماعية على العمال وتدريب المديرين ورؤساء الأعمال على القيادة الديمقراطية وإنشاء المعاهد والعناية بالتأهيل المهني للعجزة وذوى العاهات والأسس النفسية لتمثيل العاملين فى مجالس الإدارة ، ودور النقابات فى اشتراكيتنا من حيث هى أداة من أدوات التخطيط والخدمة والرقابة والتدريب ، ومشكلة الأجور فى النظام الرأسمالى ، وفى النظام الاشتراكى ذلك النظام الذى لا ينظر للعمل على أنه سلعة ، وموضوع البطالة فى ظل النظام الرأسمالى ووسائل التخفيف من حدتها .

لقد تأثر راجح ، كغيره من الكتاب ، بدعاوى الاشتراكية التى كانت سائدة فى عهده وتشيع لها كما تشيع لها الكثيرون . ثم اكتشف المجتمع الآن فسادها وبطلانها .

ومن هذا كله سيتضح لنا مدى ما قدمته اشتراكيتنا للعامل العربى من ضمانات ، وما أحاطته به من ضروب للرعاية ، ومدى ما منحته من حقوق لم يظفر العامل الاجنبى بنصفها إلا بعد جهاد دام مئات السنين ، وبعد كفاح بذل فيه من عرقه ودمه وأعصابه وقوت أولاده . . . . . فهى اشتراكية عدل تعطى وتأخذ ، وتسوى بين الناس فى فرص الحياة " ص ٧ .

١ - مؤلفاته :

- ١ - المهارة البيوية والتوجيه المهني " بالفرنسية " - بحث حصل ١٩٣٨  
به على الدكتوراه من باريس
- ٢ - علم النفس الجنائي ( طبع في بغداد ) ١٩٤٢
- ٣ - مشكلات الشباب النفسية ، مكتبة الجيل الجديد بالقاهرة ١٩٤٥
- ٤ - التربية التجريبية ، دار النشر والثقافة بالاسكندرية ١٩٤٨
- ٥ - أصول علم النفس ١٩٥١
- ٦ - الأمراض النفسية والعقلية أسبابها وعلاجها وآثارها  
الاجتماعية، دار المعارف بمصر ١٩٦٤
- ٧ - علم النفس الصناعي ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١
- ٨ - التعبئة النفسية للأمة ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٦
- ٩ - علم النفس في حياتنا " مشترك " مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٥٧
- ١٠ - مشكلة العلاج النفسي في مصر ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٧

بحوث منشورة :

- ١ - الأسس النفسية لتدريس العلوم على صورة " علوم عامة " من منشورات  
معهد التربية العالي بالإسكندرية ١٩٤٨ .
- ٢ - مشكلات الأسرة المصرية : محاضرات أقيمت على طلبة معهد التربية  
العالي بالإسكندرية ١٩٥٢ .
- ٣ - الاختبارات السيكولوجية في انتقاء طلبة الجامعة : الكتاب السنوي في  
علم النفس - المجلد الأول ١٩٥٤ .

- ٤ - مشكلة العلاج النفسى فى علم النفس ، من محاضرات جامعة الإسكندرية ١٩٥٧ .
- ٥ - سيكولوجية المجرم العائد : المجلة الجنائية القومية يوليو ١٩٥٨ .
- ٦ - برامج الرعاية النفسية للشباب : من محاضرات جامعة الإسكندرية ١٩٥٩ .
- ٧ - المنهج النفسى لدراسة الشخصية العربية : من محاضرات جامعة الإسكندرية ١٩٦٠ .
- ٨ - المهارة اليدوية ، مجلة علم النفس سنة ١٩٤٨ .
- ٩ - التكتل غير التجمع ، من محاضرات جامعة الإسكندرية ١٩٥٧ .
- ١٠ - الاشاعات وحرب الأعصاب ، من محاضرات جامعة الإسكندرية ١٩٥٧ .

كان راجح يعترف بالاستفادة من جهود سابقيه ومعاصريه فهاهو يرجع إلى مؤلفات محمد عثمان نجاتى وعطية محمود هنا ، ومختار حمزة وسعد جلال وعبد السلام أحمد والسيد محمد خيرى ، ولويس كامل مليكه ، وكمال الدسوقى ، وعيسى عبده ، ومحمد عبد السلام .

#### الرسائل العلمية التى أشرف عليها الأستاذ الدكتور أحمد عزت راجح

لقد أشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراة فى كلية الآداب وفى غيرها من المعاهد العلمية . وفيما يلى الرمائل التى تولى الأشرف عليها فى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، ذلك الأشرف الذى بدأه منذ (٣٥) عاما ، أى فى عام ١٩٦٤ :

أولاً : رسائل الدكتوراة :

- ١ - دراسة تحليلية للمراهقين الموهوبين فى ١٩٧٣ د.خليل معوض  
مصر
- ٢ - أثر المهنة التربوية على الصحة النفسية ١٩٧٢ محمد شحاتة  
للمدرسات والمدرسين ربيع
- ٣ - السمات الشخصية وعلاقتها بالمقاييس ١٩٧٤ أحمد محمد عبد  
المورفولوجية الخالق
- ٤ - دراسة مقارنة للتوافق المهني لدى العاملين ١٩٧١ عباس محمود  
وللعاملات فى صناعة النسيج عوض  
ثانيا : رسائل الماجستير :
- ١ - الفوارق بين الجنسين فى الاستعداد ١٩٦٥ شحاتة ربيع  
للكتابى
- ٢ - دراسة تجريبية مقارنة لمفهوم الذات ١٩٧٦ ابراهيم أحمد أبو  
لدى الجنسين وعلاقته بالانتران الانفعالى زيد
- ٣ - عدم الانتران الانفعالى وعلاقته بالتصور ١٩٧٤ رمضان عبد الستار  
المكانى
- ٤ - الفوارق بين الجنسين فى المهارة اليدوية ١٩٦٦ ايون لبيب مترى
- ٥ - دراسة مقارنة لمشكلات المراهقين فى ١٩٦٤ خليل معوض  
المدن والريف
- ٦ - القياس الموضوعى للسمات المزاجية ١٩٧٠ أحمد عبد الخالق  
للشخصية باختبارات زمن الرجوع ووجهة  
الاستجابة

- ٧- بعض عوامل سوء التوافق عند الطلاب  
المراهقين  
عبد مبخائيل رزق
- ٨ - بحث في الشخصية السيكوباتية  
صبرى جرجس
- ٩ - الارتباط بين الاهداف لحوادث العمل ١٩٦٧  
عباس عوض  
والمكانة السوسيوومترية - دراسة تجريبية

## المراجع :

- ١ - قانون العقوبات المصرى
- ٢ - أحمد عزت راجح ، الأمراض النفسية والعقلية ، دار الشروق ، القاهرة
- ٣ - \_\_\_\_\_ مشاكل الشباب النفسية ، مطبعة نهضة مصر ،  
القاهرة
- ٤ - \_\_\_\_\_ التعبئة النفسية للأمة ، مطبعة جامعة الإسكندرية ،  
١٩٥٦
- ٥ - \_\_\_\_\_ محاضرات تمهيدية فى التحليل النفسى ، ترجمة من  
وضع فرويد ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ٦ - \_\_\_\_\_ أصول علم النفس ، مطابع عابدين ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ٧ - \_\_\_\_\_ علم النفس الصناعى ، دار الكتب الجامعية ، القاهرة ،  
١٩٥٣ .
- ٨ - \_\_\_\_\_ وآخرون ، علم النفس فى حياتنا ، مطبعة الاعتماد ،  
القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ٩ - \_\_\_\_\_ مشكلة العلاج النفسى فى مصر ، مطبعة جامعة  
الإسكندرية ، ١٩٥٧ .
- ١٠ - \_\_\_\_\_ المهارة اليدوية والتوجيه المهنى ، بالفرنسية ١٩٣٨ .
- ١١ - \_\_\_\_\_ علم النفس الجنائى ، بغداد ١٩٤٢ .
- ١٢ - \_\_\_\_\_ التربية التجريبية ١٩٤٨ .
- ١٣ - \_\_\_\_\_ الأسس النفسية لتدريس العلوم على صورة علوم  
عامة ، ١٩٤٨ .

- ١٤ - التكتل غير التجمع ، جامعة الإسكندرية ١٩٥٧ .
- ١٥ - الأشاعات وحرب الأعصاب ، جامعة الإسكندرية ،  
١٩٥٧ .
- ١٦ - طبقات المجتمع ، مترجم .
- ١٧ - اللغة والتفكير عند الطفل ، مترجم ، ١٩٥٤
- ١٨ - علم النفس التطبيقي ، مترجم ١٩٦٠ .
- ١٩ - تكوين الشخصية الانسانية ، مترجم ، ١٩٥٣ .
- ٢٠ - سيكولوجية الشخصية ، ١٩٥٣ .
- ٢١ - عبد الرحمن العيسوى ، علم النفس فى المجال المهنى ، دار المعارف،  
القاهرة ، ١٩٨٩ .
- ٢٢ - ، باثولوجيا النفس ، دار الفكر الجامعى بالإسكندرية،  
١٩٨٩ .
- ٢٣ - ، علم النفس الطبى ، منشأة المعارف بالإسكندرية،  
١٩٩٠ .
- ٢٤ - ، مناهج البحث فى علم النفس ، منشأة المعارف  
بالإسكندرية ، ١٩٨٦ .
- ٢٥ - ، العلاج النفسى ، دار المعرفة الجامعية ،  
الإسكندرية ، ١٩٩٣ .
- ٢٦ - ، أمراض العصر ، دار المعرفة الجامعية ،  
الإسكندرية ، ١٩٩٠ .
- ٢٧ - ، علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ،  
الإسكندرية ، ١٩٩٣ .

- ٢٨ - \_\_\_\_\_ ، الاحصاء السيكولوجى التطبيقى ، دار المعرفة  
الجامعية .
- ٢٩ - \_\_\_\_\_ ، تاريخ علم النفس ، دار المعرفة الجامعية .
- ٣٠ - \_\_\_\_\_ ، علم نفس النجوم ، دار المعرفة الجامعية .
- ٣١ - \_\_\_\_\_ ، دراسات فى علم النفس الاجتماعى ، دار المعرفة  
الجامعية .
- ٣٢ - \_\_\_\_\_ ، القياس والتجريب فى علم النفس والتربية ، دار  
المعرفة الجامعية .
- ٣٣ - \_\_\_\_\_ ، علم النفس فى المجال التربوى ، دار المعرفة  
الجامعية .
- ٣٤ - \_\_\_\_\_ ، الإرشاد النفسى ، دار المعرفة الجامعية .
- ٣٥ - \_\_\_\_\_ ، التخلف العقلى ، دار المعرفة الجامعية .

اختلاس الصوائت القصيرة  
(الحركات)

في

تلاوة القرآن الكريم

دكتور / محمد صالح الضالع

1

2

3

4

5

6

7

يعتري الصوائت القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) اختصار في زمنها المعروف أو تقليل في مدتها المعهودة عند تلاوة بعض الكلمات حين الوقوف<sup>(١)</sup> عليها في الآيات القرآنية. ويستعمل علماء التجويد عدة مصطلحات يصفون بها هذه الظاهرة ، قد لا تختلف في عمومها ، أو تختلف كمياً فيما بينها ومن هذه المصطلحات :

- اختلاس ، إسراع ، إخفاء ، إشماء (مع اختلاف الأخير صوتياً)<sup>(٢)</sup>.

- تقصير ، تضعيف ، تبغيض.

- قَصْر ، رَوَم.

واختار هذا البحث المصطلح اختلاس عنواناً يشمل كل هذه المصطلحات ويغطيها Cover term للأسباب الآتية :

١ - تدل الكلمة نفوياً على الأخذ والاستلاب من مقدار معين مع الإسراع في أخذه. وهذا يتفق مع تنبيه القراء على الإسراع وعدم التراخي في أدائه<sup>(٣)</sup>.

٢ - الاختلاس أعم لأنه يتناول الحركات الثلاث ولا يختص بالآخر عند بعض القراء والنحاة<sup>(٤)</sup>.

٣ - الاستغراق الزمنى للاختلاس أطول من الروم ، والثابت فيه من الحركة أكثر من المحذوف.

٤ - التلبس في استعمال بعض المصطلحات وتداخلها مثل :

الإخفاء الذى يدل على ثلاثة مفاهيم<sup>(٥)</sup> :

أ - إخفاء النون في كل صوت من الأصوات الخمسة عشر / ف ث ذ ظ د ط ض س ز ص ش ك ج ق /

ب - إخفاء الميم في صوت الباء الذى يليها.

ج - إخفاء الحركة بمعنى تبغيضها.

١ - لا يختص الاختصار بكل أنواعه بأخر الكلمة واختلف بعض القراء في حالة الروم فمنهم من يرى أن الروم في وسط الكلمة ومنهم من يرى أنه في الحرف الأخير من الكلمة الموقوف عليها. ويقصد كثير من القراء أن الراء أو الوقوف يعنى السكن. أنظر في هذا الباب آراء د. غانم قنورى ود. عطية نصر والشيخ محمود الحصرى.

(٢) الإشماء يرى ولا يسع ، فهو تدوير الشفتين دون النطق بالضمة.

(٣) أنظر في ذلك : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥١٢.

(٤) أقر القراءات في الأصوات والنحو العربى ص ٣٧٤.

(٥) القول المفيد ص ١٢٧.

والإشمام الذى يدل على أربعة مفاهيم<sup>(١)</sup> :

أ - ضم الشفتين بعد إسكان الحرف<sup>(٢)</sup> حالة الوقوف .

ب - ضم الشفتين مقارنا لسكون الحرف المدغم وذلك فى قوله تعالى : (تأمنا) ، سورة

يوسف : ٥١ .

ج - إشمام حرف بحرف ، أى خلط صوت بصوت حرف آخر ، كخلط الصاد بالزاي فى نحو

قوله تعالى : (الصراط) سورة الفاتحة : ٦ .

د - إشمام حركة بحركة ، أى خلط حركة بحركة أخرى ، كخلط الكسرة بالضمة فى نحو قوله

تعالى : (قِيل) سورة البقرة ، الآية ١١ ، على قراءة الكسانى وهشام .

٥ - تبادل المصطلحان 'رؤم' و 'إشمام' دلالتيهما بين شيوخ القراءات<sup>(٣)</sup> .

٦ - يتكافأ هذا المصطلح مع المصطلح الأصواتى reduction الذى يستعمل فى الانجليزية عند

وصف الصوائت المختلفة reduced vowels دلالة شاملة على أنواع التقليل والتقصير<sup>(٤)</sup> .

٧ - استعمل ابن جنى هذا المصطلح بالدلالة نفسها بل بأعم منها ، وذلك فى قوله :

فأما الحركة الضعيفة المختلطة كحركة همزة بين بين . وغيرها من الحروف التى يراد اختلاس

حركاتها تخفيفا . فليست حركة مشمة شيئا من غيرها من الحركتين ، وإنما أضعف اعتمادها .

وأخفيت لضرب من التخفيف . وهي بزيتها إذا وفيت ولم تختلس<sup>(٥)</sup> .

ويلتقى مفهوم الاختلاس مع مفهوم التوسط فى ارتجاع اللسان وطوله . ويترادف

مصطلح centralized vowels مع مصطلح reduced vowels<sup>(٦)</sup> ويتبين ذلك عندما نلاحظ مايقابل

الأصوات المختلفة للكسرة والضمة والفتحة فى فضاء الصوائت المعيارية cardinal vowels ،

كما هو موضح فى الشكل التالى :

(١) غاية المرید فى علم التجويد ص ١٨٤

(٢) استعملت كلمة "حروف" عند الحديث عن كلام علماء التجويد فى الدرس الحديث هناك فرق بين "الحرف" بوصفه رمز كتابى و"الصوت" بوصفه رمز منطوق . وكذلك استعملنا كلمة "حركة" .

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥١٠

(٤) REDUCE has the widest range of connotations and is also the most general. It means make less in size, amount, number, extent, or intensity Guide to related words, Cassell 1994 P: 437.

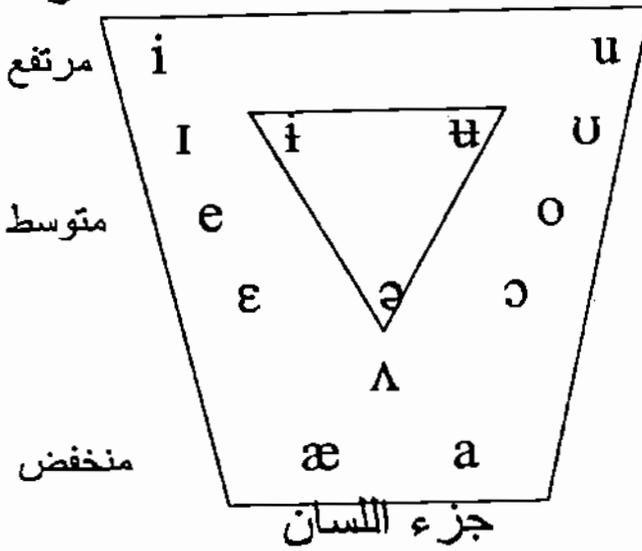
- Crystal : Dictionary of Linguistics and Phonetics

(٥) انظر فى ذلك معجم :

- Roach : Introducing Phonetics

(٦) سر صناعة الإعراب ج ١ : ٥٦ .

ارتفاع اللسان



مؤخر ← متوسط ← مقدم

(D. Bolinger : Aspects of language : مأخوذ بتصرف من كتاب)

ويتناول هذا البحث اختلاس الصوائت القصيرة في الاختلاس والروم والإشمام عند الوقوف على أواخر الكلمة من الناحية الكمية للاستغراق الزمني، دون أن يعرض لحالات السكون الأولى أو مواقع الإشمام والروم<sup>(١)</sup> كما هو في المضارع المجزوم ، والتثوين ، والمد العارض للسكون<sup>(٢)</sup> ، والمد المتصل<sup>(٣)</sup> ، والمد اللازم<sup>(٤)</sup> ، وهاء الكناية<sup>(٥)</sup> ، وتاء التأنيث التي تقلب هاء عند الوقوف ، والتخلص من التقاء الساكنين بين كلمتين ، ويتم الجمع حيث لا يجوز الوقوف عليها إلا بالسكون المحض عند جميع القراء.

## مصطلح "الاختلاس" :

يدل هذا المصطلح على معان أربعة<sup>(٦)</sup> تشترك كلها في دلالة أساسية مع اختلافها ، وهي :

١ - لا تمطيط في الصائت (الحركة) .

٢ - إخفاء الصائت .

٣ - قصر الصائت .

٤ - تضعيف (إضعاف) الصائت

ويقول د. غانم الحمد :

«فالحركات الثلاث الضمة والكسرة والفتحة» تتعرض للتقصير حتى يصل ذلك إلى حد السكون ، وهو ذوال الحركة البتة. وبعض ذلك يرتبط بالوقف»<sup>(٧)</sup>

وقال الداني :

«أما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعاً ، ويظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع ، وهي كاملة في الوزن نامة في الحقيقة ، إلا أنها لم تمطط ، ولاترسل بها فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها ،<sup>(٨)</sup>

ويقدر الاختلاس تقريباً ثلث الحركة ، وإبقاء ثلثيها<sup>(٩)</sup>.

(١) الدراسات الصوتية : ٥١٠

(٢) أن تكون الكلمة متحركة الآخر ، ويكون قبل الحرف الأخير منها حرف مدولين أو حرف لين فقط.

(٣) أن يكون آخر الكلمة همزة متحركة ، ويكون قبل الهمزة حرف مد.

(٤) أن يكون آخر الكلمة حرفاً مشدداً وقبله حرف مد.

(٥) الهاء الزائدة الدالة على الذكر ، وتسمى هاء الضمير أيضاً.

(٦) النشر : ج٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

(٧) الدراسات الصوتية : ٥٠٩ .

(٨) نقلاً عن د. غانم الحمد : الدراسات الصوتية ... ص ٥١٢ .

(٩) التحديد في الاقنآن والتجويد : ٩٢

## مصطلح الروم :

هو الإتيان ببعض الحركة ، وهو تبعيض بأقل الحركة ، وهو أقل من الاختلاس ، ويقدر تقريبا بثلاث الحركة (١) .

ويقول القسطلاني :

«الروم هو الإتيان ببعض الحركة في الوقوف فلماذا أضعف صوتها لقصور زمانها ويسمعا القريب المصغي لأنها صوت دون البعيد ولأنما غير تامة» (٢)

وقول عبد الوهاب القرطبي :

«وأما كان الروم في المكسور والضموم إعرابا كان أو بنا، دون المفتوح وإن كان الأصل استواءهما ففي الروم . لأنه المفتوح أخف ، وحركته أسرع ظهورا ، فلو رام الراءم الإتيان بمضما وجزئها جا، كلها وجملتها» (٣)

ويختص الروم بالضممة والكسرة.

## مصطلح "الإشمام" :

يقول الداني :

«وأما حقيقة الإشمام فهو ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلا ولا يدرك معرفة ذلك إلا عمي لأنه لروية العين لا غير إذ هو إما، بالعضو إلى الحركة» (٤)

ويقول الحصري :

«هو ضم الشفتين بلا صوت عقب إسكان الحرف إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة. ويؤخذ من هذا أنه لا بد من اتصال ضم الشفتين بإسكان الحرف من غير تراخي ، فلو تراخي فإسكان مجرد» (٥)

ويختص الإشمام بالضممة فقط، وعند الوقف عليها يُكْتَفَى فقط بتدوير الشفتين إشارة إلى صانت الضمة دون أن يحدث صوت كما ذكر علماء التجويد والقراءات.

(١) النجوم الطوالع : ١٢٤ أي بإبقاء ثلاث الحركة وذهاب ثلثيها.

(٢) النشر : ج ٢ : ١٢٠ .

(٣) الدراسات الصوتية ... : ٥١٠ .

(٤) التيسير : ٥٤

(٥) أحكام قراءة القرآن الكريم : ٢٣٤

قال الشيخ أبو الحسن الرباطي (ابن برى) موجزا عن مصطلحات الاختلاس :

قَفَّ بالسُّكُونِ فَهُوَ أَصْلُ الْوَقْفِ  
وَأَنْ تَشَأَ وَقَسَفْتَ لِلْإِمَامِ (١)  
فَالرُّومُ إِضْعَافُكَ صَوْتُ الْحَرَكَةِ  
يَكُونُ فِي الْمَرْفُوعِ وَالْمَجْرُورِ  
وَلَا يُرَى فِي النَّصْبِ لِلْقُرَاءِ  
وَصَفَةُ الْإِشْمَامِ إِطْبَاقُ (٢) الشُّفَاةِ  
مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ عِنْدَهُ مَسْمُوعٍ

دُونَ إِشَارَةٍ (٣) لِشَكْلِ الْحَرْفِ  
مُبَيِّنًا بِالرُّومِ وَالْإِشْمَامِ  
مَنْ غَيْرُ أَنْ يَذْهَبَ رَأْسًا (٤) صَوْتُكَ  
مَعًا وَفِي الْمَضْمُومِ وَالْمَكْسُورِ (٥)  
وَالْفَتْحِ لِلخَفِيَّةِ وَالخَفَاءِ (٦)  
بَعْدَ السُّكُونِ (٧) وَالضَّرِيرُ لَا يَرَاهُ  
يَكُونُ الْمَضْمُومِ وَالْمَرْفُوعِ

تشارك المصطلحات الثلاثة : الاختلاس ، الروم ، الإشمام في إشارتها إلى تقصير الصوائت القصيرة (٨) بكميات زمنية مختلفة. الاختلاس أقلها تقصيرا حيث يصل إلى ثلث زمن الصائت. والروم أكثر منه تقصيرا حيث يصل إلى الثلثين. والإشمام أقل تقصيرا حيث يختلس صوتها ، أو يذهب معظم الصائت. إذا عددنا ضم الشفتين الملمح الوحيد الذي يتبقى منه الضمه بعد ذهاب الملامح الفسيولوجية والنطقية الأخرى. وعلى ذلك يكون اختلاف الاستغراق الزمني DURATION بين أنواع التقصير الثلاثة على النحو التالي :

## الاختلاس < الروم < الإشمام

< = أكبر من > = أصغر من

قال أبو بكر أحمد بن الجزرى فى (الحواشى المفهمة [مخطوط]):

والاختلاس والروم يشتركان فى التمييز ، وبينهما عموم وخصوص ، فالروم أخص من كونه لا يكون فى الفتح والنصب ، ويكون فى الوقف دون الوصل ، والثابت من الحركة أقل

(١) تعنى كلمة منظومة هنا دلالتين : الأولى تعنى الأبيات المنظمة التى نظمها الشيخ أبو الحسن الرباطي (ابن برى) عن قراءة الإمام نافع وأطلق عليها "النجوم الطوالع". وتعنى أيضاً الدلالة الثانية ، وهى نظام المصطلحات الثلاثة : السكون والروم والإشمام وترتيبها من مفهوم "الاختلاس".

(٢) الإشارة هى الروم والإشمام ، وشكل الحرف : حركته ، أى الصائت الذى يلى الصائت فى نهاية الكلمة.

(٣) يعنى الإمام نافع. ولكن الرواية فى الروم والإشمام وردت عن أبى عمرو البصرى والكوفيين دون بقية القراء. ونص الثانى على أن المختار عند أكثر الشيوخ من أهل الأداء الأخذ بهما لجميع القراء. (المزيد من مناقشة هذه الرواية أنظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى : دكتور عبد الصبور شاهين) ص ٣٤٩ - ٣٧٥.

(٤) رأساً : ذهاباً كلياً.

(٥) المرفوع والمجرور من المعربات ، والمضموم والمكسر من الميبينات.

(٦) لا يجوز الروم فى الفتح عند علماء القراءات. وذهب أكثر النحاة إلى جواز الروم فيه ، وذهب بعضهم إلى المنع وناقوا للقراء.

(٧) ليس مراده حقيقة الإطباق ، ولكن مراده الضم.

(٨) يعنى من غير تراخ بعد السكون ، فلو وقع التراخ لكان مكوناً مجرداً لا إشماماً.

(٩) يحدث الاختلاس فى الضمة والمكسرة والفتحة ، ويحدث الروم فى الكسرة والضمة ، ويحدث الإشمام فى الضمة. وسبب أسباب هذا الاختلاف فى الصلحات القادمة.

من المحذوف. والاختلاس أعم ، من كونه يتناول الحركات الثلاث ، ولا يختص بالأخر. والثابت من الحركة أكثر من المحذوف ، وذلك أن تأتي بثلاثيها كأن الذي تحذفه أقل مما تأتي به ، وهذا لاتحكمه إلا المشافهة،<sup>(١)</sup>

وقد يرجع ذهاب الصوت في الإشمام إلى قصر الزمن في صانت الضمة ، فلا يستطيع القارئ أن يزيد أكثر من ذلك ، وإلا انتقل إلى درجة أخرى من درجات التقصير وهي الروم أو الاختلاس. يقول د. غانم الحمد :

والروم أتم من الإشمام ، لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ، فيسمع لصا صويت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه ، ويستعمل في الحركات الثلاث إلا أن عادة القراء أن لا يرموا المنصوب ولا المفتوح لخفتها وسرعة ظهورهما إذا طاول الإنسان الإتيان ببعضهما،<sup>(٢)</sup> ويبن عبد الوهاب القرطبي أحد علماء التجويد وجه انحصار الإشمام بالضمة دون الكسرة والفتحة بقوله :

واختص به المرفوع والمضموم دون المكسور والمجرور والمفتوح والمنصوب لأن الضم من الشفتين ، وإذا أوما القارئ ، بشفته نحوه أمكن الإيما ، وأدركه الراني وإن انقطع الصوت ، لأن الراني يدرك مخرج هذه الحركة وهي الشفتان ، فأمكن أن يدركها ، أما في المجرور والمكسور والمنصوب والمفتوح فإنما أتمم لأن الكسر ليس من الشفة ، وإنما من مخرج الياء ، ومخرج الياء من شجر الفم ، والنظر لا يدرك حركته ، وكذلك الفتح من الألف ، ولا آلة للألف يدركها النظر ، لأن مخرجها من الحلق والراني لا يدركه ولا يدرك حركته ، والصوت ينقطع دون الشروع في صا الجز. من الحركة ، فلم يبق للنظر ولا للسمع وصول إلي إدراكه فامتنع الإشمام فيه لذلك،<sup>(٣)</sup>

أضف إلى ذلك ، أنه لا توجد ملامح بصرية في ملامح أصوات اللغات البشرية المنطوقة حيث تعتمد اللغة البشرية على الملامح النطقية - السمعية أساسا للأصوات. ويبدو أن علماء التجويد والقراءات عدوا الإشمام إشارة بصرية لاصوتية<sup>(٤)</sup> ، يقول الشاطبي :

والإشمام إطباق الشفاه بعيدما يسكن لأصوت هناك فيصلا

ويقول إبراهيم المارغني :

وصفة الإشمام إطباق الشفاه بعد السكون والضرب لليراه

من غير صوت عنده مسموع يكون المضموم والمرفوع

وربما يرجع ذلك إلى التناهي في تقصير الصانت القصير والأقصر تزيينا بطبيعته الفزيائية -

(١) الدراسات الصوتية لعلماء التجويد : ٥١٦ .

(٢) الدراسات الصوتية لعلماء التجويد : ٥٠٩ ، ٥١٠ .

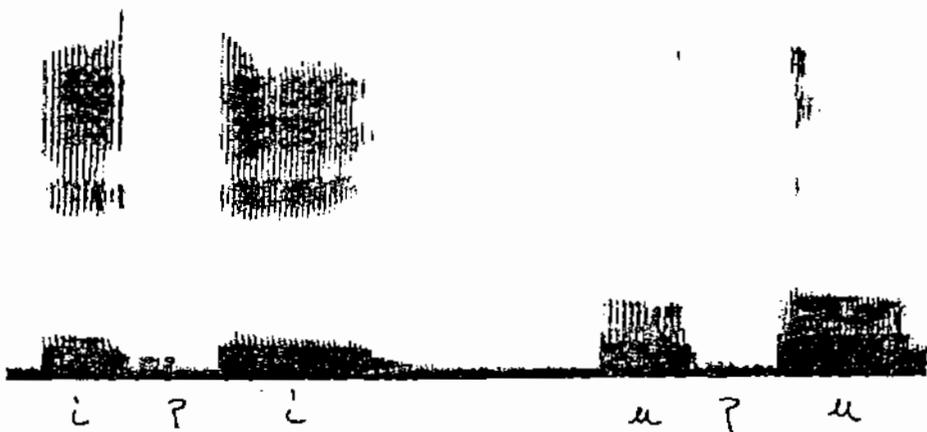
(٣) الدراسات الصوتية لعلماء التجويد : ٥١١ .

شجرة الفم = منطقة الفم في سقف الحنك palate الحلق = يشمل المنطقة من الحنجرة إلى الحلق.

(٤) كتاب الضوابط والإشارات : ٢٧ .

السمعية<sup>(١)</sup>. فقد تبين لنا في الصور الطيفية للصوائت في اللغتين الإنجليزية والعربية مثلا أن الصوائت الخلفية المدوّرة الشفتين [+Back] تستغرق زمنا أقصر من الصوائت غير المدوّرة. (٢) ولذلك نرام الضمة والكسرة عندما تقل نسبة اختلاسهما وتصل نسبة استغراقها الزمني إلى الحد المناسب لظهورها بأقل درجة من الوضوح السمعي.

أما بخصوص الفتحة ، فإن رومها قد يؤدي إلى صدور صوت يشبه صوت القلقة الذي بدوره قد يؤدي إلى لبس الإشارات الصوتية و الملامح الخاصة بالتلاوة. يقول ابن الجزري :  
 ، لان الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها فلا تقبل التبويض، (٣) .

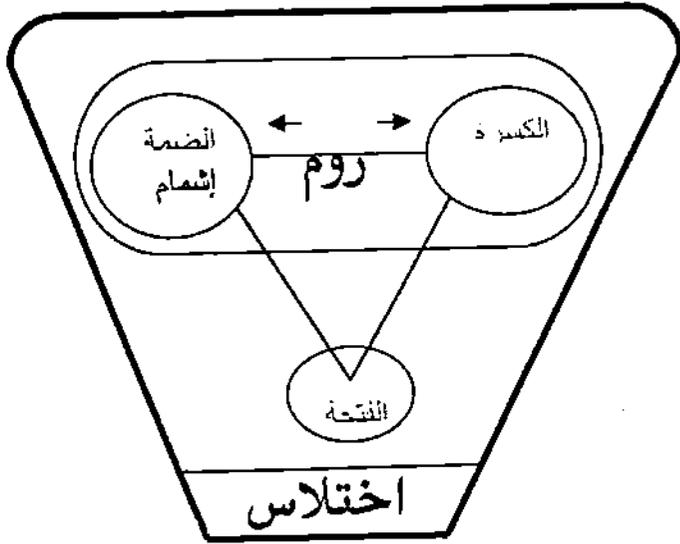


J. Clark & Yallop (1994) : 33 I. Lehiste (1970) : 18 (١)

(٢) أنظر بعض النماذج في الصفحة التالية.

(٣) إبراز المعاني : ٢٦٩.

وزيادة على ذلك ، لاحظ الباحثون أن الصائت المنفخ أو الواطي (الفتحة) open or low vowel أطول زمناً من الصائت المنغلق أو المرتفع (الكسرة و الضمة) close or high vowel ، وذلك بسبب التحركات النطقية الشاملة ، و الجهد الميكانيكي الحيوي biomechanical effort الذى تتطلبه الصوائت المنفتحة حيث تحتاج إلى تحركات هائلة من اللسان والفك السفلى (١) .  
ويوضح الشكل فى الصفحة هذه تليخياً لأنواع الاختلاس فى الصوائت القصيرة العربية عند تلاوة القرآن الكريم حسب بعض الروايات .



## بعض الامثلة

وردت في قراءة أبي عمرو أمثلة اختلفت حولها روايات القراء ، و الأمثلة هي :

يأمركم (وقعت في سبعة مواقع) قيل بإسكان الراء ، و قيل باختلاس حركتها .  
 يأمركم (وقعت في موضع واحد) قيل بإسكان الراء ، و قيل باختلاس حركتها .  
 يتصركم (وقعت في خمسة مواضع) قيل بإسكان الراء ، و قيل باختلاس حركتها .  
 يشعركم (وقعت في موضع واحد) قيل بإسكان الراء ، و قيل باختلاس حركتها .  
 إلى يارتكم (وقعت في موضعين اثنين) اختلفوا في كسر الهمزة و اختلاس حركتها .

كان ابن كثير و نافع و عاصم و ابن عامر و حمزة و الكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس و لا تخفيف . قال سيبويه : كان أبو عمرو يختلس الحركة من إبارنكم) و إيامركم) و ما أشبه ذلك مما تتوالم فيه الحركات ، فيرى من سمعه أنه قد أسكن و لم يسكن<sup>(١)</sup> .

وفي (شهر رمضان) استخدم مصطلح إخفاء الحركة في ما أدغمه أبو عمرو بين العلاء من الإدغام الكبير إذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء حرف ساكن لم يجز أن يسكن ، ولكنك إذا شئت أخفيت و كان بزنته متحركاً<sup>(٢)</sup> .

وفي (نعمًا) و (يَهْدِي) اختلف القراء ، فروي المغاربة قاطبة عن أبي عمرو و قالون و أبي بكر إخفاء كسرة العين يريدون الاختلاس قراراً من الجمع بين الساكنين ، و روي عنهم العراقيون و المشرقيون قاطبة الإسكان ، و لا يبالون من الجمع بين الساكنين ، لصحته رواية ، ووروده لغة<sup>(٣)</sup> .

أما بخصوص كلمة (تَأْمَنًا) فقد رسمت في المصحف بعلامة الشكل المعين في المسافة التي بين الميم و النون المشددة هكذا:

(قَالُوا يَا بَنَاتَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَيَّ يَوْسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ)

ثم شرحت في مصطلحات الضبط في آخر المصحف (مصحف الأزهر الشريف المطابع الأميرية ١٤١٧هـ) :

«وكان النقاط يضعون هذه النقطة دائرة حمراء . فلما تعمس ذلك في المطابع عدل إلى هذا الشكل المعين . ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قبيل النون المشددة من قوله تعال : (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَيَّ يَوْسُفَ) يحل علم الإشمام . و هو ضم الشفتين - كمن يريد النطق بضمه - إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق .»

و قد أفاض علماء القراءات في بيان اختلاف القراء و أوجهها ، قال ابن القاصح في (سراج القارئ المبتدئ و تذكار المقرئ المنتهي) ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ :

كل القراء، يعنى السبعة قرءوا مالك لا تأمننا بأخفا، حركة النون الأولى و اختلاس حركتها ثم قال

(١) أثر القراءات ... : ٣٣٨ ، الدراسات الصوتية ... : ٥١٣ ، ٥١٤ \* انظر قائمة المادة الصوتية في الصفحات التالية.

(٢) الدراسات الصوتية ... : ٥١٤ \* انظر قائمة المادة الصوتية في الصفحات التالية.

(٣) أثر القراءات : ٣٦١ ، ١٦٢ ، ٣٩٨ \* انظر قائمة المادة الصوتية في الصفحات التالية.

مفصلاً ينعني أن الإخفا، يفصل إحدى النوبين عن الأخرى بخلاف الإدغام ثم أخبر أن بعض أهل الإدا،  
 كابن مجاهد أدغم النون الأولى مع الثانية مع إشماء الضم عنصم أم عن السبعة وهذا الوجه ليس  
 في التيسير وهذا الإشماء كالإشماء السابق في الوقف وهو ضم الشفتين من غير إحداث شئ في  
 النون وفي كلام الناظم إشارة إلى وجه ثالث وهو الإدغام الصريح بدون إشماء لأنه لما قال و  
 أدغم مع إشماء البعض عنهم دل على أن البعض الآخر أدغم من غير إشماء فهذه ثلاثة أوجه  
 قرأنا بها لكل واحد من السبعة وهذا الوجه الثالث ليس في التيسير أيضا ونص ابن جبارة على  
 الوجه الثلاثة

و يقول الصفاقصي في (غيث النفع في القراءات السبع ، بها من سراج القارئ ص ٢٥٤ ،  
 : (٢٥٥

إلا تأمنا) اضطربت في هذه اللفظة أقوال العلماء، فمنهم من يجعل فيها وجهين ومنهم من  
 يجعل ثلاثة. والوجهان هما الإدغام مع الإشماء أو الإخفا، والثالث هو الإدغام المحض من غير إشماء  
 ولا روم ، ومنهم من يجعل الإشماء بعد الإدغام . ومنهم من يجعله مع أوله ومنهم من يغير  
 في ذلك ومنهم من يقول إن الإخفا، لا بد معه من الإدغام ومنهم من يقول لا إدغام معه ،  
 ومنهم من ظاهر عبارته ذلك وهذا الاضطراب بوجب اللقاصر الحيرة والتوقف، وللماهر التثبت  
 التعرف، والحق أن فيها للقراء، السبعة وجهين : الأول الإدغام مع الإشماء فيشير إلى ضم النون  
 المدغمة بعد الإدغام للفرق بين إدغام ما كان متحركا وما كان ساكنا ، لأن (تأمنا) مركبة من فعل  
 مضارع مرفوع وضمير المفعول المنصوب ، وأجمعت المصاحف على كتبه على خلاف الأصل بنون  
 واحدة كما يكتب ما أخره نون ساكنة و اتصل به الضمير نحو (كنا وعنا ومنا) وهذا الإشماء  
 كالإشماء في الوقف على المرفوع ، وهو أن تضم شفتيك من غير إسماع صوت كهينتهما عند  
 التقبيل لأن المسكن للإدغام كالمسكن للوقف بجامع أن سكون كل منهما عارض الثاني الإخفا ، وهو  
 أن تضعف الصوت بحركة النون الأولى بحيث إنك لا تأتي إلا ببعضها وتدغمها في الثانية إدغاما غير  
 تام لأن التام يتمتع مع الروم لأن الحرف لم يسكن سكونا تاما فيكون أمرا متوسطا بين الإظهار و  
 الإدغام. ولأ يحكم هذا إلا بالأخذ من أقواله المشايخ البارعين العارفين الأخذين ذلك عن أمثالهم  
 والله الموفق ، وأما الوجه الثالث فلم يدرو عن أحد من الأئمة السبعة إلا من طرق ضعيفة. نعم هي  
 قراءة أبي جعفر.

## التجربة الصوتية

أجريت تجربة تحليلية لقياس الاستغراق الزمني في القراءة التي تختلس الصوائت القصيرة ،  
و تم إجراؤها في الخطوات الآتية :

أ- المادة الصوتية :			الاختلاس		
الرؤم					
الكلمة	الآية	السورة	الكلمة	الآية	السورة
نستعين	٥	الفاحة	بارئكم (١)	٥٤	البقرة
شهر رمضان	١٨٥	البقرة	يأمركم (٢)	٦٧	"
شهر رمضان			وأرنا	١٢٨	"
(حكم الإدغام)			أرني	٢٦٠	"
القرآن			فنعما (٣)	٢٧١	"
للناس			يتصرکم (٤)	١٦٠	آل عمران
الضرقان	١١٥	النساء	يشعركم (٥)	١٠٩	الأنعام
يريد			يأمركم (٦)	١٥٧	الأعراف
من بعد			يهدي (٧)	٢٥	يونس
قامنا	١١	يوسف			
والفجر	١	الفجر			

## ب - أشخاص التجربة :

اختير أحد الشباب المجيدين لتلاوة القرآن وترتيله ، و العارفين بقواعد التجويد وأصوله . و طلب منه تلاوة بعض الآيات التي تحوي قائمة الكلمات المذكورة في (أ) . و نتيجة لإجراء تسجيل قراءته المختلصة و المرومة في حجرة غير عازلة للضوضاء المحيطة ، احتوت التسجيلات قدراً كبيراً من الضوضاء التي أصابت تحليل الصور الطيفية بالتشويش . و لا توجد القراءات التي تحقق الاختلاس و الرؤم و الإشمام في تلاوة القراء المشهورين مثل الشيخ محمود الحصري و مصطفى إسماعيل و عبد الباسط عبد الصمد و غيرهم .

و القراءة التي تحقق الاختلاس غير معروفة عند القراء غير المجيدين لها و غير المتدربين عليها ، و لذا اکتفينا بشخص فرد يجيد هذه القراءة حيث تكمن صعوبتها في الإسراع الذي يحافظ على التزامن الشامل الطبيعي للكلمة .

\* بخصيص الهوامش من (١) إلى (٧) أنظر الفقرات التي تحت العنوان (بعض الأمثلة) في الصنعتين السابقتين.

## النتائج

أظهرت قياسات الاستغراق الزمني للصائت المختلصة القيم الآتية بالملئى ثانية  
(١/١٠٠٠ من الثانية) :

### أ- الإختلاس

الكلمة	الصائت	الصائت قبله	زمن القراءة العادية	زمن القراءة بالإختلاس
بارئكم	الكسرة	الراء	١٤٥	٨٠
يأمركم	الضمة	الراء	١٩٥	١٣٠
أرنا	الكسرة	الراء	٢١٥	١٠٠
أرني	الكسرة	الراء	٢٤٠	١٨٠
فتعما	الكسرة	النون	١٥٥	١٠٠
ينصركم	الضمة	الراء	٢٠٠	١٤٠
يشعركم	الضمة	الراء	١٧٠	١٤٠
يأمرهم	الضمة	الراء	١٤٠	١٠٠
يهدي	الكسرة	الذال	١٥٠	٨٥

متوسط زمن القراءة العادية للصائت = ١٧٨ م.ث

متوسط زمن القراءة بالإختلاس = ١١٧ م.ث

٦٦% = ثلثي زمن الصائت العادى تقريباً

### ب- الروم

الكلمة	الصائت	الصائت قبله	زمن القراءة العادية	زمن القراءة بالإختلاس
نستعين	الضمة	النون	٢١٠	٨٥
شهر رمضان	الضمة	الراء	١٧٥	٧٠
شهر رمضان	الضمة	الراء	١٥٥	٥٥
القرآن	الضمة	النون	١٨٠	٧٥
للناس	الكسرة	السين	١٨٠	٦٥
الضرقان	الكسرة	النون	٢٠٠	٧٠
يريد				
من بعد	الكسرة	الذال	١٥٥	٥٠
تأمننا	الضمة	النون	١٩٠	٨٠
والضجر	الكسرة	الراء	١٨٠	٤٥
تأمننا	الضمة	النون	١٦٥	٥٥

متوسط زمن القراءة بالروم = ٦٥ م.ث

متوسط زمن القراءة العادية ١٧٩ م.ث

٣٦% = ثلث زمن الصائت العادى تقريباً



عادي  
١٨٥ مرث



متقل  
١٤٠ مرث



مختل  
١٤٠ مرث



مرو  
٧٥ مرث

صاننت الضمة في حالاته الأربع

## الوصف العام :

- أظهرت النتائج القيم الزمنية للاختلاس والروم ، وكانت على النحو التالي :
- ١- فى أمثلة (عينة) الاختلاس ، متوسط الاستغراق الزمنى للصانت فى أدائه = ١٧٨ م.ث. ، ومتوسط الصانت المختلس = ١١٧ م.ث. ، والنسبة المئوية للاستغراق الزمنى فى الصانت المختلس = ٦٦ % ، أى ثلثى زمن الصانت العادى تقريباً .
  - ٢- فى أمثلة (عينة) الروم ، متوسط الاستغراق الزمنى للصانت فى أدائه العادى = ١٧٩ م.ث. ، ومتوسط الصانت المروم = ٦٥ م.ث. ، والنسبة المئوية للاستغراق الزمنى فى الصانت المروم = ٣٦ % ، أى ثلث زمن الصانت العادى تقريباً .
  - ٣- اتفقت هاتان النتيجتان مع ما نبه إليه الشيخ إبراهيم المارغنى فى (النجوم الطوائع : ١٢٤) بقوله :

الثابت فيه الاختلاس من الحركة أكثر من الذاهب و قدره بعضهم بالثلثين ولا يضبطه إلا المشاهدة ..... و الثابت فيه الروم أقل من الذاهب ، و قدره بعضهم بثلث الحركة .....

٤- لم نستطع أن نجرى تجربة للإشمام حيث لا يظهر تدوير الشفتين فى الصور الطيفية ، و أيضاً من الصعب الحصول على تسجيل يوضح هذه الظاهرة نظراً للإسراع المفاجئ فى أدائها ، و حاجتها إلى أداء متزامن من التحركات العضوية. أضف إلى ذلك ما قاله أحد المتخصصين الأكاديميين فى مجالى التجويد و القراءات ، وهو د. غانم الحمد فى (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥١٢) :

و لا نلاحظ اليوم أحداً من متكلمي العربية الفصحى يحرص على روم أو إشمام فى وقفه ، حتى بدأ ذلك أمراً غريباً على المسامع ، اللهم إلا إذا كان ذلك لحى نفر قليل من علماء القراءة المتمسكين بالرواية.



## المصادر والمراجع باللغة العربية

- ١ - ابن الجزري ، أبو الخير محمد (دت) النشر في القراءات العشر - المكتبة التجارية - القاهرة
- ٢ - ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (دت) الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب المصرية
- ٣ - ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (١٩٨٥) سر صناعة الإعراب - دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي - دار القلم - دمشق
- ٤ - أبو شامة البمشقي ، عبد الرحمن بن اسماعيل (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) - إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع للإمام الشاطبي - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة
- ٥ - البقاعي الشافعي ، ابراهيم بن عمر (١٩٩٦م) - كتاب الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات - تحقيق د. محمد مطيع الحافظ - دار الفكر المعاصر - بيروت.
- ٦ - الحصري ، محمود خليل (١٩٩٧) أحكام قراءة القرآن الكريم - المكتبة الملكية - مكة - السعودية
- ٧ - الحمد ، دكتور غانم قنوي (١٩٨٦) - الدراسات الصوتية عند علماء التجويد - وزارة الأوقاف - مطبعة الخلود - بغداد
- ٨ - الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد (١٩٩٨) - التحديد في الإتيان والتجويد - تحقيق د. غانم قنوي الحمد - جامعة بغداد.
- ٩ - الداني ، أبو عمر بن سعيد (١٩٩٦) - كتاب التيسير في القراءات السبع - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠ - شاهين ، عبد الصبور (١٩٨٧) - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي - مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ١١ - المارغني ، ابراهيم (١٩٩٥) - النجوم الطوالع على الدور اللوامع في أصل مقرا الإمام تافع - دار الفكر ببيروت
- ١٢ - نصر ، محمد مكي (١٣٤٩هـ) - نهاية القول المفيد - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
- ١٣ - نصر ، عطية قابل (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) - غاية المرید في علم التجويد - نشر المؤلف - القاهرة ، الرياض ، جدة.

## المراجع باللغة الانجليزية

- 1 - Bolinger, d. (1975) - Aspects of Language - Harcourt & Brale & Javanovidn new york.
- 2 - Cassell (pubiliding) (1994) - Guide to Related Words - Cassell Books.
- 3 - Clark, J. & Yallop, C. (1994) - Introduction to Phonetics and Phonology - Blackwell Oxford-U.K.
- 4 - Crystal, D. (1991) - Dictionary of Linguistics and Phonetics - Blackwell U.S.A.
- 5 - Lehiste, I. (1970) - Suprasegmentals - The MIT Press U.S.A.
- 6 - Roach, P. (1992) - Introducing Phonetics - Penguin.

الأنايية فى  
مأساتى الكستيس وميديا  
ليوريبيديس

بخت مقدم من

د. ليلى عبد المنعم

1

2

3

4

5

6

## الأناية في مأساتي ألكستيس وميديا ليوربيديس

بحث مقدم من د. ليلي عبد المنعم

في إلياذة "هوميروس" تتهنر أمانا شخصية أخيلئوس البطولية في بعض اللحظات ، حينما يرفض الاستمرار في الحرب إثر غضبه من "أجاممنون"<sup>(١)</sup> ، وحينما يعلن - في رأس - أن سعائته الشخصية فوق سعادة "أجاممنون" ، وأن الثروة تأتي في المقام الأول قبل النصر<sup>(٢)</sup> ، كما أن الحياة والأسرة تأتيان قبل المجد والموت المبكر<sup>(٣)</sup> . لكن "أخيلئوس" ، سرعان ما يتجاوز مشاعر النفعية والأناية ، بعد مصرع "هاتروكلوس" ، ويعود - مرة أخرى - إلى مواصلة القتال ، لأن شعوره بالواجب والمصلحة العامة كان كامناً في وجدانه طوال الوقت .

وفي مأساة "فيلوككتئيس" فاجأ بان "نيوبتوليموس" ، بما فطر عليه من أخلاق بطولية نبيلة<sup>(٤)</sup> ، نغريه المنفعة الشخصية το κερδος - المتمثلة في حصوله على أسلحة "فيلوككتئيس" - على القيام بخداعه<sup>(٥)</sup> . لكن المأساة لا تنتهي قبل أن يتخلى "نيوبتوليموس" عن أنانيته ومنفعته الشخصية ، ويعود إلى التصك بالحق والعدل εὐν τῷ δικαίῳ<sup>(٦)</sup> ، ومن ثم يعيد إلى فيلوككتئيس أسلحته<sup>(٧)</sup> .

فإننا كلن "أخيلئوس" عند هوميروس ، و"نيوبتوليموس" عند سوفوكليس تتتابهما - لفترة وجيزة - رغبة في تحقيق المنفعة الشخصية فيصرفان بأنانية سرعان ما يتخيلان عنها ، فإننا نجد عند ليوربيديس - على النقيض منهما - شخصيتين أنانيتين φιλαυτοὶ تسعيان إلى تحقيق المنفعة الشخصية ονησις أو κερδος أو το συμφερον بصلاية وعناد وكأنهما يستجيبان إلى قيمة أخلاقية واجبة الأداء . بل إن مايزيد معلم هاتين الشخصيتين تركيزاً وتفرداً أنهما زوجان ، وأن أنانيتهما تتمحور حول علاقتهما بالزوجة والأسرة ، في حين أن علاقة الرجل بزوجته وأسرته أسسها التراحم والعتاء بعيداً عن النفعية أو الأناية . وأحد هاتين الشخصيتين هو "ألميتوس" في المأساة المسماة باسم زوجته

"ألكستيس"، والآخر هو "ياسون" في المأساة المسماة باسم زوجته "ميديا".

"كانت للعلاقة الزوجية - في واقع الأمر - أكثر نقاط الضعف في الأسرة اليونانية"<sup>(١)</sup>. ويمكن القول إن هاتين المأساتين تعكسان - بجلاء - اهتمام "يوربيديس" بقضية علاقة الرجل بالمرأة، كما أنهما تتلمان - في الوقت نفسه - دليل براعته من تيمة عدائه للمرأة، والذي توحى به قسوة بعض كلمات مأسيه<sup>(٢)</sup>، ذلك لأنه ينتقد - في مأساتي ألكستيس و ميديا - أبناء جنسه من الرجال .

فلذا أخذنا في الاعتبار أن المأساة اليونانية تعكس - إلى حد ما - بعض الأحداث والأحوال المعاصرة<sup>(٣)</sup>، فإن مايعيننا - هنا - بعيداً عن قضية عداء "يوربيديس" أو مناصرته للمرأة أن "يوربيديس" - بوصفه كاتباً واقعياً - ينبه من خلال هاتين المأساتين إلى خطورة النفعية والأنانية وأثرهما في انهيار الأسرة والمجتمع. ويبدو أن الأنانية والنفعية كانتا من أمراض عصر يوربيديس الذي نجد وصفاً له في قول ثيوكيديدس "إن الناس قد أقبلوا على المتعة وانعدم لديهم الخوف من الآلهة والقانون"<sup>(٤)</sup>. فيبدو أن التشكك في قوى الآلهة كان يمثل استعداداً عند القاعدة العريضة للمجتمع الأثيني منذ أواسط القرن الخامس ق.م، لايلت أن ينفجر إذا تعرض المجتمع لشدة من الشدائد، كما حدث عندما ألم الوباء بالأثينيين في ٤٣٠ ق.م<sup>(٥)</sup>، وهو ما يصفه لنا "ثيوكيديدس" بوضوح في قوله "أما عن الآلهة، فيبدو أن الأمر أصبح متساوياً سواء في ذلك أتعبد الناس لهم أم لم يتعبدوا، طالما أن الموت (من أثر الوباء) كان يحل بالأخير والأشرار دون تمييز"<sup>(٦)</sup>. وعلى الرغم من أن الفضيلة تقتضى - بما لا يدع مجالاً للشك - اتباع الحق والعدل δικαίον بصرف النظر. عن المتعة أو المنفعة<sup>(٧)</sup>، فإن الميل إلى المنفعة το συμφέρον - في ذلك العصر - كان قويا<sup>(٨)</sup>.

ونبدأ بمأساة "ألكستيس" التي تواجهنا بأن أجل "ألميتوس" قد دنا، إلا أن القدر سيظل عمرد شريطة أن يتقدم أحد أقربائه إلى الموت عوضاً عنه<sup>(٩)</sup>. ومن الغريب أن "ألميتوس" لا يتردد في قبول هذا العرض، بل أنه يطلب من أبويه - بالبحاح - أن يقتلوه بجياتهما<sup>(١٠)</sup>.

وذلك من فرط أنانيته . وحينما يرفض الأبروان هذه التضحية ، وتقبلها — فى عطاء نادر — زوجته " ألكسيس " <sup>(٢١)</sup> ، بالرغم من حبها للحياة <sup>(٢٢)</sup> ، فإن أنانيته تدفعه لقبول تضحية زوجته بحياتها من أجله <sup>(٢٣)</sup> . وبالرغم من أن المدينة بأسرها تعرف بأمر تلك التضحية <sup>(٢٤)</sup> ، فإن " أميتوس " — وكأنه لم يفعل شيئاً غريباً — يواجه الجميع دونما خجل ، ودون أن يسرى عاقبة أفعاله ، شأنه فى ذلك شأن الأبطال التراجيديين ، بينما تبنيء بداية المأساة بشقائه ، وذلك على لسان خادمة القصر :

ουπω τοδ σιδε δεσποτης , πριν αν παθη <sup>(٢٥)</sup>

لن يعرف سيدى ذلك قبل أن يعانيه

τοσουτον αλγος , ου ποτ ου λελησεται <sup>(٢٦)</sup>

مثل هذا العذاب العظيم لاينسى أبدا .

وعندما يظير " أميتوس " — للمرة الأولى — فى أثناء احتضار زوجته الشابة " ألكسيس " ، يكون قد بدأ يقطف ثمار أنانيته المرة . إنه يدرك — بعد فوات الأوان — أن زوجته لا تستحق الموت <sup>(٢٧)</sup> ، ولا يكاد يصدق أن الموت واقع لامحالة ، وأن الأمر قد أفلت من بين أيديهما ، فيبذل جسد زوجته — فى هستيرية — راجياً إياها ألا تتركه وحيداً :

επαιρε σ αυτην , ω ταλαινα , μη προδω <sup>(٢٨)</sup>

انهضى أيتها الشقية ، لا ترحلى

وحينما تتمكن " ألكسيس " — فى أثناء احتضارها — من مخاطبة زوجها <sup>(٢٩)</sup> ، فإن حديثها ينصب — بصفة أساسية — حول مصير أطفالهما ، أما " أميتوس " فتكتفى بأن تذكره بأنها ضحت من أجله ، وكأنها بذلك تذكره بأنانيته ، بالإضافة إلى أنانيته والديه . وتشعر " ألكسيس " — من ذلك المنطلق — بأن من حقها أن تلزم زوجها ألا يتزوج بعد موتها

حتى لا يكون انشقاق مصير اطفالنا . انيا - في الواقع - تطلب ثمناً لما فعلته من اجله ،  
وان كانت تتظاهر بعكس ذلك :

αιτησομαι γαρ σ αξιαν μεν ουποτε<sup>(٢٧)</sup>  
لذلك فلن أسألك أبداً هذا المعروف

وإذا كانت " ألكستيس " توجه - في أثناء احتضارها - جل اهتمامها إلى أطفالها ،  
فذلك لأنها لم تعد تيمّم بأدميتوس الذي تسببت أنانيته في موتها ، فنحن نلاحظ أن " ألكستيس " <sup>(٢٨)</sup>  
تعامل زوجها في فتور يتجلى في قولها " إن الزمن سيخفف عنك " <sup>(٢٩)</sup> .  
كما نلاحظ أيضاً أن " ألكستيس " تتعامل مع " أدميتوس " في سخريّة واستهزاء ، فحينما يعبر  
" أدميتوس " عن رغبته في الموت <sup>(٣٠)</sup> - بعد أن أصبحت الحياة قاسية بدون " ألكستيس " -  
نجد " ألكستيس " ترد عليه - في استهزاء - قائلة :

αρκουμεν ημεις οι προθησκοντες σεθεν<sup>(٣١)</sup>  
يكفيننا نحن أن يكتب علينا الموت قبلك

أما " فيريس " والد " أدميتوس " - الذي يظهر للمرة الأولى في أثناء إعداد جنازة  
" ألكستيس " - فلا يخلو أيضاً من أنانية ، إنه يواسي ابنه بفتور <sup>(٣٢)</sup> ، ثم لا يخفى شعوره  
بالارتياح لتضحية " ألكستيس " بحياتها من أجل ابنه لأنها أنقذته - شخصياً - من معاناة  
مشاعر الشيوخوخة والامها بدون ولده <sup>(٣٣)</sup> ، ثم يكشف عن أنانيته ككثفاً صريحاً عندما يعبر  
عن رأيه في الزواج فيقول :

.....φημι τοιουτους γαμους  
λυειν βροτοισιν , η γαμειν ουκ αξιον<sup>(٣٤)</sup>

أقول أن مثل هذه الزيجات تريح الناس  
وإلا اتعدمت قيمة الزواج

وربما أمكننا القول إن " يوربيديس " قد رسم شخصية والد " أدميثوس " على هذا النحو بغرض تعميق أو تأصيل أنانية " أدميثوس " لأن الابن قد تأثر - فيما يبدو - بشخصية أبيه . ومن ناحية أخرى فإن " يوربيديس " عندما يضع الشخصيتين الأناتيتين - الابن والأب - في مواجهة بعضهما ، فإنه يضعنا أمام موقف ساخن تتبادل خلاله الشخصيتان الكلمات الحادة العنيفة ، فالابن - الذى اتخذ من قبل موقفاً عدائياً من أبيه لرفضه فدائه بروحه (٣٦) - يتجرد الآن من مشاعر النبوة ، ويهدد أباه بعدم المشاركة فى دفته والعمل على تسيويه سمعته بين الناس (٣٧) . أما الأب الذى يعرف ابنه جيداً ، فإنه - بعد أن يوجه إليه سبلاً من الشتائم (٣٧) - لا يجد بداً من مواجهة ابنه بعينه - بأنانيته - مواجهة صريحة ، ويقدم على ذلك دليلاً بعد آخر :

..... οφειλω δ ουχ υπερ θνησκειν σεθεν  
 ου γαρ πατρων τονδ εδεξαμην νομον,  
 παιδων προθνησκειν πατερας , ουδ Ελληνικον (٣٨)  
 ليس ثمة ما يلزمنى على الموت من أجلك  
 لأننى لم أرث هذا التقليد عن أبائى  
 وهو أن الآباء يموتون بدلاً من أبنائهم ، إن هذا ليس تقليداً يونانياً :

χαιρεις ορων φως . πατερα δ ου χαιρειν δοκεις (٣٩)  
 أتسعد أنت بروية الضوء ، وتظن أن أباك لا يسعد به ؟

νομιζε δ , ει συ την σαυτου φιλεις  
 ψυχην , φιλειν απαντας (٤٠)  
 إذا كنت أنت تحب نفسك  
 فتذكر أن الجميع (أيضاً) يحبون أنفسهم .  
 ψυχη μια ζην , ου δυοιν οφειλομεν (٤١)  
 مكتوب علينا أن نعيش مرة واحدة لا مرتين

على أن الفارق بين أثنائية فيريس وابنه أدميتوس هو أن "أدميتوس" - شأن الأبطال التراجيديين - لا يعترف بخطئه ، وإنما يضادى فيه ويشمر بأنه ضحية الآخرين ، إلى أن يدرك في نهاية الأمر أنه ضحية نفسه فحسب . فمما فلاحظه في نياية موقف المواجهة بين "فيريس" وابنه "أدميتوس" أن "أدميتوس" لم يعترف بأثانيته أو يقر بخطئه ، بالرغم من أن أباه قد قدم - كما بينا - أكثر من دليل على ذلك ، بل مازال "أدميتوس" يضع مشاعره ورغباته الشخصية فوق أى اعتبار آخر ، لذلك يقرر هجر أبويه لأن كليهما لم يضحيا بحياتهما من أجله<sup>(٤١)</sup> .

وإذا كانت مواجهة والد "أدميتوس" الحادة لابنه لم تتجح في أن تضعه في مواجهة شجاعة أمام حقيقة شخصيته ، فذلك يرجع - في تصورنا - إلى أمرين : أولهما : إيمانه الزائد بنفسه الذى يضع - كما أسلفنا الذكر - غشاوة كثيفة أمام عينيه ، أما الأمر الثانى : فيتمثل فى أن جنازة "ألكسيس" تقع أحداثيا عقب خروج والد "أدميتوس" مباشرة ، وبذلك يوجه "أدميتوس" كل مشاعره إلى ذلك الحدث دون أن يلتفت إلى كلمات والده أو يتبصرها ، فالوقت لم يكن مناسباً لذلك .

على أن اكتشاف "أدميتوس" خطأه لم يتأخر طويلا ، إنه يبدأ عقب مواراة جثمان زوجته "ألكسيس" التراب ، حيث نجده يعترف - فى مرارة - بأنه أخطأ  $\alpha\mu\alpha\rho\tau\epsilon\iota\nu$  فى حق زوجته المخلصة<sup>(٤٢)</sup> . والأمر الجدير بالاعتبار ، أن "يوربيديس" قد ركز مأساة "أدميتوس" فى يوم واحد هو اليوم الذى كان متقدراً أن يلقى فيه حتفه ، فإذا بزوجته تقتديه بروحيا ، وهو نفس اليوم الذى يكتشف فيه خطأه بعد دفن زوجته . والواقع أن "يوربيديس" يلقى على الموقف سخرية تراجيدية ، ففى اللحظة نفسها التى يكتشف فيه "أدميتوس" نفسه ، يكتشف أنه خسر الحياة ، أو لا يستحق الحياة<sup>(٤٣)</sup>  $\sigma\upsilon \chi\rho\eta\nu \zeta\eta\nu$  ، ذلك لأنه قد خسر ألكسيس ، وفقد بيته<sup>(٤٤)</sup> ، وسعدته واحترام الناس<sup>(٤٥)</sup> . إن الحقيقة التى توصل إليها "أدميتوس" هى أن الموت لا فرار منه ، فإن قدر لإنسان أن ينجو منه - متلما فعل - فإن الحياة نفسها تصبح موتا ، كما يصبح البيت قبرا . لقد كان "أدميتوس" يبحث عن الحياة ، فإذا به يجد الموت ! عندئذ فقط يعترف "أدميتوس" بأنه قد تعلم بالفعل  $\alpha\rho\tau\iota \mu\alpha\nu\theta\alpha\nu\omega$ <sup>(٤٦)</sup> .

وفي الوقت الذي يكتشف فيه " أدميتوس " نفسه ، ويدرك حقيقة الحياة من حوله ، ويصبح إنساناً جيداً . في ذلك الوقت يتمكن " هيراكليس " من انتشال " ألكستيس " من الموت ، وإعادتها إلى الحياة ، ثم لا يلبث أن يأتي بها إلى " أدميتوس متخفية ، ويقدمها إليه بوصفها إحدى الخادمات <sup>(٤٨)</sup> . وهذا المشهد - الذي يجمع بين الأبطال الثلاثة " هيراكليس " و" أدميتوس " والمرأة بويجرى فيه " هيراكليس " حواراً ذكياً مع " أدميتوس " ، تلزم المرأة أثناءه الصمت - يكشف عن حزن " أدميتوس " الشديد على فقدان زوجته ولفقته عليها <sup>(٤٩)</sup> ، وكراهيته للحياة βιω μηκεθ ηδεσθαι <sup>(٥٠)</sup> .

ويهدف حوار " هيراكليس " مع " أدميتوس " - أمام " ألكستيس " المتخفية - إلى التأكيد - أمامها - على أن " أدميتوس " قد تخلص - بالفعل بعد معاناته - من أثلنيته ومن نظرته الضيقة للحياة والموت . وينتهي هذا المشهد بتعرف " أدميتوس " على زوجته <sup>(٥١)</sup> . وعندما تعود الحياة الحقيقية إلى " أدميتوس " بعد أن اكتشف أن حياته - التي دفعته أن تكون حياة " ألكستيس " ثمنها - كانت - في واقع الأمر - مواتاً . وهو حين يصور مأساة " أدميتوس " على هذا النحو ، فإنه يحذر من عاقبة الأنانية .

وننتقل الآن إلى مأساة " ميديا " ، لنقدم نموذجاً آخر للشخصية الأنانية ، وما تجنيه من الألم من جراء ذلك . تكشف أولى كلمات مأساة ميديا عن أنانية " ياسون " ، حين تقول المريية أن زوجها قد فعلت كل ما يمكن أن يحقق المنفعة لياسون <sup>(٥٢)</sup> αυτη τε παντα ξεμφερουσ Ιασουνη . إلا أنه يهجرها الآن ليتزوج ابنة " كريون " ملك كورنثا <sup>(٥٣)</sup> . يتضح لنا أن " ياسون " شخصية قاسية لا تراعى مشاعر الآخرين <sup>(٥٤)</sup> ، ذلك لأنه يتصف بأنانية طاغية <sup>(٥٥)</sup> ، إنه شخصية تعودت أن تلخز دون أن تعطى . لقد كانت " ميديا " ذات نفع وفائدة <sup>(٥٦)</sup> ευμφερουσα ، والآن باتت ابنة " كريون " أكثر نفعا . وأشد ما يدعو للأسف أن أنانية " ياسون " تكاد تكون ظاهرة عامة كما يقول مربي أطفال " ميديا " :

ως πας τις αυτον του πελας μαλλον φιλει <sup>(٥٦)</sup>

إن كل امرئ ، يحب نفسه أكثر مما يحب غيره .

هكذا تتلقى " ميديا " صدمة عنيفة تكاد تقضى عليها <sup>(٢٥)</sup> ، ويشلكها إحساس بالمعاناة  $\deltaυσκληία$  <sup>(٢٦)</sup> . ويزداد موقفها سوءاً حينما تُفاجأ بأن الملك " كريون " يصدر أمراً بنفيها من " كورنثا " ، وبمبليها يوماً واحداً فقط لتنفيذ هذا القرار <sup>(٢٧)</sup> . هكذا يعرض " ياسون " زوجته لمحنة قاسية تواجهها بمفردها في بلد غريب دون أم أو شقيق أو قريب <sup>(٢٨)</sup> . وحينما يظير " ياسون " — للمرة الأولى — <sup>(٢٩)</sup> ، تظل علينا شخصيته الأثانية بكل قسوتها ، فهو لا يقدر محنة " ميديا " ، ويخطبها — في أول لقاء يجمع بينهما في المأساة — بنغمة حادة ، ولا ينجل من قرار " كريون " في إبعادها عن " كورنثا " <sup>(٣٠)</sup> . ويتعامل " ياسون " مع زوجته في برود وصراف ، فعندما تذكره بما فعلته من أجله <sup>(٣١)</sup> ، لا يعترف بهذا الفضل ، وإنما يجيبها بأن حبها له هو الذي اضطرها إلى ذلك <sup>(٣٢)</sup> ، ويدعى أنه قد تفضل عليها بل أن تلقيا من بلادها البربرية إلى بلاد اليونان <sup>(٣٣)</sup> . والجدير بالذكر — هنا — أن " ياسون " لم يصف من قبل بلاد " ميديا " بالبربرية ، ذلك لأنه كان يسعى — وقتئذٍ — إلى منفعته الشخصية ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه شخصية أثنائية .

ومن اللافت للنظر أن " ياسون " لا يخفى في ذلك المشيد أن زواجه من ابنة " كريون " يستهدف المنفعة الشخصية المتمثلة في رغبته في حياة رغدة ومكانة اجتماعية مرموقة له ولأسرته <sup>(٣٤)</sup> ، في حين يخفى ذلك الدافع — بطبيعة الحال — عن " كريون " وابنته، مثلما فعل مع " ميديا " من قبل . وفي تصورنا أن كشف " ياسون " — هنا — عن نسلك الدافع يؤدي إلى نتيجتين ، أولاهما أن اعترافه بأنانيته ، ونظرته المادية للحياة ، يعزز رأي الآخرين فيه ، فضلاً عن أنه يدل على أنه — على خلاف الآخرين — لا يجد في نفسه عيباً . أما النتيجة الثانية فهي الإحياء بإخفاقه في فهم جوهر شخصية " ميديا " ، فهو يتصور أنها سترحب بهذا الزواج ، مادام الدافع إليه ينحصر في تحقيق المنفعة الشخصية ، في حين أن " ميديا " — على خلاف " ياسون " — لها قيمها الخاصة ، فالماديات — عندها — لا تعوض الإحسان بالأثم :

η πολλὰ πολλοῖς εἰμι διαφορὸς βροτῶν <sup>(٣٥)</sup>

إنني أختلف كثيراً عن كثير من البشر

μη μοι γενοιτο λυπρος ευδαιμων βιος<sup>(٦٩)</sup>

ليتنى لا أنعم بيذه السعادة ، إنها حية مؤلمة

وعلى الرغم من أن " ميديا " شخصية عاطفية ، تضع عاطفتها فوق كل اعتبار ، فإن سيطرة مشاعر الأنانية والنفعية على شخصية " ياسون " توقعه فى خطأ سوء فهم التقدير *αμαρτια δοξης* ، الذى يتمثل فى أنه بات يرى الآخرين من منظور قيمه الشخصية ، حتى أنه يتوهم أن " ميديا " ممكن أن تكون نفعية مثله ، وأنه يمكن إرضاءها بالثروة<sup>(٦٩)</sup> . ويطالبها - فى الوقت نفسه - بالتروي والرضا عن الزواج مقابل أفضل المكاسب :

ληξασα δοξης κερδανεις αμεινονα (٧٠)

كفى عن غضبك وأنت تفوزين بأفضل الأشياء

إلا أن " ميديا " تشعر بأنه جرح كبرياءها جرحاً عميقاً<sup>(٧١)</sup> ، فترفض الصفقة - فى كبرياء وضجر - فهى لن تعطيه شيئاً ، ولن تأخذ منه شيئاً :

ουτ αν τι δεξαίμεσθα , μηθ ημιν διδου<sup>(٧٢)</sup>

لن نقبل شيئاً وأنت لاتعطينا شيئاً .

وبعد أن ينتهى اللقاء بين الزوجين بفشل كلا الطرفين فى إقناع الآخر بمنطقه الخاص ، يأخذ كلاهما طريقين مختلفين ، فميديا تبدأ الإعداد للانتقام من أنانية زوجها ، أما " ياسون " فيسعى للإعداد للزواج الذى سيجنى من ورائه مكاسب جمة . فى ذلك الوقت يصل " أيجيوس " ملك " أثينا " ، بعد أن قام بزيارة إلى معبد " أبوللو " ليسأله أن يهبه ذرية<sup>(٧٣)</sup> .

ويبدو لنا أن ظهور " أيجيوس " فى ذلك الوقت - على وجه الخصوص - يستهدف عقد مقارنة بين حالتي " ياسون " و " أيجيوس " ، وهى مقارنة ليست فى صالح " ياسون " ، الذى يتخلى - بكل أنانية - عن أطفاله من أجل تحقيق منفعة شخصية .

وعوق ذلك ، فإن ظهور " أيجيوس " ملك " أثينا " بعد تآزم العلاقة بين " ميديا "

و ياسون ، وعفدها العزم على الانتقام منه ، يعيد في إيجاد أمل لدى " ميديا " في ملاذ بأويسها ويحميها بعد فرارها من " كورنثا " . والملاحظ أن " ميديا " تنتهز حاجة " أيجيوس " الملحة إلى الإنجاب فتلوح له بقدرتها السحرية على تحقيق رغبته حتى تحصل منه في المقابل على الحماية ، فإذا بأيجيوس يقبل العرض في الحال دونما تردد (٧٤) .

ويعبر هذا الموقف عن ذكاء " ميديا " (٧٥) ، كما يوضح أنه تتبنى — مؤقتاً — قيم " ياسون " المادية بغرض الوصول إلى هدفها ، وهو الانتقام من أنانية " ياسون " . ونلاحظ — هنا — أن " ميديا " لا تنهى الصفتة مع " أيجيوس " قبل أن يقسم على توفير الحماية لها :

εσται ταδ αλλα πιστις ει γενοιτο μοι  
τουτων , εχοιμ αν παντα προς σεθεν καλωσ (٧٦)

فليكن ! إنما ياليتنى أحصل على قسم  
بتلك الأمور ، عندئذ أحصل منك على كل ما فيه خير .

وتبدأ أول مراحل خطة انتقام " ميديا " من " ياسون " بأن تتظاهر بأنها اقتنعت بقيمه المادية ، فهي تطلبه مرة أخرى لتسأله المعذرة عما بدر منها (٧٧) ، ثم تأخذ في تأنيب نفسها بحدة — أمامه — حتى توهمه بأنها اقتنعت بموقفه ، وباتت لا تعارض زواجه من ابنة " كريون " :

σχετλια , τι μαινομαι .....  
και δυσμναινω τοισι βουλευουσιν ευ ,  
εχθρα δε γαιας κοιρανοισ καθισταμαι  
ποσει θ , ος ημιν δρα τα συμφορωτατα , (٧٨)

يالويسى ! هل لحق بي الجنون

وقد تيورت على من يسدون لى عظيم النصح،

وجعلت من نفسى عدواً لمن يحكمون الأرض

ولزوجى الذى يعمل على ما فيه نفعى .

ومما لا شك فيه أن تتظاهر " ميديا " بالانتعاج يدفع " ياسون " إلى الزواج من ابنة " كريون " وموافقتها عليه ، سهل لها المضى في تنفيذ خطة انتقامها . ولم يساور " ميديا " الشك

لحظة واحدة في أن زوجها قد يكشف ادعاءها ونفاقها ، ذلك لأنها تعرف شخصية زوجها حق المعرفة<sup>(٧٩)</sup> . ومن الغريب أن " ياسون " يظنن إلى " ميديا " ، ويصدق أنها تغيرت بالفعل ويثنى عليها  $\alpha\iota\nu\omega, \gamma\upsilon\nu\alpha\iota$ <sup>(٨٠)</sup> . ولعل هذا يعني أن " ياسون " لا يفهم " ميديا " جيداً — على العكس منها — أو أن إيمانه الزائد بقيمه يصور له غلبة هذه القيم على أية قيم أخرى ، أو يوحي إليه بأن " ميديا " يمكن أن تتأثر به أو تصبح صورة منه .

وتتج " ميديا " في كسب ثقة " ياسون " ، حينما تفاجئه بإرسال هدية إلى زوجته الجديدة تتكون من ثوب مطرز وتاج ذهبي ، بعد أن تكون قد دهنتهما — دون علم " ياسون " بمادة مميتة . وبينما لا يشك " ياسون " — بسبب إيمانه الشديد بذاته — في أمر الهدية ، وإنما يكتفى بالقول بأنه لا يجد ضرورة لها<sup>(٨١)</sup> ، فإن " ميديا " ترد عليه بعبارة لا يفهم منها " ياسون " سوى معناها الظاهري ، في حين أنها تحمل في طياتها سخريه مرة منه ، وإشارة دافعة إلى عيبه الجوهري ، أيمنه بالقيم المادية :

$\chi\rho\upsilon\sigma\omicron\varsigma \delta\epsilon \kappa\rho\epsilon\iota\sigma\sigma\omega\nu \mu\upsilon\rho\iota\omega\nu \lambda\omicron\gamma\omega\nu \beta\rho\omicron\tau\omicron\iota\varsigma$ <sup>(٨٢)</sup>

أما الذهب ، فهو أقوى — عند الناس — من الكلمات النياضة

وسرعان ما تلوي هدية " ميديا " المميتة ثمارها ، إذ يعلن الرسول مصرغ ابنة " كريون " وأبيها<sup>(٨٣)</sup> ، وهذا يبقى أمام " ميديا " أن تقتل أبناءها في الحال<sup>(٨٤)</sup> ، حتى يكتمل انتقامها من " ياسون " . وعلى الرغم من إحساس " ميديا " ببشاعة قتل أطفالها ، وترددتها في ذلك كثيراً<sup>(٨٥)</sup> ، فإنها لا تقارم رعبها في أن يكون انتقامها من " ياسون " عنيفاً ، حتى لو كان ثمن ذلك هو قتل أطفالها<sup>(٨٦)</sup> .

ولقد كان القضاء على أطفال " ياسون " بمثابة القضاء عليه  $\alpha\pi\omega\lambda\epsilon\sigma\alpha\varsigma$ <sup>(٨٧)</sup> ، بل أن " ميديا " تريده — فوق ذلك — أن يكون مصدر ألم دائم لياسون<sup>(٨٨)</sup> ، لذا فهي تحاول أن تشعره بعقدة الذنب ، حينما تقول أن السبب في قتلهم هو إفراطه في حبه لذاته ورواجه الجديد  $\alpha\lambda\lambda\ \upsilon\beta\rho\iota\varsigma \omicron\iota \tau\epsilon \sigma\omicron\iota \nu\epsilon\omicron\delta\mu\eta\tau\epsilon\varsigma \gamma\alpha\mu\omicron\iota$ <sup>(٨٩)</sup> ، مما يصيبه بوخز الضمير  $\delta\eta\chi\epsilon\tau\alpha\iota$ <sup>(٩٠)</sup> ، وتؤكد له أن الألم الحقيقي — من فقدان الأبناء — سينتابه حينما يتقدم به العمر :

## οὐπω θρηνεὺς . μένε καὶ γῆρας<sup>(١١)</sup>

لا تنك الآن وانتظر الشيخوخة

وهكذا فإن خطأ "ياسون" المأساوي يكمن في إيمانه الزائد بقيمه الشخصية من أنانية وبنعية ، دون الاهتمام بمشاعر زوجته "ميديا" ، أو برأى الآخرين فيه ، بل أنه يتوهم أن "ميديا" قد تبنت قيمه ، في حين يتضح له - فيما بعد - أنها صورت له ذلك حتى يطمئن إليها ، فيسبل عليها الانتقام منه . وحينما تنتقم "ميديا" من "ياسون" ، فإننا نستقم من تلك القيم التي عرضتها لمحتثها القاسية .

وقد حرصنا في معالجة قضية الأناية ، من خلال تحليل مواقع ومجرات أفعال "ياسون" و "أدميتوس" في إطار علاقتيما بأسرتيما ، أن نركز في إشاراتنا النصية على القيم الشخصية والمادية الصرفة التي تحرك هاتين الشخصيتين ، على نحو يميزهما عن غيرهم من شخصيات أخرى - لدى كتاب آخرين - ممن يتوافر فيها إحدى ملامح الأنانية . ومن نماذج هذه الشخصيات "أخيلئوس" الذي تتمثل أنانيته في عزوفه عن الحرب . إلا أننا نتقهم أنيا مجرد انعكاس غاضب يقابل به الاعتداء على قيمة أخلاقية هامة ألا وهي كرامته وكبريائه البطولي . وعلى أية حال فإن شعور "أخيلئوس" بالواجب والمصلحة العامة - التي كانا كامناً ضوال الوقت - يتغلب في نهاية الأمر على ما أبداه من مشاعر نفعية أو أنانية . ولدينا - في هذا المجال - مثال آخر هو "نيوبتوليموس" الذي ترجع أنانيته إلى خلط متعبد من جانب "أوديسيوس" بين مصلحة الوطن ومصلحة "نيوبتوليموس" الشخصية ، وحينما أدرك الأخير المأزق الذي أوقعه فيه دهاء "أوديسيوس" ، فإن خلقه البطولسى وإيمانه بالفضيلة αρετη أمليا عليه التخلي عن منفعه الشخصية في الحصول على أسلحة "فيلوككتئيس" .

و الواقع أن قيمة الإنسان المتميز كانت إحدى القيم الحضارية في المجتمع اليونانى ، إذ كان اليونانيون يؤمنون فعلاً بوجود أمثلة لهذا الإنسان المتميز منذ عصر "هوميروس" ، وكانت هذه الفكرة واحدة من الأفكار التي وصلت في بلاد اليونان بصورة عامة ، وفى أثينا بصورة خاصة ، إلى قمتها في القرن الخامس ق. م<sup>(١٢)</sup> ، وربما جاز لنا القول أن "أخيلئوس"

و " نيوتوليموس " ، باختياراتهما الأخلاقية وجاهدهما البطولي ، يمثلان نموذجين بارزين للإنسان المتميز ، أو بالأحرى عصر الإنسان المتميز .

أما عصر " يوربيديس " فهو عصر الضياع أو انهيار القيم بسبب وبلاء الحروب البلوبونيسية . وفي كل مسرحيات " يوربيديس " يميل الشاعر إلى تصوير شخصياته في صورة لا تختلف كثيراً عن الفرد العادي ، بحيث تصبح هذه الشخصيات منسجمة تماماً مع عصر الشاعر بكل عيوبه وأمراضه الاجتماعية . ونجد صورة ساخرة لعبوب ومشاكل هذا العصر في الكوميديا القديمة التي يمثلها " أرسطوفانيس " ، وتقلها لنا كوميدياته ( الأخرانيون ، والسلام ، ويرلمان النساء ، وغيرها ) ولاشك أن آثار عصر الحروب البلوبونيسية لم تنته بانتهاء تلك الحروب ، إذ يمكن القول إن إقدام " أفلاطون " على تأليف " محاوررة الديمقراطية " ، التي يقدم فيها مشروعاً لدولة جديدة ، ويخصص الكتاب السابع فيها كله للدعوة إلى نظام تربوي وتعليمي ، يعالج فيه أخطاء الأسرة وعلاقتها من خلال الدولة ، لا من خلال الأسرة<sup>(١٣)</sup> . ليس إلا استجابة للآثار التي خلفتها الحروب البلوبونيسية على المجتمع الأثيني .

وهكذا فإن " يوربيديس " ، بوصفه معلماً و كاتباً اجتماعياً ، يقدم نموذجين من الحياة هما " أدميتوس " و " ياسون " ، يصوران مرضاً اجتماعياً من أمراض ذلك العصر ، وهو الأنانية ، التي تحمل كلاهما عاقبتها بقدر متباين . ففي حين أن " أدميتوس " يتخلص من شقائه ومعاناته ، بعد أن يتخلص من أنانيته ، فإن " ياسون " تطبق عليه الكارثة قبل أن يستوعب الدرس . هذا المرض الاجتماعي يؤدي — كما بيننا قدر جهننا — إلى انهيار الأراض الأسيوية وتقويض أركان البيت ، ومن ثم فإنه يهدد المجتمع اليوناني . ولاشك أن الشقاء الذي تعرضت له الشخصيتان " أدميتوس " و " ياسون " ، هو صيحة تحذير يطلقها " يوربيديس " على مسامع جميع المسرح اليوناني وبصره .

## الحواشي

- 1) IL. 1, LL. 152-156
- 2) Ibid, VI, LL. 398-404.
- 3) Ibid, VI, LL. 414-415.
- 4) Phil., LL88-91.
- 5) Ibid, LL120-122.
- 6) Ibid, 1252.
- 7) Ibid, LL. 1291-1304
- 8) Cadwell, Richard Smith, The Psychoanalytic Criticism Of Aeschylean Tragedy , Theory And Practice : Ph .D.Diss. Univ. Of Minnesota , Microfilmed, 1973, PP. 62-63.
- 9) انظر على سبيل المثال هيبوليتوس ، الأبيات ٦١٦-٦٣٩ ، وقارن من ناحية أخرى ، كلماته الرقيقة المتعاطفة مع هموم المرأة في مأساة " ميديا " الأبيات ٢٣٠-٢٥١.
- 10) Campbell, Lewis , Tragic Drama In Aeschylus, Sophocles & Shakespear An Essay , London, 1904, P. 34.
- 11) Thuc. II. Liii.4
- 12) يحيى - لطفى عبد الوهاب ، الأسطورة والحضارة والمسرح فى مأساة أوديب ملكاً، عالم الفكر ، المجلد السادس عشر، العدد الثالث ، ١٩٨٥، ص١٠٣.
- 13) Thuc. II, 52, 3-4.
- 14) Creed , J.L., Moral Values In Thucydides , Time , Ca, Vol.xxiii, 1973, P. 221.
- 15) Ibid, P.230.
- 16) Alc , LL. 10-14.
- 17) Ibid, LL. 15-16.
- 18) Ibid, LL. 17-18.
- 19) Ibid, L. 301.
- 20) Norwood , G., Greek Tragedy, London, 1920, P.189.  
Hadley , W.S., Ed. Alcestes, Cambridge, 1934, P.xi.
- 21) Alc L. 156.

- 22)Ibid, L.145.  
 23)Ibid, L.198.  
 24)Ibid, L.247.  
 25)Ibid, L.250.  
 26)Ibid, L.280ff.  
 27)Ibid, L.300.  
 28)Ibid, L.381.  
 29)Ibid, L.380.  
 30)Ibid L.382.  
 31)Ibid, L.383.  
 32)Ibid, L.614.  
 33)Ibid, LL.619-624.  
 34)Ibid, LL.627-628.  
 35)Ibid, LL.337-341.  
 36)Ibid, LL.662-665,L.724.  
 37)Ibid, L.694,696,L.702.  
 38)Ibid, LL.682-684.  
 39)Ibid, L.691.  
 40)Ibid, L.703-704.  
 41)Ibid, L.712.  
 42)Ibid, LL.734-737.  
 43)Ibid, LL.879-880.  
 44)Ibid, L.939.  
 45)Ibid, L.941.  
 46)Ibid, LL.954-960.  
 47)Ibid, L.940.  
 48)Ibid, L.1008ff.

كان يوريديس قد هيا الأذهان من قبل إلى التخل الإلهي لإنقاذ " ألكستيس" من الموت ،  
 و"ألميتوس" من المعاناة ، وذلك في صلاة الجوقة إلى "زيوس" . إنظر الأبيات ٢٢٠-٢٢١.

49)Ibid, LL.1064-1069,1079-1082.

50)Ibid, L.1048.

51)Ibid LL.1119-1134.

52)Med., L.13.

53)Ibid, LL.17-18.

54)Moore ,Jphn. A, Sophocles And Arete, Cambridge Univ. Pr.,1938  
 PP.34-36.

55)Wright,F.A.,Feminism In Greek Literature From Homer To Aristotle,  
 Knnikat Pr., London,1969,P.91.

Trypanis, C.A., Greek Poetry From Homer To Seferis, Faber&Feber,  
London , 1981, P.168.

56)Med., L.86.

57)Ibid, LL.225-229.

58)Ibid, L.218.

59)Ibid, LL.217-276, 340-351.

لاشك أن ضيق الوقت كان أقوى عناصر الضغط على مشاعر "ميديا" ، مما أدى إلى  
اضطرابها وقلقها ، فلا بد أن تقع أحداث خطيرة قبل أن ينتهي ذلك اليوم. انظر:

De Romilly , Jacqueline , Time In Greek Tragedy , Cornell Univ. , pr.,  
1968, P.9.

60)Med., LL.255-258.

61)Ibid, L.445.

62)Ibid, LL.446-458.

63)Ibid, LL.502-508.

64)Ibid, LL.530-531.

65)Ibid, LL.536-537.

66)Ibid, LL.551-568, 593-597.

67)Ibid, L.579.

68)Ibid, L.598.

69)Ibid, LL.610-612.

70)Med., L. 615.

71)Med., Louise. M,A,A Study In The Medea,G&R., Vol.12,1943,P.18.

72)Ibid, L.617.

73)Ibid, LL.663-669.

74)Ibid, LL.713-722.

75)Wright, F.A., Op.cit. , P.123.

Knox ,B.M.W,The Medea Of Euripides,Ycs, Vol.25,1977,P.202.

76)Med., LL.731-732.

77)Ibid, LL. 869-870.

78)Ibid, LL.873-876.

79)Grube, G.M.A,Op.cit.,PP.158-159.

80)Med., L.908.

81)Ibid, LL.959-963.

82)Ibid, L.965.

83)Ibid, L.1125ff.

84)Ibid, LL.1136-1139.

85)Ibid, LL.1242-1250.

إن قتل الأطفال فعل مرعب من الصعب أن يتفهمه الجمهور أو يتقبله مالم يصور " يوريبيديس"  
تردد " ميديا " الطويل وتمزقيا النفسي البالغ الشدة قتل الإقدام على تنفيذه . إنظر:

Easterling , P.E., The Infanticide In Eurpides Medea, Yes,25,1977,  
P.188.

86)Latimore, R., Story Patterns In Greek Tragedy , London,1964,  
P.37.

87)Med., L. 1310,1326.

88)Ibid, L.817.

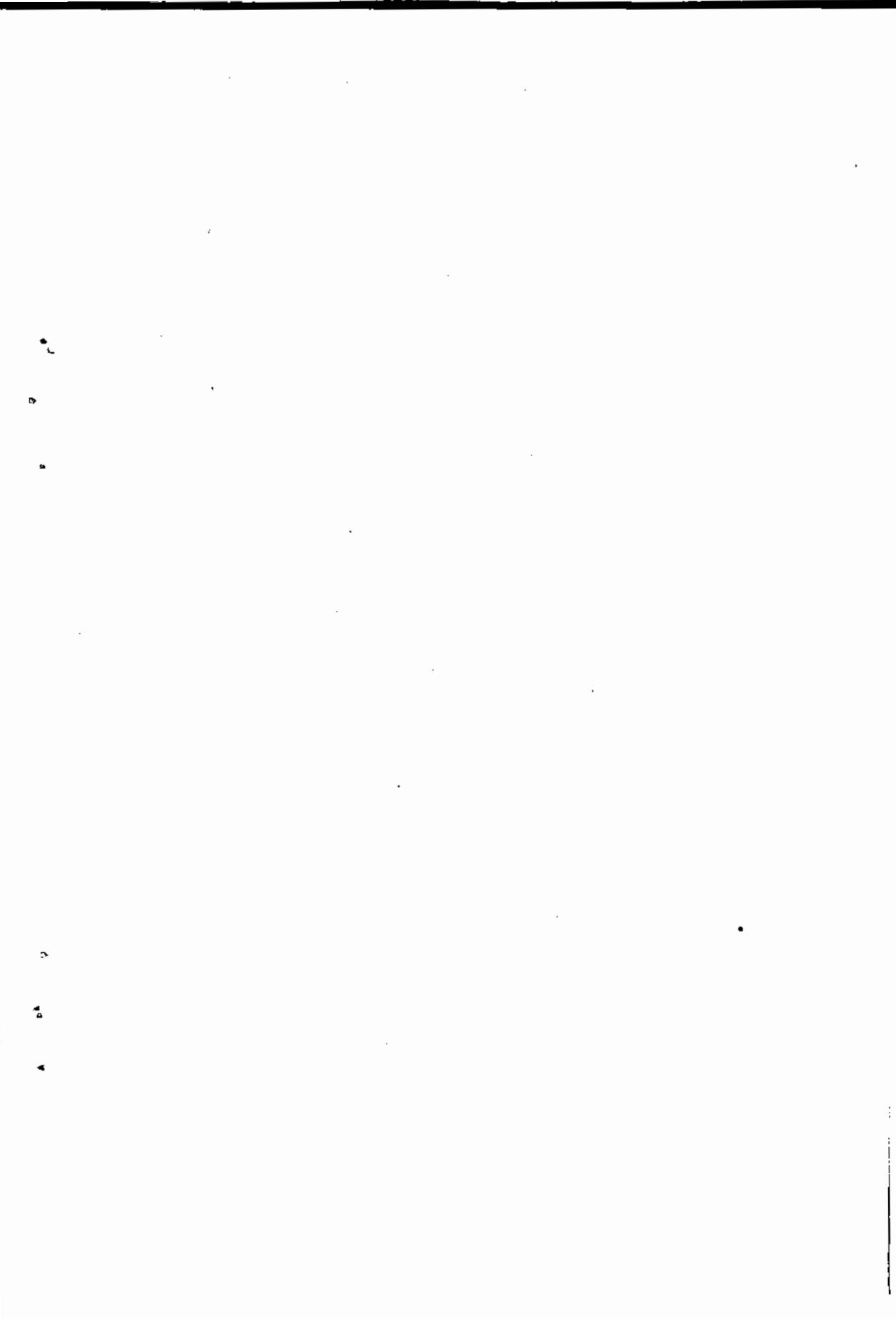
89)Ibid, L.1366.

90)Ibid, L.1370

91)Ibid, L.1369.

92) إنظر نيجيبي لطفى عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .

93)Plato, Politeia, Bk.VII.



كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

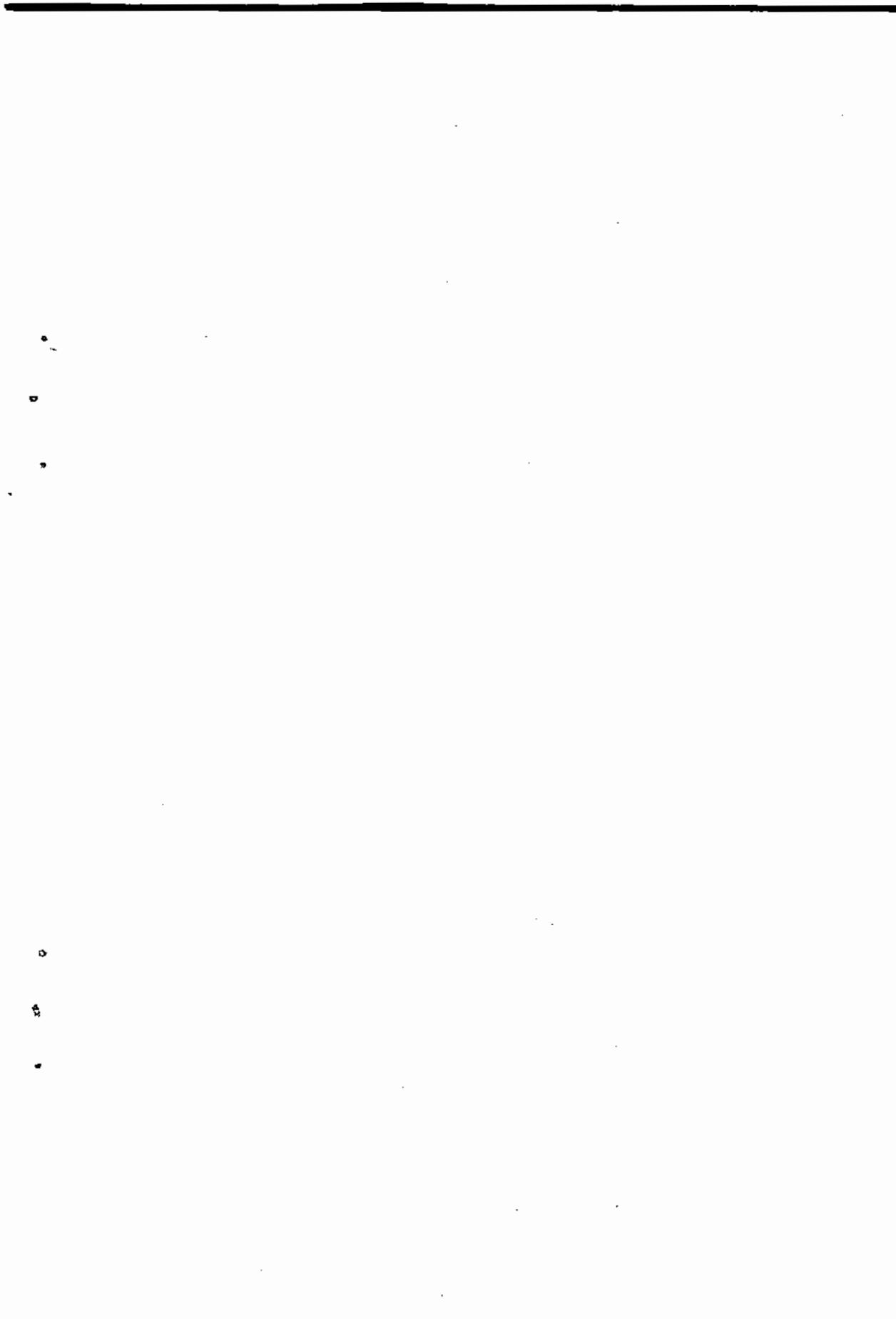
محاضرة

مشكلة الألفام في الصحراء الغربية

وموقف القانون الدولي منها

دكتور عمر الحديدي

نائب رئيس الرابطة الدولية للقانون الدولي



## كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

### محاضرة

#### مشكلة الألغام فى الصحراء الغربية وموقف القانون الدولى منها\*

لن أبدأ هذا اللقاء بالإطالة فى الحديث عن بشاعة أخطر سلاح تقليدى فى تاريخ البشرية والإنسانية، إنه (سلاح الألغام الأرضية)... فكلنا نعرف أن يشاعته وخطورته ترجع إلى استمرارته لسنوات طويلة يتصيد الآلاف، بل الملايين، من أرواح البشر الأبرياء ويقضى عليهم.

ولذا سوف اقتصر على الإشارة إلى أن الحروب العديدة التى توالى وانتهت خلال القرن الحالى تخلف عنها ما يقرب من ١١٠ مليون لغم أرضى، ما زالت منتشرة فى سبعين دولة، وتقع الغالبية الكبرى منها فى القارة الإفريقية، ويوجد فى جمهورية مصر العربية وحدها ٢٣ مليون لغم، تبقى منها ١٧ مليون لغم فى المنطقة بين العلمين ومدينة طبرق الليبية تغطى أكثر من نصف مليون فدان بعد أن تمكنت قواتنا الحربية، بتضحيات كبيرة، من إزالة حوالى ١١ مليون لغم ودانة فى كل من الصحراء الغربية وسيناء.

ولم يأبه العالم أو يهتم بفداحة الخسائر البشرية التى يحصدها هذا السلاح، اللهم إلا أصوات نبيلة بدأت فى السنوات الأخيرة تنادى بضرورة تحريم هذا السلاح، ولكنها كانت أصواتاً خافتة تذهب فى كل مرة أدراج الرياح، ويطمسها جبروت تلك الدول التى اخترعت هذا السلاح الرهيب، والتى تستخدمه فى البطش بأعدائها ضاربة عرض الحائط بكل ما ينشأ من نكبات تطيح بالأبرياء من المدنيين وتتربص بهم على مدى سنوات طويلة.

\* محاضرة عامة ألقىت فى الموسم الثقافى بكلية الآداب جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى

١٩٩٧م - ١٩٩٨م.

وإزاء تفاقم هذه المشكلة وتزايد عدد الضحايا بدأ الضمير العالمي يتحرك على استحياء فى السنوات الأخيرة فعقدت المؤتمرات والندوات فى العديد من الدول، ونادوا بتحريم هذا السلاح أو إنتاجه أو استخدامه، ثم صدر إعلان بروكسل لحظر هذه الألغام عام ١٩٩٥، تلاه الإعلان الذى صدر عن مجموعة أتاوا لحظر الألغام عام ١٩٩٦، وصدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ٢ فبراير ١٩٩٦ بشأن المساعدة فى إزالة الألغام، ومهد مؤتمر عقد فى أوصلو فى أكتوبر ١٩٩٧ لمعاهدة دولية صدرت فى ديسمبر عام ١٩٩٧ بحظر الألغام، وقعتها جميع الدول إلا مجموعة صغيرة من الدول الكبرى امتنعت - للأسف - عن التوقيع مؤثرة مصالحها الخاصة على الإجماع الدولى الإنسانى. ولقد تعالت الأصوات تندد بالآثار المهددة للأرواح فى هذه المشكلة، وهنا جاءت دعوة الأميرة ديانا التى أعلنت فيها عن تأسيس الحملة الدولية لحظر الألغام الأرضية بدأت بعدها بزيارة بعض الدول الإفريقية المنكوبة بهذه الألغام لتعريف العالم بالآثار المدمرة لهذا السلاح فى أرض الواقع، ويقال إنها كانت تنوى زيارة مصر لنفس السبب لولا مصرعها المشنوم. كما كان لمصر موقف إيجابى من هذه المشكلة فى مؤتمر نزع السلاح الذى عقد فى فبراير ١٩٩٨ بجنيف، إذ طالبت مصر الدول التى زرعت الألغام بتحمل مسئولية إزالتها استناداً إلى أن مصر تعتبر من أكثر بلاد العالم تضرراً من هذه الألغام لضخامة عدد المزروع فيها، إذ وصل عدد ضحايانا من جرائها قتلا وتشويها إلى أكثر من ٨ آلاف مصرى، فى حين أن ضحايا العالم أجمع بلغ حوالى ٢٥ ألف فرد. ووفقاً لبعض الإحصائيات فإن الألغام الأرضية تقضى يومياً على حياة سبعين من الأبرياء، أى تصرع شخصاً كل ١٥ دقيقة، معظمهم من الأطفال.

فى هذه المقدمة أردت أن ألقى نظرة عاجلة قصيرة على موقف الأسرة الدولية من هذه المشكلة التى لم تكن تثير اهتمامه، ربما لأن ضررها يكاد أن يكون منحصرًا فى دول العالم الثالث التى لم تكن الأذان فى الدول المتقدمة مُجهزة لسماع الأئين الخافت الذى يصدر منها فى نكبتها.

وهكذا يمكننى أن أعرج بعد هذه المقدمة إلى الحديث عن موضوع هذه المحاضرة التى أتناول فيها ما يتواصل من نكبات فى منطقة محددة عزيزة علينا من أرض وطننا، وهى صحراؤنا الغربية التى تخضبها دماء أبنائنا، وتهدر فيها أرواحهم البريئة كل يوم بسبب الألغام المزروعة فيها، كما يصاب منهم مَنْ يصاب بتشوهات وعجز كلّى أو جزئى يحرمهم بلا ذنب من نعمة الحياة السعيدة التى أرادها الله لكل مخلوقاته ...

وإذا قصدت الاقتصار فى حديثى على منطقة الصحراء الغربية نون غيرها فى أنحاء العالم فمرجع ذلك هو أن مشكلتها تنفرد بها وتختلف عن كل مناطق العالم التى أصابتها نكبة الألغام، إذ يقبع فى أرضها عدد من الألغام الأرضية يفوق ما يوجد فى أى منطقة أخرى فى العالم. ثم هى تنفرد أيضا بعدم مسئوليتنا عن زرع هذه الملايين من الألغام فى أرضها ....

وترجع قصة اهتمامى بنكبة الألغام فى الصحراء الغربية إلى تاريخ قديم، فلم يكن هذا الاهتمام وليد اليوم أو الأمس القريب ولكنه نشأ عما عاصرته من أحداثها سنوات طويلة ظلت تؤرق مضجعى مما شاهدته بعيناي من أثارها المدمرة لأغلى الغرس والحراث والثروات الطبيعية والسياحية التى تعج بها هذه المناطق الشاسعة فحسب، بل تمتد أكبر نكباتها - وأسفاه - إلى البشر من مواطنينا بقتل وتشويه وتشريد.

وعلى مدى ما يزيد على نصف قرن ظلت الأرواح تتساقط فيطاردنى سؤال لم أجد له جواباً شافياً حتى الآن بل سكوتاً رهيباً فيما لا يجوز فيه السكوت، اتساءل : إلى متى تتواصل هذه المأساة التى تتساقط فيها الضحايا من أبنائنا وتزهق أرواحهم كل يوم بل ربما كل ساعة أو كل دقيقة؟

كان ذلك عام ١٩٤٣ عندما انتقلت من القاهرة إلى الإسكندرية للالتحاق بالدراسة الجامعية فيها، وكانت الحرب العالمية الثانية مازالت يدور رحاها بين الحلفاء والمحور ودخلت قواتهم أرض وطننا العزيز ونشبت على أرضنا أشرس هذه المعارك، وأهمها معركة العلمين الشهيرة التى حشدت فيها القوات المتحاربة كميات هائلة من أسلحة الحرب والدمار. وكلنا نعرف أن هذه الحرب وضعت أوزارها عام ١٩٤٥، وقد كنا طلبة نتابع أحداث هذه الحرب، خاصة عندما اقتربت قواتها من أبواب الإسكندرية.

وإذ انتهت هذه الحرب العالمية فقد دفعنى فضول الشباب مع بعض من زملائى إلي محاولة الوصول إلى مناطق القتال الذى خمد للرؤية المباشرة على الطبيعة لما خلفت من آثار مدمرة ... وكان أن سافرنا مرات عديدة فى أصعب ظروف السفر، وبمواصلات بدائية وبتحذيرات شديدة من احتمالات إصابتنا أو موتنا بسبب الأسلحة الخفية التى تنتشر فى هذه المناطق خاصة الألفام الأرضية. ولقد استمعنا إلى النصيحة وحاولنا عدم المساس أو الاقتراب مما يشتبه فيه، وأتاح لنا ذلك أن نرى ميادين المعارك بحالتها الكاملة قبل أن يجرى إزالة آثارها الظاهرة من معدات الحرب.

وهكذا بدأت السلطات البريطانية التى كانت تحتل بلادنا حينذاك فى رفع ما يصلح من معدات حربية تاركة التالف منها على أرضنا -

وإذا كان الأمر قد اقتصر على هذه المعدات الحربية التالفة فما كانت هناك مشكلة مستعصية، ولكن اتضح على التو أن هذه المناطق قد أصبحت تعج بحقول واسعة من الألغام الأرضية تعد بالملايين، غرسها المتحاربون جميعاً، وتمثل أخطر أثر مأساوى من آثار هذه الحروب.

وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت عام ١٩٤٥، وتوقف بنهايتها سيل دماء ملايين من البشر فى العالم، فيمكننى القول إن آثار هذه الحرب البشعة واستمراريتها قد بدأ فى صحرائنا الغربية وحدها ... لم تتوقف هذه الحرب فى صحرائنا لحظة واحدة منذ أن أعلن عن نهايتها فى العالم أجمع بل استمرت على أرضنا نقاسى من ويلاتها حتى اليوم ... لقد بدأت فوراً حرب الدمار البشرى لأبنائنا فى الصحراء الغربية من جراء الألغام الأرضية التى رحل عنها المتحاربون وبدأ تساقط ضحاياها من أبنائنا كل يوم منذ ذلك التاريخ وحتى الآن .. سيل من الدماء والفناء والعناء والتشويه لمواطنينا فى هذه المناطق على مدى ما يزيد عن نصف قرن ولا يجد هذا السيل من يوقفه، بل صمت رهيب وضماير لا تتحرك وضحايا تتضاعف فتذهب إلى ربها شاكية حتى إذا ما سئلت بأى ذنب قتلت فلا جواب سوى قولها إنها ويلات الحروب، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وسكوت الخلان عما يصيب الإخوان فى الأوطان.

ظل هذا الهاجس يراودنى حتى فوجئت بخبر أليم عام ١٩٥٤ عن حادث أفجعنى وكان له أسوأ الأثر فى نفسى ... كان لى صديق وأخ عزيز هو المرحوم النقيب يوسف الشوبرى الذى تخرج مهندسا والتحق بالقوات المسلحة ثم ألحق ضابطا بسلاح المهندسين، ومتخصصا فى إزالة الألغام ... وكان شجاعاً مقداماً طالما سمعت منه عن سعادته عندما يزيل من

منطقة خطر ما فيها من الألغام، وشعوره بأنه ينقذ أرواحا بريئة في كل يوم ..  
وإذا كان قد أنقذ أرواحا بريئة فإنه لم ينج من إحداها، إذ صرخته ومزقته  
إربا وقضت على حياته في ريعان شبابه وفي لحظات سعدت روحه إلى  
بارئها لتنضم إلى من سبقها من شهداء لا في كفاح من أجل وطنهم  
وعقيدتهم بل ظلما وعدوانا ممن قاموا بزرع هذه الألغام في أرضنا وبلا ذنب  
ارتكبوه ....

ولنا أن نتصور هذه السنوات التي تتواصل ويتضاعف عدد الضحايا  
فيها، ونسمع عن حوادث هذه الألغام التي يشيب لها الولدان، ولا بصيص  
من أمل لوقف نكباتها.

والغريب أن المتحاربين أعداء أمس قد أصبحوا بعد نهاية هذه الحرب  
حلفاء اليوم فاجتمعت إرادتهم على الاحتفال كل عام بذكرى ضحاياهم في  
معركة العلمين الشهيرة التي كانت نقطة تحول في مسار هذه الحرب، وكنا  
نعرف ما أقامته هذه الدول من مبان ضخمة فخمة في هذه المنطقة سجلوا  
عليها أسماء ضحاياهم وتاريخ هذه المعارك الوحشية ومآسيها. وهكذا  
تجرى مراسم هذا الاحتفال كل عام في الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر فتند  
إلى المنطقة أكبر الشخصيات العالمية الهامة بما فيهم قدماء المحاربين  
الذين شاركوا في هذه المعارك وأسر الضحايا الراقدين تحت التراب  
وسفراء وقناصل الدول جميعا ومحافظ مرسى مطروح ووزير الخارجية أو  
من يمثله. وقد أقيم أهم هذه الاحتفالات عام ١٩٩٥ بمناسبة مرور خمسين  
عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية، شارك فيه بالحضور عظماء  
الشخصيات العالمية ومنهم ولي عهد بريطانيا ورئيس وزرائها والعديد من  
رؤساء ونواب رؤساء جمهوريات الدول وكافة الوزراء والسفراء وقناصل

الدول الممثلة فى مصر والإسكندرية. ولكم أن تتصوروا هذا الحشد الكبير الذى ربما لا نجد مثيلا له إلا فى هيئة الأمم المتحدة ....

كل ذلك يجرى على أرضنا دوريا سنويا تحت سمعنا وبصرنا بمراسم رائعة تعبر عن عظيم احترامهم لضحايا حربهم التى انتهت وتلقى فيها الخطب الفياضة من أهم هذه الشخصيات! كلمات تندد بأهوال الحروب وتتغنى بحلاوة السلام وتنادى بحماية الإنسانية من ويلات الحروب... كل ذلك ولاشك له منا كل احترام لمشاعرهم واحترام لضحاياهم.

ولقد أتيت لى سنوات طويلة أن احضر هذه الاحتفالات بصفتى الشخصية أو بصفتى قنصلا ممثلا لدولة أجنبية تشارك فيها.

وقفت طيلة هذه السنوات بينهم فى هذه الاحتفالات وكان يتنازعى فى كل مرة شعوران : الأول احترام كما قلت وتقدير لاحتفال هذه الدول بجميع ضحاياها مهما طال الزمن، ويحضورهم على أعلى المستويات لمقار مثوى هؤلاء الضحايا دون اكتفاء بإقامة النصب التذكارية لجنود مجهولة فحسب .. أما الشعور الثانى فكانت استثيبت بسببه غضبا حين أرى كل هؤلاء المحتفلين يفتدون إلى منطقة العلمين دوريا كل عام ليقفوا فى هذه المنطقة وعلى مدى البصر منهم تقع حقول الألغام التى زرعوها فى أرضنا، والتى يعرفون أنها نكبة تسببوا هم فيها، وأن ضحاياها من المصريين يتواصل سقوطهم صرعى كل يوم، ومع كل ذلك يتجاهلوننا وينصرفون دون أن تصدر منهم أية بادرة لوقف هذه المأساة التى هم فاعلوها وخلفوها لنا ولا يلقون بالا لأئیننا من آثارها المدمرة بلا ذنب اقترفناه .. والغريب أيضا أننا نشاركهم هذه الاحتفالات ولا ننطق بكلمة لناشدهم فيها أن يرحموا الآلاف من ضحايانا الذين يتواصل سقوطهم هذه السنوات الطويلة وكأئنا نخجل

أن نقاتحهم فى التزامهم ومسئوليتهم عن إزالة هذه الألغام ماديا وقانونيا وأديبا ... وإذا كان تجاهلهم للالتزاماتهم مفهوما مادام صاحب الحق يؤثر للسكوت عن المطالبة بحقه وفقا لما هو معروف من أن السكوت عن المطالبة بالحق، دليل الرضا فطالما تساعتت عن معنى هذا السكوت من المسئولين لدينا عن المطالبة بحق مواطنينا فى العيش، ومن مطالبة هؤلاء المحتفلين بوقف المجازر التى هم مرتكبوها. كان يستوجب الأمر على أقل تقدير عقد فوات أو اجتماعات معهم فى هذه المناسبة لتحريك ضمائرهم، ولكى نتاشدهم فيها بأن يرحموا ضحايانا الذين تسببوا هم فى سقوطهم وتعويضنا عن الأضرار الجسيمة التى تحملناها سنوات طويلة وتتواصل جسامتها. وجدير بالذكر أنه على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية قامت كل الدول التى اشتركت فيها فورا بتطهير بلادهم من الألغام الأرضية حماية لرعاياهم ولكنها تركت فى بلادنا حقول هذه الألغام التى أصبحت هم يطلقون عليها (حقول الشيطان) أو (السيارات المخخة) ولم يكثرثوا بحياة مواطنينا أو أرواحهم وكأنها أرواح رخيصة فلتذهب إلى الجحيم لأنها لا تستحق اهتماما حتى ممن زرعوها وتسببوا فى نكبتها !

وإزاء هذه الكارثة التى لا سبيل لإيجاد مخرج منها، وإزاء السكوت المخيم عليها لسنوات طويلة بلا أمل فقد فكرت فى محاولة لكسر جمود هذه المأساة وإثارتها بتحريكها فى مناسبة هذه الاحتفالات لكى تطير أخبارها إلى أنحاء العالم عبر ممثلى وكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون والإعلام المكثف الذى يحضر كل عام مع هذه الشخصيات الكبيرة حين تغد إلى المنطقة ... وقد أمكننا تكوين فريق من شخصيات مصرية مميزة نبيلة منهم الأساتذة الدكتوراة السيد عبد الرسول ومحمد رفيق خليل وليلى حجاج وغيرهم، واتفقنا على تجهيز لافتات كبيرة يتم تعليقها على مداخل الاحتفال

بالمنطقة وطبع نداءات يتم توزيعها على الحاضرين نناشد فيها الحاضرين من هذه الدول بأن تكون هذه المأساة محل اهتمامهم، وأن يتحملوا بالتزامهم القانوني والإنساني فى إزالة هذه الألغام وتعويض ضحاياها وآثارها المدمرة ... وكان أن توجهنا فعلا منذ سنين فى هذا اليوم إلى المنطقة وبدأنا فى وضع اللافتات وتوزيع النداءات إلا أننا فوجئنا بالأمن يمنع هذه المحاولة بالرغم من أننا كنا قد أخطرناهم بذلك مقدما، بل اجتمع معنا فى أحد لقاءاتنا رئيس المدينة ورحب بالفكرة ووعد بدعم هذه المحاولة ... وهكذا فشلت - وأسفاه - هذه المحاولة وكأنا كما قلت نخشى عارا من آثار هذه المشكلة لأن المصريين ناس طبيون لا يعرفون لغة إزعاج الآخرين فى المطالبة بحقوقهم، ومع أنه ما كانت لتسكت أية نولة فى العالم نصف قرن من الزمان عن المطالبة بحقها وإثارة مثل هذه المشكلة فى كل المحافل العالمية والدولية وإلزام الدول المسؤولة على نفيقتها بإزالة الألغام والتعويض عن الأرواح والخسائر المادية التى ترتبت على أضرارها هذا الزمن الطويل...

والغريب أيضا أنه فى كل مرة حاولنا إثارة هذه المشكلة لم نجد لها تجاوبا بسبب الجهل أولا بحقائقها المريرة وبالأسس القانونية التى تركز عليها، فضلا عن الطمس الذى تحيطه بها هذه الدول المسؤولة لتدخلها عالم النسيان. وأوجز مسئولية هذه الدول التى زرعت الألغام فى الصحراء فى النقاط التالية :

أولا - فقيما يتعلق بمشكلة الألغام الأرضية التى أثرت عالميا فى السنوات الأخيرة فقد توصلت الأسرة الدولية إلى عقد معاهدة بشأن تحريمها استنادا إلى الإجماع الدولى على أن زرع الألغام هو من الأعمال الإنسانية لاستمرارية خطرها حتى نزعها وإبطال مفعولها، وأن

آثارها يضار فيها المدنيون أكثر مما تضار بها القوات المتحاربة التي زرعتها.

ثانيا - أن حالة الألغام المزروعة في الصحراء الغربية على وجه الخصوص هي حالة فريدة في مصر، بل وفي العالم كله ولذا قصرت البحث في هذه المحاضرة على هذه المنطقة بالذات التي تختلف عن غيرها من المناطق سواء في مصر أو العالم أجمع ... إذ من المعروف أن الدول المتحاربة يلتزم كل منها بإزالة ما زرعه من الألغام وتحمل آثارها المدمرة والتعويضات عنها. أما في الصحراء الغربية بالذات فقد تحارب على أرضها خصمان، ولم تكن مصر طرفا في هذه الحرب، ثم انتهت حروبهما تاركين في أرضها هذه الملايين من الألغام وأسلحة الدمار ... فلا جدال في أنه كان يتعين على هؤلاء المتحاربين إزالة هذه الآثار فورا والتعويض عن الأضرار التي نشأت عنها منذ زرعها حتى إزالتها.

ثالثا - أن محاولات طمس هذه المشكلة توالى، بل ساهمنا نحن بجهالة في تأييد ما تعلقت به هذه الدول المسئولة للحيلولة نون إثارها بمقولة أنه لا توجد خرائط لحقول الألغام حتى يمكن التعرف على مواقعها وهذا القول يقصد به التهرب من المسؤولية إذ أن هذه الدول قامت بإزالة الألغام من أراضيها نون خرائط كما أنه من المعروف أن خرائط المواقع لا تصل إلى أيدي المتحاربين لأنهم يحاولون إخفاءها أو التخلص منها حتى لا تقع في أيدي أعدائهم، بالإضافة إلى أن الدول التي تخسر الحرب لا يبقى فيها مسئول بوسعه أن يساهم في التعريف بهذه المواقع.

رابعا - يؤكد الخبراء أنه حتى لو وجدت خرائط لهذه الحقول فلا يمكن

الاعتماد عليها لأن للألغام الأرضية خاصية مؤداها أنها لا تخمد بمضى الزمن بل تزداد ضراوة على مر السنين، كما أنها تتحرك فى الأراضى الصحراوية بفعل الرمال والعواصف فتصبح هذه الخرائط عديمة النفع، وأكبر دليل على ذلك هو ما حدث أخيرا من انفجار أحد هذه الألغام بمنطقة برج العرب وإصابة عدة أفراد منه بالرغم من أن هذه المنطقة لم تكن مسرحا مباشرا لهذه الحرب.

خامسا - أن محاولات تهرب الدول المسئولة عن إزالة هذه الألغام من الصحراء الغربية ترجع إلى بهاذة تكاليف إزالتها، فقيمة إنتاج اللغم لا تزيد على ثلاثة دولارات وزراعته سهلة. ولكن الصعب هو إزالته إذ يحتاج إلى موارد مالية ضخمة فيتكلف إزالة اللغم الواحد حوالى ألف دولار.

سادسا - أنه لو حسنت النوايا وتحملت الدول زراعة الألغام بالصحراء الغربية مسئولية ونفقات إزالتها فوفقا لما توصل إليه العلم بالوسع التعرف على مواقعها حيث أمكن لليابان التوصل إلى جهاز يعمل بالموجات القصيرة ويمكنه بسهولة الكشف عن الألغام. كما أنتجت فنلندا راكبة يمكنها السير فى المناطق المغمومة لتفجيرها دون أن تصاب المركبة أو قائدها بأى أذى، وتحت يدى النشرة التى صدرت فى هذا الصدد.

سابعا - أن حقوق مصر التى يتعين المطالبة بها يمكن تلخيصها فى العناصر الآتية :

- ١- التزام الدول الثلاث المتحاربة فى ذلك الحين بإزالة الألغام فورا بمعرفتها وبنفقات تتحمل بها دون أى عبء يقع على عاتقنا.
- ٢- عمل حصر كامل لكل ضحايانا من جراء نكبة الألغام فى الصحراء

الغربية ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم سواء من استشهد منهم أو تشوه، وتقدير التعويض لهم ولأسرهم وفقا للمعايير الدولية، وهو ما يتعين على الدول الثلاث المسئولة أن تتحمل به.

٣- تعويضنا عن توقف عمليات التنمية الاقتصادية والسياحية واستغلال هذه المناطق طيلة السنوات الطويلة التي اقتطع فيها جزء عزيز من أرض الوطن محظور الدخول فيه أو استغلاله.

يبقى أن نعرف موقف القانون الدولي من هذه المشكلة التي رأينا في العرض السابق أن المسؤولية الكاملة عن إزالة هذه الألغام ثابت بلا جدال أنها تقع على عاتق الدول الثلاث التي زرعتها في صحرائنا الغربية دون رضانا أو بمشاركة منا أو بموافقتنا أو حتى قدرتنا على منعها حيث كانت مصر تقع في ذلك الحين تحت وطأة الاحتلال البريطاني.

وقد سبق أن أشرت إلى أن العالم أجمع على اعتبار زرع الألغام الأرضية جريمة لا إنسانية، ولذا انتهى هذا الإجماع كما ذكرنا بمعاهدة لتحريم إنتاجها أو زرعها أو تخزينها، وهكذا يمكننا القول بأن القانون الدولي أصبح متحكما وصريحا في إيقاف نكبة الألغام الأرضية مستقبلا في العالم أجمع.

أما فيما يتعلق بإزالة المزرع من هذه الألغام في صحرائنا الغربية والتعويض عن أثارها فإنه تعتبر بلا جدال التزاما دوليا وتطبيقا لهذه الأسس التي أجمعت عليه الأسرة الدولية ويحق معه لمصر مطالبة الدول التي تسببت في زرع هذه الألغام بإزالتها فورا على نفقاتها، والتعويض عن أضرارها بالكيفية السابق الإشارة إليها. أما نحن فمطالبون بمزيد من الضغط الدولي لدفع الدول التي شاركت في الحرب العالمية الثانية إلى

تحمل مسئوليتها فى إزالة هذه الألغام على نفقتها باعتبار أن مصر خسرت وتتواصل خسائر أرواح أبنائها وتضار فى قطعة غالية من أرضها ولا يتحقق ذلك إلا بالتحرك الفعال فى جميع المستويات سواء الحكومية منها أو غير الحكومية منها وبالمؤسسات الدولية.

إن اطلاق الحملة المصرية لإزالة هذه الألغام من صحرائنا الغربية يجب أن يصبح واجبا وطنيا ومطلبا قوميا عاجلا لأن ضرر هذه الألغام لا يتوقف عند القتلى والمصابين - وهو كاف وحده - ولكنه يمتد ليلقى بأثره على عملية التنمية ذاتها فى هذه الأراضى ولذا يجب أن نطالب هذه الدول التى زرعت الألغام بأن تتحمل مسئوليتها فى إزالتها بكل جدية ... إننا لا نستجدى هذه الدول ولا نطلب منها معونات بل نطالبها بحقنا فى أن تلتزم بنفسها بإزالة ما تسببت فيه من أضرار لأبنائنا ولأراضينا وهو مطلب يتعين أن نشيره بكرامة تنتهى إلى شعور هذه الدول بخجل السكوت على ما تسببت لنا فيه من مصائب تتنافى مع أبسط قواعد الإنسانية، ولأننا أكثر دول العالم استضافة للألغام وأكثرها تضررا منها - وجدير بالذكر أن الأميرة ديانا قد فجرت فى أثناء زيارتها لأنجولا عاصفة سياسية بصبها اللعنة على الألغام الأرضية ودعوتها خلال الزيارة إلى فرض حظر دولى على استخدام الألغام الأرضية وشعورها بالخجل مما يترتب على ذلك من آثار مدمرة، مع أن هذا القول منها يتعارض مع سياسة الحكومة البريطانية التى تتبعها، والتى هى إحدى الدول المسؤولة عن زرع الألغام فى صحرائنا الغربية.

وجدير بالذكر أيضا أن هناك أخيرا مجهودات لتعاون مكثف بين وزارتي الخارجية والدفاع لطرح مشكلة مصر مع هذه الألغام بالمحافل الدولية التى تناقش مشاكل الألغام وكذلك إجراء الاتصالات مع عدد من الدول لمحاولة إيجاد حل جذرى وحاسم لهذه المشكلة.

وكلنا نعرف بلاشك ما للسيدة الفاضلة سوزان مبارك من أباد بيضاء فى كلغة المجالات الثقافية والإنسانية والتعليمية والصحية ... إلخ، وقد كتبت بالأصالة عن نفسى وبالنياية عن الكثيرين أناشدها وأبعث لها ببناء كى تتبى وترعى حملة مصرية محلية ودولية للعمل على إزالة هذه الألفام المزروعة فى صحرائنا الغربية منذ ما يزيد على نصف قرن، ووقف نزيف لهم وإزهاق أرواح أبنائنا المصريين أو تشويهم وهو ما يحدث كل يوم بسبب هذه الألفام. وقد أردفت هذا الرجاء بأننا على استعداد لتجنيد أنفسنا للتعاون مع سيادتها فى هذه الحملة محليا أو فى المحافل الدولية حتى ننقذ أرواحا فى طريقها إلى الموت بسبب هذه الألفام بلا ذنب أو جريرة، هذه الأرواح التى ضاعت، وتلك التى سوف تنقذها هذه الحملة ستعرف داعية لسيادتها ولكل من شارك فى إنقاذها بأن يجزيها الله عنها خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

### الأخوة والأخوات :

دم برئ يسيل فى كل يوم وفى كل لحظة، أريد قبل أن أنهى هذه المحاضرة مخاطبة ضمائركم ببناء لكى نحمل سويا مسئولية هذه النكبة التى تعصف بأرواح من أبنائنا تحلق فى السماء وتطلب من كل منا أن يشارك فى هذه الحملة بجدية، كل بقدر طاقته، من مجهود أو تعبير إيجابى حتى نتوصل إلى إنقاذ من هم فى الطريق إلى الموت أو التشويه، وعند الله حسن الجزاء.

### دكتور/ عمر الحديدى

نائب رئيس الرابطة الدولية للقانون الدولى

## منحى أبى الشيبص الخزاعى فى التجديد الشعرى

د / مصطفى فتحى أبوشارب  
كلية الآداب - جامعة طنطا  
قسم اللغة العربية

ظلت شاعرية أبى الشيبص<sup>(١)</sup> الفذة ، وقريحته الوقادة ، ملقاة فى زوايا الإهمال ، مطرحة فى جوائق النسيان ، تحت أدهاص الزمن . وتقلّصت من تحت أجنحة الدهر قرون من السنين وهى فى مكنها حتى قبض الله لها الأستاذ عبد الله الجبورى أمين مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ، فبعث إلى عالم الوجود الثقافى أشعاره المتناثرة فى مظان الأدب القديمة وجمعها فى ديوان واحد ، طبع للمرة الأولى بمطبعة البيان فى بغداد سنة ١٩٦٧م ، تحت عنوان : ( أشعار أبى الشيبص الخزاعى ) . وكانت هناك بعض المآخذ على عمل المحقق فى هذه الطبعة أشار إليها كل من الأستاذ أحمد الجندى فى مقال بعنوان : ( أشعار أبى الشيبص الخزاعى ) والأستاذ محمد يحيى زين الدين فى مقال بعنوان : ( حول أشعار أبى الشيبص الخزاعى ) ونشر كل منهما تعقيبه فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق<sup>(٢)</sup> .

\* وقد تدارك الأستاذ الجبورى بعض الهنات التى وسمت هذه الطبعة حين نشره المكتب الإسلامى فى بيروت سنة ١٩٨٤م تحت عنوان : ( ديوان أبى الشيبص الخزاعى وأخباره ) .

وقد عكفت على شعر هذا الرجل منذ عدة سنوات أتأمل معانيه العميقة ، وصياغته الفنية ، وأحلقها تحليلاً فنياً متأنياً يكشف عن منحاه فى التجديد كاستخداماته الجديدة للغة ، وخیالاته المبتدعة ، وصوره المطردة أو الممتدة التى لا يكتفى فيها بالنقطة العابرة الجزئية ، أو اللمحة الخاطفة السريعة ، بل يمتد بها ويتعقب جزلياتها ، فيعرضها عرضاً ملفتاً شائقاً .

\* وأبو الشيبص من بيت عرف بالشعر ، ووصف بأنه من ( بيوتات الشعر )<sup>(٣)</sup> .

والمصادر التي بين أيدينا لم تذكر سنة ولادته ، أو نشأته ، غير أنها اكتفت بذكر سنة وفاته التي اتفقت عليها في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة .

ونرجح أن أبا الشيص ، ولد في الكوفة ، في الفترة المنحصرة بين سنتي ( ١٢٦ - ١٣٦ هـ ) ونشأ بها ، ثم انتقل إلى بغداد حاضرة الدولة العباسية ، ودرج في بلاط هارون الرشيد ، حتى عد من شعرائه (١) ، وله فيه مدائح ومراث مشهورة ، كما ذكر للمؤرخون الذين أرخوا له من قوليه يمدح الرشيد عند ورود الخبر بهزيمة (نقفور) وفتح بلد الروم من قصيدة : (٢)

شَدَدَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُوَى الْمَلِكِ	وَصَدَعَتْ بَفَتْحِ الرُّومِ أَفْنِدَةَ التُّرْكِ
فَرِنْتَ بِسَيْفِ اللَّهِ هَامَ عَدُوَّهُ	وَطَاطَأْتَ لِلْإِسْلَامِ نَاصِيَةَ الشُّرْكِ
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا كَانَ ضَاجِحًا	وَأَصْبَحَ (نَقْفُورُ) عَلَى مَلِكِهِ يَبْكِي

ويبدو أن مقامه في بغداد لم يدم طويلا ، ولم يستطع العيش فيها ، إذ يقول : (٣)

تَطَاوَلَ فِي بَغْدَادَ لَيْلِي وَمَنْ يَبْتَ	بِبَغْدَادَ يَبْتَثُ لَيْلَةً غَيْرَ رَاقِدِ
بِلَادٍ إِذَا زَالَ النَّهَارُ تَقَافَزَتْ	بِرَاقِيئِهَا مَا بَيْنَ مَتْنِي وَوَأَجِدِ
دِيَارِجَةَ شَهْبُ الْبُطُونِ كَانَهَا	بِغَالٍ بَرِيدٍ أُرْسِلَتْ فِي الْمَذَاوِدِ

ومرة أخرى يقول : (٤)

بَغْدَادُ بَغْدَادًا لَا سَقَى	سَاحَاتِهَا صُوبُ السَّحَابِ
عَمَرَ إِلَاهُ دِيَارَهَا	بِالْعَاوِيَاتِ مِنَ الْغِلَابِ

ثم ارتحل إلى أمير الرقة (٥) ، عقبه بن جعفر بن الأشعث الخزاعي ، فانقطع له ، وقضى بقية حياته في ظلال نعيمه ، وقد عمى في آخر عمره (٦) ، وكانت له مرث في عينه . فهو يصور مأساة فقد بصره ، وانطواءه في عالم الظلام الرهيب في مقطوعة ذاتية ، يقول : (٧)

يَا نَفْسُ بِكَيْ بِأَدْمَعِ هُنَّ  
عَلَى دَلِيلِي وَقَائِدِي وَيَدِي  
وَوَاكِفِ كَالْجَمَانِ فِي سَنَنِ  
وَتَوْرِ وَجْهِي ، وَسَائِسِ الْبَدَنِ  
أَبْكِي عَلَيْهَا مَخَافَةَ أَنْ  
يَقْرُنَنِي وَالظَّلَامَ فِي قَرْنِ

وفي الرقة انتهت حياته في قصة أشبه بالأسطورة ، إذ قيل ، إن أحد الغلمان قتلته وهو ثمل بالخمرة سنة ١٩٦ هـ (١١) .

ومهما يكن من أمر ، فالذي يعنينا من هذا كله هو فن أبي الشيبص ، الذي اختلفت آراء النقاد حوله ، فعندما أنشد عن المامون قصيدته التي يقول فيها :

جَلَا الصَّبِيحُ أَوْ نَبِيَّ الْكَرَى عَنْ جُفُوتِهِ  
وَفِي صَدْرِهِ مِثْلَ السَّهَامِ الْقَوَاصِدِ

أقرط المامون في استحسانها ، ثم أنشد في ذلك المجلس لجماعة من حذاق المحدثين ، مثل بشار ومسلم بن الوليد ونظرانها ، فلم يهش لشيء من ذلك ، وفضل عليهم أبا الشيبص (١٢) .

كما فضله أبو نواس (ت ١٩٩ هـ) على سائر المحدثين ، وسرق بعض أشعاره سرقا خفيا ، وعندما سئل : من أشعر طبقات المحدثين ؟ قال : الذي يقول :

يَطُوفُ عَائِنَا بِهَا أُخُورٌ  
يَدَاهُ مِنَ الْكَاسِ مَخْضُوبَتَانِ

يقصد بذلك أبا الشيبص (١٣) .

وقد ذكرت المصادر بعض المساجلات بين شاعرنا وشعراء عصره من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد ودعبل الخزاعي ، حيث ينشد كل واحد منهم أجود ما قاله من الشعر ، وعندما أنشد أبو الشيبص قصيدته التي يقول في مطلعها :

وَقَفَّ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتِ قَلْبِي لِي  
مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدَّمَ

قال أبو نواس : أحسنت والله وجودك وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشتهر ما أقول ، ويموت ما قلت . (١٤) .

وفي مجلس آخر قال أبو نواس لأبي الشيبص : أنشدني قصيدتك المخزية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخلدي قولك :

• لَيْسَ الْمُقِيلُ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضٍ •

إلا فتوتك استحصانا لها ، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقفا وعظما ما بلغت به استحقاق التحكم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عدّي لي المخزيات ، فتعديها :

أَنْزَلُ رَوْحَ بَسْتَنْسَقَى الْغَمَامُ بِهِ      نَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعًا

وما تشبهها من شعره . قال أبو الشيبص : لا أعل . إنها ليست عندي عقد در مفصل ، ولكني أكثر يتجرها ، ثم أنشده قوله :

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي      مَتَاخَرٌ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدِّمُ

فقال له أبو نواس : قد أردت صرفي عليها ، فلبيت أن تفتني عن سلبك ، لو خذرك في هربك . قال : بل أقول في طلبي ، فكيف رأيت هذا الطراز ؟ قال : أرى نمطا خسروانيا مذهبا حسنا . (١٥)

وواضح من خلال هذه المساجلات أن تناولنا شديدا وقع بين شاعرنا وأبي نواس زعيم طبقة المحثين المجددين ، فقد أبى أبو الشيبص أن يدركه أحد في طلبه لمعاني الشعر المبتكرات أو أن يجاريه في منحاه الفنى ، ومن هنا جاء تفضيل أبي نواس له على سائر شعراء عصره ؛ لعلمه الشديد بأنه يمثل نمطا فريدا في صياغته اللفظية والمعنوية على السواء .

ومن النقاد القدماء الذين أدركوا القيمة الفنية لشعر أبى الشيبص : ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) وعبد الله بن المعتز ( ت ٢٩٦ هـ ) ، فقد انفردا بالوقوف على مطولات أبى الشيبص وتقبيدها ؛ لاعتقادهما أن هذه القصائد تمثل أحسن تمثيل عبقرية هذا الشاعر اللذ .

كما سجل ابن المعتز إعجابه بشاعرنا فى أكثر من موضع ، فقد روى أن أبى خالد العامرى ، قال له : " من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيبى فكذبه / والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان / وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك / وكان سريع الهاجس جدا ، فيما ذكر عنه " (١٦) .

وذكر ابن المعتز أيضا : " أن أشعاره ونوادره وملحه كثيرة جدا " (١٧) . وروى أيضا عن النوفلى قوله : " كنا بواسط ومعنا ابن أبى الشيبى ، فتجارينا أمر الشعراء ، ففضلنا بعضا على بعض ، فقال ابن أبى الشيبى : أنا أشعر الناس ، وكان أشعر منى أبى ومن جميع من مضى ومن بقى ، فقلت له : كذبت فى نفسك خاصة ، فأما أبوك فلعمري إنه كان أشعر أهل زمانه " (١٨) .

وقال ابن دريد ( ت ٣٢٦ هـ ) : " سألت أبا حاتم عن أبى نواس ، فقال : . . . قلت فأبى الشيبى ، قال : جد كله ، فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التى نفضت ففیها المستعذب والمستبشع " (١٩) .

وقال عنه ابن رشيق القيروانى ( ت ٤٥٦ هـ ) : " ومن طبقة أبى نواس ، العباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد صريع القوائى ، والفضل الرقاشى ، وأبان اللاحقى ، وأبو الشيبى " (٢٠) .

وذكر الخطيب البغدادى ( ت ٤٦٣ هـ ) أنه : " كان يفضل على شعراء زمانه ، يقرون له بذلك لا يستنكفون ، وكان من أعذب الناس ألفاظا ، وأجودهم كلاما ، وأحكمهم رصفا ، وكان وصافا للشراب مداحا للملوك ، ودعبل بن على ابن عمه ، ويقال : إنه منه استقى وحفظ أشعاره كلها ، فاحتذى عليها . . . " (٢١) .

وقال الرقيق النديم : " وهذا أبو الشيبى ، نقى الكلام ، متخير الألفاظ ، مداح للخلفاء ، لاصق للفحول " (٢٢) .

وروى ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) أنه : " كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره " (٢٣) .

لما أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) فقد أغفل شاعرنا أو كاد  
في فتحه ، حيث جعله "متوسط المحل في شعراء عصره ، غير نبيه الذكر ،  
لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس" (٢١) .

وقال أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) : " وإنما أخل ذكره ، وقوعه بين  
مسلم بن الوليد ، وأشجع وأبي نواس " (٢٥) .

وليس أدل على هذا المصير الغريب من ضياع ديوانه الضخم الذي صنعه أبو بكر  
الصولي (ت ٣٢٥ هـ) في مائة وخمسين ورقة ، على الرغم من اتفاق معظم النقاد القدماء  
على تحصيله ، فلا نجد تفاوتاً شديداً بين آرائهم باستثناء ما ذكره ابن دريد عندما سأل أبا حاتم  
عن شعره ؟ فقال : " جدّ كله ، فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضت فيها المستعذب  
والمستبشع " وهذه وجهة نظر جيدة تتعامل بموضوعية مع فن أبي الشيبص نفسه ، فقد تجمعت  
في شعره من خصائص الشعر الجيد ، قديمه ومحدثه ، ما يجعل الناقد الموضوعي في حيرة ،  
لا يرى كيف يصنف هذا الشعر / فانت تقرأ القصيدة الواحدة لأبى الشيبص فتتمثل في أن  
واحد صورتين للشاعر لا تستطيع الفصل بينهما : صورة شاعر عربي محض تلتحم وصورة  
شاعر مولد محض ، وتتساءل كيف تمت عملية الائتلاف هذه دون تكلف وفي غير ما استعصاء ؟  
ذلك أن أبا الشيبص ، على غرار بشار في أواسط هذا القرن / يمثل نمطاً فريداً من بين شعراء  
العصر (٢٦) .

ويرى بعض النقاد المحدثين أن أبا الشيبص شاعر مجدد بعيد عن روح البادية كل البعد  
في جميع شعره (٢٧) ، أو أنه من الشعراء المفتنين (٢٨) ، حيث أضاف إلى حسن نسيجه دقائق  
المعاني ورائع الصور والأخيلة (٢٩) .

أما عن منحاه في التجديد الفني فيعد أبو الشيبص الخزاعي من شعراء القرن  
الثاني الهجري الذي تطور فيه الذوق العام نتيجة لتطور ما يقع عليه الحس / فكل ما  
يتعلق بالصحراء أصبح بعيداً عن الحياة العربية في الحواضر والمدن ذات القصور

العالية والبساتين الفيحاء ، والتي تجلت فيها مظاهر الحياة المادية فى أجمل صورها وأبهى معانيها .

وفى هذا القرن اصطرع القديم مع الجديد فى مواجهة واضحة ، القديم بتقاليده فى بناء القصيدة ، التى عبر عنها ابن قتيبة ورأى أنها لازمة لكل شاعر مجيد لا ينبغى أن يحيد عنها إلى غيرها ، فلا بد للشاعر أن يبدأ قصيدته بالنسب وذكر الأطلال والديار الدوارس وبكاء العهد القديم ليستوثق من إصغاء الأسماع إليه ، ثم يتوصل إلى الممدوح بالرحلة .

وكان الجيل السابق لأبى الشيبى متمسكا بهذه التقاليد بحرفياتها وطقوسها ، بل ببعض الصيغ التقليدية الشائعة المألوفة فى التعبير ، والقوالب المتداولة بين القدماء ، ثم جاء من بعد ذلك جماعة من الموالى المحدثين ثاروا على هذا التقليد ، وعدوه من شعائر القصيدة العربية البدوية فحاولوا الخروج عليه ، وبدأ بشار بن برد بتجاربه الجديدة فى الشعر المحدث محاولا الاستغناء عن المقدمة التقليدية فى بعض شعره ، ومع محاولاته الدائبة فى ابتكار تعبيرات وصور وصياغات جديدة ، إلا أنه لم يستطع الإفلات تماما من أسر القديم ، فتمسك إلى حد ما بالناحية الشكلية ، وإن غير فى طريقة الصياغة والتعبير . ثم جاء الجيل الثانى متمثلا فى أبى نواس وأضرابه من المجددين يخطو خطوات أخرى نحو التجديد إذ استغنى عن المقدمة الظلية ليحل محلها المقدمة الخمرية نموذجا للشعر المحدث الجديد .

وغير بشار وأبى نواس وأضرابهما من المجددين ، هناك شعراء آخرون من أمثال أبى الشيبى يستطيعون التوفيق بين الاتجاهين ، ويمزجون فى براعة بين الذوقين ، بل يضطرون أحيانا إلى التخلي عن مذهبهم الشعرى الجديد لمجاراة العلماء والرواة ، والتكسب بهذا النوع من الشعر التقليدى الذى يبدأ بمخاطبة الأطلال ، والتزام نهج القصيدة التقليدية .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله فى إحدى قصائده (٢٠) :

يَا دَارُ مَا لَكَ لَيْسَ فِيكَ أُنَيْسُ      إِلَّا مَعَالِمُ آيُهُنَّ يَرُوسُ  
الدَّهْرُ غَالِكُ أَمْ عَرَكَ مِنْ الْبَلَى      بَعْدَ النَّعِيمِ خُسُونَةٌ وَيَبُوسُ

مَا كَانَ أَحْصَبَ عَيْشَنَا بِكَ مَرَّةً      لَيْسَ رَبُّنَاكَ أَهْلًا مَسْخُوسٌ  
 فَسَفَاكَ يَا دَارَ الْبَلَى مُتَخَرِّفٌ      فِيهِ الرَّوَاعِدُ وَالْبُرُوقُ هُجُوسٌ  
 دَارٌ جَلَا عَنْهَا النَّعِيمُ فَرَبَّتْهَا      خَلَقَ تَمَرُ بِهِ الرِّيَّاحُ يَبِيسٌ

يتجه شاعرنا إلى الدار بالخطاب مباشرة ، فيكلم ما لا يعقل مستكفرا ومتمنيا لو أن هذه  
 الدار تشاركه عواطفه وأحاسيسه .

وعلى الرغم من أنه يقصر هذه القصيدة على وصف الخمر دون عرض أهر من  
 أغراض الشعر إلا أنه اتخذ هذه المقدمة الطلوية مجالا لث عواطفه تجاه الخمر بعدما تقدمت  
 به السن ، وهنا يمكننا أن نلاحظ ظاهرة بارزة في شعره ، وهي الاستدارة ، أو الارتداد ،  
 إذ يشرع في الحديث عن الطلل ، ثم يعدل عنه إلى صاحبه ، ثم يردد إلى الطلل ثم يخرج إلى  
 الخمر والشراب ، وكان هناك رابطا وجدانيا بين الخمر والمرأة في الابتدأة الأولى ، ثم يردد  
 مرة أخرى إلى الطلل ، وهكذا في دورات متصلة طوال القصيدة ، لذا فقد وفق في استدعاء أيام  
 الشباب من خلال تذكره لمربع ليهوه وصباه ، يقول :

رَبِّعٌ تَرَبِّعَ فِي جَوَائِبِهِ الْبَلَى      وَعَفَتْ مَعَالِمُهُ فَهِنَّ طَمُوسٌ  
 يَدْعُو الصَّدَى فِي جَوْقِهِ فِجِيئِهِ      رُبْدُ النِّعَمِ كَأَنَّهِنَّ قُمُوسٌ  
 وَلرَيْمًا جَرَّ الصَّبَا لِي ذَيْلَهُ      فِيهِ ، وَفِيهِ مَأْتَفٌ وَتَيْسٌ  
 مِنْ كُلِّ ضَامِرَةٍ أَحْشَا مَهْضُومَةٍ      لِحِبَالِهَا بِحِبَالِنَا تَلْبِيسٌ  
 مَسْتَرَّتْ بِالْحَيَاءِ لَوَابِسٌ      حَلَّلَ الْعُقَابِ عَنِ الْفَوَاحِشِ شُمُوسٌ

ثم ينتقل إلى وصف الخمر ، فيصفها بأنها عذراء تخاف لمس الرجال ، وأنها تزف إليهم حين  
 تجلوها الكنوس ، كما وصف ساقياها ، وأثرها في نفس شاربها ، ومجلسها القديم الذي درس هو  
 الآخر ، ولم تبق غير آثاره التي تدعو إلى التحسر ، يقول :

وَسَبِيئَةٌ مِنْ كَرْمِهَا حَيْرِيَّةٌ      عَذْرَاءٌ مِنْ لَمَسِ الرِّجَالِ شُمُوسٌ

لَمْ يَفْتَقِ النُّعْمَانُ عُذْرَتَهَا وَلَمْ      يَرْتَفُفْ مُجَاجَةً كَأَسِيهَا قَابُوسُ  
كَتَبَ الْيَهُودُ عَلَى خَوَاتِمِ دِنِّهَا      يَا دَنْ أَنْتَ عَلَى الزَّمَانِ حَبِيسُ

ويلاحظ اعتماد الصورة في هذا المشهد على عنصر الحركة ، فهي ليست لوحة ثابتة ، ولكنها أقرب إلى المشهد الحي ؛ لذا كان الفعل هو الغالب على الصياغة ، فالمشهد متحرك ويقوم على المشاركة والتفاعل ، حيث يقوم بالفعل أكثر من طرف .

ويجرب في قصيدته البائية التي مدح بها عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي أمير الرقة على طريقته السابقة ، فيقول في مطلعها : (٣١)

مَرَّتْ عَيْنُهُ لِلشُّوقِ فَالذَّمْعُ مُنْسَكِبٌ      طُلُوْلُ دِيَارِ الْحَيِّ ، وَالْحَيُّ مُغْتَرِبٌ

فتراه يبدأ بالحديث عن بقايا الديار المهجورة ، ويمزج في غير قليل من التوفيق بين النسب التقليدي والغزل الحضري ، وحديث الخمر والشراب أنشودة المحدثين في مقدماتهم . فيعد أن تحدث عن الطلل المهجور ومشاهده المختلفة من ارتياد الطباء له لوحشته بعد أنسه بأهله ، يأتي بالببيت الفاصلة بين النمط القديم والجديد ، فيقول :

عَفَانِفُ لَمْ يَكْشِفْنَ سِرًّا لِعَذْرَةَ      وَلَمْ تَنْتِجِ الْأَطْرَافُ مِنْهُنَّ بِالرَّيْبِ  
فَأَدْرَجَهُمْ طَى الْجَدِيدِينَ فَاَنْطَوُوا      كَذَلِكَ أَنْصِدَاعُ الشَّعْبِ بِنَأَى وَيَقْتَرِبُ

ثم ينتقل إلى الخمر مباشرة ، فيقول :

وَكَأْسٍ كَسَا السَّاقِي لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ      حَوَاشِيهَا مَا مَجَّ مِنْ رَيْقِهِ الْعَيْبُ

ويمضى في حديث الخمر والساقى حتى يقول ذاكرا الإقلاع عن هذا النهو الموكل بالصبا :

فَوَرَّعْنِي بَعْدَ الْجَهَالَةِ وَالصَّبَا      عَنِ الْجَهْلِ عَهْدًا بِالشَّبِيْبَةِ قَدْ ذَهَبَ

ويقول بعد استطراده إلى عهد ذلك الصبا :

إِنِّي أَنْ رَمَى بِالْأَرْبَعِينَ مُشْبِبُهَا      وَوَقَّرْتَنِي قَرَعُ الْخَوَادِثِ وَالنَّكْبِ

وَكَلَّفَ مِنْ غَرْبِي مَشِينَةً وَكَبْرَةً  
وَأَحْكَمَنِي طُولَ النَّجَارِبِ وَالْأَدَبِ

ثم يصف السفينة التي اتخذها مطية إلى ممدوحه بدلا من الناقة وصفا دقيقا بجميع  
أجزائها وطريقة سيرها على صفحة الفرات، وهذه نقلة جديدة وتغيير لتقليد متبع، يقول :

وَبَحْرِ يَخَارُ الطَّرْفُ فِيهِ قَطَعْتُهُ  
بِمَهْنُوعَةٍ مِنْ غَيْرِ عَرٍّ وَلَا جَرِبِ  
مَلَاكِكَةَ الْأَضْلَاعِ مَحْبُوكَةَ الْقَرَى  
مُدَاخِلَةَ الرِّيَّاتِ بِالْقَارِ وَالْخَشْبِ  
مُوثِقَةَ الْأَنْوَاحِ لَمْ يَدْخَمْ مَتْنَهَا  
وَلَا صَفْحَتَيْهَا عَقْدُ رَحْلِ وَلَا قَتَبِ  
عَرِيضَةَ زَوْرِ الصُّدْرِ دَهْمَاءَ رَسَلَةٍ  
سِنَادِ خَلِيعِ الرَّأْسِ مَزْمُومَةِ الذَّنْبِ  
جَمُوحِ الصَّلَا مُوَارَةَ الصَّدْرِ جَسْرَةَ  
تَكَادُ مِنَ الْإِغْرَاقِ فِي السَّيْرِ تَلْتَهَبِ

إلى أن يقول متأثرا بموروثه الشعري ومستعيرا بعض صفات الناقة لوصف السفينة، ولكن  
إحداها تسبح في رمال البيداء بينما الأخرى تشق عباب الماء :

مُعَلِّمَةٌ لَا تَشْتَكِي الْأَيْنَ وَالْوَجْسَى  
وَلَا تَشْتَكِي غَضَّ النَّسُوعِ وَلَا الذَّابِ  
وَلَمْ يَدْخَمْ مِنْ جَذْبِ الْخُشَائِصَةِ أَنْفُهَا  
وَلَا خَانَهَا رَسْمُ الْمُنَاسِبِ<sup>(٣٢)</sup> وَالنَّقَبِ  
مُرَقَّقَةَ الْأَخْفَافِ صَمَّ عِظَامُهَا  
شَدِيدَةَ طَيِّ الصُّكْبِ مَعْصُوبَةَ الْعُصْبِ  
بِشَقِّ حُبَابِ الْمَاءِ حَسْدُ جَرَانِهَا  
إِذَا مَا تَفَرَّى عَنْ مَتَابِغِهَا الْحَبِيبِ

وبذلك يمكننا تأكيد القول بأن قوة تيار الشعر القديم كان لها مظهران في ذلك العصر  
الأول وجود شعراء محافظين يلتزمون عمود الشعر العربي ونهج القصيدة التقليدية .  
والثاني خضوع الشعراء المجددين - وهم الأكثرية - لهذا التيار في بعض أشعارهم وبخاصة  
شعر المديح ؛ لإرضاء الممدوح أولا ، وإرضاء العلماء والرواة ثانيا ؛ ولإثبات تمثلهم  
القوى للثقافة العربية الأصيلة ، وقدرتهم على مجازاة النهج الشعري القديم في بعض الأحيان .

ولا شك أن أبا الشيبان كان صدى طبيعيا لتطور مجتمعه وتطور الحياة من  
حوله في مظاهرها المادية والمعنوية على السواء . فهو شاعر مجدد بعيد عن روج

البادية كل البعد فى جميع شعره ؛ ولذلك كان حريصا - كمعظم الشعراء المجددين فى القرن الثانى - على أن تكون لغة شعره هى لغة الحياة اليومية نفسها ، أو على الأقل أن تكون قريبة منها ؛ ولذلك قال عنه بعض النقاد القدماء : " كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء " - ( ٢٣ ) .

والسبب فى ذلك أنه لم يكن مضطرا إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة فى مجتمعه فيصطدم إليهامه عند ذاك بعقبة كأداء تجعل نظمه بطيئا ؛ لذلك كانت تنثال عليه الأشعار فى سهولة وبساطة تعبر عن أفكاره مباشرة بلا تعقيد ، وتؤدى هذه المعانى المباشرة ألفاظ سهلة موحية قريبة من لغة الحياة اليومية أو هى بالفعل منها . وسرعان ما تضيع هذه الأشعار ويقبل عليها الناس فى سهولة ويسر وتصبح جزءا من ثقافتهم ومرآة تنعكس عليها أفكارهم وعواطفهم .

وتخير الألفاظ على هذا النحو فى مفاهيمنا النقدية الحديثة يشير إلى وعى الشاعر بصناعته فلا يمكن العفوية فى التعبير من زمامه ، وإنما يترك وعيه اللغوى ميزانا يختار بإحدى كفتيه الألفاظ المناسبة التى تعدل كفة معانيه وأحاسيسه ، فإذا مختار لفظه من مختار فكرته ، وإذا حكم فكرته من قرين مؤداه اللفظى فى توازن وتلازم ( ٢٤ ) .

والحقيقة أن الباحث حين ينظر فى شعر أبى الشيص نظرة شاملة يرى نزوعه إلى الصنعة الشعرية نزوعاً ظاهرا ، " وتلك سمة بارزة فى شعر القرن الثانى بصفة عامة ، وإن كانت تختلف من شاعر لآخر لآخر قلة وكثرة ، وصنعة وتصنعا ، كما تختلف أيضا من ناحية ميله إلى الصنعة اللفظية أو المعنوية ، ومن ناحية قدرته على التحليق والارتفاع بالصورة أو الهبوط بها ، فأبو الشيص مثلا نجد فى شعره هذا الميل إلى الصنعة الشعرية سواء اللفظية منها أم المعنوية " ( ٢٥ ) .

وإلى جانب ذلك يمتاز شعره - فضلا عن غيره من الشعراء - بهذه الخيالات المبتدعة والصور المطردة أو الممتدة التى لا يكتفى فيها باللفظة العابرة الجزئية ، بل يمتد بها ويتعقب جزئياتها ، فيعرضها عرضا متلفا شائقا ( ٢٦ ) ، أو قل إنها صور متداخلة تنساب مثل ماء النهر

العذب لا نستطيع أن نحكم عليها في أحد منعطفاتها ، وإنما لا بد لنا من أن نجرى معها ونتبع تدفقها .

فلاّبي الشيب كثير من الأشعار الرائعة في المشيب وبكاء الشباب يطرف فيها تارة بالصور والأخيلة البديعة ، وتارة بالمعاني التي تمس المشاعر وتهز القلوب ، فهو يصور المشيب تصوير الغاضب الناقم عليه ؛ لأنه يسرق اللحظات السعيدة من حياة الإنسان ؛ فيؤلف له من الخيال صورة مفزعة فبيحة بلغ بها غاية الجودة ، وخاصة في تصوير دبيب المشيب على السواد إذ جعله كالعقارب ، يقول ( ٣٧ ) :

خَلَعَ الصَّبَا عَنْ مَنَكَبَيْهِ مَشِيبُ      فَطَوَى الذَّوَائِبَ رَأْسَهُ الْمَخْضُوبُ  
نَشَرَ الْبَلَى فِي عَارِضِيهِ عَقَارِبَا      بَيْنَمَا لَهُنَّ عَلَى الْقُرُونِ دَبِيبُ

لاحظ هذه الاستخدامات اللغوية في نشر البلى عقاربا ، وكيف سخر الشاعر الدلالة المستعارة للفظ في هذا المعنى الذي استهدفه ؛ لتعطي وقعا وإحساسا خاصين بمدى شعور الشاعر باتصرام الشباب ، ومقدم المشيب منذرا بالفناء ، فجعل البياض علامة البلى والذوائب في قرونها ، وكأنها عقارب منذرة بالهلاك ، فاستطاع أن يصور حالته النفسية أيضا ؛ لتكتمل للصورة عناصر جمالها ؛ لأن هذا الأداء النفسى ضرورى وجانب هام فى التصوير لم يكن يحفل به الشعراء الأقدمون .

أما قصيدته الضادية التي مطلعها ( ٣٨ ) :

أَبَقَى الزَّمَانَ بِهِ نُدُوبَ عِضَاضٍ      وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بَبِيَاضٍ

فهى من جيد شعره ، وقد مدح بها عقبة بن جعفر ، وروى ، أنه لما أنشده إياها أمر بأن تعذ وأعطاه لكل بيت ألف درهم ( ٣٩ ) .

ففى مقدمتها يتحدث عن الشيب وذكريات الشباب ، والعلاقة بين فتوة الشباب وورونه وإقبال الحياة ممثلا فى المرأة . وهو فى ذلك كله يخرج عن المألوف لدى

الشعراء فى هذا المعنى إلى استخدامات جديدة للغة وأخيلة غير مطروقة ،  
فتراه يفتح قصيدته بقوله :

أَبَقَى الزَّمَانَ بِهِ نُدُوبَ عِضَاضٍ      وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بِبَيَاضٍ

انظر إلى التركيب فى الشطر الأول حين أراد أن يعبر عما تركه الزمان على الوجه  
والجسد من آثار تجاعيد وندب عبّر عنها بأنها ( ندوب عضاض ) واستخدم لفظ ( عضاض )  
تحديدا ؛ ليوحى بالوحشية ويبين أنه ليست ندبا عادية بل هى من فعل هذا الزمان الكاسر . ثم  
نراه يكثف هذا المعنى فى البيت الثانى ، فيقول :

نَفَرْتُ بِهِ كَأْسُ النَّدِيمِ وَأَغْمَضْتُ      عَنْهُ الْكَوَاعِبُ أَيَّمَا إِغْمَاضٍ

تأمل هذه الصورة الجديدة ، وكيف استخدم لفظ ( نفرت ) فى ابتعاد النديم عن مجالسة  
الشيخ الهرم ، وهو يصور ابتعاد الذات عنه بهذه الصورة المعبرة اللافتة ، ثم يرشح لهذه  
الصورة بهذا التعبير الموحى ( وأغمضت عنه الكواعب أيما إغماض ) فكان الأوانس الكواعب لا  
يردن رؤيته ، فأغمض أعينهن عنه وتجاهلن وجوده ، ثم يقول :

حَسَرَ الْمَثِيبُ قِنَاعَهُ عَنِ رَأْسِهِ      فَرَمَيْتَهُ بِالصَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ  
أَنْتَانِ لَا تَصُبُّو النِّسَاءَ إِلَيْهِمَا      ذُو شَيْبَةٍ وَمُخَالِفِ الْإِنْفَاضِ

فهو يفصح عما كان يصطخب فى المجتمع من صراع داخلى يعبر عن التحولات القائمة  
آنذاك ، ويميط اللثام عن طبيعة العصر وارتفاع شأن المال ، كما يكشف عن عقلية المرأة  
وطبيعتها النفسية ، فيصوغ خلاصة تجربته فى البيت الأخير ويعلل إعراض النساء عنه بعد أن  
استرسل فى فعل الزمان فيه ، ثم يضيف معنى جديدا مقصودا ، فقد فنى زاده وهلكت أمواله  
ولحق به الفقر ، فعلام تصبو إليه النساء ؟ وكأننا أمام سلسلة من المقدمات تفضى إلى نتيجة  
حتمية واحدة . ففى هذه الحقيقة المرة ما يفسر لنا السبب الذى دعاه إلى اللجوء إلى الممدوح  
كما سيأتى كنوع من التفريغ من إصر الخيبة التى انتابته .

وبعد أن افتتح صورته بفعل الزمان في الشيخ يفصل الصور ويتابعها ، متلاحقة ، موقدة ، تتشابه لتدور حول هذا المحور لا تعدوه . فهي تبعد عن اللحظة الآتية للزمن إلى الماضي إلى الشباب ، والفتوة والنضرة ، والحيوية ، وإقبال الحياة في إقبال الغواني الحسان ، ثم تعود فترتد إلى الآن . . . (١٠) وفي حسرة شديدة يستخدم أساليب الأمر ؛ ليصور ضمور الهوى ونضوبه في قلبه ، وعزوفه عن الرغبة في المرأة بشكل قاطع ، وكم كان تعبيره عن ذلك بديعا حين قال :

حَلَى عِقَالَ مَطِيئَتِي لَا عَنْ قَلْبِي      وَأَمْضِي فَأَتِي يَا أَمْتَمَةً مَاضٍ

وهو حين يصور فتوة الشباب يصورها بأفراس جامحة تأتي أن تستكين إذا شدها صاحبها بالعنان ، يقول :

لِيَأْمَ أَفْرَاسُ الشَّبَابِ جَوَامِحَ      تَأْتِي أَعْنَتَهَا عَلَى الرُّوْاضِ

ثم ينتقل إلى الرحلة ، بشيء كثير من اليسر ، بل إن الانتقال ليكاد يكون مع التدرج الذي سارت فيه أبيات القصيدة أمرا لا مفر منه ، ومن هنا جاء التحام أجزاء القصيدة بعضها ببعض ، فكل شيء يدعو إلى الركوب والانتقال والرحلة ، فلا يعبر عنها بلغة جارية معتادة ، لكنه يتخذ لنفسه لغة خاصة مؤثرة بما تحمله من قدرة صاحبها على الإيحاء بالصورة والرمز ، كما أنه يستعين بكل عناصرها في خلق جو نفسي محدد ، ويصوغ فيها كل ما يتردد من مشاق الرحلة وإعانات الراحة حتى يبلغ ممدوحه ، بحيث يجد القارئ نفسه أمام رؤية واحدة تريد أن تسيطر على الصورة الكلية للقصيدة ، ويحس القارئ من خلال هذا التواصل السياقي والتعبيري بين معاناة الإنسان في رحلة الزمن ومعاناة الشاعر في الرحلة إلى الممدوح أن جوا أو عالما نفسيا خاصا يريد أن يفرض نفسه عليه فلا يملك إلا أن يتبعه مستمتعا به مشدودا إليه ، يقول :

وَرَكَائِبٍ صَرَفَتْ إِلَيْكَ وَجُوهَهَا      نَكَبَاتٌ دَهْرٍ لِلْفَتَى غَضَّاضٍ

...

إِنَّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِيهِ      يَا عَقْبَ شَطِّ بَحْرِكَ الْفَيْضِ

## بَحْرٌ يَلُودُ الْمُعْتَقُونَ بِنَيْلِهِ فَعَمَّ الْجَدَاوِلُ مُتَرَعُ الْأَخْوَاضِ

انظر إلى الشطر الأخير من البيت الأول لتر كيف جعل الشاعر الدهر عضاضا ؟ فكم في هذه الصورة من إبحاءات كما أن استخدامه لصيغة المبالغة (عضاض) يوحي بالوحشية والقوة ، وعلى الرغم من أن اللفظة عادية في ذاتها إلا أنها حينما أسندت إلى الدهر اكتسبت ظللا جديدة أوحى بها الاستعارة التي تثير فينا الإحساس بفضاعة المأساة التي لم يكن ثمة سبيل إلى الفرار منها أو تجنبها إلا باللجوء إلى هذا البحر الفيض ؛ ولذا فقد وفق في استخدام أسلوب التوكيد ، ولفظة الأمان في مقابل نكبات الدهر .

ولعلنا إذا استثنينا من المعاصرين لشاعرنا بشارا وخلفا وأبا نواس لا نقف على شاعر استطاع أن يزاوج في الخطاب الشعري بين أنساق القديم وأنساق المولد كما زواج أبو الشيبص ، ففي القصيدة الواحدة من شعره تعتمل أغراض القديم يضاف عليها أصباغ الحديث ، وأغراض المحدثين يخضعها للمصاحبة الأعراب . وخير نموذج لهذا المنحى قصيدته النونية حيث تنتظم جنباً لجنب أساليب المولدين من اختيار للبحر ذي الإيقاع الخفيف ، وحسن التصرف في أساليب التوليد ، والمجانسة مما نهجته مدرسة البديع ، والسعي وراء عذوبة الألفاظ ورقنتها ، وحلاوة المعاني وقرب مأخذها ، وأساليب القدامى من إحكام للنسج ، وتخير للفظ الجزل الفصيح ، وبعد عن السخف والركاكاة ، وحسن تخلص ووضوح في الرؤية . وفي هذا الائتلاف ما يدل على مقدرة فنية عالية قل أن أدركها جمهرة المعاصرين له باستثناء من ذكرنا . ولعل ابن المعتز قد أدرك هذه الظاهرة المميزة فاستهل القصيدة بقوله : "ومما طار لأبي الشيبص في الدنيا وسارت به الركبان هذه . . ." ثم يأتي بالقصيدة كاملة ، ومطلعها : (١١)

## أَشَاقِكُ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْجِرَانِ عُرَابٌ يَبُوحُ عَلَيَّ غُصْنِ بَانَ

وفيها يسلك أبو الشيبص الطريقة نفسها في عرض أفكاره ومعانيه ، فبدأ قصيدته بتذكر الماضي البعيد ومرابع صباه ، ويبيكى شبابه المنصرم ، ويعقد موازنة بين الماضي والحاضر ، بين ما كان وما آل إليه ، وكان عنصر التحول هو المحور الأساس في النص ، وهو عنصر

مفارق من شأنه أن يثير ذهن الملتقى . ففي تصويره لهذه الأيام الخوالي حين كان يحب ، يصف حبه بـشجرة مورقة خضراء وارفة الأغصان ظليلة ، فيقول :

فِيَا عَيْشِنَا ، وَالْهَوَى مُورِقٌ      لُهُ عُصْنٌ أَخْضَرُ الْعُودِ دَانَ

فلعله استلهم التعبير القرآني في هذا المعنى من قوله تعالى (١٢) : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ . . . " فيستبدل بالمرأة في التعبير عن الدنيا أو الحياة الأغصان المورقة والخضرة .

ولا يترك أبو الشيبص وصف الخمر في قصيدة من قصائده ، حتى في قصائد مديحه نراه أدار أغلبها على وصف الخمر ، وكثيرا ما كان يصفها وصف العاشق المفتون بها وبشربها ، وأحيانا يتخذ من القصيدة الخمرية مجالا لبث عواطفه الصادقة والالتفات . . . . . لهذا نجد الصنعة الفنية تأخذ طريقها إلى هذا النوع من شعره ، وقد تصل إلى حد التكلف الذي تستره براعته في صنعة الألفاظ والمعاني . وبذلك يمكننا القول بأن شعر الخمر عند أبي الشيبص قد تطور تطورا واضحا في الشكل والمحتوى على السواء .

ففي هذه القصيدة يحدثنا عن الخطوات التي مرت بها الخمر منذ اعتصارها إلى أن وصلت إليه عجوزا تخفى تجاعيد الزمن في وجهها بما تضحخ به جلدها من طيب وزعفران ، يقول :

وَعَذْرَاءٌ لَمْ تَفْتَرِغْهَا السُّقَاةُ      وَلَا اسْتَامَهَا الشَّرْبُ فِي بَيْتِ حَلَنِ  
وَلَا احْتَلَبَتْ دَرَّهَا أَرْجُلٌ      وَلَا وَسَمَتْهَا بِنَارِ يَدَانِ  
وَلَكِنْ غَدَّتْهَا بِالْبَابِئِهَا      ضُرُوعٌ يَحْفُ بِهَا جَذُولَانِ

إلى أن تحوّل عنها الصبأ  
فأحسبها وهي مكروعة  
عناقيد أخلاقها حقل  
فلم تزل الشمس مشغولة  
ترشحها للثام الرجال  
ففضا الخواتيم عن جوتة  
عجوز غذا الميسك أصدأغها  
يطوف علينا بها أخور

وأهدى الفطام لها المرضعان  
تمج سلاقتها في الأوان  
تذر بمثل الدماء القوانبي  
بصينغها في بطون الذنان  
إلى أن تصدئ لها الساقيان  
صنوف عن الفحل بكر عوان  
مضمخة الجند بالزعفران  
يداه من الكأس مخضوبتان

فشاعرنا في هذا المشهد عمد إلى الاستقصاء عبر التراكم الذي يتجلى في ظاهرة العطف بالواو ، ويرأوح بين النفس والإثبات فيما يسوقه من حقائق وصور بصرية تتلاصق وتتنامى في شكل مشاهد متتالية ، عناصرها مختارة بعناية فائقة ، وقد وفق الشاعر في توظيف عناصرها لتصوير المشهد واستقصاء كل جوانبه ، وبدا هذا الاستقصاء وكأنه ( كاميرا ) مسلطة على أدق التفاصيل والجزليات موعلة في الكشف والتقاط كل ملامح الصورة .

ويبدو أبوالمشيب دائما مزعجا بالشيب الذي يعكر عليه صفو حياته ، ويهدم باستمرار لذاته ، فيصف سواد فؤديه بغرابين جاء المشيب فأطارهما بقول :

وَرَأَجَعْتُ لَمَّا أَطَارَ الشَّيْبَابُ  
غُرَابَانِ عَنِ مَفْرَقِي طَائِرَانِ

كما نتضح لنا في هذه القصيدة صناعة أبي الشيب اللغزية إلى جانب صورته الشعرية ، كما أنها انفردت بخصائص ميزتها عن غيرها ، منها : أن سورة الرحمن بإيقاعاتها ماثلة نصب عينه وهو ينظم أبياته ، فمعظم قوافيه من فواصل السورة ، هذا بالإضافة إلى الاقتباس الحرفي من الآية الكريمة : " فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ " ( ١٢ ) حيث يقول في نهاية القصيدة :



مستعصية عليهم فهي ( بكر عوان ) كما أنها ( صدوف عن الفحل ) ، وهذا ترشيح لمعنى العذرية في بيت سابق :

وَعَذْرَاءَ لَمْ تَفْتَرِعْهَا السَّقَاةُ      وَلَا اسْتَامَهَا الشَّرْبُ فِي بَيْتِ خَلَنِ

فقوله ( لم تفترعها السقاة ) تأكيد لعذريتها وبكارتها ، والغريب أننا نجدده يصفها بأنها عجوز شمطاء تحاول أن تخفى تجاعيد وجهها بالمسك وبما تضمخ به جلدها من الزعفران ، فكيف تكون بكرا وعذراء وفي الوقت نفسه عجوزا ؟ إنها لا شك الخمر المعتقة التي إذا طالت عليها السنون ازدادت جودة وعرامة .

كما نلاحظ محاولاته التجديدية في النظام الموسيقي ، في مثل قوله :

أَحْمُ الْجَنَاحِ شَدِيدُ الصِّيَاحِ      يُبْكِي بِعَيْتَيْنِ لَا تَهْمَلَانِ

جرور الإزار خليج العذار      إلى العهد العتيق يردتان

ويرى " يوهان فك " أن وجود قافية مصرعة في داخل البيت وقافية متحدة في جميع الأبيات في القصيدة يعد تجديدا في النظام الموسيقي للقصيدة العربية في القرن الثاني (٤٤) . ومعنى ذلك أن شعراء القرن الثاني كانوا يستحدثون أنواعا جديدة من الموسيقى الشعرية في إطار الأوزان القديمة خضوعا لمقتضيات الغناء في ذلك العصر وتأثيره العميق في الأوزان والقوافي على السواء (٤٥) .

وحاول أبو الشيص مجازاة هذا النسق تقريبا في أبيات أخرى غير ما ذكرنا بالإضافة إلى حسن التقسيم الذي اعتمد عليه في بعض منها ، مثل قوله (٤٦) :

لَطِيفُ الْحَشَا عَيْلُ الشَّوَى مُدْمَجُ الْقَرَى      مَرِيضُ جُفُونِ الْعَيْنِ فِي طَيْهِ قَبَبِ

وقوله : (٧)

سُوْدِ بَرَانْتُهُ ، مِيْلِ ذَوَائِبُهُ  
صَفْرِ حَمَالِقُهُ فِي الْحُسْنِ مَغْمُوسِ

وقوله : (٨)

السُّنُّ ضَاحِكَةٌ ، وَالْكَفُّ مَائِحَةٌ  
وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ ، وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ

وقوله : (٩)

فَدَمَعِي يَسِيْلُ ، وَصَبْرِي يَزُولُ  
وَجَسْمِي فِي عَبْرَتِي يَفْرَقُ

وتلاحظ أن صورة الطريقة تتكرر ، والتدفق السياقي الذي تتعاقب فيه المعاني ،  
واستخداماته الجديدة للغة ، كل هذا مائل بوضوح في قصيدته الرائية التي مطلعها : (١٠)

نَهَى عَنِ خُلَّةِ الْخَمْرِ  
بَيَاضُ لَاحٍ فِي الشُّعْرِ

وفيها يعيد عرض الإحساس بالشيب والزمن مرة أخرى مستمدا معجمه اللغوي من  
الحضارة المادية الدالة على الترف والرفاهية ، وفيها أيضا بناء موحد تتواصل أجزاءه في تناسق  
عضوي متمازج : تتصور الخمر في أرجاله على غير ما عهدناها لدى الشعراء الآخرين ،  
مما يؤكد لنا حقيقة لغوية وفنية فحواها : أن الحضارة المادية - مهما شطت أسبابها ومظاهرها  
عن منبت اللغة للشعر العربي ميلادا في بيئة الجزيرة العربية وإبان العصور الخوالي - تطاوع  
هذه اللغة ولا تهز أركانها قيد أنملة ، وإنما تستسلم بين يديها وتطاوعها ، فيؤدى الشعراء عنها  
بهذه اللغة بناء راسخا ثابت الأسس .

ويقين أن هذا البناء مرن الأوصال لين المقومات ، فيبقى للشاعر المبدع مساحة يتنفس  
فيها خياله إبداعا وابتكارا ، ومن هنا نلتقى شاعرنا وهو يصف مظاهر حياته اللاهية بصور فنية  
مبتدعة : فالخمر - التي سار بها الشعر العربي تغنيا وتغزلا منذ أيام الشاعر الجاهلي الأعشى  
وقبل هذه الأيام - ترتدى على يدى أبى الشيبص فنونا من التصوير فيها جدة الحضارة وجمال  
التعبير ، وشخصية الشاعر ، وآية ذلك قوله في وصفها عصرا وإدارتها كأسا :

س في أثوابها الصفر  
حشا مذهبها الخضر  
وزق أخذب الظهر  
ويتنيتها على الخضر  
عزبه عفا الأزر  
ب عن قوس من السخر  
ر للذمان بالخمر  
ع في الصخر وفي السكر  
بنار لا ، ولا قسدر  
لها طوقا من الشذر  
ر في خفافها يجري  
ن في أجوافه الخضر  
ة فيها بالقطبا الكسدر  
لها بالله والصبر

وقد أخذوا وعين الشن  
على خرداء قباء ال  
بمنها صارم الحد  
وظنسي يعطف الأزر  
على الظف ما شدت  
مهارة تركبى الألبا  
لها طرفا يعسوب الخمر  
ظريف الخط والإغضا  
على عفرأ لم تفتق  
هجوذ نسج المساء  
فمن الذهب الأخم  
وآله تركب الركبا  
بفرض تكلف الخيز  
تمنكت على أهوا

وهذه هي هذا اللون من البناء للصورة الفنية التي نشم فيها رائحة المدام ونسمع بين  
ملحقاتها عريضة السقارة ومجون السقاة ، لا يجمع خيال أبي الشيبان ولا تتمرد مخيلته توهما  
مصطلعا ، وإنما يلتزم معايير الوعي الفني ، ويتقيل مقاييس المنطق الشعوري ،  
فلا يلزم معميات من التعابير وطلاسم من التراكيب ، ولكننا نلاحظ أن النعوت والأفعال الدالة على  
الحركة تشكل صلب هذا المشهد المتكامل ، وقد رقت ألفاظه وجاء إيقاعها مناسبا ومنسجما مع  
الجو العام للمشهد ، ومستجيبا لمشاعر الشاعر وما أشاعه من مظاهر الجمال فيما حوله منتزعا

إياها من البيئة الحضارية التي بدأ تأثره بها واضحا جدا ، واصلا بين حركة الحس والشعور ،  
والحركة الداخلية والخارجية .

لقد تحدث عن بعض معاني الخمر شعراء سابقون ومعاصرون ، ومزجوا بين الساقية  
والشراب في منح اللذة للشاربين ، لكن تعجب معى كيف ربط الشاعر ببراعته الفنية ولغته  
الشاعرة وسياقه المتدفق بين عذرية الساقية وعذرية الخمر في قوله :

عَفِيفٌ اللَّخْظُ وَالْإِغْضَا      عِ فِي الصَّخْوِ وَفِي السُّكْرِ  
عَلَى عَذْرَاءَ لَمْ تُفْتَقِ      بِنَارِ لَأَ ، وَلَا قِذْرِ

ثم تأمل معى هذا الانقلاب المفاجئ في البيت الآتى ؛ ليصور لذهنك هذا التضاد فى الصفة ، على  
غير الواقع الملموس ، فهى عذراء فاتنة ، وإن كانت عجوزا ، لكنها ليست عجوز البشرية ،  
فالعجوز فى البشرية معناها الضعف والتخاذل والوهن ، لكن الخمر العجوز تزداد عرامة وفتوة  
فى فعلها ، فهى عجوز الزمن فتية الفعل والأثر :

عَجُوزٌ نَسَجَ الْمَاءُ      لَهَا طَوْقاً مِنَ الشُّذْرِ  
كَأَنَّ الذُّهَبَ الْأَحْمَرَ      رَفِي خَافَاتِهَا يَجْرِي

وتعجب معى لهذا الصياغة المبدعة لمعنى يجرى على أسننة الشعراء ، لكنه يفوقهم فى  
الصياغة واستخدام اللغة هذا الاستخدام غير المسبوق ، لقد قال فى هذا المعنى كثيرون ،  
آخرهم معاصره أبونواس ، لكن الأمر هنا يختلف ؛ فقد تفنن الشاعر فى صياغة المعنى  
واستنبط دقائق جديدة لم تكن تخطر على بال أحد .

كذلك فى وصفه للرحلة تعدد المتحدثون ، وتحدث هو عن الرحلة فى القصيدة  
السابقة ، وعبروا وعبر عن المعانى الجارية ، لكنه هنا يختلف فى استخدامه للغة عن سابقيه ،  
بل يختلف عن نفسه ولانطق عند قوله :

بِأَرْضٍ تَقَطُّعُ الْخَيْرِ      ةُ فِيهَا بِأَقْطَا الْكُنْزِ

وبلغت انتباهنا منحى الشاعر فى التعبير والتصوير هنا ، فيعبر عن إحساس قاطع الصحراء الموحشة بالضياح ، لولا ظهور أسراب القطا الكدرى فى الأفق حيث تبعث فى نفسه الأمل فى الإفلات من أسر اليأس وقطع الحيرة بالاطمئنان .

والشعور العام الذى يتسلل فى أنحاء الأبيات كالعصارة يدب فيها من مطلعها ، قطبه ومداره ومحوره ومساره ذلك الإحساس بالضياح ، ضياح العمر فى رحلة الحياة ، لولا رجاء الآخرة أمل المسلم ؛ ولهذا يقول فى بيت من أبيات الرحلة بعد انقطاع الحيرة :

تَمَسَّتْ عَلَيَّ أَهْوَاؤُهَا بِإِلَهٍ وَالصَّبْرُ !!

وهذا يؤكد لنا صحة القول ببراعة هذا الشاعر بالقياس إلى معاصريه فى استخدام اللغة الاستعارية ، فقد جرى معهم فى بعض معانى الشعر إلا أنه اختلف عنهم فى هذه اللغة الجديدة ، والتراكيب الغريبة أو الطريقة المليحة كما عبر ابن المعتز (٥٠) .

ولنقف وقفة أخرى مع شعره الغزلى (٥١) الذى يصف فيه مشاعره تجاه محبوبته ، فنجدته يرقى إلى درجة كبيرة ، ويتهاك فى صوته إلى درجة الغناء ، يقول : (٥٢)

لَوْ كُنْتُ أَمَلِكُ أَنْ أَفَارِقَ مُهْجَتِي      لَجَعَلْتُ نَاطِرَهَا عَلَيْكَ رَقِيبًا  
حَظِيرًا عَلَيْكَ ، وَإِنِّي بِكَ وَاثِقٌ      أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبًا

وأحيانا يضىء عليه قدرا كبيرا من ذاتيته ويرق ويلين ويضعف ويتضاءل كثيرا أمام محبوبته ؛ ليصل إلى غاية التهاك فى الحب ، ونهاية الطاعة للمحبيب . والتشبيب فى رأى النقاد " ينبغى أن يكون دالا على شدة الصباية ، وإفراط الوجد ، والتهاك فى الصبوة ، ويكون برها من دلائل الخشونة والجلادة ، وأمارات الإياء والعزة " (٥٣) ومن أمثلة ذلك قوله : (٥٤)

وَقَفَّ الْهَوَى بِى حَيْثُ أَنْتِ قَلَيْسَ لِي      مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ  
وَأَهْنَيْتَنِ ، فَأَهْنَيْتُ نَفْسِي جَاهِدًا      مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ  
أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِيرْتُ أَحِبَّهُمْ      إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةِ حُبِّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي السُّومُ

وهذا الخضوع والتذلل والتهاك في الحب يجعلنا نتذوق النص ونقبله قبولا حسنا يثير  
فينا هزة في النفس ويترك تأثيرا في الوجدان ، ويخلق تجاوبا في العاطفة ؛ لأنه بنأى عن جفاف  
الأسلوب التقريرى ويتبرأ من الحكم الخطابى المباشر .

ونلاحظ في شعر أبى الشيبص بصفة عامة أشياء يكثر من ترديدها كالحبيبة العفيفة  
الحية يكرر ذكرها ، فهي تارة : (٥٦)

عَفِيفُ الْخَطِّ وَالْإِغْضَا      عِ فِي الصَّخْوِ وَفِي السُّكْرِ  
أو قوله : (٥٧)

عَفَافٌ لَمْ يَكْشِفْنَ سِرًّا لِعَذْرَةٍ      وَلَمْ تَنْجِ الْأَطْرَافُ مِنْهُنَّ بِالرَّيْبِ  
وهو دائم الذكر للصبا مجتمعا مع المرأة والشراب ، مثل قوله : (٥٨)

وَلَرُبَّمَا جَرَّ الصَّبَا لِي ذَيْتَهُ      فِيهِ ، وَفِيهِ مَأْلَفٌ وَأَنْبَسُ  
مِنْ كُلِّ ضَامِرَةٍ الْحَشْمَا مَهْضُومَةٌ      لِحِبَالِهَا بِحِبَالِنَا تَلْبِيسُ  
مَسْتَرَّتْ بِالْحَيَاءِ لَوَابِسُ      حَلَّلَ الْعَفَافِ عَنِ الْفَوَاحِشِ شُوسُ

ويكرر في شعره ذكر الخمر الحيرية ، نسبة إلى الحيرة التي صارت الكوفة فيما بعد ،  
مما يرجح نشأته بها أو إقامته هناك ، مثل قوله : (٥٩)

وَسَبِينَةٌ مِنْ كَرَمِهَا حَيْرِيَّةٌ      عَذْرَاءُ مِنْ لَمَسِ الرِّجَالِ شَمُوسُ  
أو قوله : (٦٠)

يَسْتَفِيكَ رَيْقُ سَبِينَةِ حَيْرِيَّةٍ      مِمَّا اسْتَبَاهُ لِفُصْحِهِ الْقَسِينُ

أو قوله : (١١)

لَطِيمَةً مِسْكٍ فُتَّ عَنْهَا خِتَامُهَا      مُعْتَقَةً صَهْبَاءَ حَيْرِيَّةِ النَّسَبِ

وهي دائما عذراء ممتنعة عنيدة لا تذلل كما سبق أن أوضحنا من قبل ، أو أنها : (١٢)

رَبِيبَةٌ أَحْقَابِ جَلَا الدَّهْرُ وَجَهْهَا      فَلَيْسَ بِهَا إِلَّا تَلَاوُهَا نَدْبُ

والخمر إذا كانت ( ربيبة ) تستوجب ألوانا من الرعاية والموافاة مادة تعصر  
وسانلا يحتفظ به ، لأنها نابذة في أحضان الرفاهية . أو هي من صناعة المجوس  
أو النصارى أو اليهود الذين ختموا على دنها وتركوها هكذا عصية زمتا طويلا ،  
فلم يستطع ملوك الحيرة التي نشأت بها ونسبت إليها أن يفضتوا بكارتها ، أقصد ختامها ،  
أو أن يرشفوا مجاجة كاسها ، مثل قوله : (١٣)

لَمْ يَفْتَقِ النُّعْمَانُ عَذْرَتَهَا وَلَمْ      يَرشُفْ مُجَاغَةَ كَاسِهَا قَابُوسُ  
كَتَبَ الْيَهُودُ عَلَى خَوَاتِمِ دَنِّهَا      يَا دَنْ أَنْتَ عَلَى الزَّمَانِ حَبِيسُ  
ذِمِّيَّةٌ صَلَّى وَزَمَزَمَ حَوْلَهَا      مِنْ آلِ بَرْمَكٍ هَرَبْتُ وَمَجُوسُ

وكثيرا ما يستخدم الألوان والحركات في رسم صور حية للساقى والساقية أو السكرى ،

مثل قوله : (١٤)

سَقَايِي بِهَا وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ      غَزَالٌ بِجِنَاءِ الزُّجَاغَةِ مُخْتَضِبُ  
يَكَادُ إِذَا مَا ارْتَجَّ مَا فِي إِزَارِهِ      وَمَالَتْ أَعَالِيهِ مِنَ اللَّيْلِ يَنْقَضِبُ

أو قوله : (١٥)

وَلَوْ شِدْتُ عَاطَايِي الزُّجَاغَةَ أَحْوَرُ      طَوِيلُ قَنَاءِ الصُّلْبِ مُنْخَزِلُ الْعَصْبِ

أو قوله : (١٦)

مِنْ كُلِّ مَرْتَجِّ الرُّوَادِفِ أَحْوَرُ      يَمْسُرِي أَبْوَهُ وَأُمَهُ بِنَفِيسِ

أو قوله : (٦٧)

وَتَظَنِّي يَغْطِيفُ الْأَزْرَ      وَيَثْبِيهَا عَلَيِ الْخَضِرِ  
عَلَى الطَّفِ مَا شُدَّتْ      عَلَيَّهِ عَقْدُ الْأَزْرِ

وقد تكون ساقية نصرانية تسعى بينهم بالخمير متقلدة الصليب : (٦٨)

لِيَالِي تَسْعَى بِالْمُدَامَةِ بَيْنَنَا      بَنَاتُ النَّصَارَى فِي فَلَايِدِهَا الصُّبْبِ

ويصور في براعة فائقة تلثم السكرى وترنحهم بعدما لعبت الخمر  
برؤوسهم في مثل قوله (٦٩) :

وَأَضْحَوْا وَيَغْصُ مَا يُقِيمُ لِسَانَهُ      وَيَغْصُ إِذَا مَا خَاوَلَ الْمَشَى يَغْرُجُ

أو قوله : (٧٠)

عَقَلَ الزُّجَاجُ لِسَانَهُ وَتَخَاذَلَتْ      رِجْلَاهُ فَهَوَ كَأَنَّهُ مَطْسُوسُ

ويكثر أبو الشيبص من المحسنات البيعية كالطباقي والمقابلة التي تخفى ملامح الصنعة  
والتكلف فيها براعته الفنية وقدرته على تطويع اللغة لتخدم معانيه وتعبّر من خلال النقيض عن  
فكرته ، من مثل قوله : (٧١)

جَارِيَةٌ تَسْحَرُ عَيْنَاهَا      أَسْفَلُهَا يَجْذِبُ أَعْلَاهَا

...

نَفْسِي عَلَى أَمْرَيْنِ مَطْبُوعَةٌ      حَبِي لَهَا أَوْ بَغْضٍ مَوْلَاهَا

أو قوله : (٧٢)

عَفِيفُ اللَّخْظِ وَالْإِغْضَا      عِ فِي الصَّخْرِ وَفِي السُّفْرِ

أو قوله : (٧٣)

جَزَتْ جَوَارِ بِالسُّعْتِ وَالنُّحْسِ      فَتَحْنُ فِي وَخْشَةٍ وَفِي أَنْسِ  
الْعَيْنُ تَبْكِي وَالسُّنُّ ضَاحِكَةٌ      فَتَحْنُ فِي مَاتِمٍ وَفِي عُرْسِ  
بُضْحِكُنَا الْقَائِمِ الْأَمِينُ وَتَبَا      كَيْنَا وَقَاءُ الْإِمَامِ بِالْأَمْسِ

أو قوله : (٧٤)

إِذَا أَخَذْتَ بِحَبْلِ مِنْ حَبَائِلِهِ      دَأَبْتَ لَكَ الْأَرْضُ أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا

أو قوله : (٧٥)

فَأَدْرَجَهُمْ طَى الْجَدِيدِينَ فَاَنْطَوُوا      كَذَاكَ أَنْصِدَاعُ الشَّعْبِ بِنَأَى وَيَقْتَرِبُ

ونلاحظ تكرار ظاهرة أخرى في شعره وهي المجاورة ، ويقصد بها تردد اللفظتين في البيت ، ووقوع كل واحدة منها بجانب الأخرى أو قريبا منها ، من غير أن تكون إحداها لغيرها لا يحتاج إليها (٧٦) ، من مثل قوله : (٧٧)

أَكَلَ الْبُوجَيْفُ لُحُومَهَا وَلُحُومَهُمْ      فَاتُوكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضِ

أو قوله : (٧٨)

شَمَائِلٌ يُصَنِّفُهَا فَيَحْنُ      مَثُونُ الصَّخْرِ بِالصَّخْرِ

أو قوله : (٧٩)

أَمَّا وَحَرَمَةٌ كَأَسِ      مِنْ الْمُدَامِ الْعَتِيقِ  
وَعَقْدٌ نَخْرٌ بِنَخْرِ      وَمَزْجٌ رِيْقٌ بِرِيْقِ

وقد لاحظنا من قبل في قصيدته النونية اقتباسه بعض آيات وفواصل سورة الرحمن ، وتلك ظاهرة تكررت في بعض أبيات له ، فنراه مثلا يقتبس بعض الألفاظ والتراكيب والمعاني من

قوله تعالى في سورة الفیامة : ( ٨٠ ) \* كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي \* وَقِيلَ مَنْ رَاقِي \* وَظَنَّ أَنَّهُ  
الْفِرَاقِي \* وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ \* فيقول : ( ٨١ )

تُجْدِي عَلَى إِذَا مَا قِيلَ مَنْ رَاقِي      وَالتَّفَّتِ السَّاقُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالسَّاقِ  
يَوْمَ لَعَمْرِي بِهِمُ النَّاسِ أَنْفُسُهُمْ      وَتَيْسَ تَنْفَعُ فِيهِ رُقِيَةُ الرَّاقِي

كما يقتبس لفظين من قوله تعالى في سورة البقرة : ( ٨٢ ) \* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا نَسَا  
هِيَ قَالَتْ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرَ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون \* .  
فيقول : ( ٨٣ )

فَفَضَّا الْخَوَاتِيمَ عَنِ جَوْتَةِ      صَدُوفٍ عَنِ الْفَحْلِ بِكْرِ عَوَانَ

وخالصة القول تؤكد أن أبا الشيبان شاعر محب للخمر والغلمان اشتهر  
بالصبوة والغزل ، وأن ما تبقى من شعره ينير لنا هذه الظاهرة السلوكية ويؤكد  
في شخصيته ، كما أننا على يقين بأن شاعرنا تسليح بثقافات العصر السائدة في  
الكوفة وغيرها ، وقد أعجب بشعر البادية ، فيما نرى ، كما أعجب بشعر الحاضرة ،  
فمزج بينهما وأراد أن يلفتن في ألوان الشعر ، فاتخذ لنفسه طريقا مختلفا يساير فيه  
بعض القدماء في العناية باللفظ والدوران حوله ، وألح على تشابه العبارات  
واختلاف معانيها ، كما نصب نفسه لاصطياد الصور اللفظية والبيدية . وهو في ذلك يتبع طريقة  
كثير من اللحوول وجود في المعنى ويعنى بالمبنى ، وكان ذلك من هم الشعراء  
في عصره ، يحنون إلى الشعر القديم ويسعون إلى مجاراته ، فكان جرسه  
حلوا في الأذان ، وجاءت صورة ممتدة مطردة كما جاءت معانيه طريقة مليحة  
مقربة إلى القلوب العربية المخلصة التي تتصلل بماضيها وتعكف عليه وتتقرب منها ،  
فكان في عمله هذا تعصبا للعرب وحبا لهم وإخلاصا لطريقتهم ، وتمسكا بعمود الشعر العربي .

• • • • •

## هوامش البحث .

١ - اسمه محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي . وكنيته أبو جعفر ، وأبو الشيبان لقب ظب عليه ، والشيبان : بالكسر ، تمر لا يشتد نواه . قال الفراء : وقد لا يكون له نوى ، وقيل : ردىء التمر ، واحده شبيصة وشبيصة ، وقيل : هو فارسي معرب ، وفي نوادر الأعراب : شيبان فلان الناس إذا ذهبهم بالأذى ؛ قال وبينهم مشايصة أى مثالفة . راجع : الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٦ / ٤٠٠ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي بتحقيق عبد السلام هارون ، ص ٢٤١ ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ٥ / ٤٠١ طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ولسان العرب لابن منظور ( شيبان ) ٤ / ٢٣٧٥ طبعة دار المعارف .

٢ - راجع : مجلة اللغة العربية بدمشق ، مقال أحمد الجندي في الجزء الثاني من المجلد الثالث والأربعين ، عدد : نيسان ( إبريل ) سنة ١٩٦٨ م ، المحرم سنة ١٣٨٨ هـ ، ومقال محمد يحيى زين الدين في الجزء الثالث من المجلد الخمسون ، عدد : تموز ( يوليو ) ١٩٧٥ م ، وجمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ هـ .

٣ - ذكر صاحب الأغاني ( ١٦ / ٤٠٠ ) أن عبدالله بن أبي الشيبان شاعر صالح الشعر . وذكر ابن النديم في الفهرست ، ص ٢٣٠ ، ط المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة ( د/ت ) أن شعره يقع في مسبعين ورقة . وراجع أيضا : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، ٢ / ٨٤٨ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٨٢ م . وطبقات الشعراء لابن المعتز بتحقيق عبد الستار فراج : ص ٣٦٤ وما بعدها ، طبعة دار المعارف بالقاهرة . ومن رجال بيت أبي الشيبان ، دأود بن رزين الذي ينسب إلى واسط ، وهو شاعر معروف في عصره ، وله صحبة مع أبي نواس ، وروى له شعر معه . راجع : قطب السورور ، للنديم الرقيق ، تحقيق أحمد الجندي ، ص ١٧٨ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . ومنهم علي بن رزين بن علي شاعر مقل له شعر في محاضرات الأنباء والحامسة البصرية وغيرها . ومنهم علي بن رزين ، شاعر ذكره ابن النديم والمعزبانى والأمدي ومنهم أبو الحسن ، علي بن علي ، شاعر ذكره ابن رشيق ، والحسين بن علي شاعر من شعراء القرن الثاني ، والأرطط ذكره الأمدي في الموازنة . وأشهر هؤلاء دعبل بن علي الخزاعي ابن عم أبي الشيبان وله ديوان مطبوع .

٤ - طبقات ابن المعتز : ٧٤ وما بعدها ، تاريخ بغداد : ٥ / ٤٠١ ، وليات الأعيان لابن خلكان بتحقيق إحسان عباس : ٢ / ٢٧٠ ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٧ م .

٥ - ديوان أبي الشيبان الخزاعي ، صنعة عبدالله الجبوري : ٩٢ ، نشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٤ م ، وراجع أيضا : تاريخ بغداد : ٥ / ٤٠١ وما يليها .

٦- ديوانه : ٥٦ .

٧- نفسه : ٤٠ .

٨- الرقة : من نصيب سوريا الآن ، وكانت مدينة عراقية مشهورة تقع على الشاطئ الشرقي للفرات ، وكانت أثرية لدى هارون الرشيد ، وكان أميرها عتبة بن الأشعث الخزاعي ، وقبيلة خزاعة قبيلة يمنية معروفة وهي التي ينتسب إليها أبو الشيبص ، وقد عرفت بولاتها لآل البيت وعلى وأبنائه . حتى كان معارفة يقول : " بلغت خزاعة في الولاء لعلي بن أبي طالب حدًا لو أمكن لئسانهم محاربتنا لحاربتنا " وكان هذا شأن كثير من اليمينية ، وقد كانت منهم كثرة بالكوفة .

٩- البيرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ، تحقيق محمد مرسى الخولوي : ٢٧٢ ، طبعة دار الاعتصام ١٩٧٢ م ، نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي ، وقف على طبعه أحمد زكي بك : ٢٥٧ ، طبعة المطبعة الجمالية بمصر ١٩١١ م ، الأغاني : ١٦ / ٤٠٠ ، البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي تحقيق أحمد أبوالمحم وآخريين : ١٠ / ٢٤٩ طبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م بيروت ، تاريخ أديب اللغة العربية ، تأليف : جرجي زيدان ٢ / ٨٦ وما بعدها ، طبعة دار الهلال القاهرة ( د / ت ) .

١٠- ديوانه : ١١١ ، الأغاني : ١٦ / ٤٠١ .

١١- طبقات ابن المعتز : ٧٤ ، الأغاني : ١٦ / ٤٠٧ .

١٢- طبقات ابن المعتز : ٨٦ .

١٣- الأغاني : ١٦ / ٤٠٤ وما يليها .

١٤- طبقات ابن المعتز : ٧٤ ، الأغاني : ١٦ / ٤٠٢ وما يليها .

١٥- الأغاني : ١٦ / ٤٠٣ وما يليها .

١٦- الأغاني : ١٦ / ٤٠٠ ، معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي : ٢ / ٨٧ ، ٤ / ٧٧ ، طبعة المطبعة البهية بالقاهرة ١٣١٦ هـ .

١٧- طبقات ابن المعتز : ٨٦ .

١٨- المصدر نفسه : ٣٦٤ .

١٩- ديوان أبي نواس بتحقيق إيفالد فاغنز : ١ / ١٤ وما بعدها ، النشرية الإسلامية القاهرة ١٩٥٨ م .

- ٢٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد  
١ / ١٠١ الطبعة الرابعة ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ م .
- ٢١- تاريخ بغداد : ٥ / ٤٠١ .
- ٢٢- قطب السورور : ١٠٧ .
- ٢٣- البداية والنهاية : ١٠ / ٢٤٩ .
- ٢٤- الأغاني : ١٦ / ٤١٠ .
- ٢٥- سبط اللآلي لأبي عبد البكري بتحقيق عبدالعزيز الميمنى : ١ / ٥٠٧ ، طبعة القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٢٦- شعراء عباسيون منسيون لإبراهيم النجار : في ٢ جـ ١/١٩٥ ، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧ م .
- ٢٧- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د / محمد مصطفى هدارة : ١٦٨ ، الطبعة الثالثة  
بدار المعارف بمصر .
- ٢٨- الأدب في عصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث ، د / محمد زغلول سلام : ٣٩٩ ،  
طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية .
- ٢٩- العصر العباسي الأول ، د / شوقي ضيف : ٣٤٨ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .
- ٣٠- راجع القصيدة كاملة في ديوانه : ٧٠ وما بعدها ، وطبقات ابن المعتز : ٨٣ وما بعدها .
- ٣١ راجع القصيدة كاملة في ديوانه : ٣٣ وما بعدها ، وماقات ابن المعتز : ٨٠ و١٠٥ و١٨٠ .
- ٣٢ هكذا في جميع المصادر : " الملابس " ولا معنى له ، ولعله تحريف عن : " ولا مالها رسم النياسب " من  
الرسم وهو ضرب من المنشى ، والنياسب : جمع نيسب وهو الطريق الواضح .
- ٣٣- الأغاني : ١٦ / ٤١٠ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٤٩ .
- ٣٤- بناء الصورة الفنية في البيان العربي ( موازنة وتطبيق ) د / كامل حسن البصير : ٢٦ ، طبعة المجمع  
العلمي العراقي ١٩٨٧ م .
- ٣٥- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : ٥٨١ .
- ٣٦- الأدب في عصر العباسيين : ٤٠٢ وما بعدها .
- ٣٧- ديوانه : ٣٠ .

٣٨- ديوانه : ٧٥ وما بعدها ، وطبقات ابن المعتز : ٧٥ وما يليها .

٣٩- الأغانى : ١٦ / ٤٠١ .

٤٠- الألب فى عصر العباسيين : ٤٠٤ وما بعدها .

٤١- راجع القصيدة كاملة فى ديوانه : ١٠٥ وما بعدها ، وطبقات ابن المعتز : ٧٨ وما بعدها .

٤٢- سورة يونس ، الآية : ٢٤ .

٤٣- سورة الرحمن ، الآية : ٦٦ .

٤٤- العربية ليوهان لك ، ترجمة عبدالحليم النجار : ٩٧ ، مطبعة دار الكتاب العربى القاهرة ١٩٥١ م .

٤٥- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : ٥٤٧ .

٤٦- ديوانه : ٣٥ .

٤٧- نفسه : ١٥٢ .

٤٨- نفسه : ٨٣ .

٤٩- نفسه : ٩٠ .

٥٠- راجع القصيدة ثامنة-تى ديوانه : ٦٠ وما بعدها . وطبقات ابن المعتز : ٧٧ وما بعدها .

٥١- الألب فى عصر العباسيين : ٤٠٦ وما بعدها .

٥٢- استبعدنا من شعره الغزلى القصيدة الدعدية التى تنسب إليه ومطلعها :

هَلْ بِالطَّلُولِ لِمَسَائِلِ رَدِّ      أَوْ هَلْ لَهَا بِتَأْخِمْ غَهْذِ

فهذه النسبة ليس لها سند تاريخى مقنع ؛ لأن أكثر المؤرخين ينسبونها إلى الحسين بن محمد المنبجى ، ولقبه (دوقلة المنبجى) ، أو إلى على بن جبلة المعروف بالعمرك ، أو إلى شعراء آخرين ، والذين ينسبونها إلى أبى الشيص للة قليلة ، وقد أخذ الأستاذ الجبورى عند جمعه لشعره برأى هذه القلة ، وأثبت القصيدة فى نهاية الديوان ، وعلق عليها بقوله : 'شهرت هذه القصيدة باسم : الدعدية ، وتنازعها أكثر

من أربعين شاعرا ، وقد غلب عليها شاعران ؛ هما : أبو الشيبان الخزاعي ، والعكوك علي  
ابن جبلة اليمنى الكندي المتوفى سنة ٢١٣ هـ .

وقد نشرتها في ديوان أبي الشيبان : لميلى إلى من نسبها إليه من رواة الأئمة العربى ، وسواء صححت  
النسبة إلى أبي الشيبان أو لم تصح ، فهي جديرة بالنشر . راجع ديوانه : ١٣٣ .

وفي رأبى أن هذه القصيدة لا يعرف قائلها ، فقد تمارى عليها الشعراء وادعاهم أكثرهم لنفسه ، والأرجح  
أن تكون لأحد أولئك الذين كانوا ينظمون الشعر وينحلونه الناس عن سوء طوية أو حسن نية .

٥٣- ديوانه : ٤١ .

٥٤- كتاب الصناعتين ( الكتابة والشعر ) لأبى هلال العسكري ، تحقيق : على محمد الجبارى ومحمد أبو الفضل  
إبراهيم : ١٣٥ ، طبعة عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ( د / ت ) .

٥٥- ديوانه : ١٠١ وما بعدها ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٤٧ ، شرح ديوان الحماسة ، لأبى على أحمد بن  
محمد بن الحسن المرزوقى ، نشره : أحمد أمين وعبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ٣ / ١٢٧٣ وما بعدها .

٥٦- ديوانه : ٦١ .

٥٧- نفسه : ٢٤ .

٥٨- نفسه : ٧١ وما بعدها .

٥٩- نفسه : ٧٢ .

٦٠- نفسه : ٧٣ .

٦١- نفسه : ٣٥ .

٦٢- نفسه : ٣٥ .

٦٣- نفسه : ٧٢ .

٦٤- نفسه : ٣٥ .

٦٥- نفسه : ٣٦ .

٦٦- نفسه : ٧٢ .

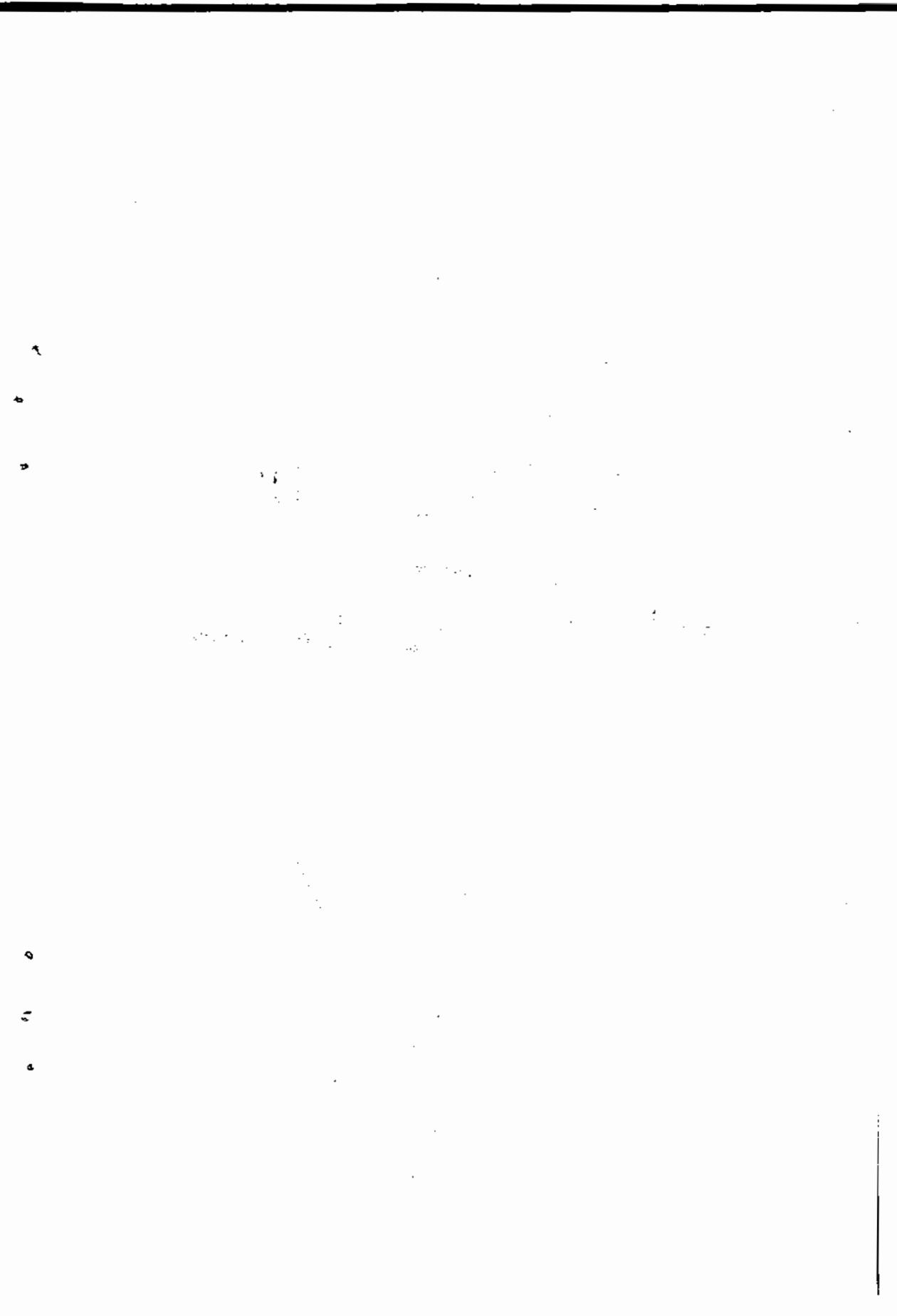
- . ٦٧- نفسه : ٦١ .
- . ٦٨- نفسه : ٣٦ .
- . ٦٩- نفسه : ٤٧ .
- . ٧٠- نفسه : ٧٤ .
- . ٧١- نفسه : ١١٥ .
- . ٧٢- نفسه : ٦١ .
- . ٧٣- نفسه : ٦٨ وما بعدها ، والشعر والشعراء : ٨٤٧ / ٢ .
- . ٧٤- نفسه : ١١٤ .
- . ٧٥- نفسه : ٣٤ .
- . ٧٦ الصناعاتين : ٤٣١ .
- . ٧٧ : ١١٥ ، ٧٧ .
- . ٧٨- نفسه : ٦٢ .
- . ٧٩- نفسه : ٩١ .
- . ٨٠- سورة القيامة ، الآيات : ٢٦ : ٣٠ .
- . ٨١- ديوانه : ٨٦ .
- . ٨٢- سورة البقرة ، الآية : ٦٨ .
- . ٨٣- ديوانه : ١٠٨ .

.....

التضمين النحوي  
فى  
صنعة الدرس اللغوي الحديث

الدكتور  
فريد عوض حيدر  
كلية الدراسات العربية والإسلامية  
جامعة القاهرة - فرع الفيوم

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

### مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فموضوع هذا البحث « التضمين النحوى فى ضوء الدرس اللغوى الحديث » والتضمين من الموضوعات التى تبرز وتجسد الصلة الوثيقة بين الدلالة والنحو ، بل إن التضمين يعلن أن النحو تبع للدلالة ، وأن المكون الدلالى هو الأسبق فى الوجود ثم يتلوه المكون النحوى ، ثم إنه يجسد عملية ذهنية تعطينا بعض المؤشرات الدالة على أن اللغة ذات طبيعة بيولوجية وثيقة الصلة بعمل الدماغ والذهن الإنسانى .

وقد تناول البحث موضوع التضمين من خلال النقاط الرئيسية الآتية :-

- (أ) التضمين فى اللغة .
- (ب) التضمين فى الاصطلاح .
- (ج) التعبيرات الدالة على التضمين .
- (د) آراء اللغويين فى وقوع التضمين .
- (هـ) أنماط التضمين .
- (و) العلاقة الدلالية بين عنصرى التضمين = (اللفظ المُضمَّن واللفظ المُتضمَّن)
- (ز) القواعد التحويلية للتضمين .

إن أهمية هذا البحث تعود إلى ما يلى :

- ١ - عرض لموضوع قديم فى ثوب عصري تم فيه وصل الفكر اللغوى العربى القديم بالفكر اللغوى الحديث .
- ٢ - تقييم لأنماط التضمين مع التطبيق بالأمثلة الواردة فى الاستعمال .
- ٣ - رسم منهج لمعرفة حالة التضمين فى كل مثال على حدة لمعرفة كونه من المجاز أو غيره وبذا نتخلص من خلاف بين الدارسين فى كون التضمين حقيقة أو مجازاً .

والله تعالى أسأل أن يوفقنى إلى سواء السبيل

فريد عوض حيدر

## (أ) التضمين فى اللغة :

تدل مادة (ض م ن) على الاشتمال ، أى اشتمال شىء على شىء ،  
ومن هذا المعنى : ضَمَّنَ الشَّيْءَ الشَّيْءَ : أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاعَ  
والميتَ القبرَ . وقولهم مضمون الكتاب كذا وكذا . . . والضامنة :  
ما تضمنته القرى والأمصار من النخل فاعلة بمعنى مفعولة (١) . ومنه  
«فهمت ما تضمنه كتابك أى اشتمل عليه وكان فى ضِمْنه» (٢) .

## (ب) التضمين فى الاصطلاح :

« التضمين » أن يُشْرَبَ لفظ معنى لفظ آخر فيُعْطَى حكمه . .  
وفائدته أن تؤدى كلمة مؤدى كلمتين « (٣) .

وحديثاً وضع له مجمع اللغة العربية بالقاهرة التعريف الآتى :  
«التضمين أن يؤدى فعل أو ما فى معناه فى التعبير مؤدى فعل آخر أو ما  
فى معناه فيُعْطَى حكمه فى التعدية واللزوم» (٤) . والمعنى الاصطلاحى  
مأخوذ من المعنى اللغوى للتضمين ، إذ التضمين الاصطلاحى يعد انتقالاً  
من الحسى إلى المعنوى فهو اشتمال اللفظ على معنى غيره إضافة إلى  
معناه الأسمى .

١ - ابن منظور ، لسان العرب ، ٣ ، ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م (ض م ن) ج ١٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

٢ - الزبيدى : تاج العروس ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ (ض م ن) ج ٩ ص ٢٦٥ .

٣ - مجموعة الشافية من علم الصرف والخط ، ط ١٩٨٤ عالم الكتب ج ٢ ص ١٣ .

٤ - مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً ١٩٨٤ ص ٦ ، وعرفه فى المعجم الوسيط بأنه « إيقاع لفظ  
موقع غيره ومعاملته معاملة ، لتضمنه معناه واشتماله عليه » وللتضمين معانى اصطلاحية أخرى تختلف  
باختلاف العلوم ، فهو فى علم الثرافى يعنى تعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالإفادة ، وفى  
البديع : أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثاً أو حكمة أو مثلاً أو شرطاً أو بيتاً من شعرٍ غيره بلفظه  
ومعناه . المعجم الوسيط (ض م ن) ص ٥٦٥ .

## (ج) التعبيرات الدالة على التضمين :

أشار سيويه (ت ١٨٠هـ) إلى التضمين لكنه لم يصرح بالمصطلح وذلك في «هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين . . . ثم أتى بأمثلة منها قوله «ودعوته زيدا إذا أردت دعوته التي تجرى مجرى سميته وإن عنت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولاً واحداً»<sup>(١)</sup>. ففي كلامه إشارة إلى تضمين الفعل دعوت دلالة الفعل سميت فيتعدى تعديته وفي كلامه إشارة أيضاً إلى أن هذه الدلالة مبنية على إرادة المتكلم ونيته فهي إشارة إلى عمل العقل البشري في توجيه التركيب اللغوي .

١- وأشهر هذه التعبيرات هو لفظ التضمين ، والذي يبدو أنها تسمية قديمة لدى نحاة البصرة ، فهم الذين قالوا بوقوعه وأبنته ومن نحاتهم الذين عبروا عنه أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وأبو محمد اليزيدي والمازني والمبرد (ت ٢٨٥هـ) فقد ذهبوا إلى جواز عطف مفعول على آخر ، مع عدم جواز وقوع العامل فيهما على الثاني ، ليتضمن هذا العامل معنى يتسلط به على المفعولين المتعاطفين ، واختاره الجرمي وقال يجوز في العطف ما لا يجوز في الأفراد ، مثل أكلت خبزاً ولبناً<sup>(٢)</sup> . وقال السيوطي في هذا الموضوع « وجعله قوم من عطف المفرد بتضمين الفعل الأول معنى يتسلط به عليه »<sup>(٣)</sup>.

٢- حمل الشيء على ضده أو على نظيره ، وهذا التوجيه للكسائي (ت ١٨٩هـ) فقد حمل الفعل (رضى) على ضده الفعل (سخط) فعدها بعلی في قول الشاعر :

إِذَا رَضِيْتُ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ .<sup>(٤)</sup>

وقد أطلق عليه الكسائي هذه العبارة حتى لا يلتبس بالتضمين الذي هو علة البناء في بعض الأسماء لتضمنها معاني حروف مثل بناء أسماء الشرط والاستفهام .<sup>(٥)</sup>

١- الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ج١ ص ٣٧ . وانظر أمثلة أخرى ج١ ص ٢٤٠ ، ج٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

٢- الشيخ أحمد الإسكندري : الفرض من قرارات للمجمع والاحتجاج لها ، مجلة مجمع اللغة العربية الملكى ، ١٩٣٤ ، ج١ ، ص ١٨٥ .

٣- السيوطي : معجم الهوامع ، شرح جمع الجوامع ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١٣٢٧ هـ وجعله الجمهور من عطف الجمل بإظهار فعل مناسب ج٢ ص ١٣٠ .

٤- البغدادي : خزنة الأدب ولب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ، ج ١٠ ص ١٣٢ .

٥- الفرض من قرارات للمجمع ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج١ ، ص ١٨٣ .

٣ - كما أورده ابن جنى (ت ٣٩٢) تحت عنوان « فصل في الحمل على المعنى » فقال : وباب الحمل على المعنى بحر لا ينكس (لا ينتهى ماؤه) . . . ومنه باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به ؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به . . . » (١) .

٤ - وأورده ابن جنى أيضاً تحت « باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض » (٢) وابن جنى يجمع بين رأى البصريين والكوفيين على نحو ما سأبين فيما بعد (٣) .

٥ - الدمج وهو مصطلح من مصطلحات نظرية النحو التوليدي والتحويلي Transformational Generative grammar theory ، ويعبر عن عملية تكتسب الأفعال من جرائها « خصائص نحوية ودلالية جديدة كفعلى تذمر Bougonner ودمدم Ronchonner وهما فى الأصل فعلاان غير متعديين ، وعند استعمالهما فى تراكيب الفعل Dire يصبحان متعديين ومن ذلك .

1) Max dit a'luc (qu'il viendra, de partir etc.).

ماكس يقول للوك (إنه سيأتى أن يذهب) .

ويحدث الدمج فى المثال الآتى :

2) Max (Bougonne, Ronchonne) a' luc (qu'il viendra, de partir etc.) .

ماكس (يتذمر . يدمدم) إلى لوك (إنه سيأتى . أن يذهب) .

وبهذا الدمج تصبح الأسماء التى هى فضلة للفعل Dire فى المثال [١]

١ - الخصائص ج٢ ص ٤٣٥ وفصل الحمل على المعنى فى ج٢ ص ٤١١ - ٤٣٥ .

٢ - الخصائص ، ج٢ ، ص ٣٠٦ .

٣ - ويعبر ابن قسبية (ت ٢٧٦هـ) عن رأى الكوفيين عندما يورد باباً بعنوان « دخول بعض الصفات مكان بعض » أدب الكاتب : تحقيق على فاعرر ، دار الكتب العلمىة ، بيروت ، ط ١٩٨٨ ، والباب بين صفحتى ٣٣١ - ٣٤٤ وكذلك فعل ابن الشجرى (ت ٥٤٢) تحت عنوان « فى دخول حروف الحذف بعضها مكان بعض » . أمالى ابن الشجرى تحقيق الدكتور معمر الطناحى مكتبة الخانجى ج٢ ص ٦٠٦ - ٦١٧ .

تصبح فضلة للفعليين Bougonne<sup>(١)</sup> وصاحبه في المثال رقم [٢] ، وذلك نتيجة عملية الدمج أى تضمين دلالة الفعل Dire فى هذين الفعليين .

#### (د) آراء اللغويين فى وقوع التضمين :

يرى البصريون أن « الأصل فى كل حرف أن لا يدل إلا على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف آخر »<sup>(٢)</sup> ويبقى الحرف على هذا المعنى الأصلي عندهم على أحد وجهين :

١ - إما بتأويل يقبله اللفظ .

٢ - وإما أن « يجعلوا العامل متضمناً معنى ما يعمل فى ذلك الحرف إن أمكن » ، وتضمين الأفعال عندهم أولى من تضمين الحروف بعضها معنى بعض .

وأما الكوفيون فيقولون ببنية الحروف بعضها عن بعض فى المعنى<sup>(٣)</sup> . ويفهم من كلام سيبويه<sup>(٤)</sup> ومن كلام ابن جنى أنهما يجمعان بين الرأيين السابقين وأنهما يذهبان إلى أن كلا المذهبين صحيح ولكن ليس فى كل الأحوال ، فليس فى كل موضع يجوز أن يتوب الحرف عن حرف آخر ، وليس كل موضع يجوز التأويل فيه على التضمين ،

١ - موريس قراس فى النحو التحولى : عرض للمنهجية التحولية فى أربعة أبحاث نقله من الفرنسية إلى العربية صالح الكشو تونس ، بيت الحكمة ، قرطاج ١٩٨٩ . ص ١٩٥ - ١٩٦ . وهذا المثال ينطبق تماماً مع الفعل اللارم الذى يضمن فى لغتنا العربية دلالة فعل متعد بحرف فيستعدى بهذا الحرف وينظر ص ١٩ من البحث ، وقريب من فكرة التضمين والدمج المصطلح الحديث : « التضمن = ظل المعنى Connotation الذى يدل على المعنى الإضافى الذى توحى به كلمة ما زيادة على معناها الأصلى » . محمد على الخولى : معجم علم اللغة النظرى مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣ لكن الفرق بين التضمن بهذا المعنى والتضمين أن التضمن ظاهرة لغوية عامة فى لغة معينة أى يعرفها أبناء هذه اللغة داخل إطار المعانى العجمية أو السياق اللغوى . أما التضمن أى ظل المعنى فهو غالباً ما يختلف من شخص إلى آخر فى داخل اللغة الواحدة وللكلمة الواحدة ، نظراً لأنه يتعدد ويختلف باختلاف الأشخاص وتجاربهم الشخصية ومجتمعاتهم أى أنه دلالة فوق لغوية Paralinguistic ينظر :

David Crystal, Adictionary of linguistics and Phonetics 3 rd edition, 1991 .

٢ - الأنيارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ، المكتبة العصرية ج ٢ ، ص ٤٨١ .

٣ - فى شرف العربية ، سلسلة كتاب الأمة رقم ٤٢ قطر ، ١٤١٥ هـ ٢ ص ١١٣ . وينظر الإنصاف ج ٢ ص ٤٧٨ .

٤ - ينظر الكتاب ج ٤ ص ٢٢٧ .



ويرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن التضمين واقع في اللغة وأنه كثير ولذا فقد قبله المجمع وأقر قياسته بشروط ثلاثة :

- ١ - تحقق المناسبة بين الفعلين « ويفضل البحث أن يعبر بعبارة بين اللفظين لأن التضمين لا يقتصر على ما بين الأفعال .
- ٢ - وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويُؤمن معها اللبس .
- ٣ - ملائمة التضمين للذوق العربي . (١)

وبناء على قرار المجمع بقياسية التضمين قرر المجمع أن هذا القرار يغنى عن قاعدة نيابة بعض الحروف عن بعض (٢) ، ورغم هذا القرار إلا أن المجمع يتفق مع ابن جنى في أمر التضمين نظراً لأنه وضع للتضمين هذه الشروط ، ولم يطلقه في كل موضع ، ثم إنه لم ينكره كالكوفيين . لكن الأستاذ عباس حسن بعد أن عرض لبحثين مَجْمَعِيَيْن في التضمين وبعد أن أورد رأى المجمع ، يرى أن التضمين غير واقع في اللغة فيقول : « الحق أن إثبات التضمين أمر لا تطمئن له نفس المتحرى المتحرر » . (و) « لا أرى الأمر في التضمين يخرج عن إحدى حالتين وفي غيرهما الفساد اللغوي والاضطراب الهدام .

الأولى : أن الألفاظ التي وضعت بالتضمين إن كانت قديمة في استعمالها منذ عصور الاستشهاد والاحتجاج اللغوي ، فإن استعمالها دليل على أصالة معناها الحقيقي ، مادامنا لم نعرف - يقينا - لها معنى سابقاً تركته إلى المعنى الجديد .

١ - مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً ، ص ٦ .

٢ - السابق ، نفس الصفحة .

الثانية : أن العصور التي أتت بعد عصور الاستشهاد ليست بحاجة إلى التضمين لاستغنائها عنه بالمجاز والكناية وغيرها من طرق الاتساع. (١) وحجته في ذلك :

١ - أن الشروط التي اشترطها المجمع للتضمين هي نفسها شروط القدماء لقبول المجاز وعليه فالتضمين مجاز .

٢ - أن القدماء على اختلاف مذاهبهم في التضمين لم يستطيعوا نفى المعنى الحقيقي الأصيل الذي استعمل به اللفظ المضمن في رعمهم ، لأن اللفظ الذي دخله التضمين في وهمهم . هو قى أصله لازم أو متعد من دون علاقة له بلفظ آخر تؤثر فيه . (٢)

والذي يطمئن إليه البحث هو القول بوجود علاقة بين الألفاظ التي دخلها التضمين والألفاظ المضمنة وسوف يثبتها البحث ، ويظهر أنها علاقة متنوعة ، بين المجارية والترادف .

وليس من سبيل لإنكار التضمين بعد ما كثر كثرة بالغة تؤهله أن يكون قياسياً وقد ثبت لدى الأئمة ، يقول ابن جنى : « ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً ، وقد عرفت طريقه ، فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به فإنه فصل في العربية لطيف » (٣) وقد عد الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧) عشرة آلاف كلمة من كلمات التضمين وعجز عن الإحاطة (٤) . ولا عجب في أن يكثر التضمين هذه

١ - النحو الواسع دار المعارف ط ١١ ، ج ٢ ، ص ٥٩٥ .

٢ - السابق . ج ٢ ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

٣ - الخصائص . ج ٢ ، ص ٣١٠ .

٤ - عباس عزازي : التضمين أو نيابة حرف جر مناب آخر ، البحوث والمحاضرات مؤتمر المجمع ١٩٦١ -

١٩٦٢ ص ٢٢٣ .

الكثرة فـ « أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة »<sup>(١)</sup> . وشق كبير من التضمن واقع في دائرة المجاز . وكذا فالعربية غنية بالترادفات<sup>(٢)</sup> . وشق كبير من التضمن واقع في دائرة الترادف .

ويشير الأستاذ . ل . ماسنيون وهومن المستشرقين إلى أن اللغة العربية هي أقدم اللغات عهداً بالتضمن ويصف التضمن بأنه « نوع من تبطن الفكر لاستخلاص الجوهر من الأصول الثلاثية المثبتة في المعجمات . . . وهذا نوع من الهجرة العقلية في خلوات التأمل<sup>(٣)</sup> ، ووصفه كما يبدو يركز على الجانب الدلالي العقلي لظاهرة التضمن .

ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي أن التضمن طريق من طرق تخريج استعمال الأساليب التي سلكها القدماء للتخلص من ضيق القواعد التي وضعوها للاستعمال ، وما خرج عن هذه القواعد يُحمل على الخروج والخطأ والتجاوز ، أو يحمل على التضمن إن لم يكن هناك سبيل إلى الحكم عليه بالخطأ والتجاوز مثل كلام الله تعالى ، وأنهم لو استقرأوا لغة العرب استقرأوا شاملاً ما قالوا بالتضمن ولا بغيره من طرق التعليل والتأويل<sup>(٤)</sup> . ولكن الدرس الحديث لا يوافق الدكتور السامرائي في انتقاده هذا ، لأن التضمن ناتج عن تركيز دلالي يمثل عملية عقلية تدعو إلى استبطان الجانب المنطقي العقلي للغة فما سمي افتراضات أو تقديرات أو تأويلات لدى النحويين القدماء فإنه « يمكن فهمه في سياق نظرية عامة كان هدفهم من ورائها فهم طبيعة اللغة باعتبارها قدرة إنسانية ومن ثم كان النظر في المعنى ملازماً لهم عند النظر في الأشكال والتراكيب »<sup>(٥)</sup> ، فقد

١ - الخصائص ، ج٢ ، ص ٤٤٧ .

٢ - المراد بالترادف هنا هو الترادف غير التام ، لأن الترادف التام غير موجود .

٣ - خواطر مستشرق في التضمن : مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج٨ ، ص ٢١ .

٤ - في شرف العربية ، ص ١١٢ ، ص ١٠٥ .

٥ - الدكتور عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث ، ص ١٥٧ وينظر ص ١٤٨ .

التفت القدماء إلى هذا الجانب العقلى الذى يمثل العملية العقلية أو الناحية الإدراكية فى اللغة Conceptual Structure تلك التى دعتها مدرسة النحو التوليدى والتحويلى بالبنية العميقة Deep structure تلك البنية المسئولة عن التفسير الدلالى للغة فى مقابل الشكل الصوتى للتراكيب والتى دعت البنية السطحية Surface Structure والقدماء يلتقون مع هذه النظرية فى اعتبار الأصل العقلى<sup>(١)</sup> أساساً هاماً لا يستغنى عنه فى فهم طبيعة اللغة .

ورغم انتقاد الدكتور السامرائى الآنف الذكر إلا أنه لم يستطع أن ينكر التضمين بل إنه يضع له تعريفاً اصطلاحياً<sup>(٢)</sup> .

وجملة آراء القائلين بوقوع التضمين على ثلاثة مذاهب من حيث كونه حقيقة أو مجازاً .

**المذهب الأول :** يقول بأن المادة المتضمنة استخدمت على وجه الحقيقة مع قطع صلتها بالأصل أى أنها تعد أصلاً .

**الثانى :** يقول بأن المادة المتضمنة استخدمت على وجه المجاز مع وجود القرينة الدالة .

**الثالث :** يجمع بين المذهبين حيث يقول بأن المادة المتضمنة استخدمت على الحقيقة والمجاز فى وقت واحد<sup>(٣)</sup> .

ويرى البحث كما سبق أن التضمين نوع من التوسع عن طريق المجاز المرسل أحياناً ويكون من قبيل الترادف أحياناً أخرى . . . إذ ليس التضمين مجازاً كله وعلى ذلك فالتضمين طريق تسهم فى نمو اللغة وتغير معانى مفرداتها وتراكيبها ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يلى :

١ - السابق ، ص ١٥٧ .

٢ - يقول فيه « وقد تبين أن التضمين هو أن تستعمل مادة ، فعلاً كان أو اسماً أو أداة محل غيره مع قرينة ، تحولية أو حالية ، تشير إلى المعنى الذى استعمل ، وهذا الحد فى التضمين يشير الاستفهام عن المادة المتضمنة ، من حيث الحقيقة والخروج عنها إلى المجاز أو الكناية أو الاستعارة » ، فى شرف القرينة ، ص

٣ - السابق ، ص ١١٣ .

١ - نوهت إلى كذا بمعنى أشرت إليه . وأصل نوه أن يتعدى بالباء جاء في لسان العرب نوهت بكذا بمعنى شهرته ، وعرفته <sup>(١)</sup> . فلما ضُمَّن معنى أشار عدِّيَّي إلى بل صار نوه يستخدم في الكتابات الحديثة بمعنى أشار إلى كذا ، ولم تعرف العرب هذا الاستخدام والصلة واضحة بين الفعلين حيث كانت الإشارة إلى الشيء سبباً في تعريفه والتشهير به . فالاستخدام هنا ، والتغير الدلالي هنا جاء من العلاقة المجازية بين الفعلين وهي علاقة السببية ، وكذا يمكن توجيه هذا الأسلوب وغيره عن طريق التضمنين .

٢ - قبل بالامر : بمعنى وافق عليه وقد أجاز المجمع هذا الأسلوب بهذا المعنى على تضمين قبل معنى رضى <sup>(٢)</sup> فعذاه بالباء فصار قبل هنا بمعنى رضى ، ولم يعرف العرب هذا الأسلوب ، وسبب التغير هنا هو العلاقة المجازية بين القبول والرضا ، فالرضا سبب القبول .

٣ - قصفت المدافع مواقع العدو : تدور معانى مادة قصف في المعاجم «حول معنيين : شدة الصوت ، و الكسر والهدم » ، وقد قُبلَ هذا الأسلوب في أحد توجيهين على « تضمين قصف معنى قذف » <sup>(٣)</sup> . ولكن هذا التضمنين سوف ينسى ، والذي يبدو للسامع أن قصف بمعنى قذف وهذا انتقال دلالي للفظ قصف لعلاقة مجازية هي السببية إذ القذف سبب القصف .

٤ - وهبته مالاً : منع اللغويون أن يتعدى وهب إلى الأول بنفسه لكنه ورد في لغة الفقهاء معدى إلى الاثنين بنفسه ، ويمكن قبوله على تضمين وهب معنى منح <sup>(٤)</sup> . والفعالان يمكن أن يترادفا في بعض السياقات .

١ - (نوه) ج١٣ ص ٥٥١ وتوجيه هذا المثال على التضمنين من توجيه الباحث ، وهناك أمثلة عصرية كثيرة يمكن قبولها على أساس التضمنين .

٢ - القرارات الجمعية ص ١٢٩ .

٣ - السابق ، ص ١٦٨ .

٤ - ينظر المصباح المنير ص ٢٥٨ .

## (هـ) أنماط التضمين :

تعدد أنماط التضمين فى اللغة العربية فيكون التضمين بين فعلين ويأتى بين عبارة وفعل ويكون بين فعل وأداة ويكون بين أسماء الأفعال والحروف ويكون بين اسمين وصفين ، ويكون بين مصدر ووصف . . . . وسوف أعرض لهذه الأنماط مع التطبيق .

**أولاً : التضمين بين فعلين :** يرتبط التضمين ارتباطاً وثيقاً بتقسيم الأفعال من حيث اللزوم والتعدى إلى مفعول واحد أو اثنين أو ثلاثة . ويتفرع من هذا النمط أنماط عدة ، وهذا النمط تتلجرت فيه الأفعال اللازمة من منطقة اللزوم إلى منطقة التعدى ، لأنها تكتسب بالتضمين قوة دلالية تقدرها على أن تنصب مفعولاً أو أكثر ، ويحد العكس أيضاً بطريق التضمين الذى يلبس الفعل المتعدى إلى اثنين قدرته على سحب مفعولين ، فيجعله متعدياً إلى واحد فقط . وتقسيم الأفعال فى التفكير النحوى عند العرب فى هذه الناحية هو كونها لازمة ومتعدية ، ويشير تشومسكى إلى تقسيم آخر يقابل هذا التقسيم وتقسيمه مبنى على أساس « النظر إلى عدد المركبات الاسمية التى ترتبط الأفعال بها فيما يسمى نواة الجملة » The nucleus of the sentence وهو ما يتفق مع التصور المنطقى للأفعال ، التى تقسم بناء على ذلك إلى :

(أ) أفعال المكان الواحد one - Place Verbs : وهى تقابل الأفعال اللازمة فى التصنيف الأول ، ويقع المركب الاسمى الذى يرتبط بالفعل فى موقع الفاعل مثل جاء خالد .

(ب) أفعال المكانين Two - Place Verbs ، ويرتبط بالفعل منها مركبان اسميان ، يقع أحدهما موقع الفاعل ويقع الثانى موقع المفعول به مثل أحضر الطالب الكتاب .

(ج) أفعال الأمكنة الثلاثة Three - Place Verbs ويرتبط بالفعل منها

ثلاثة مركبات اسمية ، الأول يقع موقع الفاعل والثاني يقع موقع المفعول الأول ، والثالث يقع موقع المفعول الثاني<sup>(١)</sup> . مثل كسى الغنى الفقير حلةً ويمكن أن ينتقل الفعل بواسطة التضمين من فئة إلى أخرى من الفئات السابقة ويزاد في العربية أنه يمكن أن يتقل من فئة الأفعال ذات الأمكنة الثلاث إلى نمط الأفعال ذات الأمكنة الأربعة . بحيث يكون الفعل مرتبطاً بأربعة مركبات اسمية الأول يقع موقع الفاعل والثاني يقع موقع المفعول الأول ، والثالث يقع موقع المفعول الثاني والرابع يقع موقع المفعول الثالث .

وقد يُضمَّن الفعل معنى فعل آخر لكنه لا يتقل من فئة إلى فئة أخرى ، ذلك لأنه ضُمِّنَ دلالة فعل من نفس فئته فمثلاً قد يضمن الفعل اللازم معنى فعل لازم . فيبقى في نطاق فئة الأفعال ذات المكان الواحد ، وهكذا ، وعليه فلا يتقل الفعل من فئة إلا إذا ضمن دلالة فعل من غير فئته .

وقد عبر منيرى Tesniere في نظريته ١٩٥٩ عن هذه الفكرة في تقسيم الأفعال ، حيث صنفها حسب قدرتها على تحليد عدد العناصر الاسمية التي ترتبط بها ، فالفعل هو العنصر الأساسي في الجملة ، وهو الذي يحدد عدد العناصر المرتبطة به ، ويختلف عدد هذه العناصر باختلاف كفاءة الفعل وقدراته الكامنة ، Valenz والمكونات الاسمية والظروف هي التي تتعلق بالفعل بصورة مباشرة ، وتأتي في الطبقة التالية للفعل مباشرة ، وتتصل الصفات وأدوات التعريف وأسماء الإشارة وغيرها بالفعل اتصالاً غير مباشر<sup>(٢)</sup> .

١ - نوم تشومسكى : للغة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها ، ترجمة الدكتور محمد نبيح ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٣ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

٢ - دكتور رفعت الفرغرانى : مدخل إلى علم اللغة المعاصر ، ١٩٩٦ ، ص ٥٨ - ٦٠ .

لكن سنيرى ركز على الجانب الشكلى فقط فى تصنيف الأفعال (كعادة الاتجاهات البنائية الشكلية فيما قبل المدرسة التوليدية التحويلية) ، فاعتمد فى بناء الجمل على استبدال عنصر فعلى بعنصر آخر فأثبت تغير بناء الجمل حسب سمات الأفعال الأساسية من ناحية التعدى واللزوم ، لكنه لم يذكر أهمية الجانب الدلالى فى إكساب الفعل كفاءة وقدرة كامنة عن طريق التضمين على أن يرتبط بأكثر من عنصر اسمى واحد ، فعن طريق التضمين يمكن إبقاء الفعل اللازم بنفس بنائه ، مع تعديته بدلالة فعل آخر أكثر منه كفاءة على أخذ عدد أكبر من العناصر الاسمية وبناءً على ذلك تضاف أهمية التضمين الدلالى للأفعال ، فى تحديد العناصر الاسمية ، إلى جانب أهميتها الشكلية الأساسية التى أشار إليها سنيرى فى افتراضه . وسوف نرى ذلك من خلال عرض الأمثلة التطبيقية لأنماط التضمين فيما يلى :

١ - تضمين فعل لازم دلالة فعل متعدد لواحد بنفسه وبناء عليه يتقل الفعل من فئة المكان الواحد إلى فئة المكانين ومن ذلك قول عترة :  
 شطت مزار العاشقين ، فأصبحت عسراً على طلابها ابنة مخرم  
 وشط فعل لازم أى من فئة الأفعال ذوات الموقع الواحد ، وصار هنا متعدياً لأنه حمل على معنى <sup>(١)</sup> أى ضمن دلالة الفعل (جاوز) ويمكن تحليل ذلك على النحو التالى :

المكون الصورتى للفعل/ المكون الدلالى قبل التضمين/ المكون الدلالى بعد التضمين  
 شَطَطَ = فعل + زمن/ بَعُدَ = فعل + زمن/ بعد + تجاوز = فعل + فعل + زمن  
 ومن حيث التغير النحوى فالفعل (شط) بلا فضلة قبل التضمين وأصبح له فضلة بعد التضمين ، والفضلة هى «مزار العاشقين» .

١ - لسان العرب (نشط) ج٧ . ص ٣٣٤ ونج العروس ج١٩ . ص ٤١٥ - ٤١٦

وكلتا البنيتين ليستا منفصلتين هنا فالأولى تشير إلى الثانية وتستحضر دلالتها بحيث يدرك السامع والقارئ دلالة الفعلين معاً . وكذا يعد الفعل المضمن سبباً للفعل المتضمن ، ويلاحظ أن التركيب هنا يخلو من حرف جر .

٢ - تضمين فعل متعدد لواحد دلالة فعل متعدد لواحد: وفي هذا النمط من التضمين لا ينتقل الفعل من فئة إلى فئة بل يبقى في فئة الأفعال ذوات المكانين ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ البقرة ١٠٠ على تضمين عاهدوا معنى أعطوا بناءً على جعل (عهداً) مفعولاً به على أحد وجهين فيه .<sup>(١)</sup> ويلاحظ أن التضمين في المثالين السابقين لا علاقة له بحروف الجر .

٣ - تبادل التضمين بين فعلين أحدهما يتعدى بنفسه والثاني يتعدى بالحرف ومن ذلك الفعلان جحد وكفر ، ويطلق على هذا النوع من التضمين في علم اللغة الحديث مصطلح التكافؤ Equivalence<sup>(٢)</sup> . وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ جَحْدُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ هود ٥٩ . وجحد يتعدى بنفسه ، فلما ضُمنَّ دلالة كفر هنا عدى بالباء ، ويأتى عكس ذلك فكفر يأتى متعدداً بنفسه أيضاً : وذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ آيَاتِ كَفَرُوا رَبِّهِمْ﴾ هود ٦٠ . فَضُمنَّ كفر - وهو يتعدى أصلاً بالباء - دلالة جحد هنا<sup>(٣)</sup> وبين الفعلين المُضمَّن والمتضمَّن مناسبة وصلة دلالية ، إذ الجحود من معانى الكفر : « يقال كافرني

١ - الترجمة الثانية أن يكون عهداً مصدرًا من غير لفظ الفعل المذكور ، العكبري التبيان في إعراب القرآن تحقيق على محمد البحارى ١٩٧٦ . التسم الأول ص ٩٧ . وأبو حيان البحر المحيط مكتبة مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

٢ - وهو أن تتضمن الكلمة من الكلمة ص والعكس . ويرمز لهذا في علم الدلالة بالشكل س = ص أو س ← ص . معجم علم اللغة النظرى ص ٨٧ .

٣ - ينظر الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، التسم الأول ، ج ٣ ، ص

فلان حتى إذا جحدته حقه « (١) والفعالان يجتمعان في الدلالة على الإنكار (٢) ومن هنا جاز أن يترادفا في بعض السياقات .

٤ - تضمين فعل متعد لواحد معنى فعل متعد لاثنتين : وبناء عليه ينتقل الأول من فئة الأفعال ذوات المكاتين إلى فئة الأفعال ذوات الأمكنة الثلاثة ومن ذلك قول الشاعر :

ومربوعة ربيبة قد لبأتها بكفى ، من دوية سفراً سفراً  
وسفراً هنا مفعول ثانٍ للباتها ، وعدها إلى مفعولين لأنه ضمن معنى أطعم .

ولبأ فعل مشتق من اللبأ ، فدل الفعل في هذا السياق على إطعام اللبأ خاصة واستعاره هنا لإطعام الكمأة لأنه أطعمها أول ما بدت (٣) والمعنى أن الكمأة جنى الكمأة فباكرهم بها طرية « مثل اللبأ ، والذي يكشف عن العلاقة بين الفعلين هنا - وهي علاقة مجازية - هو سياق الحال المحكية هنا ، وفي هذا الاستعمال توسيع للدلالة الفعل (لبأ) حيث دل على إطعام الكمأة إضافة إلى إطعام اللبأ .

٥ - تضمين فعل متعد إلى واحد دلالة فعل يتعدى إلى ثلاثة ، وبهذا ينتقل الفعل المضمّن من فئة الأفعال ذوات المكاتين إلى فئة الأفعال ذوات الأمكنة الأربعة ، ولعل هذا من خصائص العربية دون الإنجليزية ، لأن تشومسكى لم يذكر هذه الفئة لها . ومن ذلك الأفعال : « أنبأ ونبأ وأخبر ، متى ضمنت معنى العلم عدت لثلاثة وهي نهاية التعدى « (٤) ، قال الزمخشري عند الحديث عن أضرب

١- لسان العرب (كفر) ج ٥ ص ١٤٧ .

٢- السابق ، (جحد) ج ٣ ص ١٠٦ .

٣- لسان العرب (لبأ) ج ١ ، ص ١٥١ واللبأ : هو أول ما ينزل من اللبن بعد الولادة والكمأة نبات ينقش الأرض فيخرج كما يخرج الفطر ومفردعا كم . السابق (كما) ج ١ ص ١٤٨ .

٤- تاج العروس ط الكويت (بأ) ج ١ ، ص ٤٤٤ .

الأفعال المتعدية إلى ثلاثة : « وضرب متعد إلى مفعول واحد قد أجرى مجرى أعلمت لموافقته له في معناه فعدي تعديته وهو خمسة أفعال أنبأت ونبأت وأخبرت وحدثت » (١) . ويمكن التمثيل بما يأتي :

نبأ الله النبيَّ الوحيَّ يقيناً ، على تضمين نبأ معنى أعلم ، وبين هذه الأفعال الثلاثة وبين الفعل أعلم ترادف ناقص .

٦ - تضمين فعل متعد إلى اثنين دلالة فعل متعد لواحد بنفسه وللثاني بحرف جر : وبناء على ذلك لا ينتقل الفعل المضمن من فئة الأفعال ذوات الأمكنة الثلاثة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ التوبة / ١٢٥ . قال الشيخ الجمل في حاشيته (قوله كفرأ إلى كفرهم) أشار بذلك إلى تضمين الزيادة معنى الضم أي رجساً مضموماً إلى رجسهم ولذلك عدى يالي (٢) وواضح أن العلاقة بين الفعلين (زاد) المتضمن ، وضم المضمن هي أن الضم سبب الزيادة .

٧ - تضمين فعل متعد إلى اثنين بنفسه دلالة فعل متعد لواحد بحرف جر : وبناءً عليه ينتقل من فئة الأفعال ذوات الأمكنة الثلاثة إلى فئة الأفعال ذوات المكائين ومن ذلك الفعل ظلم فهو يتعدى إلى اثنين بنفسه تقول ظلمه حقه ، ويتعدى بالباء عندما يضمن معنى كفر أو كذب (٣) كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ الاعراف ١٠٣ . وواضح أن العلاقة بين الفعلين هي أن الكذب والكفر نوع من الظلم وسبب له ، فعبر بالظلم وهو لفظ عام يدل

١- القاسم بن الحسين : شرح المفصل في صنعة الإعراب تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . دار

الغرب الإسلام ط ١٩٩٠ ج ٣ ص ٣٦٤ .

٢ - الفترحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للذائق الحنية ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

٣ - تاج العروس ط الكويت (ظلم) ج ٨ ، ص ٢٨٣ .

على « وضع الشيء في غير موضعه »<sup>(١)</sup> ويدخل تحته التأكيد والكفر وفي هذا الاستخدام تخصيص لمعنى الظلم .

٨ - تضمين فعل يتعدى بحرف دلالة فعل يتعدى بحرف آخر فيتعدى الأول بما يتعدى به الثاني ، ولا يترتب على هذا النمط من التضمين انتقال الفعل المضمن إلى فئة غير فئته ، ومن ذلك ، قوله تعالى : «نَقَلْتُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» الأعراف ١٨٧ وثقل يتعدى بعلى ، وقد ضمن هنا دلالة فعل يتعدى بفي<sup>(٢)</sup> مثل خفى وواضح أن الخفاء سبب الثقل « لأن ما خفى أمره ثقل على النفوس »<sup>(٣)</sup> ومنه حديث وهب بن منبه : لقد تأبَّل آدم عليه السلام على ابنه المقتول كذا وكذا عاماً لا يصيب حواء . . أى امتنع عن غشيانها متفجعاً على ابنه « ومعنى تأبَّل امتنع وهو يعدى بعن ، فلما ضُمَّن هنا دلالة تَفَجَّعَ عدى بعلى<sup>(٤)</sup> وواضح أن التفجع كان هو سبب التأبَّل .

٩ - تضمين فعل يتعدى بحرف دلالة فعل يتعدى بنفسه فيتعدى الأول بنفسه : ومن ذلك قوله تعالى : «أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ» الأعراف ١٥٠ وعجل يتعدى بعن وضُمَّن هنا دلالة سبق فتعدى بنفسه واستخدم عجل بمعنى سبق<sup>(٥)</sup> أى أنه يرادفه ومنه الحديث : أريت أنه وُضِعَ في يدي سواران من ذهب فَفَطَعْتُهُمَا « وَقَطَّعَ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ أَوْ مِنْ ، لَكِنَّهُ ضُمِّنَ هُنَا دَلَالَةَ أَكْبَرْتُهُمَا أَوْ خَفَّتُهُمَا<sup>(٦)</sup> فتعدى بنفسه ، والظاهر أن الإكبار سبب الفطاعة .

١ - لسان العرب (ظلم) ج ١٢ ص ٣٧٣ .

٢ - دراسات لاسلوب القرآن الكريم ، القسم الأول ج ٣ ، ص ٤٣٦ .

٣ - ابن حيان البحر المحیط مكتبة ومطابع النصر الحديثة الرياض (د . ت) ج ٤ ص ٤٣٥ .

٤ - تاج العروس ط الكويت (أبل) ج ٢٧ ص ٤١٦ .

٥ - لسان العرب (عجل) ج ١١ ص ٤٢٦ .

٦ - لسان العرب (فطع) ج ٨ ، ص ٢٥٤ . وتاج العروس (فطع) ج ٢١ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

١٠ - تضمين فعل يتعدى بنفسه دلالة فعل يتعدى بالحرف : ومن ذلك قول الشاعر :

مِمَّنْ حَمَلُنْ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ      حُبُّكَ النَّطَاقِ فَنَسَبًا غَيْرَ مُهَيَّلِ

فالفعل (حمل) يتعدى إلى مفعوله بنفسه لكنه عدى بالباء لأنه ضمن دلالة الفعل (حَبِلَ) <sup>(١)</sup> والحبل نوع من الحمل ، والحمل أعم ، فعبر بالعام عن الخاص . أى أن الحمل يتضمن الحبل .

١١ - تضمين فعل يتعدى بنفسه لواحد دلالة فعل يتعدى بحرف فيتعدى

الأول بهذا الحرف : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿رَقَالٌ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ هود

٤١ ضمن اركبوا دلالة صيروا أو ادخلوا فعُدَى بفى <sup>(٢)</sup> مثلهما .

وقال القرطبي : « وفائدة فى أنهم أمروا أن يكونوا فى جوفها لا على

ظهرها » <sup>(٣)</sup> . فكان التضمين أبلغ من عدمه والعلاقة بين الفعلين

علاقة اقتضاء ، أى أن صيرورتهم فى السفينة يقتضى ركوبها . ومنه

قوله : ﴿رَأَى الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ المجادلة ٣ . عدى يظاهر بمن ،

لأنهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها ، فلما ضمن معنى التباعد عدى

بمن <sup>(٤)</sup> والعلاقة بين الفعلين هى أن الظهار سبب التباعد .

١٢ - تضمين فعل يتعدى لواحد بنفسه دلالة فعل يتعدى لواحد بنفسه

وللثانى بالحرف ومن ذلك قول الفرزدق :

« قد قتل الله زياداً عنى »

١ - البغدادي خزائن الأدب ج ٨ ص ١٩٢ ، ١٩٨ . والمهبل الكثير اللحم المورم الوجه . لسان العرب (مهبل)

ج ١١ ص ٦٨٨ .

٢ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول ج ٣ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

٣ - الجامع لأحكام القرآن ط دار الحديث ١٩٩٣ ج ٩ ص ٣٦ .

٤ - تاج العروس (ظهر) ج ١٢ ص ٤٩٢ .

وقتل يتعدى بنفسه فلما ضُمِّن دلالة صرف عدى بعن<sup>(١)</sup> وواضح أن القتل سبب الصرف ومؤد إليه .

١٣ - تضمين فعل لازم دلالة فعل متعد بالحرف فيتعدى الأول بهذا الحرف : وعليه ينتقل هذا الفعل من فئة الأفعال ذوات المكان الواحد، إلى فئة الأفعال ذوات المكانين . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ﴾ ن ٢٢ . فضمن اغدوا معنى أقبلوا فعدى بعلى<sup>(٢)</sup> مثله . وواضح أن الغدو زمن إقبالهم فالعلاقة الزمنية .

١٤ - تضمين فعل متعد لاثنين وهو يتعدى لأحدهما بالحرف دلالة فعل يتعدى لاثنين بنفسه : وهو بذلك يبقى في فئته ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ الجن ١٧ أى يُنفذه وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر ٢١ فالفعل سلك هنا ضُمِّن دلالة الفعل أدخل ، ولذلك عدى إلى مفعولين بنفسه « أى أدخله ينابيع فى الأرض »<sup>(٣)</sup> أو ضمن معنى أنفذ وأذهب<sup>(٤)</sup> . والشائع فى القرآن الكريم أن سلك يتعدى إلى واحد بنفسه وإلى الثانى بحرف كما فى قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ المدثر ٤٢<sup>(٥)</sup> والسلك نوع من الإدخال ، وفى لسان العرب جعل سلك مرادفاً لأدخل قال : سلكت الشيء فى الشيء . . أى أدخلته فيه «<sup>(٦)</sup> إذن بين الفعلين ترادف غير تام .

١ - تاج العروس ط الكويت ج٨ ص ٧٥ .

٢ - الفترحات الإلينية ج٤ ص ٣٨٦ .

٣ - لسان العرب (سلك) ج١٠ ، ص ٤٤٣ .

٤ - مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ج١ ، ص ٦٠٧ .

٥ - وينظر الشعراء ، ٢٠٠ ، الخجر ١٢ ، الحاقة ٣٢ . على سبيل المثال .

٦ - (سلك) ج١٠ ص ٤٤٢ .

١٥ - تضمين الفعل المتعدى إلى مفعول واحد معنى مناسباً يتسلط به على مفعوله وما عطف على مفعوله : ومن ذلك : ما ذهب إليه بعض البصريين في قوله :

وزججن الحواجب والعيونا

وهو تضمين الفعل العامل معنى يتسلط به على المتعاطفين ، ومن ثم أجازوا عطف العيون على الحواجب . لأنهم ضمّنوا زججن دلالة حسنّ والأول أعم من الثاني ومثله أكلت خبزاً ولبناً<sup>(١)</sup> على تضمين أكلت دلالة طعمت<sup>(٢)</sup>، والأول بعض الثاني ، والثاني يتضمن الأول .

ثانياً : تضمين العبارات دلالة الأفعال :

١٦ - تضمين كلمتين متضامتين دلالة فعل : وذلك مثل قوله تعالى : ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ النازعات ١٨ . «وهل لك» تصحبها في ، لكن لما كان معناه أدعو صاحبه إلى . فكان التقدير : « أدعوك وأرشدك إلى أن تزكي »<sup>(٣)</sup> ، والاستخدام اللغوي يبين أن هل لك في كذا تأتي بمعنى أدعو، فالعلاقة بينهما علاقة ترادف في الاستعمال .

ومن ذلك تضمين العبارات الاصطلاحية معنى فعل مثل قوله تعالى : ﴿فَأَصْحٰبُ يُقَلِّبُ كُفْيَهُ عَنَىٰ مَا أَنْفَقُوا فِيهَا﴾ الكهف ٤٢ . فالتركيب «يقلب كفيه» عبارة اصطلاحية ضمنت دلالة الفعل يندم في الاستعمال العربي ولذا عدى فعلها . يعلى<sup>(٤)</sup> .

١ - الفرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها . مجلة مجمع اللغة العربية ، ج١ ، ص ١٨٥ .

٢ - ضمّ فلان الطعام بطعمه طعاماً إذا أكله بمقدم فيه ولم يرف فيه . لسان العرب (طعم) ج١٢ ص ٣٦٦ وقد استعمل طعم في القرآن الكريم مع الماء في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ البقرة ٢٤٩ .

٣ - الخصائص ج٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

٤ - ينظر الفتوحات الإلهية ج٣ ص ٢٢٠ .

### ثالثاً : تضمين الأداة دلالة الفعل :

١٧ - تضمين ليت دلالة الفعل تمنى وهذا على مذهب الكوفيين فى إنابة كلمة مكان أخرى ، فقد أجاز الفراء وقوع ليت موضع تمنى وكانت هذه علة كون ليت أقوى أدوات النصب ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

يا ليت أيام الصبا رواجعاً (١)

فنصبت مفعولين لتضمنها معنى أتمنى .

### رابعاً : تضمين الأسماء دلالة الحروف :

١٨ - تضمنت أسماء أفعال الأمر دلالة لام الأمر ، وكان هذا التضمن علة بنائها ذهب إلى ذلك ابن جنى حيث قال : « فإن قيل : فمن أين وجب بناء هذه الأسماء ؟ فصواب القول فى ذلك أن علة بنائها إنما هى تضمينها معنى لام الأمر ، ألا ترى أن صه بمعنى اسكت ، وأن أصل اسكت لتسكت ؛ كما أن أصل قم لتقم . . . فلما ضمنت هذه الأسماء معنى لام الأمر شابهت الحرف فبنيت » (٢) ؛ كما أن كيف ومَن وكم لما تضمن كل واحد منها معنى حرف الاستفهام بنى ؛ وكذلك بقية الباب » (٣) .

### خاصاً : التضمين بين الأسماء :

١٩ - تضمين صيغة فَعَال دلالة صيغة فاعل : ومن ذلك فى قول أبى ذؤيب :

١ - السيوطى فى اللمع ١/ ١٣٤ وينظر فى شرف العربية ص ١١٠ .

٢ - اختصاص ج ٣ ص ٤٩ .

٣ - السابق .

حتى أُتِيحَ لَهُ يوماً بِمِرْقَبَةٍ ذُو مِرَّةٍ بِدَوَارِ الصَّيْدِ وَجَّاسٍ .  
 «فقد عُدِّي وجاس بالباء لأنه فى معنى قولك عالم به» (١) ويلاحظ  
 أن (وجاس) تظهر سبب العلم المضمن فيه ، إذ هذا التوجس (وحو  
 التسمع إلى الصوت الخفى) (٢) سبب العلم .

٢٠ - تضمين الاسم دلالة مصدر ، ومن ذلك قول الأعشى :

سبحان من علقمة الفاخر

قال ابن جنى : «علق حرف الجر بسبحان لما كان معناه براءةً  
 منه» (٣). وسبحان اسم علم لمعنى البراءة (٤) فعبير بالاسم عنها لأنها فى  
 معناه فالكلمتان متقاربتان حتى يمكن أن تحمل إحداهما محل الأخرى فى  
 بعض السياقات .

٢١ - تضمين اسم فاعل دلالة اسم فاعل آخر : ومن ذلك (عاكفون) فى  
 قوله تعالى : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ الأنبياء ٥٢ . ضمن  
 (عاكفون) دلالة (عابدين) (٥) أو ملازمين ولذا عُدِّي باللام .

**(و) العلاقة الدلالية بين عنصرى التضمين : اللفظ المضمَّن  
 واللفظ المتضمَّن :**

ولكى يقول البحث كلمة شافية فى التضمين من حيث كونه مجازاً أو  
 غير ذلك ، فقد أجرى تحليلاً دلالياً Semantic analysis للعلاقة الدلالية  
 بين اللفظين المضمَّن والمتضمن ، وتطلب هذا تحليل كل لفظ منهما إلى  
 مكوناته الدلالية Semantic Components ، للتوصل إلى طبيعة العلاقة  
 بينهما ، وتبين من خلال هذا التحليل العلاقات الآتية :

١ - لسان العرب ، ج٦ ص ٢٩٥ .

٢ - السابق (وجس) ص ٢٥٣ .

٣ - الخصائص ج٢ ، ص ٤٣٥ .

٤ - لسان العرب (سبح) ج٢ ، ص ٤٧١ .

٥ - العكبرى النبيان فى إعراب القرآن ج٢ ص ٩٢٠ .

(أ) علاقة الترادف الناقص . ومن أمثلة ذلك فى قوله تعالى :  
﴿أَعَجَبْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ الأعراف ١٥٠ . ضمن عجل معنى سبق وفسر هنا  
به<sup>(١)</sup> ، وفى اللسان عجله : سبقه وقد اجتمعت مادة الفعلين عجل و سبق  
فى واسم دلالى<sup>(٢)</sup> واحد هو « التقدّم » : فعجّلت له من الثمن بمعنى  
قدمت ، وسبقه يسبقه بمعنى تقدمه<sup>(٣)</sup> . ومنه قول الشاعر :

إِنِّي غَرَضْتُ إِلَى تَنَاصُفٍ وَجْهَهَا      غَرَضُ الْحَبِيبِ إِلَى الْمُحِبِّ الْغَائِبِ .

فضمن غرض - دلالة اشتاق ومن المكونات الدلالية للغرض : شدة  
الشوق ، وشدة النزاع نحو الشيء<sup>(٤)</sup> فاشترك الفعلان فى الدلالة على  
الشوق ، و الشوق والاشتياق : نزاع النفس إلى الشيء<sup>(٥)</sup> . فاشترك  
الفعلان فى احتواء مكون دلالى Semantic Component واحد ، هو  
نزاع النفس إلى الشيء ، فبين الفعلين ترادف ناقص ومثل ذلك  
الأمثلة (٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩) التى مرت فى أمحاط  
التضمنين .

### (ب) علاقات المجاز :

١ - علاقة العموم والخصوص : ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ﴾ يوسف ١٠٠ . حيث ضمن الفعل أحسن دلالة  
الفعل لطف<sup>(٦)</sup> . وتحليل مادة اللطف نجدها تتسم بالواسمات الدلالية

١ - الجامع لاحكام القرآن ج٧ ص ٢٨٨ .

٢ - الواسم الدلالى هو المعنى المشترك بين كلمتين أو أكثر ويطلق عليه عدة مصطلحات أخرى هى المكون  
الدلالى Semantic Component والصفة الدلالية Semantic Feature والسيم Sememe .

بتنظر معجم علم اللغة النظرى ص ٢٥١ .

٣ - (عجل) ج١١ ص ٤٢٦ و(سبق) ج١٠ ص ١٥١ .

٤ - لسان العرب (غرض) ج٧ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

٥ - السابق (شوق) ج١٠ ص ١٩٢ .

٦ - محمود شكرى الألويسى روح المعانى ج١٣ ص ٥٩ .

الآتية : الرفق ، المودة ، ومن معانى اللطيف : البرُّ بعباده المحسن إلى خلقه<sup>(١)</sup> . ولاشك أن الإحسان يشمل هذه الواسمات الدلالية Semantic Markers جميعاً فهو أعم منها فعبّر في الآية بالعام عن الخاص ومثل ذلك : الأمثلة : (٧ ، ١٠ ، ١٤) في أنماط التضمين .

ويضمن الخاص معنى العام كما في قول الشاعر :

سبى الحماة وأبهتى عليهما

ضمن ابهتى معنى افتسرى والبهتان افتراء<sup>(٢)</sup> أى أنه ضمن العام وهو الافتراء دلالة الخاص وهو البهتان ، علاوة على أن كلاً من الفعلين يشترك في واسم دلالى هو الكذب فـ « بهت فلان فلاناً إذا كذب عليه »<sup>(٣)</sup> ، والافتراء افتعال الكذب<sup>(٤)</sup> ومثل هذه العلاقة ما ورد في الأمثلة (٧ ، ١٠ ، ١٤) من أنماط التضمين .

٢- علاقة الاقتضاء : وهى أن يقتضى اللفظ المتضمن اللفظ المضمن كما في قوله تعالى : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ الأنبياء ٥٢ . فإن المعنى المضمن وهو العبادة يقتضى العكوف أى أن أحد اللفظين يستدعى الآخر لأنه يقتضيه . (وهذه العلاقة موجودة أيضاً فى المثال الأول من رقم ١١ من أنماط التضمين) .

٣ - علاقة السببية : وهى أوضح علاقة بين اللفظ المضمن واللفظ المتضمن ومنها ما جاء فى الحديث أنه ﷺ « ألقى من نسائه شهراً » أى حلف وقد عدى بمن هنا حملاً على معنى امتنع<sup>(٥)</sup> من الدخول عليهن ،

١ - تاج العروس (لطف) ٦ / ٢٤٥ .

٢ - السابق (بهت) ج٤ ص ٤٥٥ .

٣ - لسان العرب (بهت) ج٢ ص ١٣ .

٤ - السابق (فرى) ج١٥ ص ١٥٤ .

٥ - لسان العرب (ألا) ج١٤ ص ٤١ .

والإيلاء سبب الامتناع ، وعلاقة السببية موجودة أيضاً في الأمثلة ( ١ ) ،  
٦ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٨ ) في أنماط التضمين ومن علاقات المجاز أيضاً  
علاقة الزمنية كما رأينا في المثال [ ١٢ ] من أنماط التضمين .

ومن تحليل العلاقة الدلالية بين اللفظين على النحو السابق ، يمكن  
اكتشاف طبيعة هذه العلاقة ويمكن القول بأن التضمين ليس مجازاً كله  
وليس حقيقة كله فهو يعتمد على علاقات الترادف والمجاز ، (العموم  
والخصوص والافتضاء والسببية) .

### (ز) القواعد التحويلية للتضمين :

التضمين يشكل نقطة التقاء وتفاعل وتأثير بين الدلالة والنحو ،  
ومعلوم أن المدرسة التوليدية التحويلية قد تعمقت في دراسة العلاقة بين  
هذين الجانبين لدرجة أن أصحاب هذه المدرسة انقسموا إلى فرقتين :

الأولى : يمثلها تشومسكى وهو يعتقد أن النحو هو المكون الخلاق في  
القواعد وهو الذى ينفذ الخطوة الأولى ثم يأتى المعنى والصوت لينفذا  
الخطوات التالية .

الثانية : ويمثلها خصوم تشومسكى وهم يعتقدون أن المكون الدلالي هو  
الجزء الخلاق في القواعد ، وأن الشرارة الأولى تنطلق منه ثم يتولى  
المكون النحوى بعد ذلك الخطوات التالية في تكوين الجملة <sup>(١)</sup> وهذا  
بدوره أدى إلى سؤال هو « هل الممكنة التوليدية اللغوية البيولوجية  
ذات طبيعة نحوية تركيبية أم أنها ذات طبيعة دلالية ؟ » <sup>(٢)</sup> وقد رأيت  
في التضمين ما يؤيد الفرقة الثانية ، حيث يقوم التضمين فى الأصل  
على الجانب الدلالي الذى يؤثر فى الفعل فيحوّله من اللزوم إلى

١ - جون لايتز : علم الدلالة السلوكى ضمن كتابه علم الدلالة ترجمة مجيد الماشطة ، دائرة الشؤون الثقافية  
والنشر ، بغداد ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ص ١٣ - ١٤ .

٢ - فضايا أساسية ، ص ١٦٩ .

التعدى أو العكس ، ثم يأتى دور المكون النحوى الذى يكمل ما بدأه التضمين من تكوين الجملة حسب ما يتطلبه المكون الدلالى فى البداية ، فيضيف عناصر لغوية أو يحذف منها ، فإذا ضُمَّنَ الفعل اللازم دلالة فعل متعدد أدى ذلك إلى زيادة (العناصر التركيبية Structural Elements المطلوبة ، تلك العناصر التى تمثل أدوار المشاركين (بتعبير هاليداي) <sup>(١)</sup> Participant roles وإذا ضُمَّنَ الفعل المتعدى لاثنين دلالة فعل متعدد لواحد حدث نقص فى عدد المشاركين.

ويمكن أن ندرك طبيعة القاعدة التحويلية الخاصة بالتضمين من المقارنة بين التركيبين : التركيب قبل التضمين والتركيب بعد التضمين ، وتتركز المقارنة فى النقاط الآتية :

- ١ - الخصائص الدلالية التى اكتسبها الفعل بعد التضمين .
  - ٢ - الخصائص النحوية التى اكتسبها الفعل أو سُلِبَها بعد التضمين .
  - ٣ - وجود فصلة للفعل من عدمه بعد التضمين .
  - ٤ - تحول المركب الأساسى إلى فصلة أو عكس ذلك .
- ويمكن بيان ذلك عن طريق الوصف البنىوى لتركيبين الأول لم يحدث لفعله تضمين كما فى [١] الآتى ، والثانى حدث فى هذا الفعل نفسه تضمين كما فى [٢] :

---

١ - بنظر الدكتور محمد فتوح فى التفكير اللغوى ، دار الفكر ، ص ١٩١

١ - ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ سبأ ٣٣ .

٢ - ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ يوسف ١٩ . حيث ضمن أسروه معنى جعلوه أى جعلوه بضاعة «<sup>(١)</sup> وأصل الفعل (أسر) أنه يتعدى لمفعول واحد كما فى المثال [١] .

الوصف البنىوى قبل التضمين فى رقم [١] (زمن + جذر) + مسند إليه + فضلة .

الوصف البنىوى بعد التضمين فى رقم [٢] (زمن + جذر) + مسند إليه + فضلة ١ + فضلة ٢ .

وهذا الوصف البنىوى يمثل البنية السطحية Surface Structure التى تعبر عن الشكل الفيزيقي للتركيب باعتباره أصواتاً ملفوظة<sup>(٢)</sup> . فالوصف البنىوى للتركيبين يعرب عن الفروق الآتية :

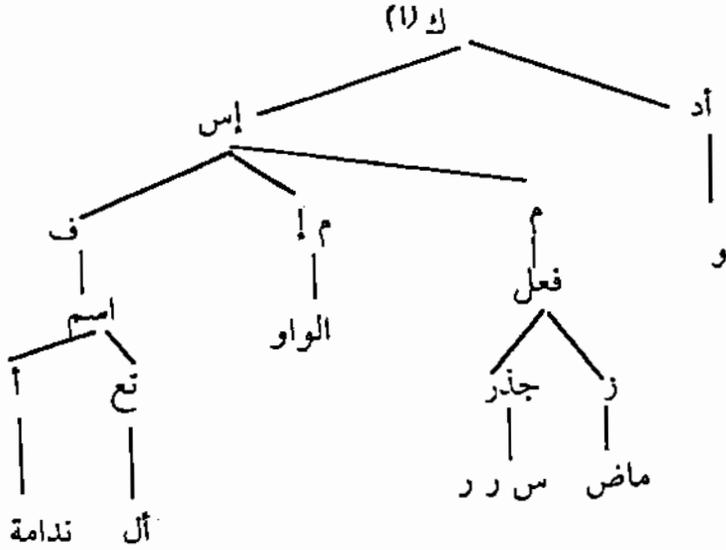
١- من حيث الخصائص النحوية نجد الفعل فى [١] متعدياً لمفعول واحد أى أن له فضلة واحدة ونجد نفس الفعل فى [٢] متعدياً إلى اثنين أى له فضلتان ، أى حدث إضافة مكون اسمى إلى التركيب بعد التضمين ، وصار الفعل من فئة الأفعال ذوات المواقع الثلاثة أى أن التركيب حدث له زيادة Addition فى عدد المشاركين تمثلت فى المركب الاسمى NP (بضاعة) الذى احتل موقع الفضلة الثانية . وهذه الخصائص النحوية التى اكتسبها الفعل ، إنما جاءت نتيجة الخطوة الأولى المتمثلة فى التحويل الدلالى للفعل

٢ - من حيث الخصائص الدلالية نجد الفعل أسر حدث له تحويل دلالى تمثل فى الاتساع الدلالى للفعل فى [٢] من الدلالة على الإسرار فقط

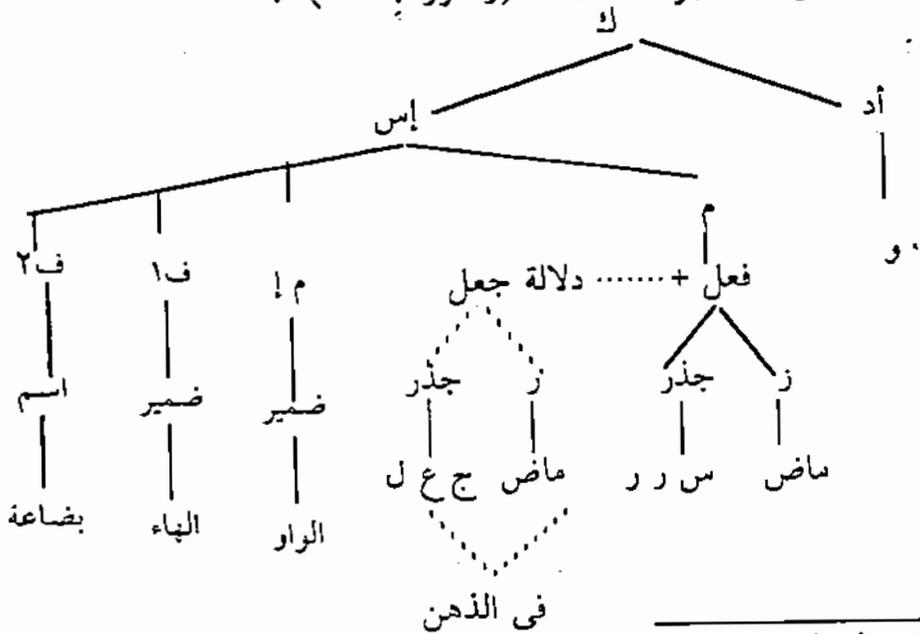
١- روح المعانى ، ج١٢ ، ص ٢٠٤ .

٢- النحو العربى والدرس الحديث ، ص ١٤٨ ، ١٢٤ .

إلى الدلالة على الإسرار والجعل ، ولم يحدث للجائين الصوتى  
والصرفى للفعل أى تغيير ، ويمكن تجسيد الفرق من خلال البنية  
العميقة المشجرة للتركيبين على النحو التالى :  
البنية العميقة المشجرة لـ [١] ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ .



البنية العميقة المشجرة لـ (٢) : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ .



فى الذهن

١- ك = كلام ، أد = أداء ، إس = إسناد ، م = مستند ، م = مستند إليه ، ف = فاعله  
نح - تعريف ، أ = اسم ، ز = زمن .

ويبدو الفرق بين البينيتين العميقتين السابقتين :

١ - أن الفعل أسر في [٢] أضيفت له دلالة الفعل جعل (وقد أشير إلى الأخير بالخط المقطع إشارة إلى كونه في الذهن) (١) .

٢ - هذه الإضافة تمثل أثراً ذهنياً لا يمكن إدراكه من الناحية الصوتية والمعجمية في مستوى البنية السطحية وقد أطلق تشومسكى مصطلح الأثر Trace<sup>(٢)</sup> على العنصر اللغوي المفرغ Empty وهو عنصر حقيقى في التمثيل الذهني العلائقى في الدماغ البشرى، بالرغم من أنه لا يملك الوظيفة الصوتية والمعجمية، إلا أنه انعكاس صوتى ومعجمى لعنصر لغوى عامل متقول « (٣) . وهذا النقل تم هنا عن طريق التضمن الذى أحدث أثراً Trace نتج عن عملية ذهنية تحركت فى إطار دلالة المركب الفعلى VP الرئيسى فى الجملة، فانعكس أثر هذه العملية الذهنية على الشكل الصوتى للجملة فى البنية السطحية فزاد عدد العناصر المركبة لهذه

---

١ - الإشارة إلى دلالة الفعل المضمن بالخط المقطع فى الشكل من إضافة الباحث حيث يرى إضافتها مناسبة

لدراسة موضوع التضمن حتى يتسنى الإشارة إلى الفعل المضمن والذى لا يبدو فى البنية السطحية .

٢ - وهذا الأثر هو أثر ذهنى خالص ؛ انشرت البحوث الحديثة المعدلة فى النحو التوليدى والتحويلى فى صورة نظرية سميت نظرية الأثر Trace Theory . فعند تطبيق القاعدة التحويلية (حرك - ألفا) مثلاً على أداة الاستفهام ماذا فى [١] يفعل خالد ماذا ؟ فإن هذه الأداة ستقل بموجب هذه القاعدة إلى الصدر فى [٢] ماذا يفعل خالد [عنصر مفرغ Trace] ؟ وسوف تترك أثراً ذهنياً لهذه الأداة يتمثل فى العنصر اللغوى المفرغ empty NP من الدلالة الصوتية والمعجمية ذلك العنصر لا يمكن إدراكه فى البنية السطحية . ينظر بعض العناصر النحوية فصل من كتاب تشومسكى 1981 Rules and Representations .

ترجمة د . مازن الوعر ضمن كتابه قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث ص ٢٢٤ - ٢٢٧ . وقد وجدت هذه النظرية (نظرية الأثر) ملائمة للتطبيق على درس التضمن ، لأن الفعل المضمن يترك أثراً ذهنياً يمكن إدراكه فقط فى مستوى البنية العميقة ، ولا يبدو من حيث الشكل فى مستوى البنية السطحية إذ قد تم تضمينه ذهنياً فى الفعل المتضمن .

٣- تشومسكى 1981 Rules and Representations ضمن كتاب قضايا أساسية فى علم اللسانيات

الحديث . ص ٢٢٥ .

الجملة ، كما أحدث أثراً دلالياً في الذهن يشير إلى الفعل المضمن ،  
يلمحه كل من المتكلم والسامع في نطاق الجماعة اللغوية .

(ب) ١ - شَطَّ مزارُ العاشقين . (قبل التضمين) .

٢ - شطتْ مزارَ العاشقين . (بعد التضمين) .

- الوصف البنيوي لـ (١) :

دخل لغوى (زمن + جذر) + مسند إليه + مسند - فضلة (١) Ø

- الوصف البنيوي لـ (٢) .

خرج لغوى (زمن + جذر) + مسند إليه + مسند + فضلة .

وهذا الوصف البنيوي يوضح الفروق الآتية :

١ - أن الفعل شط تحول من فئة الأفعال ذات الموقع الواحد في [١] إلى  
فئة الأفعال ذات الموقعين في [٢] ، وصارت له فضلة بعدما كان بلا  
فضلة في [١] ، إن معنى ذلك أن الفعل حدث له اتساع دلالي فأدى  
بدلالة فعلين وهذا بدوره أدى إلى توسع Expansion في وظيفته  
النحوية .

٢ - تحول الركن الأساسى الثانى (المسند إليه) فى [١] إلى فضلة فى [٢] .

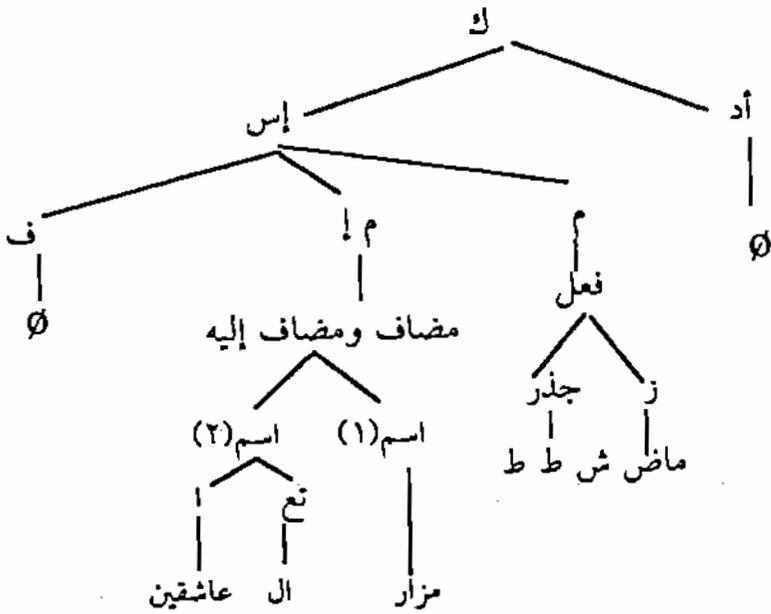
إن الذى أحدث هذا التحويل هو التضمين ، وهو جانب دلالى ذهنى  
أكسب الفعل سمات نحوية جديدة فى التركيب [٢] المشتق والمحول عن  
التركيب [١] الأساسى ، إن التضمين أكسب الفعل كفاءة فى أن يرتبط  
بمركبين اسميين فى [٢] بعدما كان مرتبطاً بمركب أسمى واحد فقط فى [١] .

ويمكن تجسيد الفرق بين التركيبين عن طريق البنية العميقة المشجرة

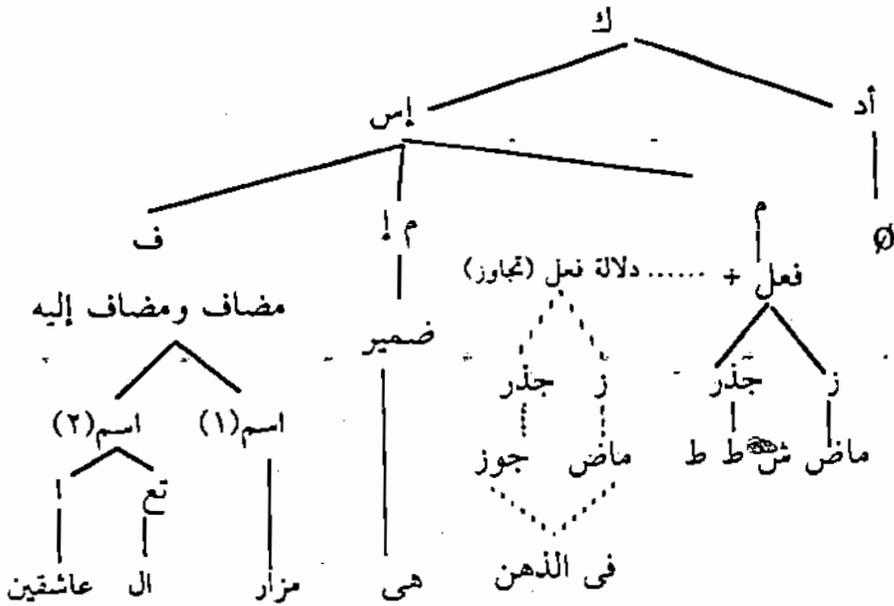
لكل منهما :

١ - هذه العلامة تشير إلى عدم وجود هذا العنصر اللغوى وهو هنا النفضلة

البنية العميقة المشجرة لـ [١] :



- البنية العميقة المشجرة لـ [٢] :



إن الفرق بين البينيتين العميقتين واضح حيث يظهر ما يلي :

١ - إحلال Replacement مسند إليه جديد يتمثل في الضمير (هى) فى [٢] محل المسند إليه فى [١] .

٢ - تحول المسند إليه فى [١] إلى فضلة فى [٢] .

٣ - ظهر أثر التضمين فى [٢] وتمثل هذا الأثر فى الفعل المضمن (أشير إليه بالخط المقطع ، بجوار الفعل المتضمن) ، وهذا الأثر لا يمكن إدراكه من الناحية الصوتية والمعجمية فى مستوى البنية السطحية .

(ج) أمرتك الخير . وهذا الفعل من الأفعال التى تتعدى بحرف الباء وأدى تضمينه دلالة ألزمتك إلى إسقاطها<sup>(١)</sup> وتعديته بنفسه . ولذا فإن التركيب الأساسى هو أمرتك بالخير .

وبالمقارنة بين الوصف البنىوى لكلا التركيبين يمكن إيضاح الفرق على النحو التالى :

- الوصف البنىوى لـ [١] أمرتك بالخير .

دخل لغوى - (ز + جذر) - م + إ + ف(١) + ف(٢) (جار ومجرور)

الوصف البنىوى لـ [٢] أمرتك الخير .

خرج لغوى - (ز + جذر) + م + إ + ف(١) + ف(٢) .

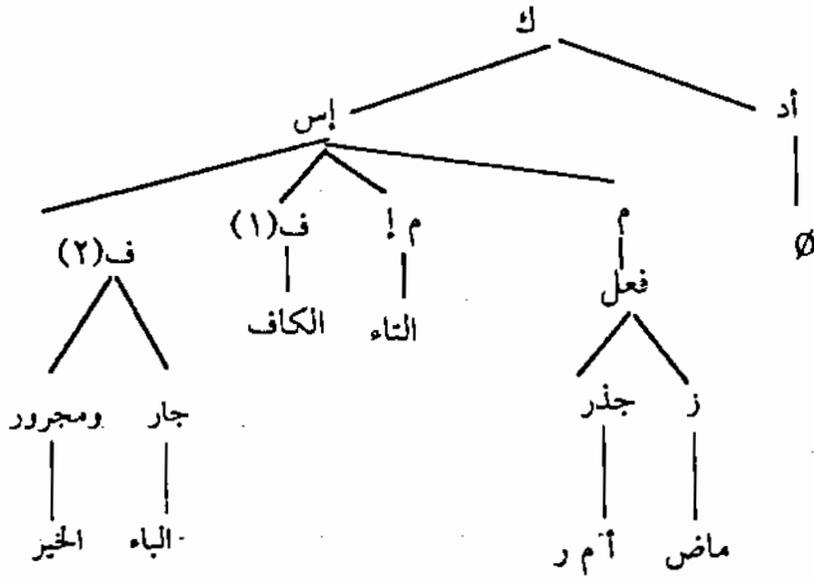
فالوصف البنىوى يوضح أن الفعل فى [٢] تعدى بنفسه بتأثير التضمين

الذى أدى إلى حذف Deletion حرف الجر الباء فى البنية السطحية .

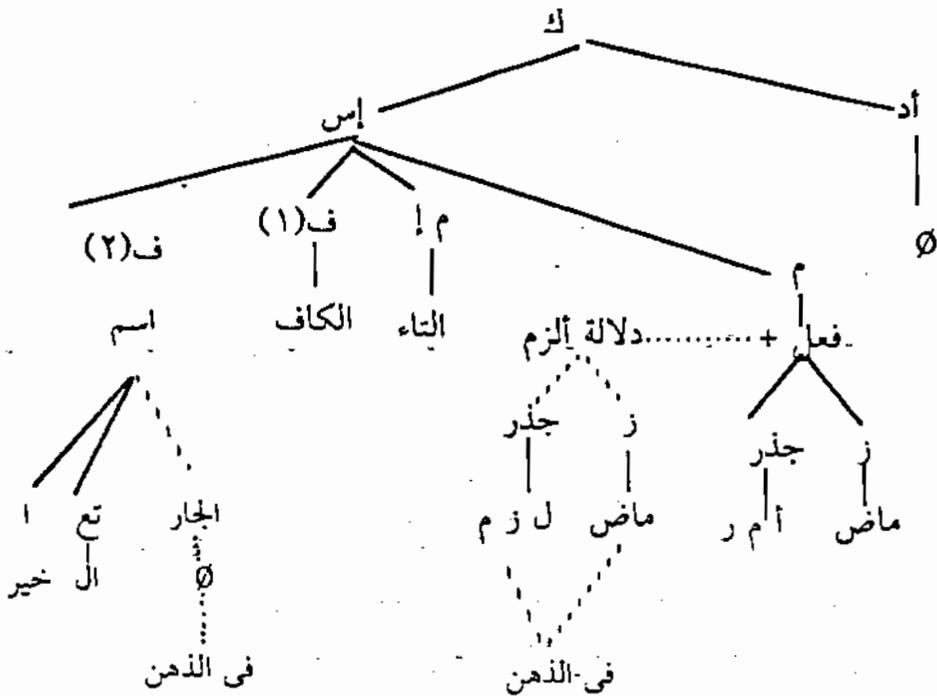
١- السبلى : نتائج الفكر تحفيق الشيخ عادل أحمد وآخر دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ ص ٢٦٠ .

وبالمقارنة بين البنيتين العميقتين للتركيبين يتضح فرق آخر .

- البنية العميقة للتركيب [١] .



- البنية العميقة للتركيب [٢] .



إن الفرق بين البيتين يبدو كما يلي :

١ - اكتسب الفعل بالتضمن سمة دلالية في البنية العميقة [٢] فأكسبته كفاءة نحوية فاستطاع أن يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه فى البنية السطحية .

٢ - ترك التضمن أثراً صوتياً ومعجمياً للفعل المضمن (ألزم) باعتباره عنصراً لغوياً مفرغاً Empty NP الذى يستدعيه الذهن ، عند التكلم بالتركيب [٢] أو عند سماعه ولا يمكن ظهور هذا العنصر فى البنية السطحية للتركيب [٢] .

٣ - ترك التضمن أثراً صوتياً ومعجمياً آخر لحرف الجر (الباء) المحذوف<sup>(١)</sup> فى البنية السطحية ، ولكن الذهن يستدعيه عند الكلام أو السماع للبنية [٢] وهو أيضاً عنصراً لغوياً مفرغاً لا يمكن ظهوره فى البنية السطحية لـ [٢] .

---

١ - والتقدماء من اللغويين العرب يعبرون عن هذا الأثر الذهني بإعرابهم العنصر الاسمى الذى يلى هذا الحرف المحذوف بأنه منصوب على نزع الخافض ، وأخافض هنا (هو العنصر اللغوى المفرغ) : Empty Np .

## خاتمة ونتائج :

تناول البحث معنى التضمين في اللغة والاصطلاح ، وظهر أن العلاقة بينهما تتمثل في أن الأول حسي والثاني منتقل عنه إلى المعنى العقلي ، وتبين للبحث أن ظاهرة التضمين من الحمل على المعنى (وقد عبر عنها بتعبيرات متعددة أشهرها التضمين ، ثم عبر عنه بـ(حمل الشيء على ضده أو على نظيره) ، وأورده بعض القدماء تحت عنوان : باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض ، مثل ابن جنى وفي العصر الحديث عبر عن الظاهرة بمصطلح الدمج في المدرسة التوليدية التحويلية .

وأورد البحث الآراء المتنوعة للغويين القدماء وخاصة البصريين الذين ذهبوا إلى إثباته ، والكوفيين الذين أنكروه وقالوا بنبابة الحروف بعضها عن بعض وقد ذهب سيبويه وابن جنى إلى أن التضمين لا يقال به في كل موضع ، كما لا ينوب الحرف مكان آخر في كل موضع ، وقد أيد البحث وجهة نظرهما ، ومما يؤيد هذه الوجهة أن التضمين يحدث أحياناً دون ارتباط بالحروف ، فقد يحدث بين فعلين أحدهما لازم والثاني متعد بنفسه ، وقد يتم بين فعلين كلاهما متعد بنفسه كما في المثالين ١ ، ٢ من أنماط التضمين ، وأيد البحث وقوع التضمين وكثرته وأنه طريق لتخريج وقبول كثير من التعبيرات العصرية قياساً على كثرته في اللغة وحول اختلاف القدماء في كون التضمين حقيقة أو مجازاً أو غير ذلك ، فإن بحث العلاقة بين اللفظين (المُضمَّن والمُتضمَّن) هي السبيل وهي المنهج إلى بيان هذه العلاقة في كل مثال على حدة . وقد تمثلت هذه العلاقة في الترادف الناقص والمجاز وأهم علاقاته السببية ، والعموم والخصوص والاختصاص ، إذن فالتضمين ليس مجازاً كله .

ومن تطبيق القواعد التحويلية على أمثلة من التضمين ، يبدو أن المكون الدلالي هو الجذوة الاولى والعامل المؤثر بصفة أولية فى تكوين الجملة والتحكم فى عدد عناصرها وأن اللفظ المضمن يترك أثراً فى الذهن يدل عليه ، ويستدعيه الذهن عند سماع التركيب .

وتبين للبحث أن القواعد التحويلية التى تصاحب التضمين هى :

١ - التحويل الدلالي للفعل أو ما فى معناه نحو الاتساع الدلالي . إذ يمكن التعبير ببنية واحدة عن دلالة فعلين .

٢ - وبناء عليه يحدث له تحويل من فئة من الأفعال إلى فئة أخرى غالباً ، كأن يتحول من فئة الأفعال ذوات الموقعين إلى فئة الأفعال ذوات المواقع الثلاثة .

٣ - إضافة addition عناصر اسمية إلى التركيب أو بعبارة أخرى زيادة عدد المشاركين .

٤ - حذف deletion بعض العناصر الاسمية أى تقليل عدد المشاركين أو حذف حرف الجر .

٥ - إحلال replacement عنصر جديد محل المسند إليه وتحويل المسند إليه إلى فصلة .

هذا وبعد التضمن ظاهرة سياقية لا يمكن حدوثها فى معزل عن السياق ، وأنها أيضاً ظاهرة بلاغية ، فإن التعبير بدلالة فعلين فى بنية واحدة أبلغ من التعبير بدلالة واحدة فى بنية واحدة ، وهو نوع من تركيز الدلالة فى البنية ، وأنه يمثل نقطة التقاء فى دراسة النحو وعلاقته بالدلالة .

هَذَا وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ النَّوْفِيِّ وَالسَّحَابِ

فريد عوض حيدر

## مراجع البحث

- ١ - الإسكندري : الشيخ أحمد - الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها - مجلة مجمع اللغة العربية الملكى ج١ ١٩٣٤ .
- ٢ - الأنبارى : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ج٢ ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٣ - البغدادي : عبد القادر بن عمر - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق عبد السلام هارون الخانجي ، ط ٣ ، ١٩٨٩ .
- ٤ - تشومسكى : نوم - المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها - ترجمة الدكتور محمد فتيح ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٣ .
- ٥ - الجاربردى فخر الدين أحمد بن الحسن : مجموعة الشافية من علمى الصرف والخط ج٢ ، عالم الكتب ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٦ - الجمل : سليمان بن عمر العجيلى الشافعى ت ١٢٠٤ هـ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج٢ ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر ( د . ت ) .
- ٧ - ابن جنى : أبو الفتح عثمان - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - دار الهدى بيروت ، لبنان ( د . ت ) .
- ٨ - حسن : الأستاذ عباس : النحو الوافى ج٢ ، دار المعارف ، ط ١١ ، ١٩٩٣ .
- ٩ - ابن حيان : محمد بن يوسف بن على - البحر المحيط ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض السعودية ( د . ت ) .
- ١٠ - الخوارزمى : صدر الأفاضل القاسم بن الحسين ( ٥٥٥ - ٦١٧ هـ ) شرح المفصل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ج٣ تحقيق الدكتور

عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكة المكرمة - دار الغرب  
الإسلامي ط ١ - ١٩٩٠ .

١١ - الخولي : الدكتور محمد علي - معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ،  
مكتبة لبنان ، ١٩٨٢ م .

١٢ - الراجحي : الدكتور عبده - النحو العربي والدرس الحديث ، دار النهضة  
العربية ، ١٩٧٩ م .

١٣ - الزبيدي : السيد محمد مرتضى - تاج العروس من جواهر القاموس - وزارة  
الإعلام ، الكويت ، والمطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .

١٤ - السامرائي : الدكتور إبراهيم - في شرف العربية - سلسلة كتاب الأمة رقم  
٤٢ قطر ١٤١٥ هـ .

١٥ - السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) - نتائج الفكر  
في النحو - حققه وعلق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود  
والشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت -  
لبنان - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

١٦ - بسبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام  
هارون ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٧ - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر - معجم الهوامع شرح  
جمع الجوامع ، ج ٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ،  
١٣٢٧ هـ .

١٨ - العزاوي : الأستاذ عباس - التضمين أو نيابة حرف جر مناب آخر - البحوث  
والمحاضرات مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦١ -  
١٩٦٢ .

١٩ - عزيمة : الدكتور محمد عبد الخالق - دراسات لاسلوب القرآن الكريم ،

- القسم الأول، ج ٣ دار الحديث - القاهرة (د . ت) .
- ٢٠- العكبرى : أبو البقاء عبد الله بن الحسين - التبيان فى إعراب القرآن - تحقيق على محمد البجارى ، القسم الأول - عيسى البابى الحلبي وشركاه - ١٩٧٦ م .
- ٢١- الفيومى : أحمد بن محمد بن على المقرئ ، المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ .
- ٢٢- الفرونائى : الدكتور رفعت عبد السلام - مدخل إلى علم اللغة المعاصر ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- ٢٣- فتیح : الدكتور محمد - فى الفكر اللغوى ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٢٤- ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم - أدب الكاتب - شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ على فاعور ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢٥- قراس : موريس - فى النحو التحويلى - عرض للمنهجية التحويلية فى أربعة أبحاث نقله من الفرنسية إلى العربية صالح الكشو تونس ، بيت الحكمة ، قرطاج ، ١٩٨٩ .
- ٢٦- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى - الجامع لاحكام القرآن ، ط دار الحديث ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٢٧- الألوسى : السيد محمود شكرى : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - إدارة الطباعة المنيرية - دار إحياء التراث العربى بيروت (د . ت) .
- ٢٨- ماسنيون . ل : خواطر مستشرق فى التضمين ، مجلة سجم اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الثامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٥ .

٢٩- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً

١٩٣٤ - ١٩٨٤ ، المعجم الوسيط ، ط ٣ ، ١٩٩٨ .

٣٠- ابن منظور : محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،

لبنان ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

٣١- الوعر : الدكتور مازن - قضايا أصامية في علم اللسانيات الحديث ، مدخل .

دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، جا دمشق ،

١٩٨٨ م .

32- Crystal , David : Adictionary of Linguistics and  
Phonetics, 3 rd Edition Updated and  
Enlarged . Basil Black well 1991 .

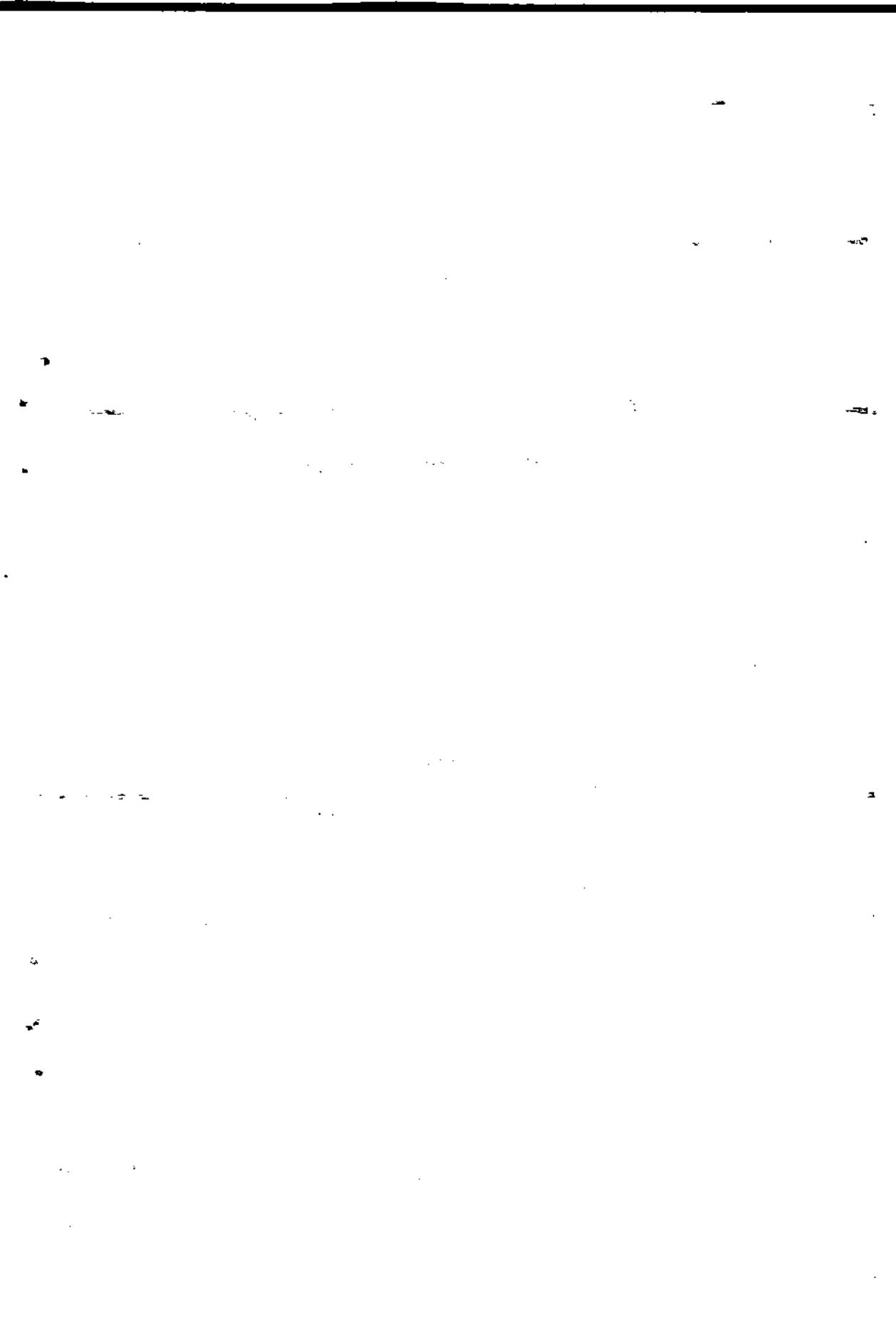


شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين  
فى القرن الثانى الهجرى

الدكتور

ناصر شاكى سيد محمود

كلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادى



## شعر مأساة العمى عند الشعراء المكفوفين فى القرن الثانى الهجرى

د / ناصف شاكى سيد محمود (٢)

### المقدمة

العكوف على النفس وتحليلها اتجاه جديد ظهر فى شعر القرن الثانى الهجرى، وهذا الاتجاه كان قليل الظهور فى الشعر القديم ، حيث كان الشاعر القديم قلما يلتفت إلى نفسه ويصف مشاعره فى صراحة ووضوح ، ويصوغ إحساساته فى حرارة وصدق ، أما فى القرن الثانى فقد التفت الشعراء إلى أنفسهم يفتشون فى حناياها عن مشاعرهم وأحاسيسهم (١) .

وشعر مأساة العمى من هذا النوع الذى يعكف فيه الشاعر على نفسه محاولاً وصف مشاعره وأحاسيسه وما يعتريه من أسى ومرارة لفقد بصره .

وثمة عوامل كثيرة شجعت على اختيار هذا الموضوع ودراسته لعل أهمها أن هذا الموضوع لم يظفر بدراسة جادة مستقلة كما أنه يطلعنا على الحالة النفسية للشاعر صاحب المأساة بالإضافة إلى ذلك فالبحث يسلط الضوء على حركة التجديد فى الشعر والنثى كان

(٢) مدرس الأدب العباسى بكلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادى .

(١) أبحاث الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى للدكتور محمد مصطفى هدارة ص ١٧٤ نشر دار المعارف

بمصر سنة ١٩٦٣م .

صداها قوياً في القرن الثاني الهجري ، ومن الطبيعي أن تنعكس هذه  
الحركة على شعر مأساة العمى ، كما نحاول أن نبين في ثنايا هذا  
البحث .

## شعر مأساة العمى

إن البصر من أعظم النعم التي أنعم بها الخالق سبحانه على عباده، وأى خطب أفدح من أن يفقد الإنسان بصره وينطوى في عالم الظلام الرهيب! فمن تداهمه هذه المأساة تصبح له مصدر تعاسة طوال حياته، وفي ذلك يقول الدكتور مختار حمزة: "إن العمى سواء أكان عارضاً أم قبل الولادة يكون مصدراً للتعاسة" (١).

ويعلق الدكتور طه حسين على هذه المأساة فيقول واصفاً أثرها على الإنسان: "وأثر هذه المصيبة من الحزن عظيم، يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته لا يفارقه ولا يبعده، ذلك لأنه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة وكلما ناله من الناس خير أو شر بل كلما لقيهم في مجتمع خاص أو عام، فما يزال يؤلمه ويحزنه إلى أن يفقد الشعور وتصيبه البلادة المطلقة - يعنى الهم الثقيل والحزن العميق -" (٢).

ولا شك أن فقد البصر يؤثر في نفسية صاحبه ويخلق له مشكلة ترمى به في حومة من ركام العقد النفسية (٣).

(١) بيكولوجية المرضى وذوى العاهات للدكتور مختار حمزة ص ١٢٩ - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩م.

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء المعرى للدكتور طه حسين ص ١١٩ - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١م.

(٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفى الشكعة ص ١٠٣ - ط دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م.

ولقد انطلق الشعراء في القرن الثاني الهجري يسجلون مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه هذه المأساة ، ولعل أبا يعقوب الخريمي كان من أوائل الشعراء في هذا القرن الذين صوروا هذه المأساة ، وكان قد عمى بعدما أسن<sup>(١)</sup> يقول في مقطوعة صغيرة :<sup>(٢)</sup>

أصغى إلى قَائِدِي لِخَيْرَتِي      إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يُحْيِينِي  
أريدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ      أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالدُّونِ  
أسمعُ مَا لَا أرى فَأَكْرَهُ أَنْ      أَخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
لِلَّهِ عَيْتِي الَّتِي فَجِغْتُ بِهَا      لَوْ أَنَّ ذَهَبَ بِهَا يُوَاتِينِي  
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا      تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مَلِكِ قَارُونِ

فالشاعر يصف حاله البائسة لفقده بصره ، تلك المأساة التي ألمت به فجعلته لا يستطيع أن يتعرف على من يحييه إلا عن طريق قائده الذي يخبره ، فهو يريد أن يفصل بين الشريف والدون ولكنه لا يتمكن من ذلك لأنه يعتمد على السمع دون الرؤية ، والسمع غير مأمون وهو يكره أن يخطئ ، ثم يرصد الشاعر مأساته رسداً يبين فيه أن عينه التي فجع بها لا يعادلها شيء في هذه الحياة .

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق مفيد محمد تسيحة ص ٥٧٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ م ، وطبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٢٩٣ - ٢٩٤ نشر دار المعارف بمصر .

(٢) الورقة لابن الجراح تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج ، ص ١١٢ - ط دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ، وانظر نكت احسان في نكت انعبان للفنيدى تحقيق أحمد ركي باشا ص ٧١ - ط القاهرة - المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ هـ .

ويصف الخريمي في مقطوعة أخرى مأساة عينيه التي أظلمت  
عليه حياته ، فيقول : (1)

كفى حزناً أنى لا أزورَ أحبَّتى      من القربِ إلا بالتكلفِ والجُهدِ  
وأنى إذا حُييتُ ناجيتُ قائدى      ليعدِّلنى قَبْلَ الإجابةِ فى الردِّ  
إذا ما أفاضوا فى الحديثِ نقصرتُ      بى النفسُ حتى ما أُحيرُ وما أبدى  
كأنى غريبٌ بينهم لستُ مِنْهُمْ      فإن لم يُحولوا عن وِقاءِ ولا عَهْدِ  
أقاسى خُطوباً لا يقومُ بتُقلها      من الناسِ إلا كلُّ ذى مِرَّةٍ جَدِّ

فالشاعر في هذه المقطوعة التي تقطر ألماً ومرارة يقرر واقعاً  
يعيشه من جراء هذه المأساة ، فهو لا يستطيع أن يزور أحبته إلا بمشقة  
وجهد ، ولا يستطيع أن يرد على محبيه قبل أن يناجى قائده ، كما أن  
الناس إذا أفاضوا فى الحديث منعتهم نفسه عن مشاركتهم ، ويستمر  
الشاعر فى سرد واقعه المرير فيصور حاله بين الناس وكأنه غريب  
بينهم ، فقد جعل بينه وبين الناس حاجزاً نفسياً جعله يعتقد أنه ليس  
منهم ، ويصل الشاعر إلى قمة الحزن والأسى فى البيت الأخير حين  
يقول :

أقاسى خُطوباً لا يقومُ بتُقلها      من الناسِ إلا كلُّ ذى مِرَّةٍ جَدِّ

ويلاحظ أن لفظة ( خطوب ) جاءت منكرة لتوحى بكثرتها  
وتنوعها وفداحة ما يعانیه الشاعر من الألم والمرارة .

(1) الحيوان للعاحظ عميق عبد السلام محمد هارون ١٥١/٧ - نشر المجمع العلمى الإسلامى - بيروت سنة

ومن الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة الشاعر ابن التعاويذي ،  
وله مقطوعة يصور فيها مدى معاناته لفقده بصره ، يقول فيها : (١)

أظل حبيساً في قرارة منزلي رهين أسى أُنسى عليه وأصبحُ  
مقَامي منه مظلم الجوّ قاتمٌ ومسعاى ضنكاً وهو ضحيانٌ أفيحُ  
أقادُ به قودَ الجنّية مُسبحاً وما كنت لولا غدره الدُهرُ أسمعُ  
كأنّي ميتٌ لا ضريح لجنبه وما كلُّ ميتٍ لا أبالك يضرخُ

فقد وضع نفسه في سجن اختياري في منزله بعد أن تمكن الأسي  
منه فأصبح أسيراً له ، ويصف حاله في هذا المنزل بأن مقامه فيه  
أصبح مظلماً برغم أنه أفيح ، وقوله ( أقاد ) دليل على أنه فقد القدرة  
على الحركة مستقلاً بعد فقد بصره ، وهو تمهيد للبيت الأخير الذي  
يذكر فيه أنه أصبح كالميت وإن كان لا ضريح له ، فليس كل ميت له  
ضريح .

وعلى هذه الشاكلة من الأسي والمرارة نجد له مقطوعة أخرى  
يندب فيها فقد بصره ومداهمة الشيب له والتي يقول فيها : (٢)

حالانِ مستبني الحواد ثُ منهما بفجيعتين  
إظلامُ عينٍ في ضيآءٍ من مشيبٍ سرمدين  
صيخ وإمساءً معاً لا خلفةً فا عجباً لذين

(١) نكت العميان ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٤٣/١٨ ط القاهرة ، مطبعة عيسى الحنفي .

قد رُحِتْ في الدُّنْيَا من السُّدِّ      رَأَى صِفْرَ الرَّاحَتَيْنِ  
أَسْوَانَ لَا حَى وَلَا      مَيَّتَ كَهْمَزَةٍ بَيْنَ بَيْنِ

فالحوادث قد أصابته بفجيعتين كبيرتين ، إحداهما فقد بصره  
والأخرى مداهمة الشيب له ، فهو لم يأخذ من الدنيا شيئاً وأصبح فيها  
صفر اليدين ، ويصف حاله في هذه الدنيا بأنه لا حى ولا ميت .

ومن هذا الصنف من الشعراء كان الشاعر صالح بن عبد  
القدوس ، وله أبيات يصور فيها مأساة عماء ، يقول فيها : (1)

عَزَاكَ أَيُّهَا الْعَيْنُ السُّكُوبُ      ودمعك إنها نُوبٌ تَنُوبُ  
وكنت كريمتى ، وسراج وجهى      وكانت لى بك الدنيا تطيبُ  
فإن أك قد تكأنتك فى حياتى      وفارقنى بك الإلف الحبيبُ  
فكل قرينة لا يبد يوماً      سيشعب إلفها عنها شعوبُ  
على الدنيا السلام فما لشيخ      ضرير العين فى الدنيا نصيبُ  
يموت المرأة وهو يعد حياً      ويخلف ظنه الأمل الكذوبُ  
يُمَتِّينى الطيب شفاء عيى      وما غير الإله لها طيبُ

إن المرارة تعنصر الشاعر لفقده نور عينه ، ويلاحظ من  
الأبيات أن عينه كانت نور وجهه غير أنه قد فقدما فتغير حاله بعد فقد  
بصره ، فبعد أن كانت الدنيا تطيب له أصبح وحيداً مهموماً حيث فارقه  
الإلف الحبيب .

(1) نكت الميمان ص ٧١ - ٧٢ .

ويسترسل في عزاء نفسه فيذكر أنه أصبح شيخاً ضرير العين ،  
 فليس له حظ في هذه الدنيا ، ولم يكتف بذلك فراح يبين أن المرء إذا فقد  
 بصره أصبح ميتاً وإن كان الناس يعدوه من الأحياء ، وبعد ذلك يذكر  
 أن الطبيب ما زال يمنيّه شفاء عينه إلا أنه يعلم أنه لا شفاء لها إلا إذا  
 أراد الله ، ويختتم الأبيات بحكمة يبين فيها أن المرء إذا فقد بعض  
 أعضائه فعليه أن يبكي البعض الآخر لأنه لا محالة سيفقده أيضاً عن  
 قريب ، يقول :

إذا ما مات بَعْضُكَ فابْتَكَ بَعْضاً      فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضِ قَرِيبٍ

وعلى هذه الشاكلة كانت أشعار الشعراء الذين ابتلوا بفقد البصر،  
 فأبو الشيص يبكي عينيه ويتألم لفقدهما فيقول : (١)

يا نفسُ بكّي بأدمع هُنَّ      وواكفِ كالجُمانِ في سَنَنِ  
 على دليلى وقائدي ویدی      ونور وجهی وسائسِ البدنِ  
 أبكى عليها بها مخافةً أن      تَقْرُننِي والظلامَ في قَرَنِ

فالشاعر يرثى عينيه وقد اخترمته المعاناة والآلام من أثر فقد  
 لبصره ، فهو يبكي عليهما بكاء حاراً ، وأى مصيبة تستحق البكاء  
 أعظم من مصيبة فقد البصر .

وبالرغم من أن معظم الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة عاشوا  
 في معاناة وحسرة وترجموا ذلك في أشعارهم إلا أن هناك شاعراً حاول

<sup>١١</sup> الأغاني لأبي النرج الأصمغاني تفتيح مصطفى سنة ٤٠١/١٦ ط الهيئة المصرية العامة  
 لكتاب سنة ١٩٩٣ م

أن يوهما أن عاهته لم تكن لها أدنى تأثير سلبي على حياته ، بل كانت سبباً في نبوغه وتفوقه ، وهو بشار بن برد الذي يقول : (١)

إِذَا وِئِدَ الْمَوْلُودَ أَعْمَى وَجَدَّتْهُ      وَجَدَّتْكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجُولَا  
عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاؤُ مِنَ الْعَمَى      فَجِنْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْنَلَا

ويقول أيضاً رابطاً العمى بطلب العلم : (٢)

شِقَاءَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا      تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ  
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عَنَّاكَ فَإِنَّمَا      دُعِيَتْ أَخَا عَقْلٍ لَتَتَّبِعَتْ بِالْعَقْلِ

ولا شك في أن ربط بشار العمى بالذكاء وطلب العلم كان تعويضاً عن النقص ، يقول الدكتور عبد العزيز القوصي : " ... وبدون شك فإن حالة فقد البصر يقابلها بالضرورة نزوع إلى التعويض عن النقص بشكل أو بآخر " (٣) .

وبرغم أن محقق ديوان بشار العلامة ابن عاشور يقول : " ومع أن بشاراً كان أعمى فإنه لم يكن يأتي في شعره بما يناسب العمى ، فإذا

(١) ديوان بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ١٣٦/٤ - ط القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الأول سنة ١٩٥٠ م ، الجزء الثاني سنة ١٩٥٤ م ، الجزء الثالث سنة ١٩٥٧ م ، الجزء الرابع سنة ١٩٦٩ م .

(٢) ديوان بشار ١٤٢/٤ .

(٣) أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي ص ١٣٩ - ١٤٠ - ط القاهرة - مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥ م .

قرأت شعره لم تشعر بأنه أعمى وذلك من فرط دقة علمه ووصفه  
للأشياء إلا قوله :

فَأَتَيْتُهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ يَفُودُنِي طَرِبًا وَيَا لَكَ قَائِدًا وَمَقُودًا<sup>(١)</sup>.

إلا أن من يطلع على ديوان بشار يجده زاخراً بشدة تأثره بعماءه،  
وفى ذلك يقول المازني : " وفيما بقي من شعره وأخباره الدليل على  
شدة شعوره بعماءه ، فقد كان كثير الذكر له فى شعره وكلامه " <sup>(٢)</sup> ومن  
ذلك قوله : <sup>(٣)</sup>

وَعَيْرَتِي الْأَعْدَاءُ وَالْعَيْبُ فِيهِمْ      وَلَيْسَ بَعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ  
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى      فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنِينَ لَيْسَ يَضِيرُ  
رَأَيْتُ الْعَمَى أَجْزَأَ وَذُخْرًا وَعِصْمَةً      وَإِنِّي إِلَى تِلْكَ الثَّلَاثِ فَاقِيرُ

ويلاحظ من الأبيات السابقة أن بشاراً كان يفخر بعماءه مما جعل  
أحد الباحثين يقول : " عاش بشار يفخر بهذه المحنة ولا يتردد فى  
الإعلان عنها والإشارة إليها وهو يمدح أو يهجو أو يتغزل أو يتفكه أو  
يتندر ... حيث جعل بشار من مجنته سرّاً لتفوقه وفطنته " <sup>(٤)</sup> .

(١) ديوان بشار ١١/١ .

(٢) بشار بن برد لإبراهيم عبد القادر المازني ص ٢٣ - سلسلة أعلام العرب - ط دار إحياء التراث العربية  
- عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة .

(٣) ديوان بشار ٥١/٤ .

(٤) طه حسين بصيراً للدكتور محمد صادق الكاشف ص ٣٠ - مكتبة الحائلي - القاهرة سنة ١٩٨٧ م ،  
الطبعة الأولى .

ولم يكن هذا الفخر بعماء إلا بسبب إحساسه بالنقص والضعف ،  
هذا الإحساس الذى جعله يتجه إلى اللهو والمجون والتهتك كتعويض  
عن النقص .

وقد حاول بشار أن يبين أن العين ليست إلا حاسة يمكن  
الاستغناء عنها لأن هناك من الحواس غيرها ما يقوم مقامها، يقول : (١)

يا قومُ أذنى ليغضِ الحىَ عاشقَةً      والأذنُ تَعْتَقُ قبلَ العينِ أحياناً  
قالوا: بئسَ لا ترى تهذى، فقلتُ لهم      الأذنُ كالعينِ تُوفى القلبُ ما كانا

فقد جعل الأذن تقوم مقام العين فى التعرف على الجمال ، وأنها  
حاسة لتقدير الجمال لا تقل عن العين .

والذى لا شك فيه أن أثر فقد بشار لبصره كان واضحاً أشد  
الوضوح فى أشعاره ، يتضح ذلك من مقطوعته التى يقول فيها : (٢)

يا ليلتى تزدادُ نُكْرًا      من حُبِّ مَنْ أخببتُ بكُرا  
حوراءُ إن نظرتِ إليَّ      لكِ سَقَاتِكِ بالعينينِ خُمرا  
وكانَ رَجَعَ حديثها      قَطَعُ الرِّياضِ كُسينَ زهرا  
وكانَ تحتَ لسانها      هاروتُ ينفثُ فيه سخرًا

(١) ديوان بشار ١٩٤/٤ .

(٢) الديوان ٥٥/٤ .

وَتَخَالَ مَا جَمَعَتْ عَالَمٌ      مَهْ ثِيَابَهَا ذَهَباً وَعِطْرًا  
 وَكَأَنَّهَا بَرْدٌ لِلشَّرَا      بَصْفًا وَوَلْفَقَ مِنْكَ فِطْرًا  
 جَنِيَّةً بِنَسْبَةٍ      لَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَجَلٌ أَمْرًا

وواضح في هذه القطعة أثر فقدته لبصره فإنه لا يكاد يرتفع عن نطق اللثم والسمع واللمس والحس فهو يصف أنفاسها وما تنتشره من طيب كطيب الرياض ، ويصف حديثها وما تنبع فيه من سحر ، ويصور جسدها ذهباً وِعطراً ، أما ما ينعم به من جملتها فشراب بارد سلسيل صاف صائماً يتحرق عطشاً ، ولما ارتفع في غزله عن الحس والسمع والأذن (١) .

ويبدو أن مأساة فقدته لبصره قد تملكته فلم يستطع منها فكاً ولم يستطع أن يتوافق ويتعايش معها برغم ما عرف عنه من اللكاء والقلعة ، يقول الدكتور طه حسين : " إن بشارين برد قد أساء احتمال لفته ، كما أساء الانتفاع بنكائه وحدة ذهنه " (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن مأساة فقد البصر قد جرت على صاحبها للتعاسة والأسى وجعلته يفرق في بحر من الحزن والكآبة . وإذا كان بشار قد حاول إيهامنا بأن هذه المأساة كانت سر تفوقه ونبوغه وأنها لم يكن لها أنى تأثير سلبي على حياته إلا أن ذلك كان تعويضاً عن

(١) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٢١٧ - ط دار المعارف بمصر - الطبعة العاشرة سنة ١٩٦٦م.

(٢) حديث الأربعة للدكتور طه حسين ١٨٨/٢ - ط دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الحادية عشر سنة ١٩٩٣م .

النقص الذي كان يشعر به ، فأشعاره توضح مقدار المعاناة والمرارة  
التي كان يحسها من جراء هذه المأساة .

## الخصائص الفنية في شعر مأساة العمى

في دراستنا للخصائص الفنية في شعر مأساة العمى عند الشعراء لمكفوفين في القرن الثاني الهجري سنحاول استخراج بعض الخصائص الفنية والسمات الإبداعية التي تميز بها هذا الشعر، مع ملاحظة أن هذه الخصائص والسمات ليست مقصورة على هذا الشعر وإنما قد يشارك غيره في بعضها (1).

### الصدق الفني :

ليس المقصود بالصدق الفني محاولة تتبع الصدق والكذب في الشعر والكشف عنهما ، وإنما المقصود هو مدى صدق الشاعر أو عمه في التعبير عن بيئته وواقع الحياة التي كان يحياها، ويوضح الدكتور محمد النويهي معنى الصدق في الأدب فيقول: "إننا نعني به أن يصدق الأديب في التعبير عن عاطفته التي أحس بها فعلاً، وإعلان عيده التي اعتقدها، ولسنا نعني به أن يكون نقلاً حرفياً للواقع الخارجي بل حذاً فيه .. فنحن نطلب الصدق في الأدب لأننا نريد من الأدب أن يكون تصويراً أميناً لحقيقة عاطفة الإنسان نحو الوجود وسلوكه الحقيقي في تجارب حياته المختلفة... والصدق الذي نريده من الأديب دائماً أن يقول بلسانه حقيقة ما في قلبه، فإن قالها فهو صادق بمعنى الصدق الأبي وإن خالف كلامه الواقع في بعض الأشياء، وإن لم يقلها فهو

(1) اتجاهات النثر في القرن الثاني الهجري للدكتور يوسف حسين بكدار ص 332 - مذكرات معارف -

كاذب بمعنى الكذب الأدبي ، ولا يشفع له أن يطابق كلامه واقع الحال  
مطابقة تامة " (١) .

ولقد تنبه النقاد القدامى لذلك فابن رشيق يقول : " ولم يكن  
أحدهم يرضى بالكذب فيصِف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون " (٢) .

ويظهر الصدق الفني واضحاً عند كثير من الشعراء المكفوفين  
عندما ينعون فقد بصرهم ، فأبو يعقوب الخريمي يعتمد على قائده في  
التعرف على محدثه ، يقول : (٣)

أصغى إلى قَائِدِي لِخَيْرَتِي إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يُخَيِّنِي

ويقول أيضاً مبيناً مدى حاجته لهذا القائد بعد فقد بصره : (٤)

وَأَنِّي إِذَا حَيُّتُ نَاجَيْتُ قَائِدِي لِيُعَلِّمَنِي قَبْلَ الإِجَابَةِ فِي الرَّدِّ

وصالح بن عبد القدوس يقرر واقعاً وهو أن شفاء عينه أصبح  
مستحيلاً إلا إذا أراد الله ، برغم أن الطبيب يمينه بشفائها ، يقول : (٥)

يُمَتِّعُنِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي وَمَا غَيْرُ الإِلهِ لَهَا طَبِيبٌ

(١) وظيفة الأدب للدكتور محمد التويهي ص ٤٨ - ٥٠ مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني ١٩٩/١ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -  
مطبعة حجازي - القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ م .

(٣) الورقة لابن الجراح ص ١١٢ .

(٤) الحيران للحافظ ١٥١٧ .

(٥) نكت اضميان ص ٧١ .

ويظهر الصدق الفنى أيضاً فى شعر ابن التعاويذى عندما يصف  
حاله وهو حبيس منزله فيقول : (١)

مُقَامِي مِنْهُ مُظْلَمُ الْجَوِّ قَاتِمٌ وَمَسْعَى ضَنْكَ وَهُوَ ضَحِيانٌ أَفِيحُ

أما عدم الصدق الفنى فنجده واضحاً وبكثرة فى شعر بشار بن برد  
الذى نسي أو تناسى أنه أعمى ، فنجده يقول فى صاحبه عبدة : (٢)

أَنْتِ الَّتِي تَشْتَفِي عَيْنِي بِرُؤْيَيْهَا وَهُنَّ عِنْدِي كَمَا غَيْرُ مَشْرُوبٍ

وقوله فى عبدة أيضاً : (٣)

تَأْتِي نَظْرِي فِيهَا مَلِيًّا وَتَأْتِي

وقوله أيضاً : (٤)

ذَهَبْتَ نَظْرِي إِلَيْكَ بِنَفْسِي وَنَمَّا الْحُبُّ عَن قُوَادِي فَبَاحًا  
أَسْلَمْتَنِي عَيْنِي إِلَيْكَ وَقَالَتْ: لَوْ تَعَزَّى بِالصَّبْرِ عَنْكَ اسْتَرَّاحًا

فهل توخى بشار عناصر الصدق الفنى ، وهل كان صادقاً مع واقعه  
لما نكر أن عينه تشتفى بروية عبدة ، وأن نظره تأتى منها ملياً ، وأن نظرته  
ذهبت إليها ، وعينه أسلمته إليها ؟ هل كان صادقاً فى هذه الأقوال وهو الذى  
لم ير الدنيا قط ؟

(١) نكت المبيان ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) ديوان بشار ١ / ١٩٧ .

(٣) الديوان ٢ / ٢٨ .

(٤) الديوان ٢ / ١٢٦ .

ومن مظاهر عدم الصدق للفنى أيضاً عند بشار قوله فى إحدى  
صاحباته: (١)

فَلَيْتِ كُلَّمَا اسْتَنْقَتِ      إِلَى وَجْهِكَ صَوْرَتَهُ  
لَتُنَاجِي شَبَّهًا مِنْكَ      عَنِّي لِتُتْرَبَ إِذَا اسْتَنْقَتَهُ  
فِيَا وَهَاهُ لَهْ وَاللَّهِ وَجْدٌ      هُنَا حِينَ شَبَّهْتَهُ  
حَبِيبٌ خَطُّ فِي التُّرْبِ      وَمَا زَارَ وَمَا زَرْتَهُ

فى هذه الأبيات يحاول بشار الإيهام مرتين ، الأولى أنه رآها  
ويعرف وجهها معرفة جيدة ، والثانية أنه يرسم لوجهها صورة فى  
التراب لملمه كلما يشتاق إليها ويتنكرها ، وهو ليس بصحيح فنياً إلا أن  
يكون صنيعه إغراقاً فى الخيال وجنوحاً فى الوهم (٢) .

### اللغة والموسيقى :

إن التطور المذهل للحياة الاجتماعية والعقلية فى القرن الثانى  
الهجرى بفعل مؤثرات مختلفة (٣) ، أفرد لها الباحثون دراسات عديدة ،  
قاد الشعراء إلى تحول واضح فى لغتهم الشعرية حيث هجروا الألفاظ  
الوعرة القديمة واتجهوا بشعرهم نحو اللين والسهولة " ذلك أن التطور  
الاجتماعى وتطور أحاسيس الشعراء أنفسهم والذوق العام فى العصر  
هو الذى أدى إلى هذه الرقة والبعد عن الوحشى والغريب " (٤) .

(١) الديوان ١٦/٢ .

(٢) اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص ٣٤٢ .

(٣) وهى مؤثرات سياسية وإقتصادية وسكانية وحضارية وزمانية ومكانية .

(٤) محاضرات فى الشعر العباسى للدكتور عسى أحمد الزبيدى ص ٢٧ - مطبع على الآلة الكاتبة - بغداد .

ولم يكن شعراء مأساة العمى بمعزل عما أصاب لغة الشعر من تطور وتجديد ، فقد اتجه الشعراء إلى تخير لغة عذبة رقيقة لا توعر فيها للتعبير عما يدور في نفوسهم من إحساس بالأسى والمرارة لفقد بصرهم ، يتضح ذلك من قول أبي يعقوب الخريمي في تصوير مأساة عماء : (١)

أصغى إلى قَائِدِي لِخَيْرِنِي      إِذَا التَّقَيْتَا عَمَّنْ يُخَيِّنِي  
أريدُ أَنْ أُعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ      أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالدُّونِ  
أسمعُ مَا لَا أرى فَأَكْثَرُهُ أَنْ      أَخْطِيءُ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَا مَوْنِ

ويلاحظ أن الألفاظ سهلة واضحة وأن الشاعر هجر الألفاظ الجزلة الوعرة الرصينة ليتلاءم مع لغة عصره .

ومن الأمثلة على اللغة السهلة أيضاً قول بشار بن برد : (٢)

يا قومُ أَلْنِي لِيُغْضِبَ الحَيُّ عَاشِقَةً      وَالأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحيَانَا  
قالوا:بمن لا تَرَى تَهْذِي،فقلتُ لهم      الأَذُنُ كالعَيْنِ تُوفِي القلبَ مَا كَانَ

ويلاحظ في الأبيات أن الإيقاع الموسيقي مرتبط بالغة ارتباطاً كاملاً . ومن ظواهر السهولة الإكثار من العبارات الإنشائية وخاصة النداء والأمر والاستفهام ، يتضح ذلك في قول أبي الشيبان : (٣)

يا نَفْسُ بَكِّي بِأدمعِ هُنَّ      وواكفِ كالجُمانِ فِي سَنَنِ

(١) ورقة ص ١١٢ .

(٢) ديوان بشار ٤/١٩٤ .

(٣) الأغاني ٤٠١/١٦ .

وقول الخريمى : (١)

كفى حزناً أنى لا أزورَ أحييتى من القرب إلا بالتكلف والجهد

وقول ابن التعاويذى يبكى فقد بصره : (٢)

مالى لا أبكى على فقديها بكاءً خنساءً على صخر

وقد لاحظ الصولى هذه السهولة فى الألفاظ عند الشعراء المحدثين حيث قال فى رسالته إلى مزاحم بن فائق : " اعلم أعزك الله أن ألفاظ المحدثين منذ عهد بشار إلى وقتنا هذا كالمثقلة إلى معان أبداع وألفاظ أقرب وكلام أرق " (٣) .

وهكذا يتضح لنا أن شعر مأساة العمى قد واكب التطور والتجديد الذى أصاب لغة الشعر بصفة عامة فى القرن الثانى الهجرى فاتجه إلى السهولة والرفقة وهجر الألفاظ اللوعرة القديمة .

أما الموسيقى فنجد أن الشعراء المكوفيين قد نوعوا فى أوزانهم الشعرية وإن كان أكثر شعرهم فى مأساة العمى نظم على الأوزان الطويلة لأن " الشاعر فى حالة اللباس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثيراً المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه " (٤) .

(١) الخيران ١٥١/٧ .

(٢) معجم الأدباء ٢٤٣/١٨ .

(٣) اختيار أبى تمام لأبى بكر عماد بن يحيى النورلى بتحقيق عجلون محمود عساكر وزميليه ص ١٦ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧ م .

(٤) موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٧٧ - ط القاهرة - مكتبة الأبحر المصرية ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢ م .

ومن أمثلة الأوزان الطويلة التي أكثر شعراء مأساة العمى من  
نظم شعرهم على موسيقاها " بحر الطويل " مثل مقطوعة الخريزمي التي  
يقول فيها: (١)

كفى حزننا أتى لا أزورَ أحييتي من القرب إلا بالتكلف والجهد

ومقطوعة ابن التعاويذي التي جاء فيها: (٢)

أظل حببياً في قرارة منزلي رهين أسى أنسى عليه وأصبح

وقول بشار أيضاً على موسيقى هذا البحر: (٣)

يُرَهِّتِي فِي حُبِّ عِدَّةٍ مَعْشَرٍ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالَفَةٌ قَلْبِي

ومن الأوزان الطويلة أيضاً التي استخدمها شعراء مأساة العمى " بحر  
البيسط " ومنه قول بشار بن برد: (٤)

يَا قَوْمُ أَدْنِي لِيُبْعِضِ الْحَىٰ عَاشِقَةً وَالْأَدْنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

وقوله أيضاً على موسيقى البحر نفسه: (٥)

قَالَتْ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَىٰ بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَثْرُ

(١) الديوان ١٥١/٧ .

(٢) نكت الحبان ص ٧٧ .

(٣) ديوان بشار ١٢/٤ .

(٤) الديوان ٢٣٤/٣ .

(٥) الديوان ١٥٩/٣ .

وهناك مقطوعات جاءت على وزن " بحر السريع " مثل  
مقطوعة ابن التعاويذى والتي يقول فيها : (١)

لقد رمتنى - رُميتَ بالأذى - بنكبةٍ قاصمةٍ الظُّهرِ

وكذلك على وزن " بحر المنسرح " مثل مقطوعة أبى الشيص  
التي جاء فيها : (٢)

يا نفسُ بكى بأدمعِ هُتُنِ . وواكبِ كالجُمانِ فى سَنَنِ

وبرغم أن شعراء مأساة العمى قد نظموا معظم شعرهم على  
موسيقى الأوزان الطويلة إلا أنهم لم يكونوا بمنأى عن التطوير والتجديد  
الذى أصاب موسيقى الشعر فى القرن الثانى الهجرى ، فجاءت بعض  
مقطوعاتهم الشعرية على موسيقى الأوزان القصيرة أو المجزوءة ومنها  
مقطوعة صالح بن عبد القدوس والتي جاءت على وزن " بحر الوافر "  
والتي جاء فيها : (٣)

عزاءك أيتها العينُ السُّكوبُ ودمعك إنها نُوبٌ تَنُوبُ

ومقطوعة ابن التعاويذى التي جاءت على وزن "مجزوء الكامل"  
والتي يقول فيها : (٤)

حلالانِ مسْتَنبى الحوادِ ثُ منهما بفجيعتينِ

(١) معجم الأدباء ١٨/٢٤٢

(٢) الأغاني ١٦/٤٠١

(٣) نكت الطيبان ص ٧١

(٤) معجم الأدباء ١٨/٢٤٣

وهكذا نجد شعراء مأساة العمى قد نوعوا في أوزانهم الشعرية ولم يحاولوا تثبيت لونها الشعرى على وزن من الأوزان لأن "محاولة تثبيت لون واحد لوزن من الأوزان جهد ضائع ، لأن الوزن وحده لا يمكن أن يضىفى على الشعر لوناً معيناً ولكن جميع عناصر الشكل تتحد فى إعطاء القصيدة لونها سواء أكان هذا اللون صارخاً تشيع فيه الفتنة ويتأجج بالشهوة ، أم كان هادئاً يتسم بالجد والرزانة " (١) .

بالإضافة إلى ذلك اهتم شعراء مأساة العمى بألوان البديع التى ينشأ عن معظمها إيقاع داخلى مثل الجناس والطباق والتكرار .

ويتضح الجناس بين (نوب) و (تنوب) فى قول صالح بن عبد القدوس : (٢)

عَزَاكَ أَيُّهَا الْعَيْنُ السُّكُوبُ      ودمعك إنها نُوبٌ تَنُوبُ

وبين (المراء) و (المروءة) فى قول بشار بن برد : (٣)

إِذَا أَبْصَرُ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتَّقَى      فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنِينَ لَيْسَ بِضَيْرٍ

أما الطباق فقد اهتم به شعراء مأساة العمى ، فنجد الخريمى يطابق بين (الشريف) و (الدون) فى قوله : (٤)

أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ      أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالدُّونِ

(١) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى امجرى ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

(٢) نكت اضمحان ص ٧١

(٣) ديوان بشار ٤/٥١ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٧٩

وأيضاً ابن التعاويذى يطابق بين (إظلام) و (ضياء) فى قوله : (١)

إظلامُ عينٍ فى ضياءٍ      ء من مشيبٍ سرمدين

وواضح أن الطباق يظهر المعنى ويقويه ويزيد الصورة جمالاً . أما التكرار فيتضح فى قول صالح بن عبد القدوس : (٢)

إذا ما مات بَعْضُكَ فابْكْ بَعْضاً      فإنَّ البَعْضَ مِنْ بَعْضِ قَرِيبٍ

ويلاحظ أن الشاعر كرر لفظة (البعض) أربع مرات فى بيت واحد . ومثله قول بشار بن برد : (٣)

يا قومُ أننى لبعضِ الحى عاشقَةٌ      والأذنُ تَعشَقُ قبلَ العينِ أحياناً  
قالوا بمن لا ترى تهذى ، فقلتُ لهم      الأذنُ كالعينِ تُوفى القلبُ ما كانا

فقد كرر (الأذن) ثلاث مرات فى البيتين . ومثله قول بشار أيضاً يكرر لفظة (القلب) أربع مرات فى بيتين وذلك فى قوله : (٤)

يُزَهِّدُنِي فى حبِّ عبدةِ معشرٍ      قلوبُهُمُ فيها مخالفةٌ قَلْبِي  
فقلتُ دعوا قلبى بما اختارَ وارتضى      فبالقلبِ لا بالعينِ يبصرُ ذو اللبِّ

(١) معجم الأدباء ٢٤٣/٨ .

(٢) نكت المبيان ص ٧٢ .

(٣) ديوان بشار ١٩٤/٤ .

(٤) الديوان ١٢/٤ .

وواضح أن تكرار بشار للفظتي (الأذن) و (القلب) كان مقصوداً  
ويدل على مدى إحساس الشاعر بفقده لبصره ، حتى وإن زعم أن  
الأذن والقلب قد يحل أي منهما محل البصر .

وهناك نوع آخر من البديع استخدمه شعراء مأساة العمى وهو  
رد العجز إلى الصدر، يتضح ذلك في قول صالح بن عبد القدوس : (١)

يُؤْمِنُنِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي وَمَا غَيْرُ الإِلهِ لَهَا طَبِيبُ

وقول ابن التعاويذي : (٢)

كَأَنِّي مَيِّتٌ لَا ضَرِيحَ لَجَنَبِهِ وَمَا كُلُّ مَيِّتٍ لَا أَبَالِكَ يَضْرَحُ

وهكذا يتضح لنا أن شعراء مأساة العمى قد نوعوا في أوزانهم  
الشعرية ، وإن كان معظم شعرهم قد اتجه إلى الأوزان الطويلة إلا أنهم لم  
يهملوا الأوزان القصيرة تمشياً مع حركة التجديد والتطور التي سادت في هذا  
القرن ، كما أنهم اهتموا بألوان البديع التي ينشأ عن معظمها ليقاع داخلي .

### الصورة والبناء الفني :

برع شعراء مأساة العمى في فن التصوير الشعري ، وكان التشبيه  
والاستعارة ركنين أساسيين اعتمد عليهما الشعراء العميان في إبراز صورهم،  
من ذلك قول الخريمي : (٣)

(١) نكت اضميان ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٣) الحيران ١٥١/٧ .

أَقَاسِي خُطُوبًا لَا يَقُومُ بِثِقَلِهَا      مِنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ ذِي مِرَّةٍ جَلْدُ  
فالخرمى يشبه الخطوب بحمل ثقيل يجد مشقة ومعاناة فى حمله ،  
ومثل ذلك قول صالح بن عبد القدوس : (١)

وَكُنْتُ كَرِيمَتِي ، وَسِرَاجَ وَجْهِهِ      وَكَانَتْ لِي بِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ  
حيث شبه عينه قبل أن يفقدها بأنها كانت سراج وجهه ، وهى  
صورة جديدة غير مألوفة فى الشعر العربى القديم . ومثل قول ابن  
التعاوىذى : (٢)

جَوْهَرَةٌ كُنْتُ ضَنِينًا بِهَا      نَفِيسَةَ الْقِيَمَةِ وَالْقَدْرِ  
حيث شبه عينه بالجوهرة النفسية القيمة والقدر ، وهى أيضاً من  
الصور الجديدة التى استحدثها شعراء مأساة العمى .

ومن الصور التى اهتم بها شعراء مأساة العمى ما كان يعتمد  
على الاستعارة ، مثل قول ابن التعاوىذى : (٣)

لَقَدْ رَمَتْنِي - رُمِيتُ بِالْأَذَى -      بِنَكْبَةٍ قَاصِمَةِ الظُّهُرِ  
فالشاعر يصور الأذى برمح يرمى به . ومثل قول بشار بن  
برد : (٤)

إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالتُّقَى      فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

(١) نكت الميمان ص ٧١ .

(٢) معجم الأدباء ٢٤٢/١٨ .

(٣) المصدر السابق الموضع نفسه .

(٤) ديوان بشار ٥١/٤ .

فقد شبه المروءة وهى أمر معنوى بشئ محسوس يبصر . ولقد توسع شعراء مأساة العمى فى الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم لبيثوا الحياة والحركة فى المعنويات، مثال ذلك قول صالح بن عبد القدوس: (١)

يَمُوتُ الْمَرءُ وَهُوَ يُعَدُّ حَيًّا وَيُخَلِّفُ ظَنَّهُ الْأَمَلُ الْكُذُوبُ

حيث شبه الشاعر الأمل بالإنسان الكذوب . ومثال ذلك قول ابن التعاويذى : (٢)

أَظَلُّ حَبِيساً فِي قَرَارَةِ مَنْزَلِي رَهِينِ أَسَى أُمْسَى عَلَيْهِ وَأُصْبِحُ

فقد شبه نفسه برهين لدى الأسى فلا يستطيع منه فكاكاً ، ومثله قول أبى الشَّيْبِ : (٣)

يَا نَفْسُ بَكِّى بِأَدْمَعِ هُتُنِ وَوَاكْفِ كَالْجُمَانِ فِي سَنَنِ

فالشاعر يجعل من نفسه شخصاً آخر يتناديه ويطلب منه أن يبكى على مصيبتة بأدمع غزيرة .

وهكذا يتضح لنا أن شعراء مأساة العمى اهتموا بالتشبيه والاستعارة وأنهم قد توسعوا فى الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم لبيثوا الحياة والحركة فى المعنويات .

(١) نكت الميمان ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٣) الأغاني ٤٠١/١٦ .

أما عن البناء الفني فنجد أن شعر مأساة العمى قد تحول - في الغالب - من نظام القصيدة إلى المقطوعة ذات الأبيات المحدودة ، وهو أكبر تطور آلت إليه القصيدة في القرن الثاني الهجري .

وقد أرجع الدكتور هدارة اختيار الشعراء للمقطوعات الصغيرة إلى سببين : أولهما طبيعة التطور الحضاري ، فكلمة تعقدت أسباب الحضارة وطرائق الحياة تسرب الملل إلى نفوس الناس من الأعمال الأدبية الكبيرة المطولة ولم يعد لديهم لا الاستعداد ولا الوقت في أن يستمعوا إلى قصائد طويلة كما كان الأقدمون يقفون في عكاظ والأسواق الأدبية الأخرى ، وثانيهما أن الشاعر أصبح يقتصر على فكرة معينة لا تستغرق في الغالب أكثر من أبيات معدودة (١) .

ولم تكن المقطوعة مقصورة على فن شعري دون آخر " وإنما كانت ظاهرة فنية في كثير من الشعر " (٢) .

ويلاحظ أن الوحدة العضوية قد تحققت في شعر مأساة العمى لأن الوحدة العضوية تكون أكثر وضوحاً في المقطوعات الشعرية لأنها كما يرى الدكتور عبد القادر القبط أشد تماسكاً من القصيدة الطويلة إذ إنها تعبر عن خاطرة أو حالة نفسية لها بعض التميز (٣) .

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري للدكتور يوسف خليف ص ٥٧٦ - ٥٧٧ نشر

دار الكتاب العربي - القاهرة - سنة ١٩٦٨م .

(٣) في الشعر الإسلامي والأمري للدكتور عبد القادر القبط ص ١٣٦ - ط دار النهضة - بيروت سنة

١٩٧٥م .

من ذلك مقطوعة أبى الشيص فى بكاء عينيه والتي يقول فيها : (١)

يا نفس بكى بأدمع هُننٍ      وواكفِ كالجُمانِ فى سَنَنِ  
على دليلى وقائدى وىدى      ونور وجهى وسائسِ البدنِ  
أبكى عليها بها مخافةً أن      تَقْرُننِي والظلامَ فى قَرَنِ

ويلاحظ أن المقطوعة الشعرية تقتصر على موضوع واحد مركز دون مقدمات ، كما أن وحدة المشاعر التى تهيمن عليها مترابطة لأنها تخدم غاية واحدة ألا وهى البكاء على فقد البصر .

---

(١) الأغاني ٤٠١/١٦

## الخاتمة

توصلت في هذا البحث إلى عدة نتائج أجملها في تلك الخاتمة . فقد ذكرت في المقدمة أن شعر مأساة العمى نوع من الشعر الذاتي الذي يعكف فيه الشاعر على نفسه محاولاً وصف مشاعره وأحاسيسه ، وبعد ذلك بينت سبب اختيار هذا البحث ودراسته .

ثم تحدثت عن شعر مأساة العمى في القرن الثاني الهجري فنذكرت أن معظم الشعراء الذين ابتلوا بهذه المأساة عاشوا في معاناة وحسرة وترجموا ذلك في أشعارهم إلا أن هناك شاعراً حاول أن يوهمنا أن عاهته لم تكن لها أدنى تأثير سلبي على حياته بل كانت سبب نبوغه وتفوقه وهو بشار بن برد ، ولكن من خلال دراستنا لأشعاره اتضح لنا أن ذلك كان تعويضاً عن النقص الذي كان يشعر به ، فأشعاره توضح مدى المعاناة والمرارة التي كان يحسها من جراء هذه المأساة .

وبعد ذلك انتقلت إلى دراسة الخصائص الفنية في هذا الشعر فتناولت عدداً من القضايا مثل الصدق الفني ونكرت أن الصدق الفني كان واضحاً عند كثير من الشعراء المكفوفين عندما ينعون فقد بصرهم، غير أن هناك من الشعراء المكفوفين من لم يلتزم بالصدق الفني مثل بشار بن برد الذي نسي أو تناسى أنه أعمى فنكر أن عينه تشفى برؤية صاحبتة وأن نظره تأنى فيها ملياً ، وعينه أسلمته إليها ، وغير ذلك من الأقوال ، وهو الذي لم ير الدنيا قط .

ثم تحدثت عن اللغة فنذكرت أن اللغة في شعر مأساة العمى لم تكن بمعزل عن التطور والتجديد الذي أصاب اللغة في القرن الثاني الهجري ، ثم درست الظواهر اللغوية التي اتسم بها شعر مأساة العمى وكان أبرزها هجر

الألفاظ الوعرة القديمة وتخير لغة سهلة بسيطة للتعبير عن مأساتهم وكذلك الإكثار من استخدام العبارات الإنشائية وخاصة النداء والأمر والاستفهام .

ثم تحدثت عن الموسيقى فنكرت أن الشعراء المكفوفين قد نوعوا في أوزانهم الشعرية ولم يحاولوا تثبيت لونها الشعرى على وزن من الأوزان ، ثم تحدثت عن ألوان البديع في هذا الشعر والذي يسهم في الموسيقى الداخلية كالجناس والطباق والتكرار .

وبعد ذلك أبرزت عناصر الصورة الفنية في هذا الشعر ، ونكرت أن الشعراء العميان قد برعوا في التصوير الشعرى ، وكان التشبيه والاستعارة ركنين أساسيين اعتمدا عليهما في إبراز صورهم ، وبينت أن هؤلاء الشعراء قد توسعوا في الاستعارة فلجأوا إلى التشخيص والتجسيم ليبتثوا الحياة والحركة في الأشياء المعنوية .

وبعد ذلك تحدثت عن البناء الفنى فى هذا الشعر فنكرت أن شعر مأساة العمى اتجه فى الغالب إلى نظام المقطوعة الشعرية وذلك يرجع إلى سببين : أحدهما طبيعة التطور الحضارى وثانيهما أن هذا الشعر يقتصر فيه الشاعر على موضوع واحد مركز وهو ما أدى - بطبيعة الحال - إلى الوحدة العضوية ، وهو أكبر تطور آلت إليه القصيدة فى القرن الثانى الهجرى .

وبهذا أكون قد أتيت إلى نهاية البحث، والحمد لله أولاً وأخيراً ،  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

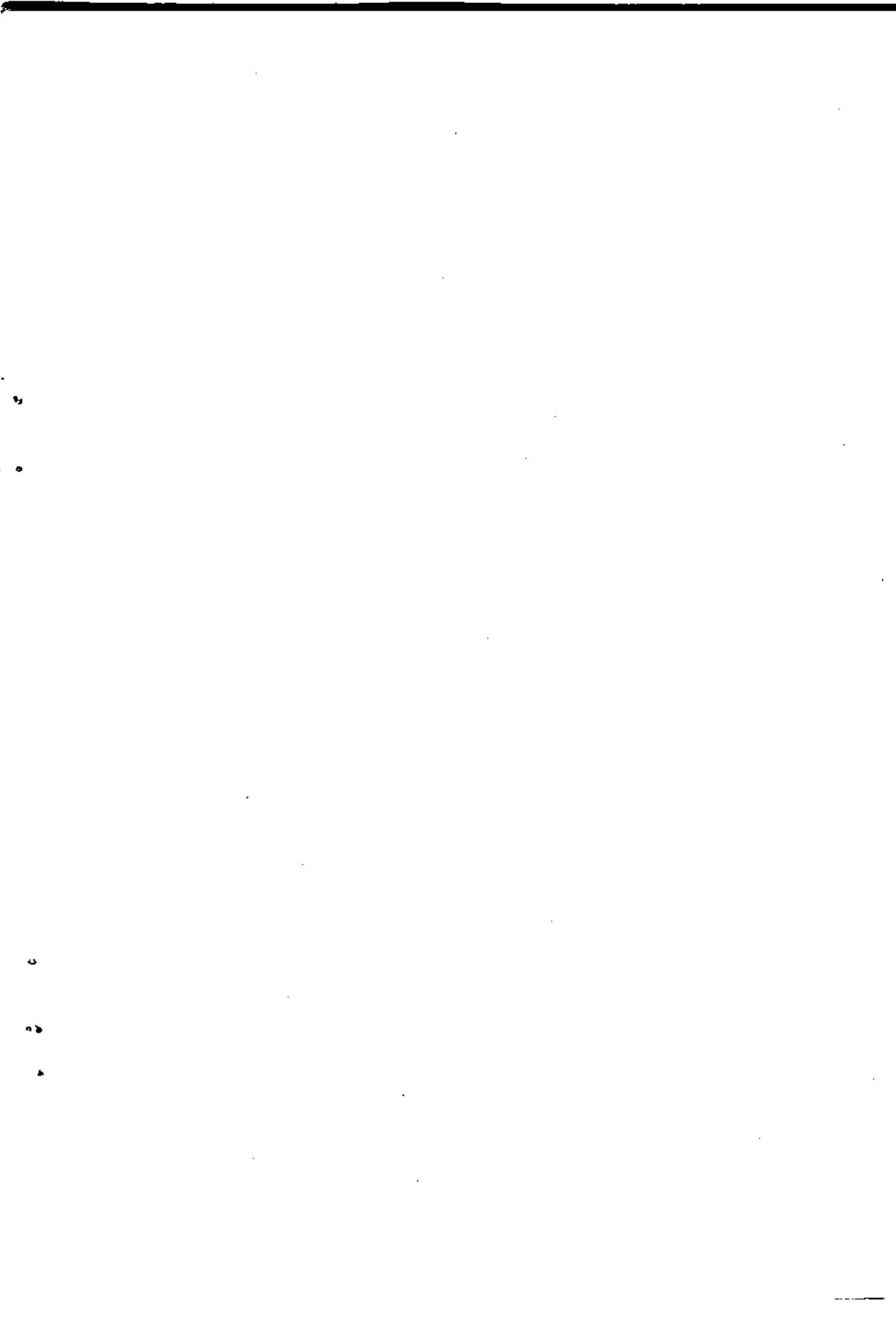
وعلى الله الاعتماد وهو نعم الوكيل .

## المصادر والمراجع

- ١ - اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثانى الهجرى للدكتور محمد مصطفى هدارة ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م .
- ٢ - اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى للدكتور يوسف حسين بكار ، ط دار المعارف بمصر ، د . ت .
- ٣ - أخبار أبى تمام لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى بتحقيق خليل محمود عساكر وزميليه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧م .
- ٤ - أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى - ط القاهرة - مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م الطبعة الخامسة .
- ٥ - الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٩٣م .
- ٦ - بشار بن برد لإبراهيم عبد القادر المازنى - سلسلة أعلام العرب - ط دار إحياء التراث العربية ، عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د . ت .
- ٧ - تجديد نكرى أبى العلاء المعرى للدكتور طه حسين - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٥١م .
- ٨ - حديث الأربعاء للدكتور طه حسين - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٩٣م ، الطبعة الحادية عشرة .
- ٩ - حياة الشعر فى الكوفة حتى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور يوسف خليل - نشر دار الكاتب العربى - القاهرة سنة ١٩٦٨م .

- ١٠- الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون - نشر المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت سنة ١٩٦٩م .
- ١١- ديوان بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور - ط القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ، الجزء الثانى سنة ١٩٥٤م ، الجزء الثالث سنة ١٩٥٧م ، الجزء الرابع سنة ١٩٦٦م .
- ١٢- سيكولوجية المرضى ونوى العاهات للدكتور مختار حمزة - ط دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٦٩م .
- ١٣- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق مفيد محمد قميحة - ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٥م ، الطبعة الثانية .
- ١٤- الشعر والشعراء فى العصر العباسى للدكتور مصطفى الشكعة - ط دار العلم للملايين - بيروت، سنة ١٩٧٣م، الطبعة الأولى .
- ١٥- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، نشر دار المعارف بمصر ، د . ت .
- ١٦- طه حسين بصيرا للدكتور محمد صادق الكاشف-مكتبة الخانجي- القاهرة سنة ١٩٨٧م ، سنة ١٤٠٧هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٧- العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف - ط دار المعارف بمصر - سنة ١٩٦٦م ، الطبعة العاشرة .
- ١٨- العمدة فى صناعة الشعر ونفده لابن رشيق القيروانى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة حجازى بالقاهرة - سنة ١٩٣٤ ، الطبعة الأولى .

- ١٩- فى الشعر الإسلامى والأمرى للدكتور عبد القادر القط - ط دار النهضة - بيروت سنة ١٩٧٥م .
- ٢٠- محاضرات فى الشعر العباسى للدكتور على أحمد الزبيدى - مطبوع على الآلة الكاتبة - بغداد ، د . ت .
- ٢١- معجم الأدباء لياقوت الحموى - ط القاهرة - مطبعة عيسى الحلبي ، د . ت .
- ٢٢- موسيقى الشعر العربى للدكتور إبراهيم أنيس - ط القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٢م الطبعة الرابعة .
- ٢٣- نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى تحقيق أحمد زكى باشا - القاهرة - المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩هـ .
- ٢٤- الورقة لابن الجراح تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج - ط دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ، د . ت .
- ٢٥- وظيفة الألب للدكتور محمد النويهي ، مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .



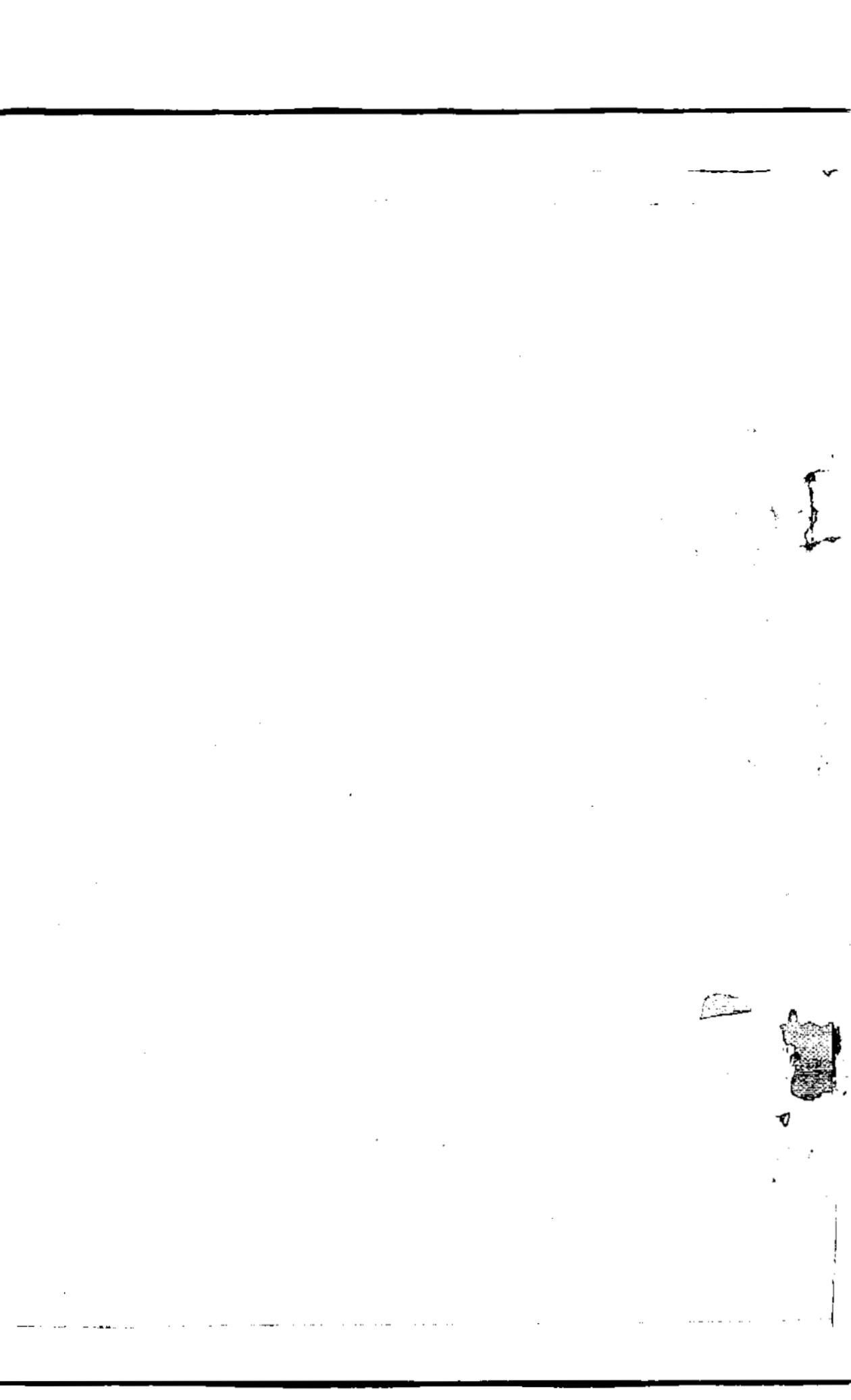
Geographic Differentials of Fertility levels  
in Some Villages of the Newly Reclaimed Area  
of Sugar Beet, South of Alexandria

By

*Dr. Fayez Mohammed El Essawy*

*Assistant Professor at  
the Geography Dept.,  
Faculty of Arts, Alexandria University*

1999



-----

**Geographic Differentials of Fertility levels  
in Some Villages of the Newly Reclaimed Area  
of Sugar Beet, South of Alexandria**

**By**

*Dr. Fayez Mohammed El Essawy\**

**Introduction:**

There has been a significant decline in the total fertility rate in Egypt since 1980. The total fertility rate dropped from 5.28 children per woman in 1980 to 3.7 in 1995, indicating 29 percent decline for the whole period, or an average of 1.9 per cent decline per year (Abd El Maksoud, M. 1998) —

Vital statistics, which have been made accurate only recently, refer to a persistent high birth rate of about 29 per thousand inhabitants. The general fertility rate was about 3.6 children per women in 1997. Evidently these are very high (nearly the double) rates compared with the rate of the developed countries (U.N. 1997).

Population growth and pressure had an overbearing influence on the development programmes of Egypt. The death rate is decreasing to its lowest level (7 per thousand), and the birth rate is high (28 per thousand) in 1997. The result is a high natural increase rate and a high growth rate of population. Rapid population growth contributes to stagnation or even lowers the socio-economic standards in the country. At the same time Socio-economic factors are the main reasons responsible for the high fertility rates. This is one of the topics which should be examined by population geographers

**Objectives of the Study**

The main objectives of the study can be outlined as follows:

- I - Estimating the total fertility rate and describing the shape of age specific fertility rates.
- II- Investigating the effect of some of the major socio-economic and demographic factors relating to fertility in this new rural area .

---

\* Assistant Professor at the Geography Dept. Faculty of Arts, Alexandria University



III- Examining the attitudes of wives towards family planning and the desired number of children.

### Sources of Data

The data upon which this research is based was obtained by fieldwork studies conducted in February 1998. A detailed questionnaire of 16 questions was designed and distributed to obtain information about year at marriage, educational attainment of husband and wife, occupation of husband and wife (if any), numbers of pregnancies, live births, marital status, and a variety of other relevant information. 523 questionnaires distributed to cover the study area as follows: 200 for El Basra, 167 for Prophet Mousa village and 147 questionnaires for Prophet Haroun village. A full enumeration of all the population of the selected villages has been carried out between 16 – 27 of February 1998.

### Areal Units:

The researcher has chosen three villages of the newly reclaimed land which called "Sugar Beet Project" or graduates' villages (27 villages). As shown in Fig. (1), this area is located southern to Alexandria city, 40-50 Kms. away from the city on the desert highway of Alexandria-Cairo. The selected villages are El-Basra (7 kms to the west of Cairo-Alexandria desert highway), Prophet Mousa or the village no. 6 (12 kms., to the west of the desert highway) and Prophet Haroun or village no. 7 (14 kms. to the west of the desert high way) as shown in Fig. (1).

Some geographic characteristics that have been illustrated in table (1) and Fig (2) to facilitate the interpretation of fertility levels in the study area.

**Table (1) Some Geographic Characteristics of The Study Area, 1998.**

Villages	Cultivated Area (feddan)	Land's Ownership %		Total Population "Persons"	Establishing Year
		Graduates	Utilizers		
El-Basra	1206	33.2	66.8	2370	1964
P. Mousa	1182	26.8	73.2	1722	1986
P. Haroun	1095	22.1	77.98	1138	1986

*Source: Computed from the field work study conducted in February 1998.*

The population of this area consists of migrants who come from upper Egypt and The Nile deltaic governorates, mainly from Alexandria,

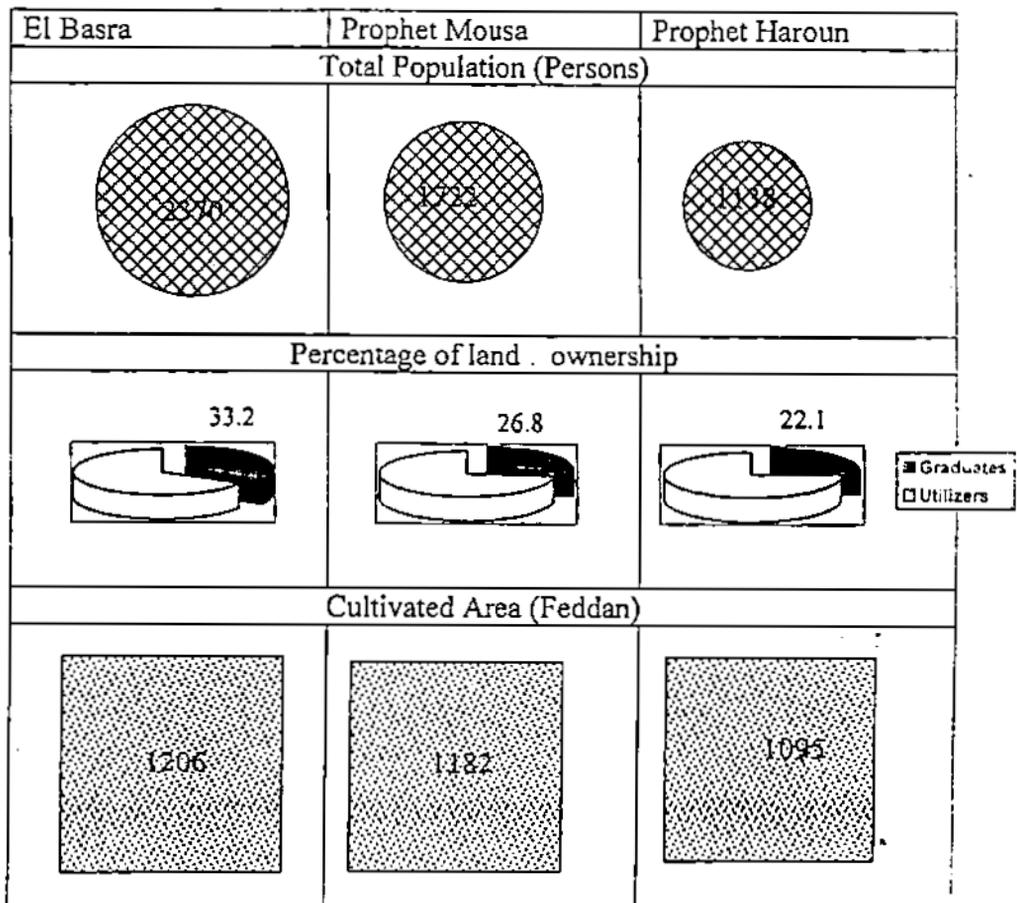


Fig. (2) Some Geographical features of the study area

Behira, Kafr El Shiekh, Cairo, Menoufiya, Sohag, Dakahliya and Suez. Some of these migrants come from Urban centers while the extreme majority from rural areas. Some of them are university graduates and others are farmers called (utilizers). This cultural mosaic of migrants affected the level of fertility in the study area as shown later

### I – Age Patterns of Fertility

There are various methods of measuring the fertility of population such the: crude birth rate, age-specific fertility rate (ASFR), total fertility rate (TFR), Child-woman ratio or child ever born (Omran 1980).

The age specific fertility rate (ASFR) requires the knowledge of the number of birth, in different age groups of women, between 15 to 49 years. The total fertility rate (TFR) is derived from the ASFR and the average number of births per women during their entire reproductive span.

Age-specific fertility rates reveal two facts about the productive behaviour of population, namely the area and the shape of the fertility curves presented by these rates. The shape of fertility curve is determined by biological and social factors (Nassef, A., 1971). It also reflects the geographical circumstances of the population.

Comparing the age patterns of fertility with the population of the study area as shown in table (2), we can conclude that there are little significant differences between the three villages of the study area. The total

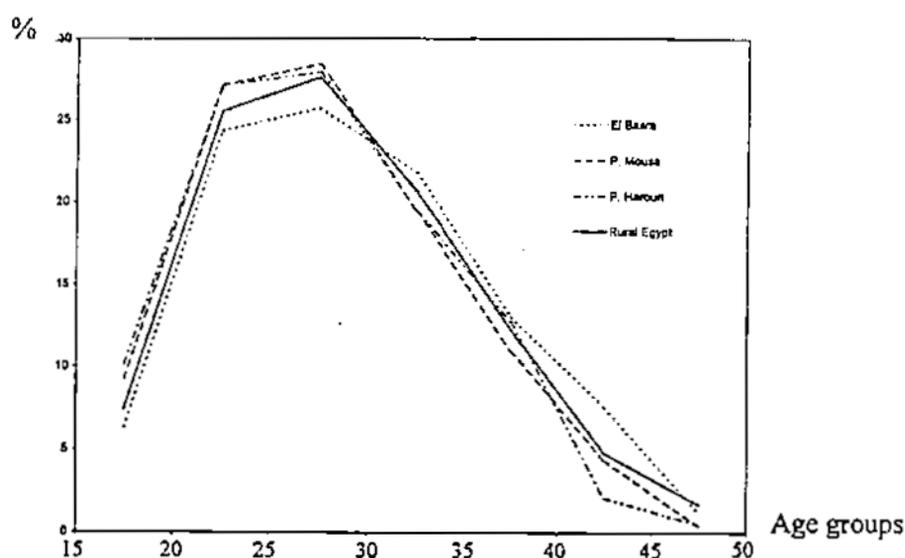
Table (2) Age-Specific Fertility rates in villages of Sugar beet Area, 1996

Age – Groups	Age Specific Fertility Rates			
	El Basra	P. Mousa	P. Haroun	Rural Egypt
15 – 19 years	6.3	9.2	10.1	7.4
20-24	24.3	27.1	27.1	25.5
25-29	25.7	28.4	27.9	27.6
30-34	21.8	19.5	19.5	20.7
35-39	13.1	11.0	12.8	12.3
40-44	7.6	4.4	2.1	4.8
45 and more	1.2	0.4	0.5	1.7
Total %	100	100	100	100
Total fertility	3.5	3.8	3.9	4.1

Source: calculated according to the field work study

Data of rural Egypt: (Abd El-Maksoud, 1996)

fertility rate ranges from 3.5 live birth in El Basra to 3.8 and 3.9 children/woman in P. Mousa and P. Haroun respectively. The TFR in the areas is lower than that of rural Egypt (4.1 children/woman).



*Fig. (3) Age Specific Currently Married Fertility Rates by Age of Women in the Study Area, 1998.*

As shown in Fig. (3) the pattern of age specific fertility rate of the study area belongs to broad peak type (Age specific fertility rates in age groups 20-24 and 25-29 differ only slightly). The maximum fertility rate is that of age group 25-29 followed by 20-24 (Table 2) in the both of P. Mousa and El Basra villages, while in P. Haroun the maximum is in age groups 20-24 followed by 25-29.

It is clear that the relative concentration of the fertility distribution at different ages in the study area is high in the young age groups, (between 15-29). Villages of P. Mousa and P. Haroun, do not differ greatly in their fertility pattern, where 64.7 and 65.1 per cent respectively, concentrated in the young age groups. In El Basra village there are some variations where only 56% of its fertility concentrated in the age group 15-29. This decline is due to its low percentage of married woman in young ages (Table 3).

### The Effect of Some Socio-Economic factors on Fertility in the Study Area

The study of fertility differentials is an important part of fertility study to geographers. The aim of this study is to find out the relation between fertility and socio-economic level.

There are several indicators of economic and social development. In Population Bulletin of the United Nations No. 7, 1963, about twelve indicators were used to study the relationship between level of fertility and development (Hanaa, B. 1971).

This paper will examine and investigate the effect of the major socio-economic on demographic factors relating to fertility in three villages of a new reclaimed area. These villages considered good case study that represent the whole country, where its population derived from many governorates. These villages have been taken as a sample to show the extent to which manipulation of these factors could account for corresponding change in reproductive behaviour of couples in the new rural societies.

This study, will declare and approve the relationship between some fertility determinants and socio-economic variable and their relation with children ever born. These chosen variables are:

- 1 – Age at marriage
- 2 – Female's education
- 3 – Occupational status of husbands

#### 1 – Age at marriage

Age at first marriage has been recognised as an important factor affecting human fertility. Since the reproductive period of men is longer than that of women, and since the fertility measures are always based mainly on the reproduction of them. Women who marry late (toward 25 or 30 years old) tend to have fewer children than those who marry early (less than 20 years old). Late marriage reduces the growth rate of the population because it results in a shortening of the fecund period when pregnancies are possible, and also in spacing (lengthening of" the period between births. (Mosley, W. and Becker, S. , 1982).

Before we deal with age at marriage as a factor affecting fertility, the researcher, will try to throw some light on the pattern of marriage according to the questionnaire's data which has been conducted on the

villages of the study area. Many facts can be derived about the distribution of women's age according to their marital status as:

- 1- The overwhelming majority of female at age (15-49) are married. More than 90 percent of the total females are married (P. Mousa 90.2% , P. Haroun 91.5 and El Basra 88.6%) during the child-bearing ages.

Table (3) Percentage of Ever Married Women  
by Age in Graduate's Villages, 1998

Villages	Less than 20 years	20-24	25 and more	Total	
				%	No.
El – Basra	64.0	33.5	2.5	100	200
P. Mousa	81.5	17.8	0.7	100	176
P. Haroun	88.1	11.2	0.7	100	147

Source: Computed according to the field work study.

- 2- As shown in Table (3) and Fig. (4), the percentage of Ever married women in the age group less than 20 years is high. It is a salient phenomena among the females in both Prophet Haroun village (88.1%) and Prophet Mousa village (81.5%). The percentage is quite lower in the village of El Basra (64%). That is because the majority of them are illiterate. Woman who delay marriage because exposed, through education or employment to certain influence that provide alternatives to childbearing with an affect that their fertility desires are reduced (Zaid, M., 1997).

Women who married younger at less than 20 years are more fertile than those who married at older age . Table (4) shows that the percent age of the women who have children ever born between 1–3 children is between 34–39.1% compared with 62.6 and 46 percent if they marry at 20–24 years old, and reach between 80 – 100 per cent if they marry at 25 years old and more in the study area. Women who marry at age below 20 years and have (8 children and more) represent 21.% in El – Basra village, 23.5 % in Prophet Mousa village , and 26.1 % in Prophet Haroun village. These percentage are higher than that of those who marry at age between 20-24 years old which represent 4.5 %, 15 .2 and 26% (respectively ).

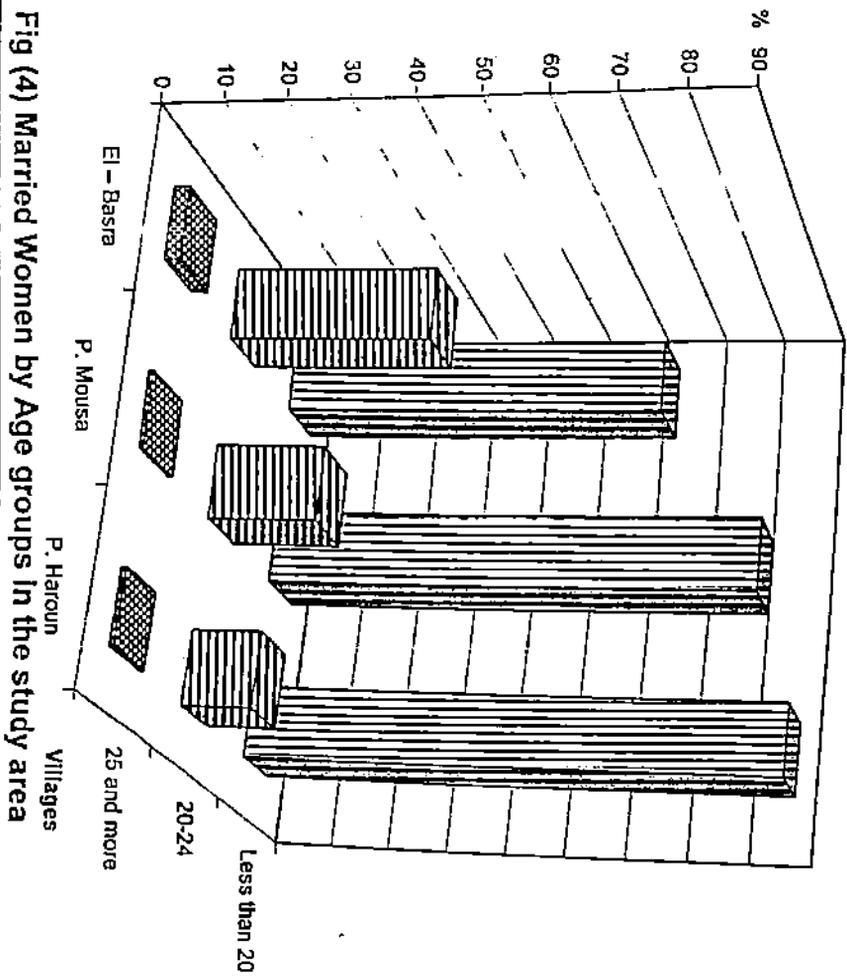


Fig (4) Married Women by Age groups In the study area

■ 25 and more  
 ▨ 20-24  
 □ Less than 20

Table (4) Distribution of Married Women by Children Ever Born and Age at Marriage in the Study Area , 1998

Age At Marriage		1-3	4-5	6-7	8 children and more	No. Of women	% Total
El-Basra	>20	39.1	24.2	15.6	21.1	128	100
	20-24	62.6	28.4	4.5	4.5	67	100
	25 and more	80.0	-	20.0	-	5	100
P. Mousa	>20	34.0	22.0	20.5	23.5	143	100
	20-24	46.0	31.1	7.7	15.2	31	100
	25 and more	100	-	-	-	2	100
P. Haroun	>20	37.0	19.3	17.6	26.1	119	100
	20-24	29.7	25.1	19.2	26.0	26	100
	25 and more	70.0	30.0	-	-	2	100
Egypt	>20	40.4	26.4	18.7	14.6	6418	100
	20-24	61.9	23.9	9.6	4.6	2601	100
	25 and more	80.1	16.2	2.6	1.1	798	100

Source : (1) computed according to the field work study  
 (2) Data of Egypt : (Zaid , M., 1997)

As a result of the large number of females that get married at young ages in the area compared with the whole of Egypt, the percentage of women who marry at age below 20 years old and have 8 children and more are higher. The percentage of Egypt as a whole was lower than those of study area (only 14.6) as shown in table (4).

The study of the average number of children ever born by woman's age at marriage reveals that women who married younger at less than 20 years of age have approximately 4.2 children per women in El- Basra , 5.1 children per woman in P. Mousa village and 5.3 children / woman in P. Haroun village Fig (5 ).

Women who are married at age 20-24 years old have lower number of children. The mean number of children ever born by woman's age at marriage is fluctuating between 3.7 in P. Mousa village and 3.1 in El-Basra, while it is 3.4 in Haroun village. Women who get married at late

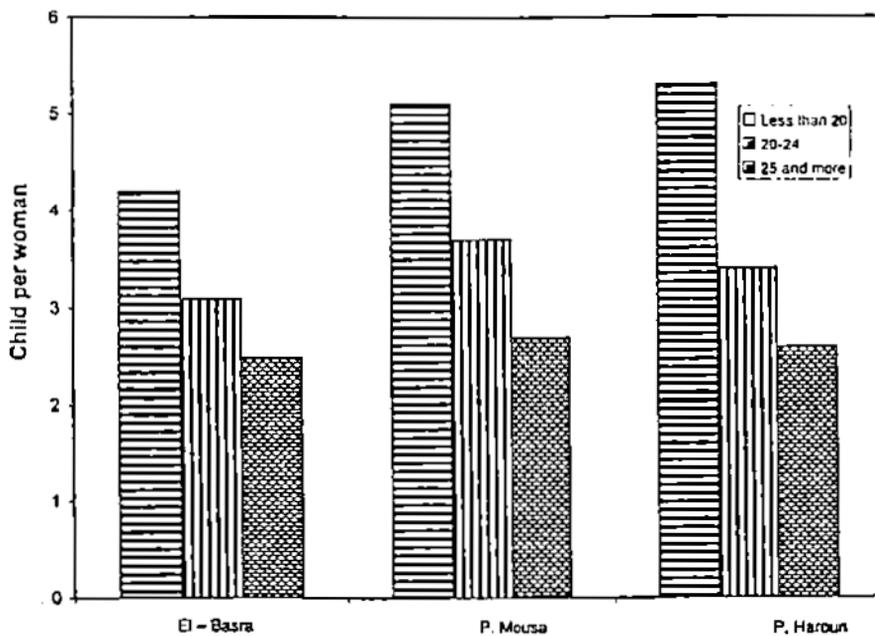


Fig (5) Average Number of Children Ever Born by Women's Age at Marriage in the Study Area, 1998.

age 25 years old and more have ( nearly the same ) 2.5 children per women, and decreases to less than 1.7 for those of 30 years or more . However , age at marriage showed a clear effect on fertility variation in the study area. There is a strong negative relationship between age at marriage and number of children ever born according to Sperman's correlation coefficient ( 0.78 and more) in the villages of the study area .

## 2 – Female's Education

Research has demonstrated that education particularly of females is inversely related to fertility. This correlation is higher than that of other variables. ( De Tray, D., 1980 ).

There is a strong positive correlation between educational attainment and the average number of children ever born per married woman. This is particularly clear in the case of a long period of marriage, for after a period of 30 years of marriage we find that illiterate women have nearly the double number of children rather than that of women with university education. The correlation coefficient reaches not less than 0.95 among the villages of the study area.

Before dealing with the effect of education on fertility of this newly reclaimed area., the researcher will try to emphasize some facts about levels of education among females in the study area as follows:

1- Except for El - Basra (55%) , more them 80 per cent of women in the other two villages are illiterate .

Table (5) Educational Status of Wives in the Study Area , 1998

Educational Status	El - Basra	P. Mousa	P. Haroun
Illiterate	55	80.7	86.3
Read & Write	18.5	13.1	8.2
Prep. & secondary	21.0	5.6	4.8
University	5.5	0.3	0.7
Total %	100	100	100
Total NO. Of wives	200	176	147

Source : computed from the questionnaire data conducted in February 1998 .

- 2- The preparatory and secondary school educated women represent not more than 6% in the villages of P. Mousa and P. Haroun, While it reaches 21 percent in El- Basra villages .
- 3- The percentage of university educated women is very low in both P. Mousa and P. Haroun ( 0.3 - 0.7% respectively ), but the percentage rose to 5.5 among women in El-Basra village .
- 4- The proportion of literate female was less than 6% in previous two villages , but it increases to more than one quarter of the total female of El-Basra villages due to some of the cultivated land was distributed to some university graduates (most of them are married literate wives). It is worth noting that the overwhelming majority of the graduates has deserted the villages of P. Mousa and Haroun and hired their cultivated land to farmers. In contrast with many of them who are still living in El-Basra villages.

There is an obvious relation between educational status of female and the mean number of children ever born per married women . Table 6 shows that the literate woman is more productive than the illiterate .

The figures of table (6) can be restricted to two categories: The First includes illiterate and woman who can read and write, The second includes the literate women (Prep., secondary and university ).

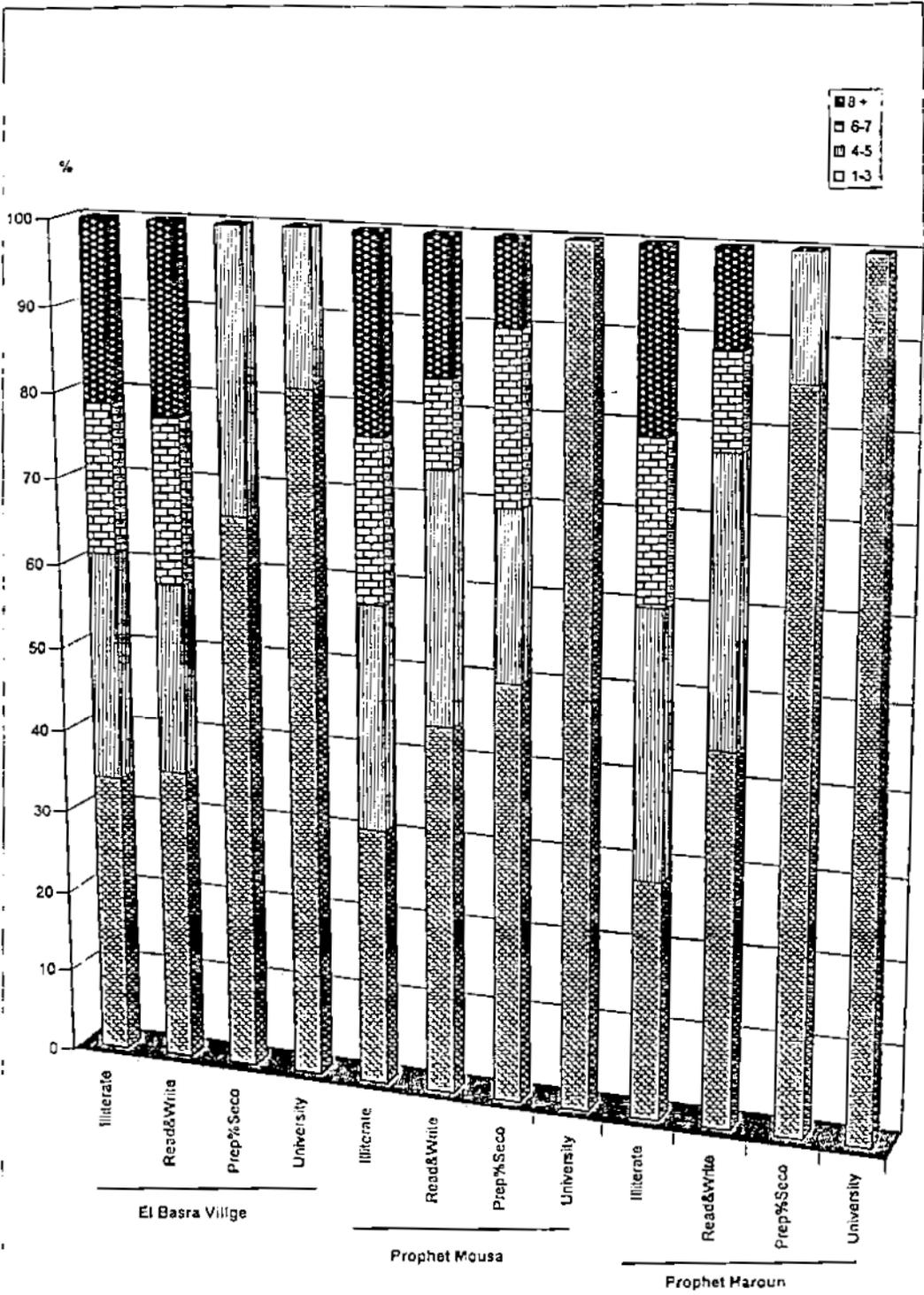


Fig. 6. Married Women by Children Everborn and educational status

The percentage of women who have 1-3 children increase with the level of education, the lowest level is connected with illiterate and women who can read and write ( the first category ) in all villages ( between 28.5 to 44.5%), In contrast, with that the highest percentage among the literate (the second category ) in all villages reached 100% among the university graduates .

**Table (6) Distribution of Married Women by Children Everborn and Educational Status in the Study Area , 1998.**

Village	Educational Status	1-3	4-5	6-7	8 Children and more	Total %	No. of women
El-Basra	Illiterate	34.0	27.1	17.5	21.4	100	110
	Read & Write	35.4	22.6	19.4	22.6	100	37
	Prep.&Secon.	66.7	33.3	-	-	100	42
	University	81.8	18.2	-	-	100	11
P. Mousa	Illiterate	31.0	26.8	19.0	23.2	100	142
	Read & Write	44.2	29.5	10.3	16.0	100	23
	Prep.&Secon.	50.0	20.0	20	10.0	100	10
	University	100	-	-	-	100	1
P. Haroun	Illiterate	28.5	31.7	18.7	21.1	100	126
	Read & Write	44.5	33.3	11.1	11.1	100	13
	Prep.&Secon.	85.7	14.3	-	-	100	7
	University	100	-	-	-	100	1

*Sourse : Computed from the questionnaire data conducted in February , 1998*

The percentage of women who have more than 6 children ever born, is high among illiterate (between 39 in El-Basra and 42% in P.Mousa village). On the other side it disappeared among women with high education .

This means that the small size family is preferred among the educated wives, by contrast the large number of children ever born connected with the illiterate .

According to the data conducted form the field work study , the researcher found that the percentage of illiterate wives who have more

than 10 children ever born fluctuated between 9% in Basra and 13.5% in P. Haroun villages.

With increase in educational status, the average number of children ever born declined. Illiterate women had an average of 4.9 children in El-Basra, 5.0 and 5.2 children in P. Mousa and Prophet Haroun respectively (the average of Egypt is 4.5). Women who have any educational level have a lower average of children. The data conducted from the questionnaire as presented in Fig (7) shows that women who are able to read and write have an average of children between 3.3 and 3.8. Wives with a higher level of education have less average number of children ever born. It is about 3.0 children per women for preparatory and secondary levels.

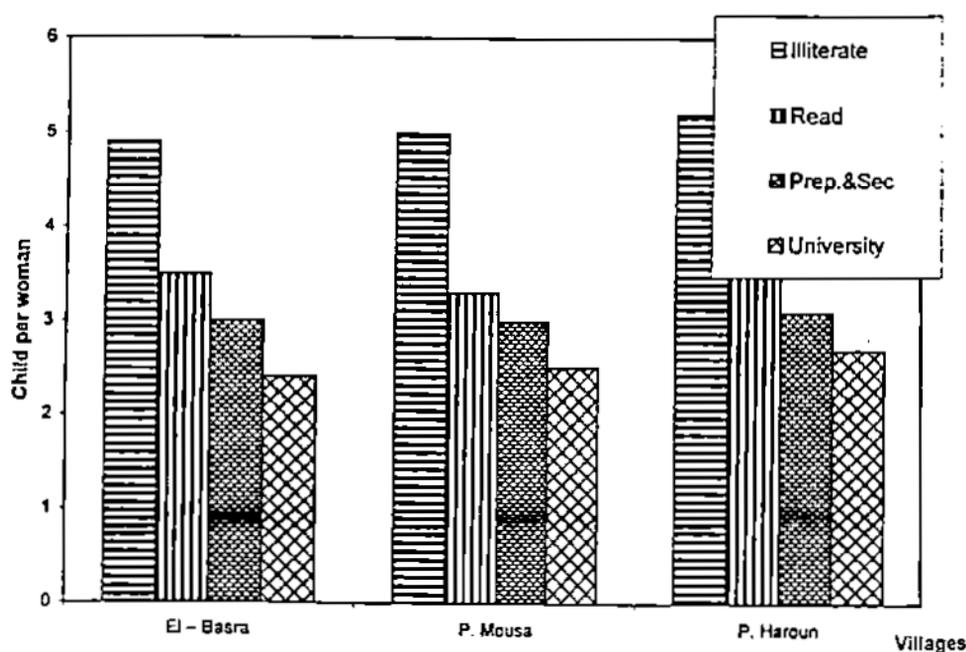


Fig (7) Average number of children ever born by educational status of wives in the study area, 1998.

The lowest average of children is among wives of higher education, it is nearly the half of that are of illiterate. It is fluctuating

---

between 2.4 and 2.7 children per woman . Meanwhile the average number of Egypt as a whole is 2.2 children per woman.

Comparing the average number of living children according to educational levels of women and educational levels of husbands, the later seems to have less effect on the average number of children than that of women.

It is worth noting that women's fertility varies greatly according to the different social, demographic and economic factors. Among the factors affecting these rates is the education level of women, for the educated wife is more apt to believe in family planning and to realise its importance and its advantage to her small family.

### 3- Fertility Differentials by Occupation

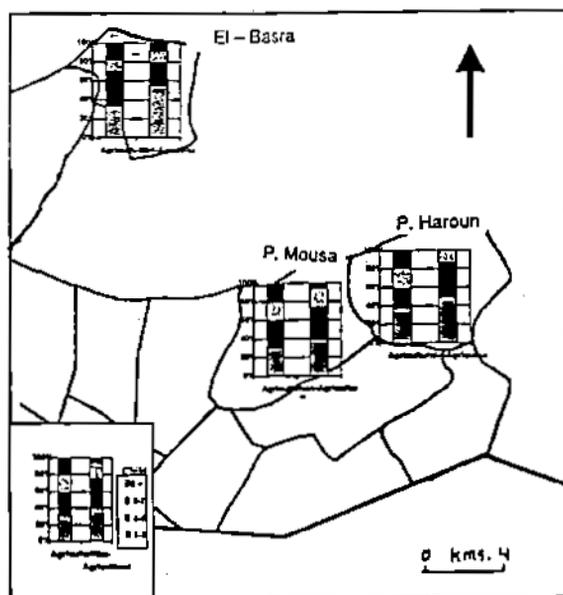
Occupation, especially of the husband, has been long used as an index of socio-economic status in the study of fertility differentials. There are some Demographers who maintain that occupation delineates style of life more sharply than does education (Grabill, W. et. al , 1958)

The economy of the chosen village of the newly reclaimed area of Sugar Beet depends basically on agriculture. Hence agriculture is the dominant occupation. About 89% of the house holders of Prophet Haroun village engaged in the agrarian activities. Most of them are farmers migrated from El. Behira, Kafr El Sheikh and Dakahliya governorates (85% of the total farmers in the village).

The proportion of workers who work in agriculture in P. Mousa village is estimated according to the questionnaire data of about 84.9%. most of them are migrants from El-Behiera, Dakhliya, Kafr El Sheikh , Alexandria and Menoufia governorates

In El-Basra village, the researcher observed that farmers and graduates who work in agrarian activity constitute about two thirds of the total labour force in the village. Most of them migrated to the area from Alexandria, EL Behiera, Sohag and Cairo governorates.

The average number of children ever born of married women by current occupation of husbands was computed for each village of the study area. It is obvious from table (7) that the group of agricultural occupation has higher fertility than that of the group of non-agricultural occupations.



*Fig (8) Percentage of Children Everborn of Married Women by husband's working in Agricultural works*

**Table (7) Percentage of Married Women by children Ever born and Husband's Occupation in the study area**

Village	Occupation	1-3	4-5	6-7	8 children and more	Total
El-Basra	Agricultural	37.7	36.6	11.9	17.8	100
	Non-Agricultural	55.0	24.4	11.6	8.9	100
Prophet	Agricultural	30.3	29.4	19.3	21.0	100
Mousa	Non-Agricultural	57.6	24.5	13.5	4.4	100
Prophet	Agricultural	36.7	22.2	21.4	19.7	100
Haroon	Non-Agricultural	69.2	23.1	7.7	-	100

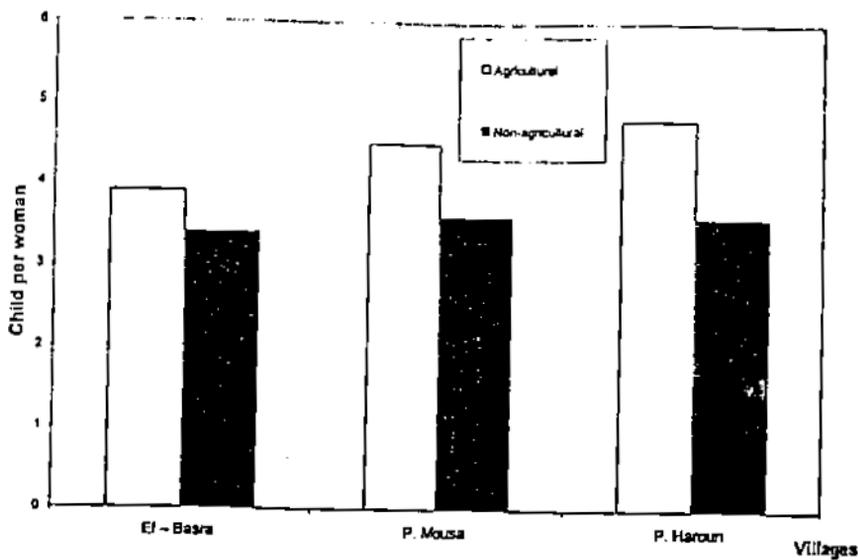
*Source: Computed from the questionnaire data conducted in February 1998*

The percentage of the wives of men working in Agricultural activity and has more than 6 children ever born is high. More than 40% of them have large-size family in both of P. haroun and P. Mousa villages (Fig. 8). In El-Basra village the percentage is quite lower (29.7). That is due to many percentage is quite lower (29.7). That is due to many graduates still live in this village and naturally prefer the small size family.

In the other side, the percentage of married women by non-agricultural occupations and that have more than 6 children ever born is lower. Not more than 12% of three wives have large family (P. Mousa 11.8% and Haroun village 7.7). As shown in fig(8) and table (7) the percentage of El Basra village is higher, it reached about fifth of the total number of the wives.

Data conducted from the questionnaire showed that wives of husbands working in non-agricultural works who have children ever born between 1-3 Children is more than 55 per cent are the total and vice versa. The percentage is lower among the wives of husbands in agrarian activities. The percentage does not exceed one third of them.

It is obvious that there are some differences in women fertility according to the previous occupational groups. Wives of farmers and agricultural works have the highest average number of children (except for the agrarian engineers 2.75 child/woman). As shown in fig (9) the



*Fig. (9) Average Number of Children Everborn by Wives Of agricultural and Non-Agricultural Activities in the Study Area*

average is fluctuating between 3.9 child/women in El Basra, 4.5 in P. Mousa, and 4.8 Children per woman in haroun village. The average of El Basra is the lowest due to the decreasing average among the graduates which constitute about one third of the total housholders in the village (Table 1).

Wives of men working in non-agricultural works have relatively low average, it is nearly the same in the three villages, whereas this category includes teachers, doctors, governmental employees, sales men and some craftsmen etc. They always have the same characteristics.

#### Woman's work participation

The chance of women to work outside the house in good professional positions is rare in the study area. The overwhelming majority of women is housewives, the percentage of women employed outside the home in some jobs (teachers-nurses-doctors) is not more than 2.0 in P. Haroun and P. Mousa villages, and 6 per cent in El-Basra villages.

The relationship between women's work and fertility is likely to be negative. Women employed outside the home (on non-farm workers)

usually have lower fertility. For women who have good professional and more prestige positions, these effect will be even greater (U.N, 1984).

By studying fertility levels among working women (especially teachers and doctors) in EL-Basra village, the researcher found that the average number of children ever born for these women which 2.6 is lower than that of the housewives 5.8 children/woman. At the same time most of the women employed have a small size family. About 65% of them have less than 3 children per woman and who has more than 6 children/woman is only 7 percent of them. This lower fertility may be related to:

- Work experience of women may alter their views of their roles reducing their desires to have many children,
- Work of the woman gives her no opportunity to care for large number of children and there are alternative means for that care, then there is a conflict between the roles of mother and worker which may be resolved either by her not having children or not working and finally, work may increase women's exposure to family planning influences (Mohamed, G., 1998).

Briefly, fertility is widely affected by different socio-economic factors. These differentials in fertility are more obvious between age of marriage, and educational status (especially among females) than that of occupational status.

The geographical variations between El Basra village , and the other two villages is a result of the great differentiation of the migrants characteristics and their place of origin either rural or urban areas.

### III- Desire to Have more Children

There is a clear decline in total fertility rate in Egypt as a whole. That is because the increasing attendance of female at educational, improving standard of levels and delaying of females age at marriage. In fact, despite the decreasing rates of fertility in Egypt as a whole and the study area, the rate of the area is still nearly the double of that in the developing countries

This raises a question. Is there a hope in reducing this high fertility rate in the newly reclaimed area of Sugar Beet?

To find an answer to that, the researcher asked parents throughout the questionnaire about their satisfaction of the present number of children they have, and do they want to have more children or not?

More than 70% of the total married women have no desire for more children as shown in table (8).

**Table (8) The Desire of Married Women to Have More Children .**

The villages	Yes	No
El- Basra	26.6	73.4
Prophet Mousa	29.4	70.6
Prophet Haroun	23.7	76.3

*Source : Computed from the questionnaire data conducted in February, 1998.*

The highest percentage of women who stated that they do not want more children is found in P. Haroun village (76.3) followed by El-Basra (73.4), and the lowest is among the married women of P. Mousa village.

The study of desired number of children according to the present size of family is calculated in table (8). The data indicates many facts as follows:

- Small family (not more than 3 children per women ) is preferred among the married women of the area. The percentage of women in this category who desires to have more children is ranging between 30 in El-Basra and 42.2 in P. Mousa village. In fact women in the reproductive age are in favour of smaller families than those who had passed the stage of reproduction indicated the tendency of the younger generation to use family planning .

**Table (9) Percentage of Married Women Who Desire to Have More Children According to the Present Size of Family:**

villages	Desire	Small size of family	Medium size of Family	Large size of family
El – Basra	Yes	30.1	18.0	13.3
	No	69.9	82.0	86.7
Prophet Mousa	Yes	42.2	24.0	14.8
	No	57.8	76.0	85.2
Prophet Haroun	Yes	33.3	20.0	12.7
	No	66.4	80.0	87.3

*Small family : 1-3      Medium 4,5,      large 6 children and more*

*Source : Computed from the questionnaire data .*

- 
- More than 75 per cent of married women in the study area considered the present size of children they have ( 4 and more ) is suitable to their circumstances. At the same time the percentage of women who want to have more than 4 children is fluctuating between only 18 in El-Basra to 24% in P. Mousa village. This figures could be taken as an evidence of the tendency of young generation of married women to behave in favour of smaller family size. Actually the main reason for that is the use of contraceptive methods among a large number of women in the study area. Seeking contraceptive methods could be for the purpose of spacing children or for the purpose of limiting family size. Most of the married women in the study area who do not want more children use methods of contraceptives for the purpose of terminating child bearing rather than spacing children. They had already the number of children they wanted.

Despite the fact that more than 70 per cent of the total married women do not want more children as shown in table (8), but the current users of contraceptives are only 52.5% in El-Basra, 59.2 in P. Mousa and 60.8% in P. Haroun village. The majority of the users has a number of living children between 4-6 children. Therefore we can say there is a hope in reducing the level of fertility in the area in the near future with more high level of education of female and developing the geographical environment of this newly reclaimed area .

\*\*\*

## Conclusions

There is a great shortage in the geography population literature about the new reclaimed area in Egypt. The researcher aimed to fill a gap, and throw some lights on level of fertility among the females in the chosen villages of the study area as a case of study.

The study has revealed that total fertility rate is higher in the area than that of Egypt as a whole is due to:

- 1- The overwhelming majority of population is working in agriculture.
- 2- The percentage of illiteracy is high especially among female
- 3- Large number of females marries at early ages (under 20 years).
- 4- Despite the fact that most of married women were in favour of small size family (1-3children), but more than 30 per cent of them desire to have more than 3 children .

The high fertility rate in the area in particular and in all new reclaimed area may be reduced by adopting developmental programmes. Raising the standard of living of population and overcoming problems facing the agricultural production is a great necessity. Unfortunately the area and population are away of the attention of the governmental authorities, therefore the researcher had been shocked to see the deterioration of levels of all governmental services such as education, health, security, production inputs ... etc. Hence, there is no wonder to find most of the graduates deserted their lands and hired them to landless farmers. So the new reclaimed land of South Alexandria became a traditional society with high fertility rate.

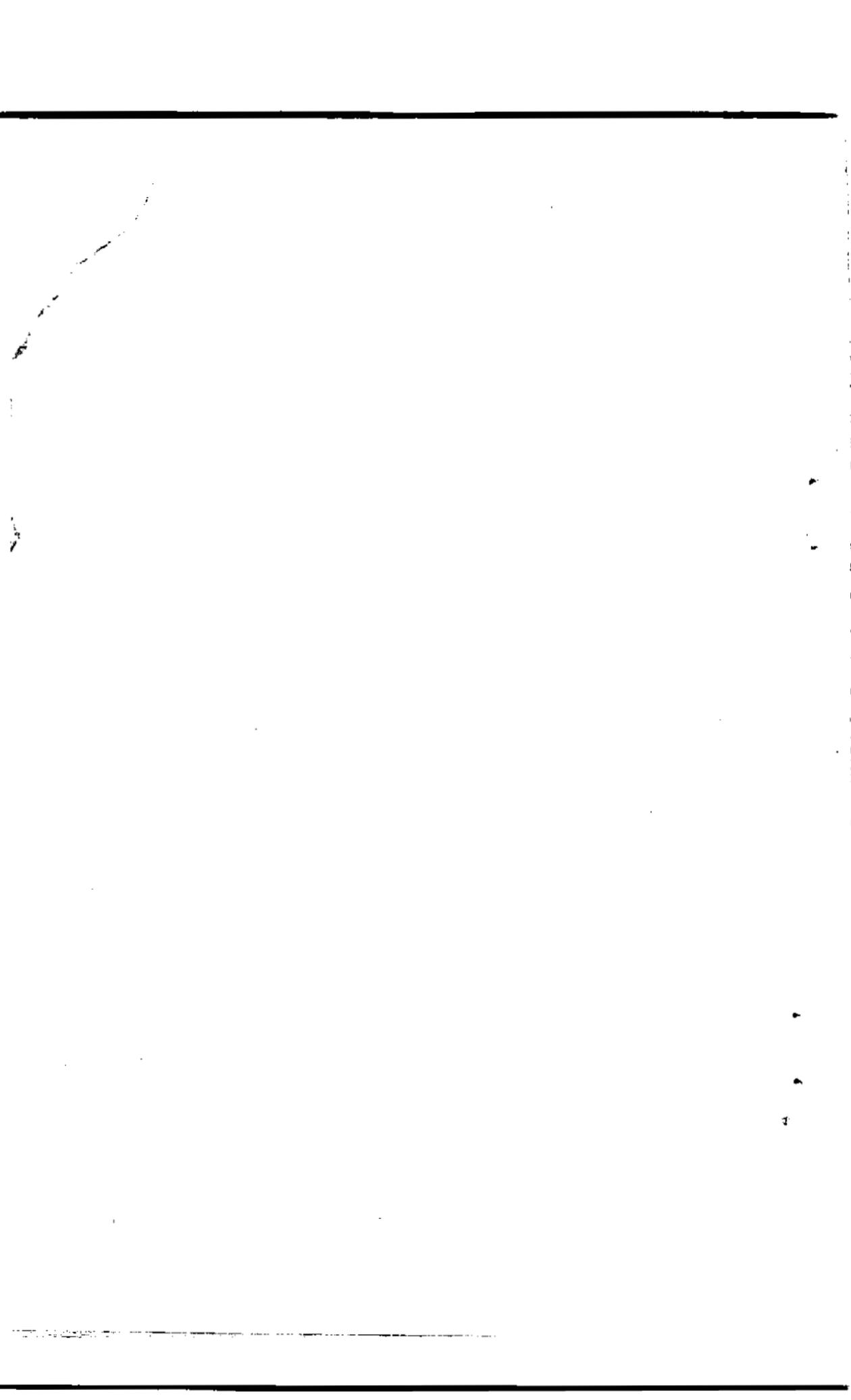
\*\*\*\*\*

---

## References

- 1- Abd El Kader, F. , Nuptiality in Egypt, Population Studies and research Centre. Population Policy Analysis Unit, C.A.P.M.A.S., Working paper No. 2, Cairo, 1988).
- 2- Abd El- Maksoud M., Trends in Excess Births due to Unwanted Fertility in the Regions of Egypt ,C.D.C 26<sup>th</sup> Annual Seminar Cairo, 1996, p.10 .
- 3- Bongaarts, J., The Fertility Inhibiting Effects of the Intermediate Fertility Variables, Center for Policy Studies, Working Paper no. 57, The Population Council, New York ,1980 .
- 4- Caldwell, J.C, Theory of fertility Decline, Academic Press, New York, 1981.
- 5- De Tray, D., Population Growth and Educational Policies: An economic Perspective , in : Population and Development, edited by: Ridker, R., John Hopkins University Press, Baltimore, 1980, PP.182-209.
- 6- El- Chamry, A., Age at First Marriage and Its Effect on Fertility in 1976., The demographic Analysis of 1976 Egyptian Population Census. Vol 1, C.A.P.M.A.S,Cairi,1987.
- 7- El-Deeb, B., Contribution Of Various Demographic Components in Fertility Change: Egypt (1960- 1986), Cairo Demographic Center Working Papers, no .20, Cairo , 1990 .
- 8- El-Deeb, B., Evaluation of Egyptian Fertility Survey 1980, Vol. VI, C.A.P.M.A.S, Cairo, 1986.
- 9- Freedman, D., The Study of the Determinants of Fertility , in : Reading In Population Research, Social and Development center , Chicago, 1993.
- 10- Grabill, W., Clyde, K., and Whelpton, P. , The Fertility of American Women, New York, 1958.
- 11- Grigg, D.W., Population Growth and Agrarian Change , Cambridge university Press, London , 1980.
- 12- Hanna , B. Abou Gamrah, H., and Mamish, M., Socio-Economic Fertility Differential in Arab Countries, in: Fertility Trends and Differentials in Arab Countries, Cairo Demographic Centre. Research Monograph Series, no 2 Cairo. 1971 pp 211-240

- 13- Mc Cable, J., and Rosenzweig, M., Female Employment Creation and family Size, in: **Population and Development**, edited by: Ridker, R., John Hopkins University Press, Baltimore, 1980, PP. 319-330.
- 14- Moahmed , G. **The Interrelation Between Migration and Fertility: An Application on the Third World**, Paper Presented to the Annual Seminar on Population and Development, 8-10 December 1998, Cairo Demographic Centre, 1998.
- 15- Mosley, W., and Becker, S., **The Dynamics of Birth Spacing and Marital Fertility in Kenya**, Scientific Report no. 30 International Statistical Institute, Voorburg , Netherland, 1982.
- 16- Nassef ,A., **Age Patterns of Fertility in Five Arab Countries**, in : **Fertility Trends and Differentials in Arab Countries** , C.D.C., Research Monograph series, no.2. Cairo 1971.
- 17- Omran , A-R., **The Fertility Profile of the Arab Populations**, U.N. Fund for Population Activities, & Groom Helm Ltd., London, 1980 . p.77.
- 18- Osheba, J., K, **The Proximate Determinates of Fertility Change in the Regions of Egypt (1980-88)**, Cairo Demographic Centre, Working Papers, No. 26, Cairo, 1992.
- 19- Sayed, H., **Estimates of the Total Fertility Rates of Some Selected Areas of Egypt Based on the Egypt Contraceptive Prevalent Survey (1984)** Paper Presented in 1988, Cairo Demographic Centre Annual Seminar , 1989.
- 20- U.N., **World Development Report**, World Bank, Washington, D.C, 1984.
- 21- U.N, Population Division Publication, **Women's Employment and Fertility**, E.85.XIII.5., New York, 1985
- 22- U.N. **World Population Data Sheet**, 1997.
- 23- William, F., and Melvyn, J., **An Introduction to Population Geography**, Cambridge University Press, London 1988.
- 24- Zaid , M., **Factors Associated With Fertility in Egypt** , (Cairo Demographic Centre General Diploma Paper,Cairo1997).



---

**SOME OF THE VOCAL EMOTIONAL  
STATES  
AN ACOUSTIC STUDY**

*By*

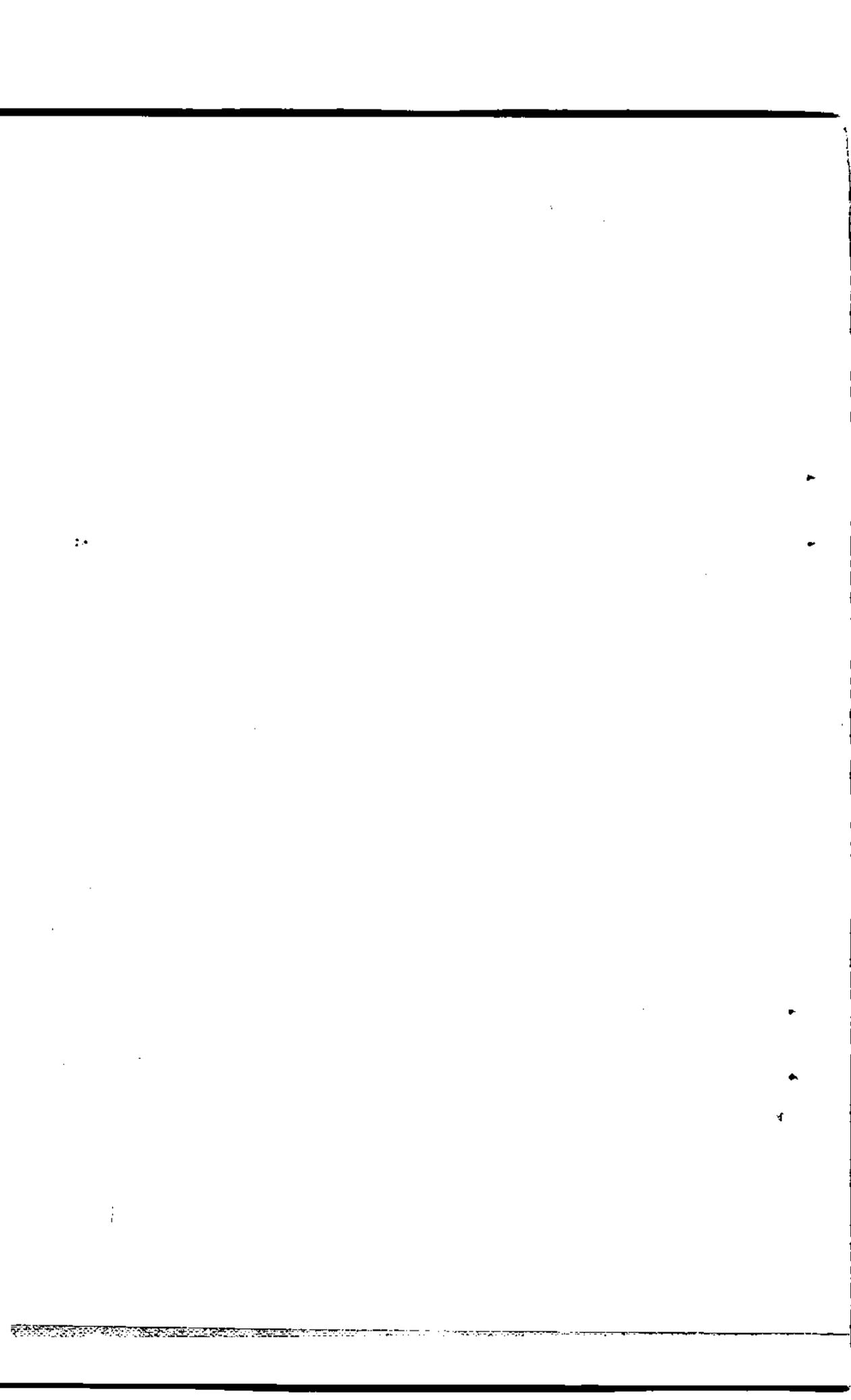
**Dr. Mervat Mohamed Ahmed Fashal**

**Phonetics Department**

**Faculty of Arts**

1998

---



## Contents:

- 1- Introduction
  - 1.1- Emotion Concepts.
  - 1.2- Classification of Emotions.
- 2- Studies of the Vocal Emotions.
  - 2.1- Experimental Methods.
  - 2.2- Analysis of the Parameters of Vocal Emotions.
- 3- The Experiment
  - 3.1- Subjects.
  - 3.2- Speech Material.
  - 3.3- Auditory Test.
  - 3.4- Acoustic Analysis.
    - 3.4.1- Graphic Representations
    - 3.4.2- Analysis Measurements.
- 4- Results
  - 4.1- Statistical Calculations of Measurements.
    - 4.1.1- Intensity Mean Values.  
Figures st/ unst. (P. 12)
    - 4.1.2- Fundamental Frequency Mean Values.
    - 4.1.3- Duration Mean Values.
    - 4.1.4- Correlation between the Parameters.  
Tables (1) (2)
    - 4.1.5- Fo change and Fo levels (table 3).
  - 4.2- Graphic Combination of Fo and Intensity Contours.
    - 4.2.1- Male M (Fig. 1,2).
    - 4.2.2- Male S (Fig. 3,4).
    - 4.3.3- Female G (Fig. 5,6).
    - 4.2.4- Female A (Fig. 7,8).
- 5- Discussion
  - 5.1- Dimensions of Auditory and Acoustic Differentiation.
  - 5.2- Normal.
  - 5.3- Angry.
  - 5.4- Astonishment.
  - 5.5- Sadness.
- 6- Conclusions
- 7- References.

---

## Some of the Vocal Emotional States An Acoustic Study

----

### 1- Introduction

#### 1.1- Emotion Concepts

Emotion, in a simple definition, is the behavioral expression of feelings. Some psychiatric researchers consider emotion, affect and feelings as synonyms,<sup>(1)</sup> but they use emotion in the generic sense. Some others refer to the subjective component as affects or feelings, and to patterned behavioral expression as emotion<sup>(2)</sup>.

Charles Darwins (1872) considered emotion expressions as "Vestiges of patterns of action no longer useful due to evolutionary development," but later scientists<sup>(3)</sup> considered that Darwin's view was only a partial statement, and that emotion retains important functions.

Izard (1977) stated that a complete definition of emotion must take into account three basic processes: "The experience or conscious feeling of emotion, the processes that occur in the brain and nervous system, and the observable expressive patterns of emotion."

Emotions are different from moods,<sup>(4)</sup> emotions arise suddenly in response to particular stimuli, and last for seconds or minutes, while moods are more vague in nature, lasting for hours or days; emotions can broadly be considered as being concerned with changing something,<sup>(5)</sup> and moods with maintaining something.

---

(1) Hofling (1975).

(2) Alpert, M. & Rosen, A. (1990). - Kolb, L. & Brodie, H. (1982).  
- Redlich, A. and Freeman, D. (1966).

(3) Izard, C. (1971), (1977), Scherer (1981).

(4) Oatlay, K. (1989).

(5) Scherer, K. (1984), (1986).

## 1.2- Classification of Emotions

Many emotion theories use the concept of "basic emotions" and "nonbasic emotions". Ortony and Turner (1990), noted that basic emotions vary between 2 and 18 emotions, they also suggest that four of them are the most commonly accepted basic emotions which are: happiness, sadness, anger, and fear.

Perceptual studies<sup>(6)</sup> differentiated between facial emotion and vocal emotion, each of them has its own dimensions.

Kramer (1963) reviewed a number of studies which have demonstrated that various aspects of a speaker's physical and emotional state including age, sex, appearance, intelligence and personality can be identified by voice alone. The emotional state of a speaker thus produces an emotion "carrier wave" for the words spoken, but "It is not what he said but the way that he said it."<sup>(7)</sup>

## 2- Studies of the Vocal Emotions

### 2.1- Experimental Methods

In order to analyse features of the emotional voice, numerous differing methods have been reported in the literature, most of which have involved direct human analysis and most of the authors have used untrained speakers. Speech samples, however, become more natural if obtained from actors.<sup>(8)</sup>

The material read for analysis is also varied, three major experimental techniques have been used in the literature to assess the emotion content of speech:

- 1) Meaningless content, having speakers express emotions while reading letters of the alphabet<sup>(9)</sup>.
- 2) Constant content, comparison of the same sentence given by speakers expressing different emotions<sup>(10)</sup>.
- 3) Content - Free, electronic filtering of speech<sup>(11)</sup>.

(6) Van Bezooijen, R., Otto, S. and Heenanen, T. (1983).

(7) Ortony, A. and Turner, T. (1990).

(8) Williams, C. and Stevens, K. (1972).

(9) Davitz, J. and Davitz, L. (1959), Laukkannen, A. et al. (1996).

(10) Leinonen, L. & Hiltunen, T. (1997), Fairbanks, G. & Hoaglin, L. (1941).

(11) Van Bezooijen, R. & Boves, L. (1986), Murray, I. and Arnott, (1993)

---

## 2.2- Analysis of the Parameters of Vocal Emotions

The most commonly referenced vocal parameters in the emotion literature are pitch (mean Fo, Fo change, Fo level and Fo contour), intensity, duration, tempo and voice quality. Acoustic differences of most of these parameters were examined in recent study by Leinonen (1997) using a data of one word, the name "Saara", which is expressed in 10 emotional connotations<sup>(12)</sup>.

Pitch was also found to be an important emotional factor by Levin and Lord (1975) who noted that "an analysis of upper octave range measurements of Fo is sufficient to provide an indication of emotional changes". While Uldall (1960) concluded that the best indicator of the emotional content of an utterance was the pitch contour.

Also Scherer and Scherer (1981, P. 125) noted various vocal indicators of emotional expression, principally pitch, intensity and voice quality. They noted in recent work (1986, P. 145) that while pitch is important in emotion, voice quality is more important in differentiating discrete emotion. However, Ladd et al. (1985) suggested that the level of fundamental frequency, intonation contour and voice quality vary independently of each other.

Another research does indicate a possible correlation between speech rate and emotion<sup>(13)</sup>. Fónagy (1981) noted increased intensity leading to the shortening of consonants, liquids and nasals, and to the lengthening of vowels. Black (1961, P. 199) also related speech rate with emotion concentrating on the importance of intensity, he noted from experiments that speech intensity increases along with pitch, and that soft speech was characterized by slow rate.

Davitz (1964) has divided emotions into "active" and "passive" groups, characterizing passive emotions as those with slow speech rate, low volume, low pitch, and more resonant

---

(12) "naming, commanding, angry, frightened, pleading, astonished, satisfied, admiring, scornful, and sad"

(13) Huttar, G. (1968)

-----

timbre (voice quality), and characterizing active emotions by their fast speech rate, high loudness, high pitch, and “blazing” timbre.

In the communication of emotions, recent studies<sup>(14)</sup> have shown the importance of glottal excitation of waveform in conveying emotion. Ann-Laukkanen et al. (1996) aimed at elucidating the variation in the glottal waveform related to the variation of other physical variables of vocal expression of emotion, using data of meaningless letters “paà pa” (the first syllable is stressed), which is repeated in five emotional states “neutral, surprise, enthusiastic, sadness and anger”, resulting that stress production and vocal expression of emotions bring about simultaneous changes in many variables including Fo, SPL, subglottal pressure and glottal airflow waveform.

The studies interested in the voice quality consider the vocal fold vibration and the glottal flow waveform as minimal parameters to convey the emotions<sup>(15)</sup> and also to differentiate between the male and female glottal wave variations<sup>(16)</sup>.

Cummings and Clements (1995) considered that the glottal excitation waveform is well known to be an important method of conveying prosodic information in speech. They used the parameters of the glottal excitation which are: the ratios of closing and opening slopes and durations of the glottal waveforms, rather than the other parameters of Fo, intensity, duration and intonation as prosodic factors. Their data was: 11 styles × 2 male speakers × 2 vowels, they found that from styled speech to normal speech glottal waveforms themselves change; in addition to changing in pitch, pitch contour, duration and intensity.

Childers & Lee (1991) studies of the manifestation of voice quality in glottal flow waveforms have shown that pressed phonation seems to bring about a sharper pulse with long phase and low flow amplitude, whereas breathy phonation is characterized with symmetrical pulse with a short or no closed phase.

---

(14) Cummings and Clements (1990).

(15) Cummings and Clements (1995).

(16) Monsen & Engebretson (1977).

---

The sex of the speaker can cause significant differences in some speech emotional parameters. Abe (1980) noted that the difference between the pitches and pitch ranges of male and female voices is even more extreme if the speakers compared are excited. Many of these effects can be attributed directly to anatomical differences between the sexes. He also noted that tiredness (classed as an emotion by some authors) cause a loss of elasticity of articulatory muscles leading to a lowering of the voice and narrowing of the pitch range.

Eva Holmberg (1988)'s study provides new insight into functional differences between male and female voices and across intensity conditions (normal, soft and loud voices). Its results show a significant increase of pressure from soft to normal, and normal to loud voice for both males and females, also there is no significant male - female difference in pressure in any of the loudness conditions. Sharing studies in this concern have been made of how such a waveform varies with intensity, and of a waveform differences between male and female speakers (Monsen 1977, Glave, R. and Rietveld, A. 1975), Their results elucidated that male waveforms have been found more asymmetrical, with the closing portion shorter than the opening portion, while female waveforms have shown more equal duration of opening and closing portions.

Monsen and Engebretson (1977)'s experiment examined the glottal volume - velocity waveform of normal, loud and soft voice: falsetto and creaky voice (which is also called vocal fry). 5 males and 5 females were asked to produce and elongated neutral schwa in the sequence  $\Lambda-\partial-\partial$  with changing stress position. Analysis of the collected data shows that the glottal sound source of the normal adult varies within a wide range, not only as to  $F_0$  and rms intensity but also as to the appearance and shape of the waveform, the phase spectrum and the intensity spectrum. This variation is systematic and may be accounted for in most part by taking into consideration 3 interacting factors: a) the sex of the speaker, b) the vocal mode or register in which the speaker phonates, and c) the linguistic function which the phonation is intended to fulfill

### 3- The Experiment

#### 3.1- Subjects

4 adult speakers (2 males and 2 females) with no history of speech voice or hearing problems served as subjects. Their age ranged from 30 - 42 years.

#### 3.2- Speech Material

The speech material consisted of one sentence [ʔana - ʔanalɪʔ otkeda] with a repetition of the first word which is emphasized. The subjects were asked to produce the sentence in four vocal emotions: Normal, Sad, Astonished and Angry. They were asked also to repeat them about 20 times. For the productions to be as similar as possible to the subjects' natural speech, they were free to use a comfortable level for each condition, so that they are not given any instructions in this concern.

#### 3.3- Auditory Test

10 graduate students judged the recorded data. They listened in small groups of 3 or 4 subjects at a suitable distance of the taperecorder, that the weakest utterances were audible to everybody. The judges were asked to choose the best 10 repetitions of each emotional condition, which convey the intended connotations.

The connotations: "Astonished" and "Angry" were conveyed best, but "Sad" and "Normal" intents were somewhat confused by listeners. The analysis dealt with the best 10 repetitions of judgements i.e which are agreed on by about 80% of the judges.

#### 3.4- Acoustic Analysis

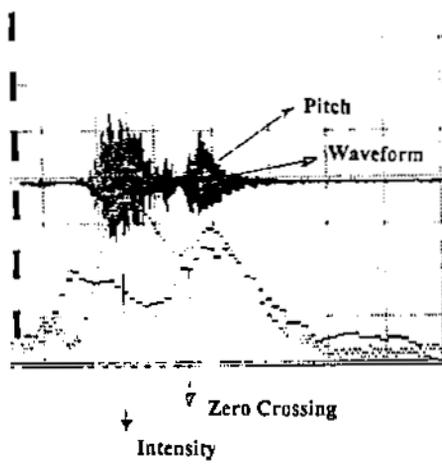
##### 3.4.1- Graphic Representations

The instruments which are used in the acoustic analysis were; Kay Elementric Corp. Model 5500 DSP, connected with Computerized Speech Lab. (CSL) Model 4300. The representation of the graphs were traced using DSP 5500 which are shown as a combination of:

- Waveform
- Intensity Contour → with amplitude range: 72 dB  
" analysis attenuation: 5 dB
- Fo Contour → Frequency range: 4 KHz
- Time axis → Horizontally Time axis scale: 2 sec  
each square = 100 msec
- Zero Crossing

These analyses combination are included in the upper screen (channel 2), while the lower screen (channel 1) includes Sonagram of the same signal. (See for example the following graphic analysis for female A, Astonish)

Subj. A (Ast.)



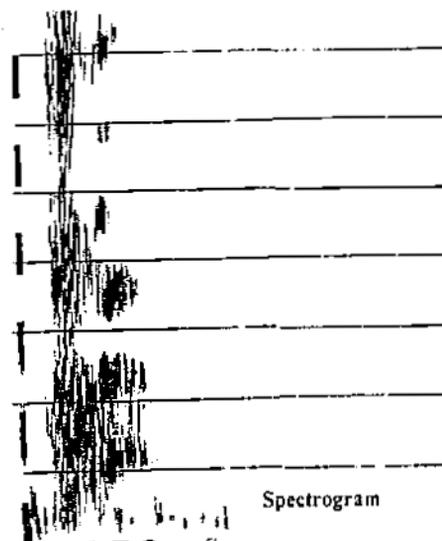
KAY ELEMETRICS CORP. MODEL 5500  
SIGNAL ANALYSIS WORKSTATION

Date: 3F 19FF Rec Off Time: 12  
Analysis by:

INPUT SETTINGS Channel 2  
Source LEFT CONNECTORS  
Frequency Range DC - 4 KHz.  
Input Shaping FLAT  
Buffer Size 4 SECONDS

ANALYSIS SETTINGS Upper Screen  
Signal Analyzed CHANNEL 2  
Analysis Format COMBINATION  
Transform Size 1024 pts. ( 15 Hz)  
Time Axis 100ms (2sec)  
Frequency Axis FULL SCALE  
Analysis Window HAMMING  
Averaging Set Up NO AVERAGING

DISPLAY SETTINGS Upper Screen  
Freq. Divisions 0.000 Hz.  
Dynamic Range 72 dB  
Analysis Atten. 5 dB  
Set Up Options Set



INPUT SETTINGS Channel 1  
Source LEFT CONNECTORS  
Frequency Range DC - 8 KHz.  
Input Shaping HI-SHAPE  
Buffer Size 4.0 SECONDS

ANALYSIS SETTINGS Lower Screen  
Signal Analyzed CHANNEL 1  
Analysis Format SPECTROGRAPHIC  
Transform Size 100 pts. ( 300 Hz)  
Time Axis 100ms (2sec)  
Frequency Axis FULL SCALE  
Analysis Window HAMMING  
Averaging Set Up NO AVERAGING

DISPLAY SETTINGS Lower Screen  
Freq. Divisions 1000. Hz.  
Dynamic Range 42 dB  
Analysis Atten. 20 dB  
Set Up Options Set to: # 05

### 3.4.2- Analysis Measurements

The following measurements were executed from the recorded and digitized signals using the Computerized Speech Lab. (CSL) Model 4300 programs of numerical analysis and statistical analysis:

- 1- mean intensity in (dB), which is got from "Energy Statistics" of the stressed vowel [a<sub>1</sub>] and unstressed [a<sub>2</sub>] of the word [ʔana].
- 2- mean Fo in (Hz), which is got from "Pitch Statistics" of [a<sub>1</sub>] and [a<sub>2</sub>].
- 3- mean duration in (msec) from "Time Domain" of each vowel after segmentation.
- 4- Fo pitch analysis from "Impulse Markers" of each period of the waveform of the sentence [ʔanalli? oitkeda] and then from the "numerical pitch analysis" which gives the analysed data range. Fo change, and Fo level is derived from all of them.

All the above analyses were measured for 4 speakers × (= multiplied by) emotional conditions × 10 selected productions.

Analysis concentrated on two syllables taken to represent stress production of the first emphasized word [ʔa<sub>1</sub>na<sub>2</sub>] in the utterance [ʔana-ʔanalli?oitkeda].

---

## 4- Results

### 4.1- Statistical Calculations of Measurements

Summary statistics were calculated for each of the measured parameters in the three loudness conditions (Sad, Normal, Astonished/ Angry), for males and females separately see (table 1 and table 2). Statistical analysis was performed to test the physical variables of vocal expression of emotions: male/ female differences, stressed/ unstressed syllables, and the correlation between the acoustic factors of intensity, duration and Fo.

#### 4.1.1- Intensity Mean Values

a- The ranges of intensity in respect to the different cases in both males and females were as follows:

Sad range from	[51 dB : 59 dB]
Nor. . . . .	[53 dB : 63 dB]
Ast. . . . .	[65 dB : 70 dB]
Ang. . . . .	[70 dB : 72 dB]

From the intensity values, it is observed that regular tendency in loudness of stressed vowels increased from Sad, Normal, Astonished to the highest intensity in Angry case.

b- Male/ Female Comparison of the intensity of the different cases showed slight value differences between males and females in the cases of Sad and Normal, but intensity values seem to be similar in the loud voice (astonished/ angry).

c- Stressed/ Unstressed Vowels indicated that Sad and Normal were similar in the values of dB, to some extent, while they showed significant differences in Astonishment and Anger (see tables 1.2) (Figures 1: 8).

In Anger cases intensity values of the stressed syllables were overall the loudest, while in Astonishment stressed and unstressed values were sometimes equal. (Male S. Ast. and Fem. G. Ast).

#### 4.1.2- Fundamental Frequency Mean Values

a- Fundamental Frequency during stressed/ unstressed vowels showed overall rise in Fo during the stressed vowel versus unstressed. There is one exception, however, in only two cases Male S and Male M, Ast.) which showed that Fo of unstressed vowel was slightly higher than stressed vowel.

b- Male/ Female Mean Fo comparison showed an overall rise in Female's Mean Fo than Male's:

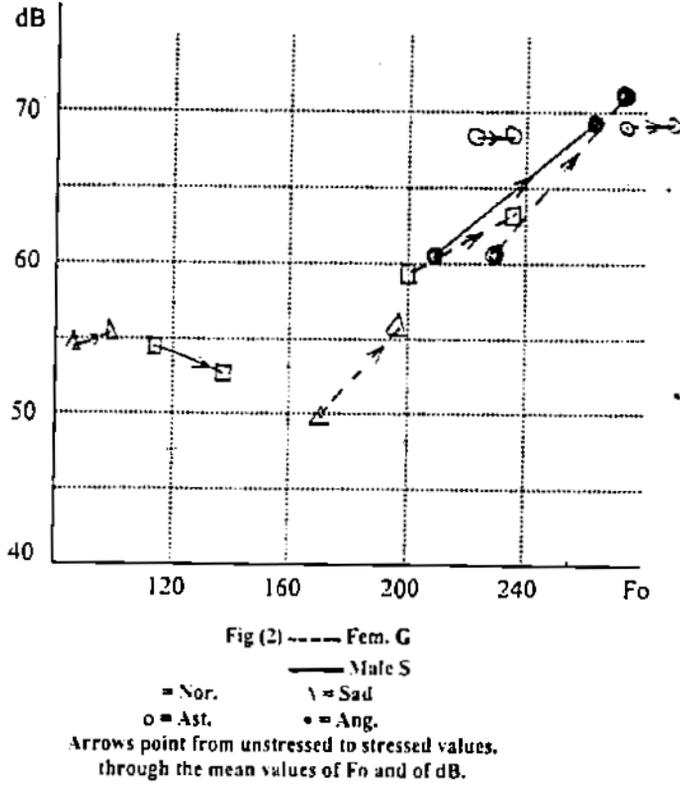
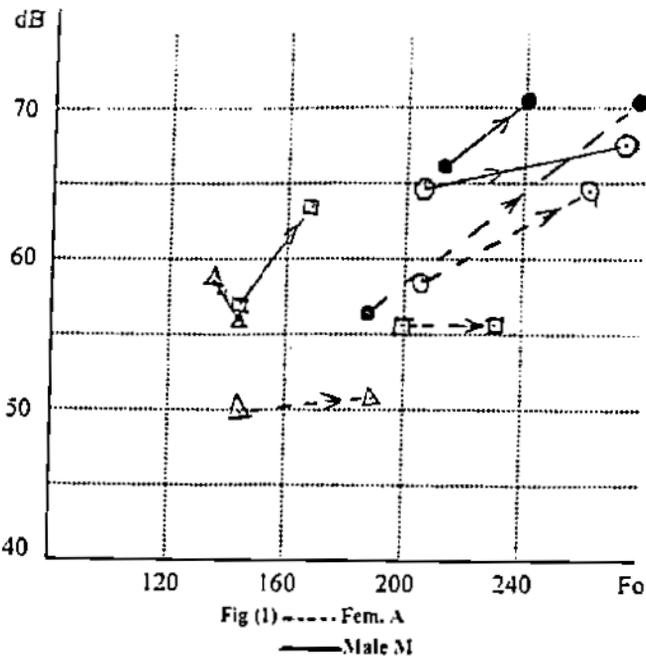
Sad  $\bar{x}$  Fo in Females was 186 Hz while in Males was 127 Hz.

Normal  $\bar{x}$  Fo in Females was 221 Hz while in Males was 158 Hz.

Astonish  $\bar{x}$  Fo in Females was 250 Hz while in Males was 236 Hz.

Angry  $\bar{x}$  Fo in Females was 256 Hz while in Males was 234 Hz.

These results proved that Male/ Female differences in Fo were extremely significant, especially in the Sad and Normal cases, while in loud vocal emotions "Astonish and Angry", Fo values seem to be similar.



## Statistical Calculations

----

Subjects			<i>Phonation Modes of Emotions</i>			
			Normal	Sad	Astonish	Angry
<i>Males</i>	M	$\bar{x}$ Hz	170.5 Hz	142	255	224
		$\bar{x}$ dB	63.8 dB	59	68.5	70.5
		$\bar{x}$ ms	88. ms	75	96	107
	S	$\bar{x}$ Hz	146	112	222	245
		$\bar{x}$ dB	53	56	96.8	70
		$\bar{x}$ ms	73	69	75	99
<i>Females</i>	G	$\bar{x}$ Hz	222	187	259	257
		$\bar{x}$ dB	64.6	56.6	70	72.6
		$\bar{x}$ ms	74	64	67	74
	A	$\bar{x}$ Hz	220	185	242	255
		$\bar{x}$ dB	56	51	65.5	70.8
		$\bar{x}$ ms	64	43	79.8	100

table (1) Mean values of  $F_0$ , dB and duration of the stressed vowel [à] in the word [ʔàna] of the four modes of emotions (Normal, Sad, Astonish and Angry). 2 male and 2 Female subjects.

Subjects			<i>Phonation Modes of Emotions</i>			
			Normal	Sad	Astonish	Angry
<i>Males</i>	M	$\bar{x}$ Hz	150	150	200	203
		$\bar{x}$ dB	57	57	65	66.8
		$\bar{x}$ ms	70	70	70	80
	S	$\bar{x}$ Hz	123	132	215	205
		$\bar{x}$ dB	55	55	69.7	61
		$\bar{x}$ ms	62	63	88	52
<i>Females</i>	G	$\bar{x}$ Hz	198	172	263	220
		$\bar{x}$ dB	60	50	70	61
		$\bar{x}$ ms	45	84	77	88
	A	$\bar{x}$ Hz	187	102	200	173
		$\bar{x}$ dB	56	50	59	56
		$\bar{x}$ ms	57	40	70	86

table (2) Mean values of  $F_0$ , dB and duration of the unstressed vowel of the word [ʔàna].

#### 4.1.3- Duration mean Values

a- The ranges of duration in respect to the different cases of both Males and Females were as follows:

- Sad	[43 msec	- 75 ms]	with the average	61 ms
- Normal	[64 ms	- 88 ms]	“ “ “	74 ms
- Astonish	[67 ms	- 96 ms]	“ “ “	80 ms
- Angry	[74 ms	- 107 ms]	“ “ “	95 ms

The results showed regular increase in the stressed vowel length according to the soft, normal and loud (Ast. and Angry) voices.

#### b- Stressed/ Unstressed vowel duration

Stressed vowels indicated longer duration than unstressed in most cases, while in a few they showed that unstressed vowels were longer than stressed (Male S, Ast.) and (Fem. G, Ast., Sad and Angry) (table 1,2).

#### c- Male/ Female differences.

Males showed longer duration in all cases than Females, in stressed and unstressed syllables.

#### 4.1.4- Correlation Between the Parameters

The results showed systematic correlation between the values of  $\bar{x}$  Fo,  $\bar{x}$  dB and  $\bar{x}$  ms according to the soft, normal and loud voices in males and females i.e. increasing the energy of the phonation mode increased Fo, intensity and the duration of the vowels.

Sad	$\bar{x}$ Fo = 156 Hz	$\bar{x}$ dB = 56 dB	$\bar{x}$ ms = 61 ms
Normal	$\bar{x}$ Fo = 187 Hz	$\bar{x}$ dB = 60 dB	$\bar{x}$ ms = 74 ms
Astonish/ Angry	$\bar{x}$ Fo = 244 Hz	$\bar{x}$ dB = 70 dB	$\bar{x}$ ms = 89 ms

#### 4.1.5- Fo Change and Fo Level Among the Emotions

Through the production of the sentence [ʔanalliʔ oltkeda] Fo is measured. Among stressed and unstressed vowels in the sentence there are low values and high values of Fo. From all the emotional cases, an extraction of the lowest and highest Fo is made, and by statistical calculations of these values, Fo change

and  $F_0$  level is accounted. This was done in order to recognize the melodic range in which the females and males move.

For females:  $F_0$  change =  $263 - 93 = 170$  Hz  
 $F_0$  level = 18 semitones

For males:  $F_0$  change =  $245 - 115 = 130$  Hz  
 $F_0$  level = 13 semitones

Table (3) indicated the difference between the voice range of females and males. From the calculations, females move from soft to loud emotion in a wider range than males about 1 octave. Also  $F_0$  change through the emotions of females were higher than males about 40 Hz.

Table (3)

**$F_0$  Level of Females and Males**

<u>Females</u>			<u>Males</u>	
93	→		115	→
98.5	→	1	121.19	→
104.4	→		129.2	→
110.6	→		136.9	→
117	→		145	→
124	→	2	153.7	→
131.4	→		126	→
139	→		171.7	→
147	→		181.6	→
155.8	→	3	192.4	→
165	→		203.9	→
174.9	→		216	→
185	→		228.9	→
196	→	4	242	→
207	→			
219	→			
232	→			
245.9	→			
260.6	→			
18 Semitones			13 Semitones	
4½ Octaves			3½ Octaves	

---

## 4.2- Graphic Combination of Acoustic Parameters

### 4.2.1- Pitch Contour

#### a) Normal

Normal pitch almost appears on the stressed syllable, pitch level in normal has, as expected, a median level see: (Fig 8 Fem. A, Fig 6 Fem. G) - in a few cases - has slightly lower than the median e.g. (Fig 2 Male M) and even has very low and it is similar to "Sad" see (Fig 4 Male S).

#### b) Sad

Pitch level in "Sad" is generally low (see Fig 1 Male M, Fig 3 Male S and Fig 7 Fem. A). In some cases, however, Fo in sad is weak to the extent that pitch contour totally disappears see (Fig 5 Fem. G).

#### c) Angry

Pitch contour of Anger has a rigid and straight rising - in various levels - in all cases. In Female G and A it is at very high level and in Males M and S is at high level respectively, see Angry Figures- It is an abrupt rising on the stressed syllable i.e. the curve form of:

#### d) Astonish

Pitch contour has different shapes which are quite different from Angry. They are summarized as follows:

- 1-  $\rightarrow$   $\hat{a}_1$  straight in mid level,  $\hat{\uparrow}$   $a_2$  rising at high level  
(Fig 4, Male S)
- 2-  $\hat{\uparrow}$   $\hat{a}_1$  rising in mid level,  $\hat{\uparrow}$   $a_2$  rising at high level  
(Fig 4, Male M)
- 3-  $\hat{\uparrow}$   $\hat{a}_1$  rising at high level,  $\hat{\uparrow}$   $a_2$  rising at high level  
(Fig 6, Fem. G)
- 4-  $\hat{\uparrow}$   $\hat{a}_1$  rising at high level,  $\rightarrow$   $a_2$  straight in mid level  
(Fig 8, Fem. A)

#### 4.2.2 Intensity Curve

##### a) Normal

Intensity curve has a median level in all cases, and in both males and females see (Fig 2 Male M, and Fig 4 Fem. G).

##### b) Sad

Intensity curve always has a lower level than Normal, but sometimes it is slight rise to be similar to Normal e.g in (Male S and Fem; A).

##### c) Astonish/ Angry

In loud voice i.e. "Astonish" and "Angry", intensity contour was very loud on the first stressed syllable, while it was slightly lower on the second unstressed one. Sometimes the stressed and unstressed syllables seem to be roughly similar except for a small difference in loudness see (Male S, Ast. and Male M, Ast.). In a few exceptional cases, the unstressed syllable was louder than the stressed see (Fem. G, Ast.).

#### 4.2.3 Correlation of Pitch and Intensity

In loud voice the increase in loudness of intensity contour is accompanied by rising of pitch contour, but this is not necessarily the case in low and normal voice. However, pitch contour level is sometimes lower than intensity contour level see (Male S, Sad and Nor., Male M, sad).

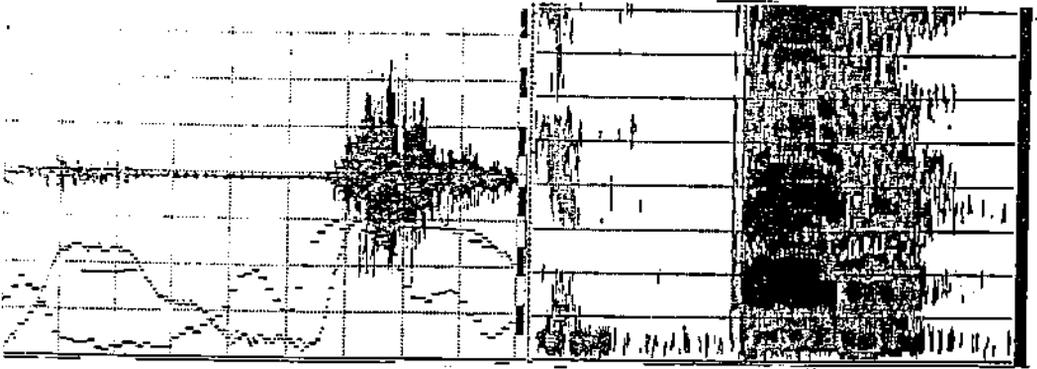


Fig. (1) Male. M (Sad, Ang.)

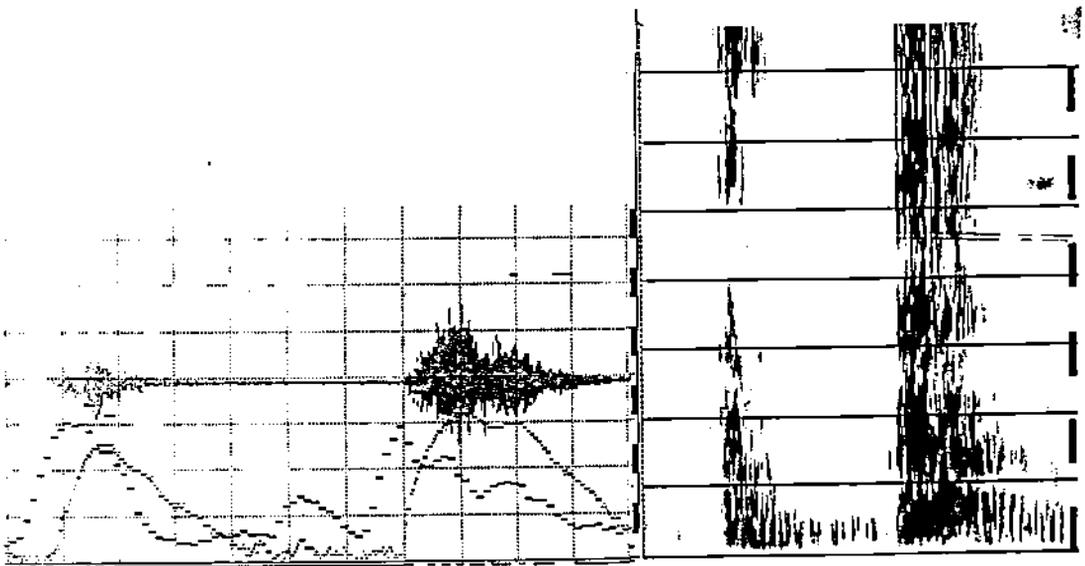


Fig. (2) Male. M (Nor., Ast.)

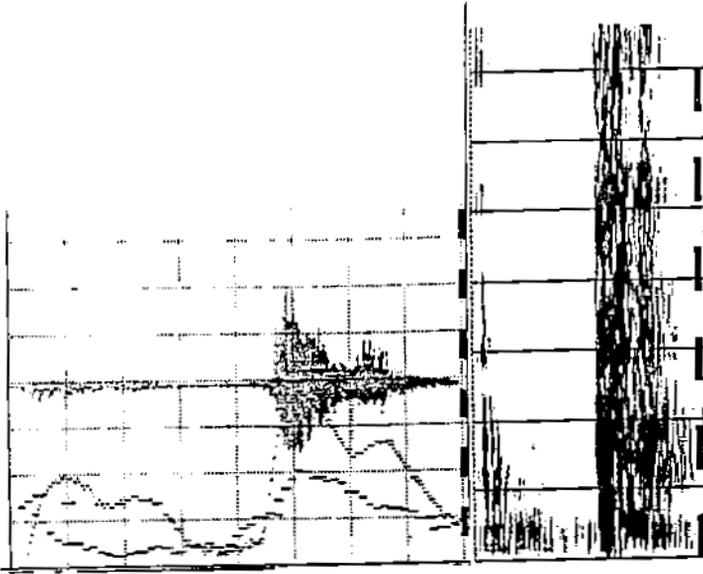


Fig. (3) Male. S (Sad, Ang.)

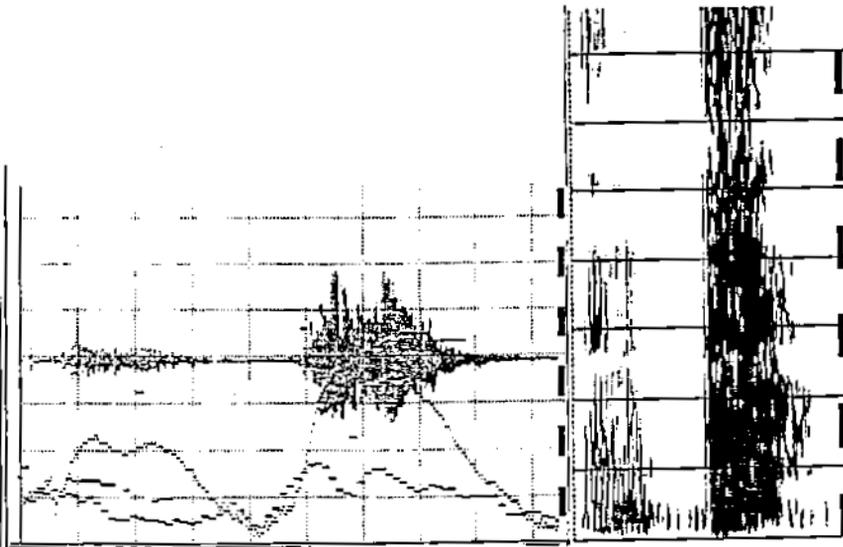


Fig. (4) Male. S (Nor., Ast.)

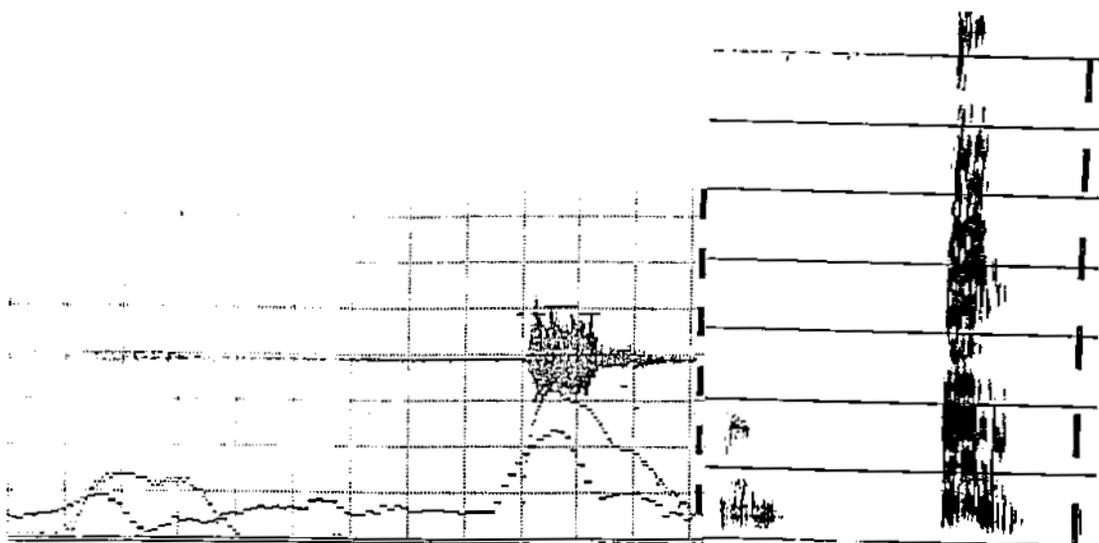


Fig. (5) Fem. G (Sad, Ang.)

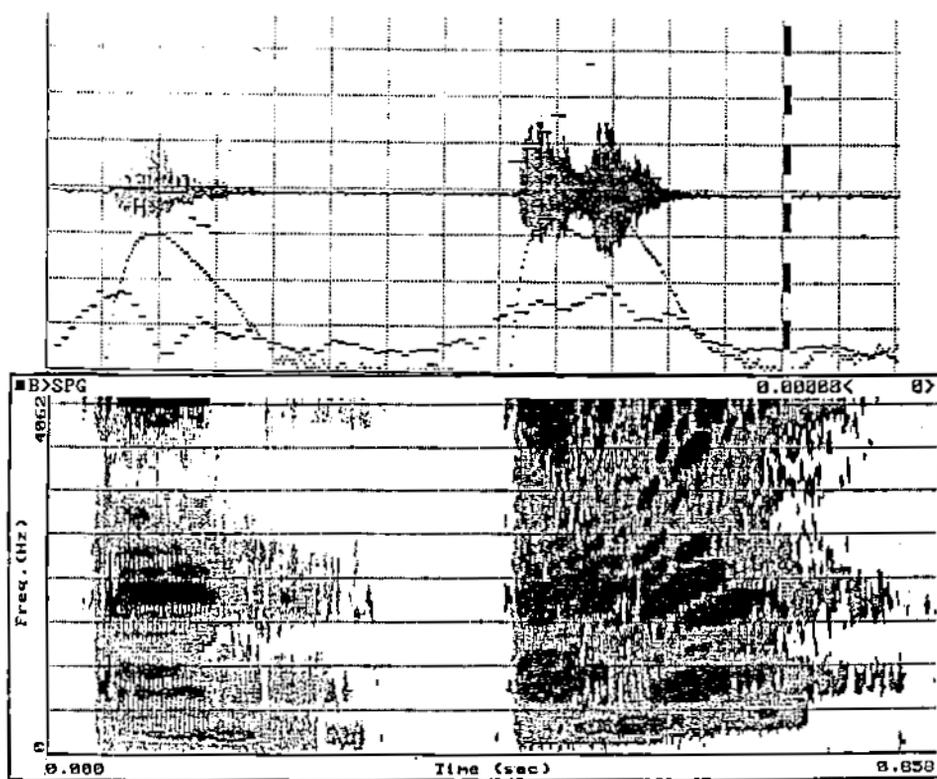


Fig. (6) Fem. G (Nor., Ast.)

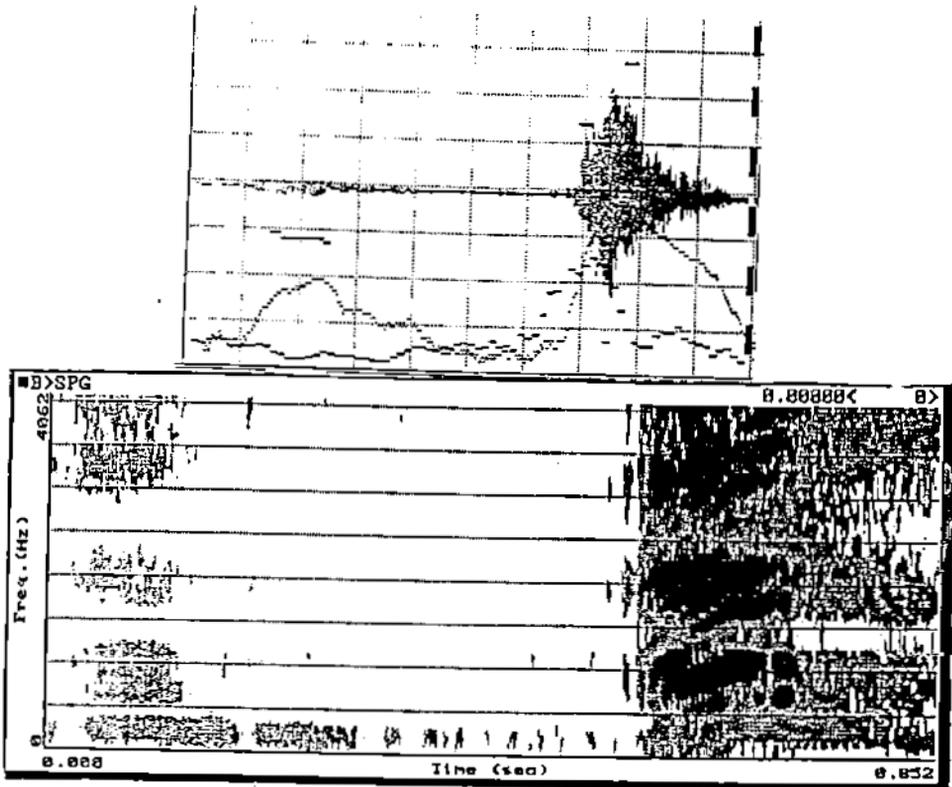


Fig. (7) Fem. A (Sad, Ang.)

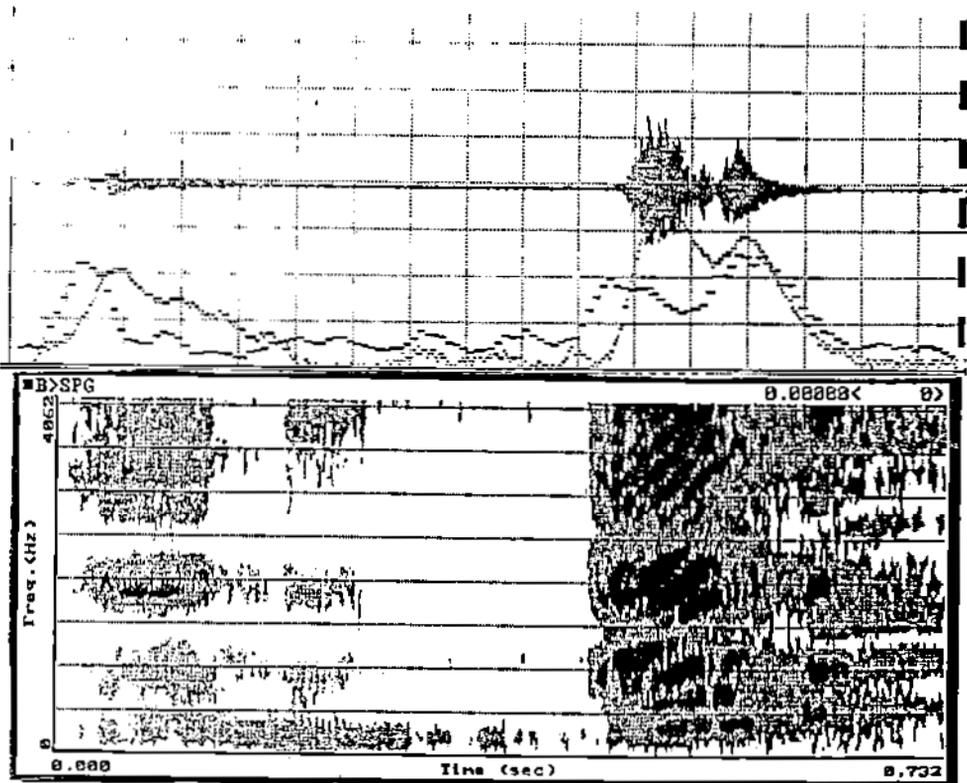


Fig. (8) Fem. A (Nor., Ast.)

## 5. Discussion

### 5.1- Dimensions of Auditory and Acoustic Differentiation

Each category included samples on which more than 80% of the listeners agreed, among the emotional categories, can be embedded in a single word.

Most "Astonish" and "Angry" intentions were perceived as intended, and many of them were agreed on by over 90% of the judgements.

The distributions of auditory judgements showed that "Sad" was somewhat confused with "Normal". The results suggested that the confused categories share some acoustic features. Although "Astonish" and "Angry" acoustic features were somewhat similar, but by the auditory judgements they were always correctly identified. This is possible by specific patterns of intonation and specific qualities not related, only, to variation of mean  $F_0$  and sound pressure.

Most variations of mean  $F_0$ ,  $F_0$  range,  $F_0$  contour, intensity and duration took place during the stressed and unstressed segments of the emphasized word [ʔána]. The single word carrier was probably more suitable than connected speech for the expression of feelings, these observations are in line with the suggestions made of: Leinonen et al. (1997) "The name: saára", Cummings and Clements (1995) "Two Vowels", Mosen and Engeb. (1977) "stressed/ unstressed syllables of schwa the sequence of [ʌ-ə-ə]", Holmberg et al. (1988) "nonsense syllable sequences of [pa], and Laukkanen et al. (1996) "nonsense st./ unst. [paapa]".

Ladd (1985) suggested that single word also facilitates the speakers' task which would be used naturally for emotive signalling, and it is possible that connotations could be distinguished using a segment alone.

A speaker's effort to increase the sound pressure from normal to loud as "Astonish" and "Angry" is accompanied by rise of  $F_0$ , which is in agree with the results of (Mosen 1977, Holmberg 1988) and disagree with Leinonen et al- (1997) who suggested that:

"The increased effort in emotive speech was however, not accompanied by a reflexive increase in  $F_0$  as during the regulation of the intensity of neutral speech: for instance, when changing from "naming" to "commanding" voice, some speakers increased sound pressure without increasing  $F_0$ .

From the literature on the vocal expression of emotion in general, different authors have studied different groups of emotions using different techniques. It is clear that numerous factors in the voice contribute to the vocal expression of emotion, but there is considerable agreement about which ones are the most important. It seems, however, that the pitch envelope (i.e. level, range, shape, and Timing of the pitch contour) is the most important parameter in differentiating between emotions.

Moreover, the speech spectrum carries much more information about the glottal waveform than sound pressure,  $F_0$  and cues induced by variations in the vocal tract shape with the determination of spectral criteria which would allow a good separation among different speech modes.

### 5.2- Normal

It is the "neutral" voice mode, i.e. it exhibits the voice in the natural condition which is far from any unusual effort. Acoustic parameters of the normal voice were in median level if compared with soft and loud voices. The differences between male/ female sex appears clearer in the normal voice than in loud or soft voices. see statistical calculation (4.1) which showed the big differences between Normal  $\bar{x}$   $F_0$  of females = 221 Hz and of males = 158 hz, in comparison to loud voice e.g. "Angry"  $\bar{x}$   $F_0$  of females = 256 Hz and of males = 234 Hz.

This finding is in disagreement with Abe (1980) who suggested that "pitch range, change, level of male/ female voices is even more extreme if speakers compared in excited speech".

### 5.3- Angry

The general dictionary definition of anger is "extreme displeasure" but its use in this study and also in the literature

seems to commonly tend toward aggression rather than simply displeasure. Aggression has been among the best - conveyed connotations in the present study, also in other studies on emotive speech (Banse & Scherer 1996) and (Van Bezooijen 1984). In the present study, comparing anger with the three other emotions, angry connotation was expressed with the highest speech pressure, and with high mean  $F_0$  and the longest duration see statistical calculations (4.1) and it is shown as high pitch of straight melodic line by all the subjects and the highest intensity contour especially on the stressed syllable see graphic representations in (4.2).

Fónagy and Magdics (1963, P. 297) noted that "Anger is generally expressed on a mid pitch level and is characterized by a straight, rigid melodic line leaping up a fourth, a fifth, or a sixth interval at the beginning of the phrase. They also noted (1981) that increasing intensity showed shortening of the consonants and lengthening of vowels.

Comparing "anger" with the other emotions that they studied, Williams and Stevens (1972, P. 1248) also noted that "Anger" produced the highest observed pitch "at least half an octave above neutral" and the widest observed pitch range although they found that utterance duration were longer, indicating a reduction of speech rate.

Cummings and Clements (1995) in their study of glottal source of emotions noted, "of all the 11 speech styles, angry has the most distinct and complete closed - glottis segment, the amplitude of the pulse is very high. This is expected because the acoustic energy generated is maximized with sharp glottal closure".

#### 5.4- Sadness

In comparison to neutral speech (i.e normal), sadness has been found to exhibit normal or lower than normal average pitch, average intensity and it has a narrow pitch range. It is characterized by a short vowel duration, a decrease in intensity and attenuation of fundamental frequencies which sometimes is unable to show pitch contour especially in the unstressed syllables. Females proportionally confused sadness with normal

---

emotions more than males but it is characterized in some of their productions by breathy voice. Fónagy (1963) noted, in the case of sadness, a decrease in intensity, downward inflections, "resonant" timbre, "slurred" enunciation and rhythm with irregular pause. Davitz (1964) and Black (1961) noted that soft speech was characterized by slow rate.

### 5.5- Astonishment

In the present study, all the "Astonish" intents were correctly conveyed, although the varied differences of pitch configurations of the various productions see (4.2.1) pitch contour of astonish. The good conveyance of astonishment was probably due to intonation contours.

As a common description of the "Astonish" graphs, intonation contour has an abrupt rise to high level especially on the stressed syllable accompanied by a rise intensity curve and again rising to high pitch level and high intensity level on the unstressed syllable but less than the stressed syllable. Astonishment showed the widest pitch range among the other emotions. The finding is in agreement with other observations on surprise speech (Van Bezooijong 1984, Hutter 1968 and Laukkanen 1996)

Fónagy & Magdics (1963, p. 293) noted that in surprise, the voice suddenly glides up (or up - and - down) to a high level within the stressed syllable, then... falls to the mid level (Joyful Surprise) or to a lower level (Stupefaction) in the last syllable. also "the beginning of the phrase bears a strong stress, the following syllables run down weakly", "tempo is restrained" and "the voice is breathy" Ortony and Turner (1990, P. 317) suggest that it is not, in fact, an emotion in itself, but is important in "The elicitation and intensification of emotions"

## 6- Conclusion

Human emotion is a complex field of study, this is due to the intercorrelation between physiological, psychological, physical, linguistic and semantic factors. Numerous voice variables contribute to the vocal expression of emotions but the results suggested that the most important physical factors by which the intended connotations conveyed were: the sex of the speaker, the stress, the pitch envelope of the production.

The results showed that:

- 1- Male- Female differences are significant factors to distinguish the vocal expressional emotions. Moreover female samples conveyed the connotations better.
- 2- Male - Female differences in  $F_0$  were extremely significant especially in Sad and Normal, while in loud excited vocal emotion these differences are eliminated.
- 3- There is a significant increase of Intensity from soft to normal and from normal to loud voice for both males and females, but there is no significant male - female differences in Intensity in any of the emotional conditions.
- 4- Increasing  $F_0$  is accompanied by increasing in intensity and duration.
- 5- Generally duration of the vowels is shorter in soft voice, and it seems to be the less effective variable.
- 6- Females move in wider melodic voice range than males, i.e., female pitched level is higher about 1 octave than males.
- 7- Pitch contour is the best indicator - among the other parameters - in the excited expression of the loud voices. For this reason, Angry and Astonish were the best conveyed intentions.
- 8- Intensity in Angry is higher than Astonish, but Astonish has various pitch configurations with wide melodic levels than Angry

- 
- 9- "Anger" and "Astonish" intents had higher sound pressure than normal, but "Sad" is sometimes lower than "Normal" and sometimes equals.
  - 10- Stressed vowels always bear the discrete physical indicators for the discrimination of vocal emotions.
  - 11- Mean  $F_0$  and Intensity during the first stressed vowel were the highest for Astonish and Anger which in these respects differed from all other categories.

## References

----

- 1- Abe, I. (1980) "How Vocal Pitch Workes?" in the Melody of Language, edited by L.R. Waugh and C.H. Van Schooneveld (Univ. Park, Baltimore).
- 2- Alpert, M. & Rosen, A. (1990) "A Semantic Analysis of the Various Ways that the Terms "Affect," "Emotion," and "Mood" are Used". J. Commun. Disord. 23, 237 - 246.
- 3- Banse, R., and Scherer, K. (1996) "Acoustic Profiles in Vocal Emotion Expression" J. Pers. Soc. Psychol. 70, 614 - 636.
- 4- Black, J. (1961) "Relationships Among Fundamental Frequency Vocal Sound Pressure, and Rate of Speaking" Lang. & Sp. 4, 196 - 199.
- 5- Cahn, J. (1988) "From Sad to Glad: Emotional Voices" Proceedings of Speech Tech.' 88 New York, 35 - 36.
- 6- Childers, D. and Lee, C. (1991) "Vocal Quality Factors: Analysis, Synthesis and Perception" JASA 90, 2394 - 2410.
- 7- Cummings, K. and Clements, M. (1990) "Analysis of Glottal Waveforms across Stress Styles". In Proce. Intern. Conf. on Acoustics. Speech and Signal Processing. 3 rd - 6th A.
- 8- Cummings, K. and Clements, M. (1995) "Analysis of the Glottal Excitation of Emotionally Styled and Stressed Speech" JASA 98. PP. 88 - 98.
- 9- Darwin, C. (1872). The Expression of Emotions in Man and Animals. Reprinted (1965), Chicago: University of Chicago Press.
- 10- Davitz, J. and Davitz, L. (1959) "The Communication of Feelings by Content- Free Speech" J. Commun. 9, 6 - 13.

- 11-Davitz, J. (1964) "Auditory Correlates of Vocal Expressions of Emotional Feeling" in the Communication of Emotional Meaning, edited by J.R. Davitz (Mc Graw - Hill, New York), 101 - 112.
- 12-Dawes, R. and Kramer, E. (1966) "A Proximity Analysis of Vocally Expressed Emotion" *Percept. Mot. Skills* 22, 571 - 574.
- 13-Fairbanks, G. and Hoaglin, L. (1941) "An Experimental Study of the Durational Characteristics of the Voice During the Expression of Emotion" *Speech Monograph* 8, 85 - 91.
- 14-Fant, C. (1970) *Acoustic Theory of Speech Production*, Mouton, the Hague.
- 15-Fant, G. (1979) "Glottal Source and Excitation Analysis" *Speech Trans. Lab. Quar. Prog. & Status Report*, 1, 85 - 107.
- 16-Fónagy, I. (1981) "Emotions, Voice and Music" in *Research Aspects on Singing*, edited by J. Sundberg (Royal Swedish Academy of Music No 33) PP. 51 - 79.
- 17-Frick, R. (1985) "Communicating Emotion: the Role of Prosodic Features" *Psychol. Bull.* 97, 412 - 429.
- 18-Glave, R. and Rierveld, A. (1975) "Is the Effort Dependence of Speech Loudness Explicable on the Basis of Acoustical Cues?" *JASA* 58. 4. P. 875.
- 19-Hofling, C. (1975) *Textbook of Psychiatry for Medical Practice*, 3rd ed. Philadelphia: J.B. Lippincott.
- 20-Holmberg, E., Hillman, R., Perkell, J. (1988) "Glottal Airflow and Transglottal Airpressure Measurements for Male and Female Speakers in Soft, Normal and Loud Voice" *JASA* 84. 2. P 511.
- 21-Huttar, G. (1968) "Relations between Prosodic Variables and Emotions in Normal American English Utterances" *J.SP. Hear. Res.* 11, 481 - 487.

- 22-Izard, C. (1971) *The Face of Emotion*. New York: Appleton - Century - Crofts.
- 23-Izard, C. (1977) *Human Emotions*. Plenum, New York.
- 24-Johnson, W., Emde, R., Scherer, K. and Klinnert, M. (1986) "Recognition of Emotion from Vocal Cues" *Arch. Gen. Psychol.* 43, 280 - 283.
- 25-Kolb, L. and Brodie, H. (1982) *Modern Clinical Psychiatry*, 10<sup>th</sup> ed. Philadelphia P. 24.
- 26-Kramer, E. (1963) "Judgement of Personal Characteristics and Emotions from Nonverbal Properties of Speech" *Psychol. Bull.* 60, 408 - 420.
- 27-Ladd, D., Silverman, K., Tolkmitt, F. Bergmann, G. and Scherer, K. (1985) "Evidence for the Independent Function of Intonation Contour Type, Voice Quality, and Fo range in Signaling Speaker Affect" *JASA*, 78, 435 - 444.
- 28-Laukkanen, A., Vilkmann, E., Alku, P., and Oksanen, H. (1996) "Physical Variations Related to Stress and Emotional State: a Preliminary Study". *J. Phon.* 24, 313 - 335.
- 29-Leinonen, L., Hiltunen, T., Linnankoski, I. and Laakso, M. (1997) "Expression of Emotional - Motivational Connotations with a One - Word Utterance" *JASA*, 102, 3, 1853 - 1862.
- 30-Levin, H., and Lord, W. (1975) "Speech Pitch Frequency as an Emotional State Indicator" *IEEE Trans. Syst. Man. Cybern.* SMC - 5, 259 - 273.
- 31-Lieberman, P. and Michaels, S. (1962) "Some Aspects of Fundamental Frequency and Envelope Amplitude as Related to the Emotional Content of Speech" *JASA* 34, 922 - 927.
- 32-Monsen, R. and Engebretson, A. (1977) "Study in Variations in Male and Female Glottal Wave" *JASA* 62, 981 - 993.
- 33-Murray, I. and Arnott, J. (1993) "Toward the Simulation of emotion in Synthetic Speech: A Review of the Literature on Human Vocal Emotion" *JASA*, 93 (2) P. 1097

- 
- 34-Oatlay, K. (1989) "The Importance of Being Emotional"  
New Science 123 PP. 33 - 36.
- 35-Ortony, A. and Turner, T. (1990) "What's Basic about Basic  
Emotions?" Psychol. Rev. 97, 315 - 331.
- 36-Redlich, A. and Freeman, D. (1966) *The Theory of Practice  
of Psychiatry*. New York: Basic Books.
- 37-Scherer, K. (1981) "Speech and Emotional States", in  
*Speech Evaluation in Psychiatry*, Edited J.K. Darby.
- 38-Scherer, K. (1984) "Emotion as a Multicomponent Process:  
A Model and Some Cross - Cultural Data" *Rev. Personal  
Social Psychol.* 5. 37 - 63.
- 39-Scherer, K. (1986) "Vocal Affect Expression: A Review and  
a Model for Future Research" *Psychol. Bull.* 99, 143 - 165.
- 40-Sulc, J. (1977) "To the Problem of Emotional Changes in  
Human Voice" *Act. Nerv. 1 Super.* 19, 215 - 216.
- 41-Uldall, E. (1960) "Attitudinal Meanings Conveyed by  
Intonation Contours" *Lang. & SP.* 3, 233 - 234.
- 42-Van Bezooijen, R., Otto, S. and Heenan, T. (1983)  
"Recognition of Vocal Expressions of Emotion: A three -  
Nation Study to Identify Universal Characteristics" *J. Cross -  
Cultural Psychol.* 14, 387 - 406.
- 43-Van Bezooijen, R. and Boves, L. (1986) "The Effect of Low  
- Pass Filtering and Random Splicing on the Perception of  
Speech" *J. Psychol. In Linguis. Res.* 15, 403 - 417.
- 44-Williams, C. and Stevens, K. (1972) "Emotions and Speech:  
Some Acoustical Correlates" *JASA* 52, 1238 - 1250.

---

## Africa and Africans in Harriet Beecher Stowe's *Uncle Tom's Cabin*

### Introduction

This paper will examine closely a number of passages from *Uncle Tom's Cabin* that describe Africa and talk at length about the sufferings of Afro-Americans. This close analysis is essential for the paper's argument that there is a movement in the novel from a diaspora of the African race in the beginning to unity toward the end, from slavery to freedom and from rootlessness to a discovery of identity and origin. Of equal interest to the paper is the exploration of what the novelist has accomplished by her inclusion of such descriptive passages that have contributed a great deal to changing the white man's perspective toward blacks in particular and the downtrodden in general. It is my contention that the powerful impact of the novel and its success in getting the message across are attributed to the moving passages that delineate the miseries and misfortunes of the slaves. It is also my observation that none of the black characters, particularly females, are introduced without a special focus on distinctive facial features and a thorough survey of origin and background as if the author takes it upon herself to speak for Africans whose rights have to be protected and whose smothered voices have to be heard. What accounts for the everlasting influence of the book that brings about an awareness of the deplorable and appalling conditions of slaves who have suffered tremendously under the tyrannical institution of slavery is its documentary nature and its authenticity. As Jane Tompkins rightly maintains, the novel is possibly "the most influential book ever written by an American".<sup>1</sup>

### A Powerful Book

This is a book that proves beyond the slightest doubt that written words are strong instruments that can bring about change as they portray very faithfully the shocking plight of the oppressed who are rendered powerless but in spite of their weakness, are bound to resist and then revolt. The novelist, through her powerful language and accurate presentation of the predicament of blacks, can do the job better as she transmits a true picture of what slavery is like. For this reason, the novelist is seen as probably the first writer who helped in getting the real war against slavery started. What the oppressed cannot voice with the cane or lash that whips them day and night for failure to keep up productivity in the cotton plantations of the south, the novelist can achieve through influential words. While the slave is powerless to seize the whip from the hands of his despotic master to be the 'knouter' who has the right to self-defense and protection if not retaliation, the novelist can transform the lines into revolution. The credit for launching the war against slavery certainly goes to Harriet Beecher Stowe who was greeted by Abraham Lincoln in 1863 as "the little lady who made this big war"<sup>2</sup> through the powerful medium of words. By this achievement, all Americans have come to view the history of slavery from the author's angle of vision. It is only when the addressed audience sees such a repulsive institution from the author's perspective that a genuine and profound insight into the horrors of slavery is reached. By exposing the viciousness and ruthlessness of such a barbarous institution that degrades man and denies him his essential rights and by bringing Americans to see slavery in its true light, Stowe, in the words of Moira D Reynolds, was a pioneer in using fiction for a constructive and "profound criticism of American society, especially its failure to live up to the promises of democracy"<sup>3</sup>

---

Stowe intended her book to be moving and effective. To achieve that goal, she substantiates her evidence that

The separate incidents that compose the narrative are, to a very great extent, authentic, occurring, many of them, either under her own observation, or that of her personal friends. She or her friends have observed characters the counterpart of almost all that are here introduced; and many of the sayings are word for word as heard herself, or reported to her. (p.618)

### An Ancient Picture

Before we delve into the book, it may be appropriate to talk about the ways the image of Africa has been projected. This short historical survey enables us to understand the situation blacks are portrayed in Stowe's novel. Ever since Medieval times, Africa has been viewed as a vast continent of unfathomable natural resources and endless riches. It is interesting that such an image is also confirmed by Stowe's novel as its analysis reveals later on. European and Arab travellers alike have been struck by the hectic commercial activities in numerous African ports. Salt was dug out of its pits in Taghaza and sold to merchants. Al-Idrissi confirms that the inhabitants of Taghaza used salt as others used gold. They broke it into pieces and offered it for sale.<sup>4</sup> But what affirms Africa's strong link to wealth, and gold in particular, may be attributed to Mandeville, who according to Eldred D. Jones "introduced Englishmen to the legend of Prestor John.... [described] as a fabulously wealthy Christian king living in a land full of precious stones".<sup>5</sup> Several travellers asserted that Mali was the main centre for gold mining. Al-Qazwini, as an example, reports that Mali's gold "grows in the land as carrots grow in our land"<sup>6</sup>. Stowe, too, refers to Africa as "that far-off mystic land of gold, and gems, and spices" (p. 275).

This image of opulence and abundance attracted early travellers who reported their observations about a distant and exotic land. Consequently, the desire to invade and domesticate Africa became the ultimate goal of the West. But the journey to Africa was not without horrors and painful discoveries. "Africa" is the title of a poem by Maya Angelou<sup>7</sup> that exposes evil imperialistic intentions behind the facade of a Western claim that Africa needs Western enlightenment and civilization to rise out of its hibernation. The poet asserts the blackness of Africa, its vastness and its sufferings as the "two Niles" that run through it are imagined to be "her tears". Maya Angelou and Stowe affirm certain distinctive features of the black continent and probably their awareness of the sufferings of its people is the common ground that unites them and brings them to feel for Africans. In "Africa", the "brigands ungentled" have sailed across oceans and have undertaken arduous voyages to reach the vast continent. Upon arrival, they "took her young daughters / sold her strong sons / churched her with Jesus / bled her with guns". These are among the atrocities that the white man has done to Africa that will always "remember her pain / remember her losses / her screams loud and vain / remember her riches / her history slain". Similarly, Stowe is primarily concerned with the agonies and painful experiences of the African race.

### Point of View of Blacks Observed

Stowe took upon herself the challenging task of familiarizing the whole world with the agonies of the enslaved. As one starts reading the book, one is immediately aware that the novelist is talking about serious problems within a dual society with the sharpest polarization between the two distinct ethnic groups: blacks and whites. As Andrew Hacker maintains, this is polarization in colour, incomes, lifestyles, power, and attitudes toward each other.<sup>8</sup> Human rights and social justice are often at the core. Stowe is concerned with these two issues. It is her objective to discuss human relationships in a pluralistic society. As she sees the injustice done to blacks, she feels it is her right to represent them. Her call for justice and understanding is bound to be heard. They have reaped their fruits by drawing attention to calamities and misfortunes that can no longer be endured. The white man has to listen to grievances and it is only when such grievances are written from the African or black man's point of view that they gain weight and get attention. Throughout history, the white man, as a historian, has decided what should be included or deleted from the annals of history. He will only allow what is in his favour to be published. He will suppress the voice of the oppressed because as Homi K. Bhabha argues, we live in an era where the "white sky [is] all around us"<sup>9</sup>. If that is so, who will record the miseries of the blacks particularly if they are inflicted on them away from the vigilant eye of a just state and in a southern cotton plantation cut-off from the rest of the world? Simon Legree has committed a terrible crime as he beats the innocent and submissive Uncle Tom to death just because he refuses heroically to betray two black female fugitives: Cassy and Erameline. Tom remains loyal to their memory to the last minute as he adamantly refuses to reveal what he knows about the women's disappearance. When George Shelby confronts Legree with his heinous murder, the perpetrator finds refuge in Bahaba's above remark. Since no white man was present at the time of the atrocious deed and since the testimony of blacks was not accepted by the courts, who could bring the charge against the evil-doer?

The following conversation takes place between the two men:

George: But, sir, this innocent blood shall have justice. I will proclaim this murder. I will go to the very first magistrate, and expose you.  
"Do!" said Legree, snapping his fingers, scornfully. "I'd like to see you doing it. Where you going to get witnesses? - How you going to prove it? Come, now!" (p. 592)

But Stowe's novel proves it. She confirms the charge against the white man. Since she writes history from the black man's perspective, she must bring out the atrocities committed against him. The authorial voice is needed here to lay hands on the criminal and assert the accusation of a deliberate murder. She is present with her pen and heart. She sees it and she will bring the white man to see it. While George is almost dumbfounded since he knows full well the weakness of his position vis a vis the credibility of his evidence against Legree since "There was not a white person on the place; and in all southern courts, the testimony of colored blood is nothing". Stowe supplies the evidence that convicts the criminal. By presenting this evidence, she allows the smothered voice of a lady that cries "What a shame to our country that such sights are to be seen!" (p. 499) to be heard, though both the lady and George feel powerless to stop such atrocities. The helplessness that George experiences at the

---

moment when his tongue and hands are tied does not mean that the novelist is similarly restricted. Stowe transforms this moment of utter passivity and inability to bring criminals to justice into a moment of strength. The cries of the aggrieved will be answered in the long run for George "felt, at that moment, as if he could have rent the heavens with his heart's indignant cry for justice, but in vain" (p. 592). But in the hands of Stowe, nothing is recorded in vain.

The above incident could have been dropped had a Western historian been writing history. Such historians write the whole history of the oppressed from their particular perspectives and re-fashion their post-colonial views. But as Bhabha asserts:

What is crucial to such a vision of the future is the belief that we must not merely change the narratives of our histories, but transform our sense of what it means to live, to be, in other times and different places, both human and historical. (LOC, p. 256)

Thus blacks and all others who fall into their category have the right to write history from within, not with a Western eye dictating their perspectives and re-defining the way history should be viewed, but from the point of view of the oppressed who have felt imperial injustice in its most heinous shapes. Stowe therefore writes the history of blacks as she actually observes it. She is in a position to document her observations as she exposes the whole truth for the entire world to see. The book therefore owes its success to a number of reasons, including its authenticity.

### **A Feminist Book**

Being a feminist book, it enables people to appreciate the sufferings of mothers who face the ultimate fate of being harshly separated from their offspring. Eliza whose four-year-old quadroon boy Harry is to be sold by the slave owner Mr. Shelby to the slave-trader Haley, Mammy who works as a nurse for the inconsiderate hypochondriac Marie St. Clare and Emmeline who is bought by the ruthless Simon Legree are among females who are separated either from spouse or child. Stowe describes genuine emotional feelings and instinctive female reactions that a male novelist could not have possibly done. She is a background influence on Virginia Woolf's *A Room of One's Own* (1929) as a feminist novel. Hence, if Woolf is considered to be the founding mother of the contemporary feminist debate, she had an archetype in the person of Stowe. Hence, Stowe's novel enters the 'private chambers' of females to give a genuine picture of what lies inside. These are the 'private chambers' or 'quarters' that Virginia Woolf insists that a lady must have in addition to an independent income if she is to write fiction that plays a role in the imaginative territory of the women novelists.<sup>10</sup> As a feminist writer, Stowe has access to these private chambers to describe what she observes from a feminist perspective. The argument that women write about different things from men and also in a different way while adopting a feminist viewpoint lies behind feminist literary criticism. Such a difference between genders can be evident not only "in the images which are used in literature, but in the actual use of language itself". Woolf also asserts that even the subject matter of women's novels is different from that of men's where "the essential difference lies in the fact not that men describe battles and women the birth of children, but that each

sex describes itself. The first words in which either a man or a woman is described are generally enough to determine the sex of the writer".<sup>11</sup>

### Females Manipulated

By focusing her attention on women's problems, insights, emotions and special adventures in a way that exhibits a uniqueness of vision and a skill of representation, Stowe is able to let the feminist voice be heard and recognized independently as it is capable of transmitting an authentic picture and of sending a particular message. In fact, a feminist like Iris Marion Young insists "on the need for proper representation of social groups, such as ethnic and racial minorities, as well as women and other disadvantaged groups".<sup>12</sup> This is exactly the task that Stowe accomplishes. From the women's private chambers, she offers numerous examples of how females writhe in pain as they are victimized by slavery. The heaviest weight unfortunately falls on them and in accordance with their weak and submissive natures, they have to bow their heads and suffer the most. As the novel begins, women are entirely excluded from the harsh realities of a masculine world that decides their fate in their absence. Stowe depicts a world where a woman is the 'Other' who is robbed of her distinctive identity. She is marginalized and forced to play a subliminal role just as the blacks are excluded from the contemporary scene. Both females and blacks are therefore the victims of a masculine white world that pushes them to the fringes of public action. In such a world, gender is not biologically determined but rather culturally constructed to allow the male the upper hand over the female just as the history of colonization allows for an exhibition of the white man's cultural superiority over the black.

The introductory scene where "two gentlemen were sitting alone over their wine.... discussing some subject with great earnestness" (p. 41) foreshadows the numerous incidents at auctions and the slave-warehouse where men determine the destiny of females and force them to accept social injustice. The fact that Eliza overhears the whole conversation which men do not expect a concerned lady to overhear let alone comprehend immediately establishes the tyrannical nature of a masculine world that denies women admission into matters where they should have a say or where their voice ought to be freely expressed. Eliza is transformed into a silent object hidden behind bars to eavesdrop on the men. But by denying her admission into a ruthless masculine world, Stowe allows us to enter into a private affectionate feminine world where we see females undergoing tremendous pain and anguish. Even Mrs. Shelby, in whom Eliza confides, has been "entirely ignorant of her husband's embarrassments, .... , had been quite sincere in the entire incredulity with which she had met Eliza's suspicions. In fact, she dismissed the matter from her mind, without a second thought" (p. 53).

This scene therefore establishes the fact that genders operate in two opposite spheres: women are more concerned with household duties and trifles; and men decide cruelly on matters that need firm action, actions that come at the cost of denying females their freedom in personal matters. And even if females raise their voice in objection out of humanitarian concern, Haley thinks that women are gullible as their love for "watches, feathers, and trinkets, one's weight in gold would buy" (p. 46) could alter the case and talk them into positions they initially oppose. The rift between the two worlds where each sex plays a different role is essential. This allows

---

the feminist novelist to get into the hearts of her heroines and attempt to express their suppressed voice. Here we enter the harem world through the novelist's eyes to listen to grievances poured out of laden hearts. What is being exposed is the utter nonchalance and despotism of the masculine world. We come to share the novelist's views and consequently express sympathy for victimized females. But the difference between males and females is not only defined by a difference in subject-matter. Each group manipulates a different language more suitable for its needs: females use a meek language characterized by sobbing and complaining or a thorough disregard of the evil intentions behind men's words; while men employ a harsh language that even the external severity of the "chilly day in February" of the first sentence establishes. It is quite evident that the two men manipulate a language completely devoid of affection. In their view, human beings are reduced to mere objects who must be sold. As Shelby explains later to his wife about the intended sale of Eliza's child, Harry, and Tom:

Either they must go, or all must. Haley has come into possession of a mortgage, which, if I don't clear off with him directly, will take everything before it. I've raked, and scraped, and borrowed, and all but begged,— and the price of these two was needed to make up the balance, and I had to give them up. Haley fancied the child; he agreed to settle the matter that way, and no other. I was in his power, and had to do it. (p. 84).

The tone of Shelby's speech is authoritative, calculating and business-like. While he pretends in the introductory chapter that he is "a humane man [who] hate[s] to take the boy from his mother" (p.46), yet, he must pay his debts. In an attempt to justify slavery and smother any human affection, Haley draws the contrast between 'white folks' and niggers who are not

brought up in the way of 'spectin' to keep their children and wives, and all that. Niggers, you know, that's fetched up properly, ha'n't no kind of 'spectations of no kind; so all these things comes easier.

Once their loved ones are taken away, Haley believes that "out of sight, out of mind, you know,—and when it's clear done, and can't be helped, they naturally gets used to it" (p. 49). But Stowe proves that such an argument is false and deceptive. She includes such details to bring white people to an awareness that blacks are capable of expressing deeply genuine and profound feelings. It is out of love and concern that Eliza endures the hardship of the journey across the Ohio river to keep her child with her. Thus Stowe takes care to record that

With wild cries and desperate energy she leaped to another [i.e., piece of ice]....; stumbling- leaping-slipping-springing upward again! Her shoes are gone- her stockings cut from her feet- while blood marked every step; but she saw nothing, felt nothing, till dimly, as in a dream, she saw the Ohio side, and a man helping her to the bank. (p. 118)

## Sufferings of Black People

Thus blacks are denied one of the basic rules of existence and forced to brush aside what confirms their humanity and superiority. By taking young children away from parents, the white man proves his insensitivity and callousness. He thinks that once children are away from the parents' sight, they are forgotten as the parents, by their nature, have hard hearts. By denying blacks affection and love once they are removed from their parents, the white man expects blacks to obey their masters. Stowe however is adamant in her view that the negro race is bound together, that they share a common destiny and that they present a united front. They resemble an inter-woven tapestry whose threads cannot be undone. Human relations are therefore very strong and blacks are almost treated as one large family that cares and shows concern for all its members.

There is no better example to illustrate how closely tied blacks are, as if they are weaving an inseparable social fabric, than in chapter 42. There we meet the two fugitives Cassy and Emmeline who leave the plantation and board a riverboat heading north disguised as "a Creole lady [and] her servant" (p. 597). It is a mere coincidence that "the next state-room to Cassy's was occupied by a French lady, named De Thoux" (p. 599). In this chapter, we learn of the long chain of coincidences that unite many of the novel's characters whose familial relationships have been harshly severed by slavery. Madame de Thoux is revealed to be George Harris's sister. She had resided in Kentucky in a former period of her life. She was sold to the South when George was a boy. Then "she was bought by a good and generous man. He took [her] with him to the West Indies, set [her] free, married [her]. It is but lately that he died; and [she] was going up to Kentucky, to see if [she] could find and redeem [her] brother" (p. 600). In the same chapter, Cassy learns too what has become of her long-lost daughter, who is none other than George Harris's wife, Eliza, whom he married in the Shelby's house early on in the novel. As George Shelby informs the group on board of the name Simmons, Cassy faints and falls "insensible on the floor of the cabin" (p. 601). Simmons is the name of the people who sold Eliza to George's father as this is confirmed by 'the bill of sale' (p.601) that George came across during his search into the dead man's papers.

The objective of such a scene is to bring blacks who suffered disconnection into unity. A family reunion is going to be witnessed next chapter in Canada where the Harris household is together enjoying liberty and transforming their residence into a fine place of education and warm feelings. After family members have been scattered as "the wind whirls and scatters the leaves of autumn" the "shores of refuge, like the eternal shore, often unite again, in glad communion, hearts that for long have mourned each other as lost" (p. 606). By unifying the Harris Household, Stowe directs a severe blow at slavery that scatters family members and cuts ties among family relations because she believes that, "The most dreadful part of slavery, ..., is its outrages on the feelings and affections, - the separating of families, for example" (p. 200). To counterbalance such activities conducted by the ruthless white man, Stowe shows the blacks as one consolidated front who face one destiny, undergo the same painful experiences but triumph once they are united. Thus the repeated stories of family break-ups throughout the novel and the continuous attempts of the white man to tear at the heart as he resorts to violence to sever relations between family

---

members who are forced into a diaspora, end in failure. What Stowe shows is that whatever the white man does to disperse the African race and cut it off the continuous cycle of history is not entirely successful. The family reunion defeats the purpose of the white man that desires to keep a diaspora going because with it no aspirations to form an independent African nation can ever come true.

The white man is exposed as utterly ruthless in the novel because he does not accept that what he does to the African people could also be done to him. He gives himself the full right to disconnect relations among family members but demands his family unit remain inviolable. Stowe gives blacks the right to feel close. She creates this milieu on board the riverboat and then in Canada. By doing so she thwarts the white man's plans for diaspora. She destroys evil schemes to keep family members apart. When the disguised and runaway George Harris meets his former employer Mr. Wilson in the tavern where a note has been posted asking to have George handed over to his master either alive or dead, Wilson cites religion as an institution that teaches people obedience. As the "apostle says, 'Let everyone abide by the condition in which he is called.' We must all submit to the indications of Providence, George, - don't you see?" (p. 184). This is the same lesson that the hypocritical clergyman teaches the slaves. Stowe directs her attack at the church for remaining silent on the whole issue of slavery, and rather than encouraging the oppressed to defy such an institution, religion ironically becomes a means of reinforcement and legalization. Thus the clergyman says "It's undoubtedly the intention of Providence that the African race should be servants, - kept in a low condition" (p. 200) The Scripture is manipulated to talk blacks into accepting their lot as "It pleased Providence, for some inscrutable reason, to doom the race to bondage, ages ago; we must not set up our opinion against that" (p. 200).

Later on Marie St. Clare cites from a sermon of a Dr. G to prove the point that the Bible allows slavery since "all orders and distinctions in society came from God" and therefore "some should be high and some low, and that some were to rule and some to serve,..., and he proved distinctly that the Bible was on our side, and supported all our institutions so convincingly"(p. 279) . But to return to George Harris who is advised by Wilson to go back to his master as Providence intends him to accept his position as a slave, George cites an example to illustrate that were the white man to fall into servitude to "Indians (who) should come and take [him] a prisoner away from [his] wife and children, and want to keep [him] all [his] life hoeing corn for them", would he "abide in the condition in which [he is] called"? (p. 184) Only those who are flogged feel the pain and it is easy for a free man to exhort a nigger to accept slavery because he does not know the agony a black man goes through. Ophelia tries to make St. Clare see the horrors of slavery as she says:

Tell me that any man living wants to work all his days, from day-dawn till dark, under the constant vigilant eye of a master, without the power of putting forth one irresponsible volition, on the same dreary, monotonous, unchanging toil, and all for two pairs of pantaloons and a pair of shoes a year, with enough food and shelter to keep him in working order! Any man who thinks that human beings can, as a general thing, be made about as comfortable that way as any other. I wish he may try it. (pp.339-340)

## Moving Scenes

This is what Stowe intends the white man to see. She aims at creating sympathy with the downtrodden who feel as much pain as any human being when they are dragged away as prisoners from the very presence of their parents. When Marie St. Clare is confronted with Ophelia's criticism that she has separated Mammy from her husband and children and therefore blacks are equal to whites in terms of feeling loss as "the Lord made them of one blood with us", Marie retorts that blacks are "a degraded race" who cannot be put "on any sort of equality with us, you know, as if we could be compared, why, it's impossible.... Mammy couldn't have the feelings that I should. It's a different thing altogether, -..... And just as if Mammy could love her little dirty babies as I love Eva!" (p. 268). What in fact troubles Marie is that her daughter Eva "seems to put herself on an equality with every creature that comes near her. It's a strange thing about the child" since she knocks down social barriers and acts in a way that shows love and affection. While Marie thinks that servants must be made to "know their place, Eva never does; there is no getting into the child's head the first beginning of an idea what a servant's place is!" (p. 265). However because of her kindness all the servants weep at her death. It is because she feels for others that they in return feel for her. She expresses a tremendous concern for the plight of slaves and she wishes to free them all and teach them to read and write. When she falls sick, she reminds her father of the sufferings of blacks and implores him to set them free as "these poor creatures love their children as much as you do me. O! do something for them! There's poor Mammy loves her children; I've seen her cry when she talked about them. And Tom loves his children; and it's dreadful, papa, that such things are happening, all the time!" (p. 403).

The little child awakens in her father's heart feelings of concern and love and had he not been stabbed in the cafe by the stranger, he would have acted on Eva's words and freed Tom. Eva develops a close affectionate relationship with the neglected and unloved slave girl Topsy that the mother fails to understand. She says to Topsy "I love you, because you haven't had any father, or mother, or friends; - because you've been a poor, abused child!" (p. 409) Eva tries in vain to convince Marie that Topsy is not inherently wicked and that all she requires is love. When Eva dies, her loss is profoundly felt by Topsy and all others who assembled in the parlour to receive a token of love, "a curl of [Eva's] hair" that symbolizes attachment and connection to the cause of blacks even after death (p. 419). Thus Eva's death becomes the vehicle through which her father is able to experience the sufferings of the oppressed. It is only when he loses her that he is aware of the anguish of blacks who have had to endure separation and family break-up. Similarly, it is only when Tom is gone, that the predicament of blacks is likely to change. The death of an individual signals the freedom of a group. Thus when George Shelby becomes the master of his father's plantation, he frees all the slaves attributing his change of feelings to the heroic life and cruel death of Tom. In his loving farewell speech to servants in the plantation, George says:

that [he] resolved, before God, that [he] should never own another slave, while it was possible to free him; that nobody, through [him], should ever run the risk of being parted from his wife and friends, and dying on a lonely plantation. And he said, "when you get to your freedom, think that you own it to the

---

good soul, and pay it back in kindness to his wife and children. Think of your freedom, every time you see Uncle Tom's Cabin; (p. 617)

Tom dies to give slaves their freedom. His victory over Legree comes in his acceptance of his fate and his refusal to yield to his behests because Tom's soul is free. When Legree forces him to comply with his orders by citing the words of the Bible "servants, obey yer masters", Tom tries in vain to explain that obedience to the master is not absolute since his "soul an't yours, Mas'r! You haven't bought, - ye can't buy it!" (p. 508). Thus he emerges victorious because he remains faithful to his people till the last minute. By offering his life, he gives Africa its freedom, "oh Africa! latest called of nations, - called to the crown of thorns, the scourge, the bloody sweat, the cross of agony, - this is to be thy victory" (p. 562). This is the real source of consolation for blacks who are free and reunited rather than enslaved and dispersed toward the end of the novel. They want to seek a return to their African origin to build a nation. What the white man desires as he splits the African race apart and divorces mother from child or husband is ultimately thwarted as Africans assert their freedom and reinforce their family union. The attempt at diaspora has failed because Africa has every right to become an independent nation that stands on equal footing with any other free nation.

### A Bright Future For Africa

Stowe takes pride in the fact that Africa is rising even though at that time it was not. But she foresees its rise as a nation as Africa's turn is bound to come when it will play a role in history. Furthermore, she expresses the belief that:

If ever Africa shall show an elevated and cultivated race, - and come it must, some time her turn to figure in the great drama of human improvement, - life will awake there with a gorgeousness and splendour of which our cold western tribes faintly have conceived. In that far-off mystic land of gold, and gems, and spices, and waving palms, and wondrous flowers, and miraculous fertility, will awake new forms of art, new styles of splendor; and the negro race, no longer despised and trodden down, will, perhaps, show forth some of the latest and most magnificent revelations of human life. Certainly they will, in their gentleness; their lowly docility of heart, their aptitude to repose on a superior mind and rest on a higher power, their childlike simplicity of affection, and facility of forgiveness. In all these they will exhibit the highest form of the peculiarly Christian life, and, perhaps, as God chasteneth whom he loveth, he hath chosen poor Africa in the furnace of affliction, to make her the highest and noblest in that kingdom which he will set up, when every other kingdom has been tried, and failed; for the first shall be last, and the last first. (p. 275)

It is interesting that the above quotation confirms the image of Africa alluded to earlier in the discussion of European and Arab travellers' conceptions of the vast continent. Writing about Marrakesh in West Africa, al-Qazwini has this to say:

---

It has many gardens and orchards. Its borders are indented with numerous gulfs. Goods come to it from other regions and through caravans, in addition to what it contains of trees and groves 13.

Because of its treasures and hidden natural resources, Africa is bound to be self-sufficient. Africa's fertile and expansive land can be used to supply a large proportion of the world with its basic needs in food and agriculture. In fact many African countries have recently evolved beverage economies producing elements of incidental consumption in the Northern hemisphere.<sup>14</sup> While Africa still imports the fundamentals of its existence such as industrial and advanced scientific equipment, African intellectuals manage these Western firms, labs and establishments. Stowe gives George Harris the credit for having invented an agricultural device for "the cleaning of the hemp, which, considering the education and circumstances of the inventor, displayed quite as much mechanical genius as Whitney's cotton-gin" (p. 54). George's employer is so struck by the high performance and "superior qualifications" that the black man has that he congratulates George's master who comes to visit the factory "on possessing so valuable a slave" (p. 55). But envy consumes the heart of the white man as he feels an "uneasy consciousness of inferiority. What business had his slave to be marching round the country, inventing machines, and holding up his head among gentlemen. He'd soon put a stop to it. He'd take him back, and put him to hoeing and digging, and "see if he'd step about to smart"" (p. 55). It is therefore out of jealousy and fear that the black man is denied a fair chance to play a major role in history. Stowe is certain that such an opportunity is coming no matter how hard the white man strives to exclude the black and dismiss him to the periphery. In spite of a deliberate marginalization of the black man out of fear, his genius has to be acknowledged.

Stowe refutes the argument that blacks are culturally inferior. On the contrary, she presents them on equal footing if not on a higher level than their 'masters'. George in fact asks in amazement what right the white man has above him: "Who made this man my master? That's what I want to know!" (p. 61). What is the criterion that determines whether one should be the master or the slave? If the hypocrites' viewpoint that the so called evidence for that position is taken out of the Bible, then that evidence is against them as no religion at all accepts that man should be denied his freedom and tortured by another. George makes a number of comparisons that prove his superiority to his master. Thus he says:

I'm a man as much as he is. I'm a better man than he is. I know more about business than he does; I am a better manager than he is; I can read better than he can; I can write a better hand, - and I've learned it all myself, and no thanks to him, - I've learned it in spite of him; and now what right has he to make a dray-horse of me? (p. 60)

This is the new African with all the abilities to build a new nation. Here is Stowe's conception of the free man who opposes tyranny, possesses talents and fights for true freedom only attainable in another country. This is the African who questions and never lowers his head in subservience. He holds the pistol high when he needs to frighten his pursuers. He will not be beaten or defeated. With him Africa is bound to rise and have a future. He possesses that spark of

defiance that gives him physical and spiritual strength to fight against injustice and also the intellectual stamina that puts him on an equal footing with the white man.

If Conrad tells us in *Heart of Darkness* that Western "strength is just an accident arising from the weakness of others"<sup>15</sup>, here is an example of a man who refuses to be in a position of weakness by running away for his freedom and by refusing to comply with unjust laws. In the character of George, Stowe sees signs where resort to resistance is required if man is to gain his freedom. She also shows in the character of the submissive Tom that such hopes can be reached through the death of an individual which gives life to a whole race. Both George's struggle and resistance and Tom's submissiveness are needed to attain freedom. Each can be used at a different stage and under different circumstances since both try to reach the one goal: to cast slavery aside and assert the original freedom of the African race.

The above characterization defines Stowe's belief that a change of circumstances will bring Africa to a leading position. Africans are destined to exhibit their talents, productivity, efficiency and power to lead and make decisions concerning their own affairs. Sufficient time is all that is needed before their destiny will come to pass. Stowe's belief in the inherent good nature and outstanding qualities of blacks is expressed throughout the novel. In their capability to show love and affection and in their care for their families and children, they surpass whites. By the end of the novel, George Harris informs a friend in a letter that he must seek a return to his roots back in Africa. His desire for political dialogue and power lies behind his determination to move with his family to Liberia. He feels obliged to go to "form part of a nation", particularly a new one like Liberia that had recently come into being. George believes that such an African nation with modern ideas and aspirations shall "have a voice in the councils of nations, and then we can speak". He goes on to define what a nation is and what its rights are: "A nation has a right to argue, remonstrate, implore, and present the cause of its race, - which an individual has not" (p. 610). George so identifies himself

with the oppressed, enslaved African race that [he] cast[s] in [his] lot; ... The desire and yearning of [his soul] is for an African nationality. [He] want[s] a people that shall have a tangible, separate existence of its own, and where [is he] to look for it? Not in Hayti; for in Hayti they have nothing to start with.... Where, then, shall [he] look? On the shores of Africa [he] see[s] a republic, - a republic formed of picked men, who, by energy and self-educating force, have, in many cases, individually, raised themselves above a condition of slavery. Having gone through a preparatory stage of feebleness, this republic has, at last, become an acknowledged nation on the face of the earth, - acknowledged by both France and England. There it is [his] wish to go, and find [himself] a people. (pp.608-9)

## Conclusion

George repeats his request that he "want(s) a country, a nation of [his] own" (p. 610). He believes that once Africans unite and as "the whole splendid continent of Africa opens before [them], and [their children] they will rise to great heights. The African nation shall fill the role of civilization, and then shall it long to be free."

---

plant there mighty republics, that, growing with the rapidity of tropical vegetation, shall be for all coming ages" (p. 609). By connecting Afro-Americans to their homeland and by asserting their deep and original roots, Stowe does exactly the opposite of what the Western world desires and that is to cut off Afro-Americans from their past and heritage. These give them a sense of belonging and security. A homeland where human rights are granted is what the oppressed minorities of today seek and call for because without it they live like fugitives or nomads. With it, they have what Bhabha calls "secure point[s] of identification"<sup>16</sup>. A homeland is therefore a must to assert one's freedom, to connect with roots and preserve identity. The past is also important in the process of preservation and arrival at a distinct identity. That cannot be done unless Afro-Americans have a thorough knowledge of their painful history of slavery. It is only when they know how they were rejected, alienated and deprived of basic human rights that they will discover who they are.

A black writer like James Baldwin sheds light on the painful reality that Afro-Americans should be constantly aware of. In "Stranger in the Village", he speaks of the black man whose "past was taken from him, almost literally, at one blow". Baldwin sees the possibility of Haitians "to trace their ancestry back to African kings, ..any American Negro wishing to go back so far will find his journey through time abruptly arrested by the signature on the bill of sale which served as the entrance paper for his ancestor"<sup>17</sup>. By returning to roots in Africa, Stowe and Baldwin find a solution for that feeling of rootlessness and absence of a centre of attachment to which blacks should hold. The journey into Africa becomes a search for the self and an exploration of a stable identity. By connecting Afro-Americans to Africa, they discover their past and hence find meaning and order in their lives. Africa therefore holds a deeply significant location in Stowe's novel because she regards the continent as a home that offers stability, comfort, warmth, freedom and identity. Without it, blacks will still face the disastrous consequences of a diaspora. In Africa they are united to build a separate nation that is bound to have its chance and play its major role on the stage of world events. By emphasizing the importance of origin, Stowe's writing has all the warmth of the human voice that speaks up loudly to bring Americans to an awareness and understanding of Afro-American history. While the novel starts with the white man's attempt at a dispersal of Africans in auctions and in a remote God-forsaken wilderness and in a disconnection of ties among members of George Harris's family, it ends with a family reunion in a free land first and then a desire to return to their roots in Liberia. The novel witnesses a movement from tyranny at the hands of the white man to an escape from the clutches of despotism and the attainment of liberty. It also moves from the painful history of the Afro-American fixed only in rootlessness into a brighter future where the Afro-American finds roots and origin which are important to the process of self-discovery. Throughout the novel, Stowe does the job of historian and feminist to approach the issue from the black man's perspective. The success of the book lies in the brilliant handling of the dual task of the historian and the feminist. It is this melding, it is unanimously acknowledged, that has so pertinent a bearing on changing the predicament of blacks and by implications all others who fall in their category.

## Notes

1) Jane Tompkins, Sensational Designs: The Cultural Work of American Fiction 179-1860 (New York, 1985), p. 122.

2) Anne Douglas, "Introduction," in Uncle Tom's Cabin or Life Among the Lowly by Harriet Beecher Stowe (New York: The Penguin American Library, 1852), p.19. Further references to the text are to this edition.

3) Moira Davison Reynolds, Uncle Tom's Cabin and Mid-Nineteenth Century United States: Pen & Conscience (Jefferson, NC: McFarland, 1985), p. 156.

4) Abu Abd Allah Muhammad ibn Muhammad al-Idrissi, Wasf Afrikiya al-Shamaliya wa al-Sahrawiya, ed. Henri Peres (Algiers: Maktabat Ma'ahad al-Durous al-Ulya, 1957), p. 91.

5) Eldred D. Jones, The Elizabethan Image of Africa (Charlottesville: University Press of Virginia, 1971), p. 5.

6) Zakariya ibn Muhammad al-Qazwini, Athar al-Bilad wa Akhbar al-Ibad (Beirut: Dar Sadr lil Tiba'a wa al-Nashr, 1960), p. 163.

7) "Africa" by Maya Angelou in Carl E. Bain & others, eds, The Norton Introduction To literature, 5th edition (New York: W. W. Norton & Company, 1991), p. 704.

8) A compelling portrait of this situation is presented by Andrew Hacker, Two Nations: Black and White, Separate, Hostile and Unequal (New York & Toronto: Scribner's and Maxwell Macmillan International, 1992).

9) Homi K. Bhabha, The Location of Culture (London & New York: Routledge, 1994), p.237. All subsequent references are abbreviated LOC.

10) Mary Eagleton, ed, Feminist Literary Criticism (London & New York: Longman, 1991), pp.26-27.

11) Michele Barrett, "Virginia Woolf: Women and Writing," in Mary Eagleton, ed. Feminist Literary Theory: A Reader (Cambridge & Oxford: Blackwell, 1986), pp. 224-225.

12) Will Kymlicka, The Rights of Minority Cultures (Oxford: Oxford University Press, 1995), p. 17.

13) Al-Qazwini, p. 112.

14) For a discussion of African economic conditions, see, for example, Pradeep Singh, The Economy of Africa (New Delhi: Kalunga Publications, 1992).

---

15) Joseph Conrad, *Heart of Darkness* (New York: Penguin Books, 1902), p. 10.

16) Quoted in Rosemary Jolly, "Rehearsals of Liberation: Contemporary Postcolonial Discourse and the New South Africa," *P.M.L.A.* 110 (1995), p. 21.

17) James Baldwin, "Stranger in the Village," in *Notes of a Native Son* (New York, 1955), p. 144.

---

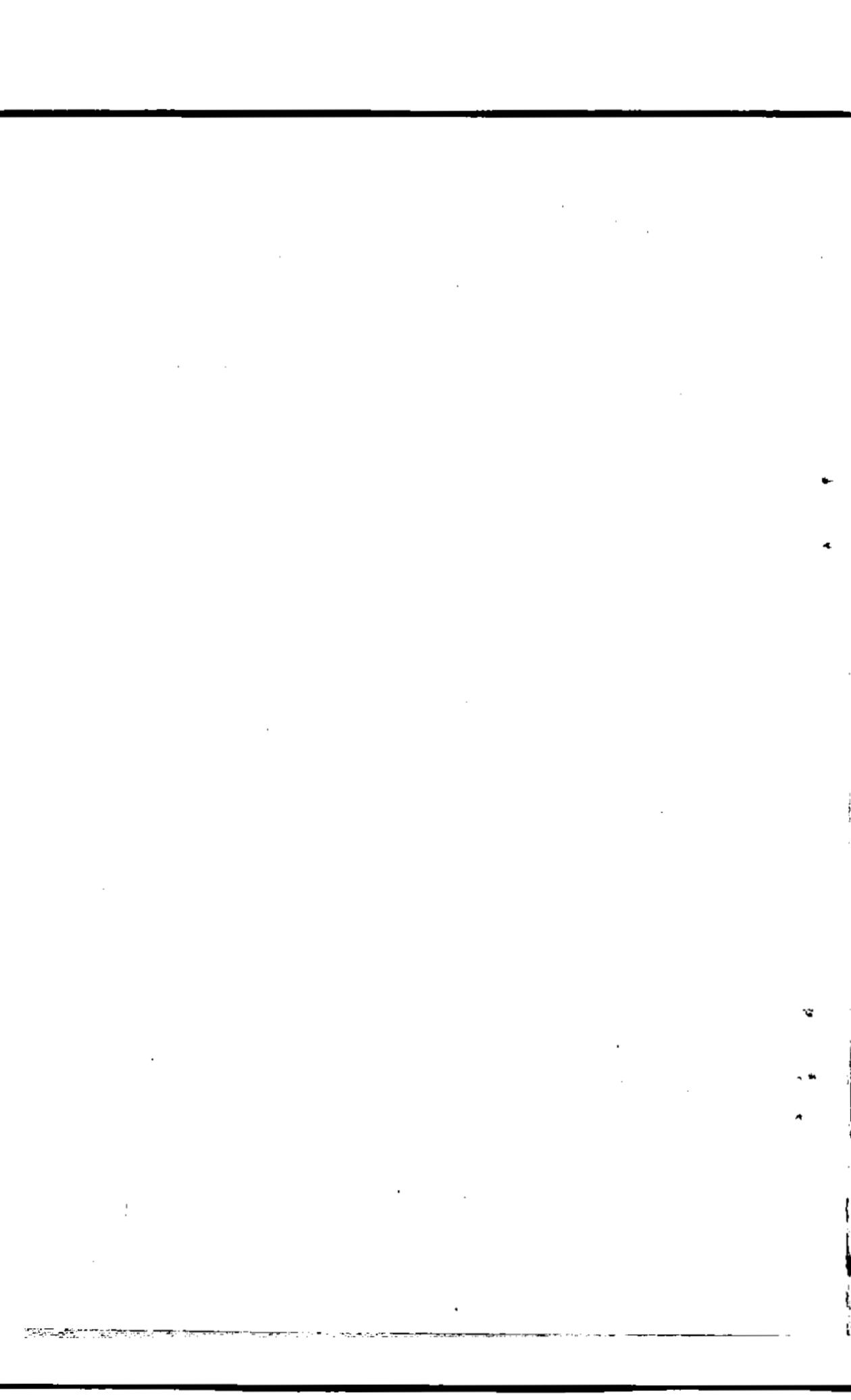
## Bibliography

- Bain, Carl E. and others, eds. The Norton Introduction to Literature. 5th edition. New York: W. W. Norton & Company, 1991.
- Baldwin, James. "Stranger in the Village," in Notes of a Native Son. New York, 1955.
- Bhabha, Homi K. The Location of Culture. London & New York: Routledge, 1994.
- Conrad, Joseph. Heart of Darkness. New York: Penguin Books, 1902.
- Eagleton, Mary, ed. Feminist Literary Theory: A Reader. Cambridge & Oxford: Blackwell, 1986.
- ..... Feminist Literary Criticism. London & New York: Longman, 1991.
- Fluck, Winfried. "The Power and Failure of Representation in Harriet Beecher Stowe's Uncle Tom's Cabin." New Literary History 23 (1992): 319-38.
- Hacker, Andrew. Two Nations: Black and White, Separate, Hostile and Unequal. New York & Toronto: Scribner's & Maxwell Macmillan International, 1992.
- al-Idrissi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Muhammad. Wasf Afrikya al-Shamaliya wa al-Sahrawiya, ed. Henri Peres. Algiers: Maktabat Ma'ahad al-Durus al-Ulya, 1957.
- Jolly, Rosemary. "Rehearsals of Liberation: Contemporary Post colonial Discourse and the New South Africa." P.M.L.A. 110 (1995): 17-29
- Jones, Eldred D. The Elizabethan Image of Africa. Charlottesville: University Press of Virginia, 1971..
- Kymlicka, Will. The Rights of Minority Cultures. Oxford: Oxford University Press, 1995.
- al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad. Athar al-Bilad wa Akhbar al-Ibad. Beirut: Dar Sadr lil Tiba'a wa al-Nashr, 1960.
- Reynolds, Moira Davison, Uncle Tom's Cabin and Mid-Nineteenth Century United States: Pen & Conscience. Jefferson, NC: McFarland, 1985.
- Singh, H. The Economy of Africa. New Delhi: Kalinga Publications, 1992

---

Stowe, Harriet Beecher. Uncle Tom's Cabin or Life Among the Lowly with an introduction by Anne Douglas. New York: The Penguin American Library, 1852.

Comprens, Jane. Sensational Designs: The Cultural Work of American Fiction 1790 - 1860. New York, 1985.



---

New Light on The Gazelle  
in Egypt from Prehistory until the New Kingdom

**Dr. Essam M. Abdel Razek**

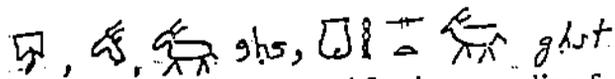
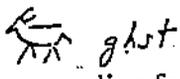
The gazelle was known in Egypt from Prehistoric times, beginning with the Paleolithic period through the Mesolithic period until the Neolithic period. It was found in several places in Upper Egypt and Nubia,<sup>(1)</sup> and was either carved on rocks or painted on some vases from Prehistoric times. (fig.1)

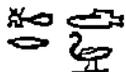
The bones of this animal were found among the deposits of the Sabilic civilization at Kom Ombo,<sup>(2)</sup> as well as in other sites from Prehistoric times such as Abydos and others.<sup>(3)</sup>

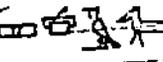
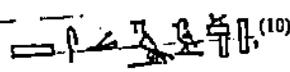
In addition, the skeletons of gazelles with horns<sup>(4)</sup> were found in some tombs known as Pangraves, and according to Brunner - Traut, they had a role in the burial process since Prehistoric times. This appears very clearly on some vases which go back to this period.<sup>(5)</sup>

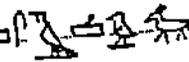
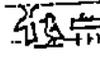
From the Old Kingdom until the end of the Pharaonic times, Egyptians used the word *ghs* and some times *ghst*, in Ancient Egyptian texts to mean the gazelle.

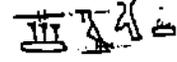
It was written in Ancient Egyptian in texts as follows:<sup>(6)</sup>

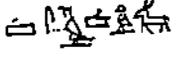
 ghs,  ght

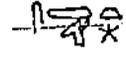
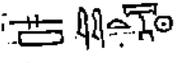
It may be that *ghs* was used for the masculine form of the name of the gazelle and *ght* was used for the feminine one,<sup>(7)</sup> while the Ancient Egyptians named the young gazelle,  *hrd*.<sup>(8)</sup>

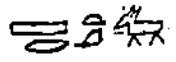
The gazelle was also used as a determinative for some words in the Ancient Egyptian language such as the word  $\check{S}\check{S}3$  (wisdom )<sup>(9)</sup> the word  $\check{S}\check{S}3W$  = Skill ,

occurs in the Egyptian texts with the following meaning:- 'prescription  in this form  meaning an order or obligation.<sup>(11)</sup>

with the word   $\check{S}\check{S}3$  meaning a prayer,<sup>(12)</sup> in this form  $\check{S}\check{S}3W$

meaning skill or cleverness and speed ,<sup>(13)</sup> It was used with the word  $\check{S}\check{S}3t$  which means sunset or nightfall,  <sup>(14)</sup>

and sometimes it was written in another form  and also 

It also occurs with the word *srt* to denote the name of place called the Gazelle Nose<sup>(15)</sup>  $\check{S}rt\ ghs$   in the text from the Old Kingdom which mentions that King Pepi I charged Weni with an expedition to Gazelle Nose in the north to extinguish the disturbances caused by foreigners there.<sup>(16)</sup>

There are five kinds of gazelles in Egypt but the one known as Adam Gazelle (*Dorcas*) is the most important kind.<sup>(17)</sup>

It is probable that Ancient Egyptians tried to tame the gazelle, but they failed because of its wild nature which resists captivity.<sup>(18)</sup>

Some Egyptologists confused it with other animals such as Erman who considered it a goat<sup>(19)</sup> while Helck considers it an antelope.<sup>(20)</sup>

Klebs refers to a scene in the tomb of Menna in the Theban necropolis (no. 69) in which peasants offer a gazelle (in his opinion), to some officials of the king as a bribe while they were measuring the land.<sup>(21)</sup>

The most important representations of the gazelle by the Egyptian artist on monuments before the time of Third Dynasty and especially in the Predynastic period were on some tools of toilet, handles and scepters<sup>(22)</sup> where it was represented hunted with arrows, or in ropes which ended with a loop,<sup>(23)</sup> or was pursued by a dog which caught it by the neck.<sup>(24)</sup> (fig. 2)

From all this it appears that the gazelle was one of familiar animals in the imagination of the Ancient Egyptians because it was relatively common in Egypt since the Archaic period.<sup>(25)</sup>

---

From the Third Dynasty till the end of the Pharaonic period the representation of the gazelle on Egyptian monuments and especially on the walls of tombs was familiar. It was found in scenes representing all its movements and poses, so that we do not find any tomb without a representation of the gazelle either at El Kab, Thebes, Hawawesh, Deir El Gabrawi, Sheikh Said, Bersha, Beni Hassan, Sheikh Fadl, Saqqarah, Meidum or any other place.

Among the common scenes of this representation are the hunting scenes in the desert, the gazelle being pursued by dogs,<sup>(26)</sup> (fig.3)

or attacked by a lion,<sup>(27)</sup> or hunted alive by using ropes and bows <sup>(28)</sup> (fig. 4)

The artist also represented the gazelle while sleeping, in a wonderful scene on one of the Giza tombs.<sup>(29)</sup>

It was also represented among a herd, in a unique scene on one of Meir tombs.<sup>(30)</sup> (fig. 5)

It was represented in a completely peaceful movement while striking the ground with its left hoof to remove sand or pebbles searching for herbs,<sup>(31)</sup> (fig. 6) or while suckling its young as shown on one of the Giza tombs<sup>(32)</sup> as well as in a tomb at Saqqarah.<sup>(33)</sup> (Fig. 7)

It was also represented caught in a basket or held by its feet <sup>(34)</sup> (Fig. 8) or drawn by a dwarf who is scarcely higher than the gazelle which he draws with his left hand.<sup>(35)</sup> (Fig.9)

It was also represented while giving birth in the temple of King Ni-wsr - Rc.<sup>(36)</sup>

It seems that from the Archaic period to the New Kingdom the gazelle was a favourite and beloved animal to the Ancient Egyptians. Sometimes it was buried with its owner.<sup>(37)</sup> It was also among the animals which were offered as sacrifices<sup>(38)</sup> especially in the rites of the god Min.<sup>(39)</sup> According to Ancient Egyptian rites, offerings were presented from all the things which exist under the sky, what comes out of the ground and all desert animals. The offered animals were thrown in the fire, especially those which represent the god Seth in the form of a "hippopotamus", and gazelles were thrown while burning on the altar as a symbol of Seth's wife.<sup>(40)</sup>

They were grilled and offered to the god, but at the end they were eaten by the priests.<sup>(41)</sup>

However, we must bear in mind that the gazelles were also offered to different gods and even to several kings. For example, gazelle scenes were carved in Medinet Habu

---

of among the list of offerings as well as the scenes of the festivals of King Ramsis III among tribute lists.<sup>(42)</sup>

We must note that the gazelle was offered side by side with antelopes and cattle as the offerings lists denote.<sup>(43)</sup>

Therefore, the gazelle had a religious role in the fifth Nome of Upper Egypt (Qift) where it was worshipped. It was also associated with the goddess Isis.<sup>(44)</sup> On the other hand the gazelle had a special and distinct position in the area of Kom-mir<sup>(45)</sup> as a sacred animal to the goddess Enqt. However, it is worth noting that the goddess Enqt is scarcely connected with the gazelle on the Theban monuments, but there is a painting on an ostrakon from Deir el Medinet, now in the museum of Stockholm, in which the goddess Enqt appears as a gazelle. (Fig. 10)<sup>(46)</sup>

A gazelle was found also adoring Amon in the desert during times of drought in which a famine had prevailed.<sup>(47)</sup>

In relation with the sun, the Ancient Egyptians imagined that the sun-disk in foreign countries was transformed into a gazelle during sunset.<sup>(48)</sup>

The gazelle was a symbol of fast running in Ancient Egyptian magic beliefs.

As a symbol of fast running,<sup>(49)</sup> it symbolized the enemies to resemble rites performed for the god Seth.<sup>(50)</sup> It

was also cursed on the Hours Tablets, perhaps as it was a beloved animal.<sup>(51)</sup>

There is even a miracle connected with it at the end of the Eleventh Dynasty. King Mentohotep IV sent his vizier Amenemhat at the head of an expedition to Wadi Hammamat in order to bring the stones necessary for making the king's sarcophagus. At that time all the desert beasts arrived at the mountain and stopped in the selected place for cutting stones. Then a pregnant gazelle came and delivered her young on the stone, as if it had guided them to the place where they can cut a big block for the lid of the king's sarcophagus.<sup>(52)</sup>

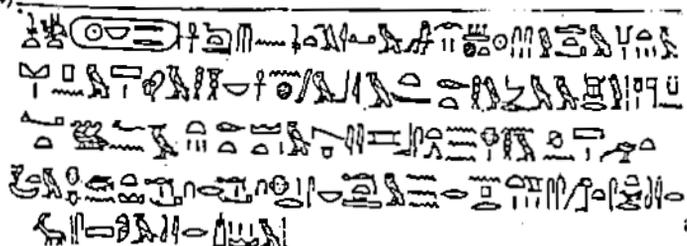
The Ancient Egyptian text mentions this incident as follows:<sup>(53)</sup>

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

in għst bk3t hr  $\check{r}$ wt hr.s r rm $\check{u}$  hst hr.s iw irty .s hr m3  
 hr s3s3 iw nn en.s h3 . s r spr.s r dw pn šps nst pw ir . n. s hr . f iw  
 mšcw pn n nsw hr m33 čhc n šcw nhtb . s ti ( ? )<sup>(2)</sup> t hr . f m sdt h3t pw  
 ir . n . f m htp ist grt in hm . n ntr pn nb h3swt rdi m3c n s3. f ( Nb -  
 t3wy - R<sup>c</sup> xcnh dt n mrwt 3w ib . f wn . n . f cnh hr nswt . f nhh hnc dt  
 ir . f hhw m - hbw sd rpe h3ty - <sup>c</sup> imy - r niwt t3ty imy - r srw nb n  
 d3d3t imy - r didi pt k3 mt t3 innt hcpy m rn ht nbt m t3 pn rnm.f t3ty  
 Imn - m - h3t .

*A gazelle came with its young, approached the people with its face while its eyes looked back but it did not turn its eyes until it reached this splendid mountain where it delivered its young. The army of the king looked at that and then cut its neck in front of (the block of stone) and brought fire to make an offering. Then the block was separated safely. It was this great god and lord of desert who gave (m 3c) to his son Nb - T3wy - R<sup>c</sup> may he live forever so that his heart rejoices, stay on the throne forever and celebrate millions of Sed festivals. The hereditary prince, governor of the city, vizier, chief of all the nobles, overseer of all what heaven gives, what is given by ground, what is brought by the Nile, who dominates everything in this land, the vizier Amenemhat".*

Eight days after the above mentioned miracle he ordered another inscription to be carved, as another miracle happened when rainy winds rose and then water sprang from a well which remained clean from gazelles, as the text says:<sup>(54)</sup>



*Nsw-Bity (Nb - T3wy - Rc) °nh̄ dt ms n mwt nsw Imi  
 3bd 2 3ht sw 23 dit m k3wt m dw pn m š w3h nb °nh̄ whm  
 bi3t irt hw m33 hprw nw ntr pn dit b3w. fn rhyt irt h3st m  
 nwy bst mw hr nh3 n sgm. t (w) ndmt m hr ib init mh (10 r  
 mh 10 hr. snb mht m mwr nprt ss - wbt. st wrt ti r ghsw  
 sst3 Tir I wnTyw(3).*

*"King of Upper and Lower Egypt Nb - T3wy - Rc,  
 may he live forever, He was born by the royal mother Imi in  
 the second month of the first season, 23rd day. He began to  
 work in this mountain in order to prepare the sarcophagus  
 and the miracle repeated as rain fell, The forms of the god  
 and his strength appeared to the people, the desert became  
 a lake and water flowed until it reached the lake and the  
 well vally (10 X 10 cubits) was found full of water to its  
 brim and was kept clean from gazelles and away from  
 Bedouins".*

This may indicate that gazelles were abundant in the  
 Eastern desert.<sup>(55)</sup> The Ancient Egyptians benefited from them  
 in different ways.<sup>(56)</sup>

The Egyptian ate them, used their horns as handles of  
 the tool with which he cut the stones,<sup>(57)</sup> used their dung and  
 fat for making some chemicals, and even used their skins

for making leather. This was since the time of the Hyksos<sup>(58)</sup> if not before, even if we lack the evidence which supports this hypothesis.

Its importance to the Ancient Egyptians reached a very high degree as they used it (Counter – weight)<sup>(59)</sup>

Also some fillets were decorated with gazelles and this appears on a fillet of one of the queens found in a site at Delta, (fig. 11)

and also on another fillet belonging to one of Tuhtmosis III's wives found at Thebes.<sup>(60)</sup> In the tomb of Menna no. 69 in the western Thebes gazelle decorated the fillets of Menna's two daughters<sup>(61)</sup> who were secondary wives of king Amenhotep III.

In art the Egyptians made statuettes of the gazelle which are exhibited in different museums all over the world, for example:

A model of a gazelle made of ivory stands on an inlaid base in the Metropolitan Museum of Art, New York, and goes back to El Amarna period.<sup>(62)</sup> (fig. 12)

There is another model of a gazelle made of wood represented in a crouched position and extending its neck. The shape of its head indicates that it is about to snap something with its mouth. We can notice the homogeneous

---

artistic details of the gazelle's body. This model is exhibited in Antwerp museum, Belgium, and is dated to the time of the 18th Dynasty.<sup>(63)</sup>

These are two models given only as an example, not enumeration. They show to what extent the Ancient Egyptian liked this animal and tried to make models of it in different shapes.

### List of Abbreviations

- BiOr = Bibliotheca orientalis Netherlandsch inst. Voor het Nabije Oosten (Leyden).
- Giza = Junker, H., Giza 12 Bde, Wien - Leipzig (1929-1955).
- LÄ = Lexikon der Ägyptologie, 7 Bde, Wiesbaden (1975-1990).
- LD = Lepsius, K.R., Denkmaler aus Agypten und Aethiopien, 12 Bde, Berlin (1849-1959).
- Meir = Blackman, A.M., The Rock Tombs of Mier, 6 vols., London (1914-1953).
- MIFAO = Mémoires publiés par les membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale (Le Caire).
- NAWG = Nachrichten Von der Akad. der Wissenschaften zu Gottingen, Phil. Hist. Kl. (Gottingen).
- RT = Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie Egyptiennes et Assyriennes (Paris).
- URK. I = Sethe, K., Urkunden des Ägyptischen Altertums, Leipzig (1933).
- Wb = Erman, A. und Grapow, H., Wörterbuch der ägyptischen Sprache, 6 Bde, Berlin (1957).
- ZÄS = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde (Berlin).

---

## Bibliography

(1) Darby, W.J., (ed.) et al., *Food, the Gift of Osiris, I*  
London (1977), p.234.

(2) Ibid,

(3) Ibid,

During the excavations carried out by the University of Cairo, Faculty of Archaeology, under the supervision of Prof. Dr. Gab Allah Ali Gab Allah in 1987 at Meet Rahina, the bones of some animals were found. Some of them were classified as bones of a gazelle in a study by Hussam Eldin Abdel Hamid published in Poland. He was sometimes right in defining the bones as those of a gazelle.

See: Gautier, A., Hussam Eldin Abdel Hamid, *Survey study of Animal Bones from Meet Rahina*, Warsaw (1990) in: BIOR LI no. 1-2 (1994), p. 81.

(4) Hayes, W., *The Scepter of Egypt*, Part II, New York, (1959) fig. 19.

(5) Brunner - Traut, E., *Gazelle*, LÄ II, (1977) p. 426;

Compare this with a vase which belongs to Naqada civilization within paintings showing the gazelle, now in the Royal Museum of Art and History, Brussels inv. E. 263;

- 
- See: Balty, J.C., De Meulenaere et al.,  
*The Royal Museum of Art and History*,  
Brussels (1988), p. 12.
- (6) Wb V, 191, 1-9.
- (7) Meeks, D., *Anne Lexicographique*, III, Paris (1982),  
p.316.
- (8) Wb III, 398, 9.
- (9) Gardiner, A.H., *Notes on the story of Sinuhe*, RT 36,  
(1914), p. 32 L. 10-11;  
cf. Koch, R., *Die Erzählung des Sinuhe*, Bruxelles (1990),  
p. 25 L.1;  
for different forms see: Wb IV 543, 7-16.
- (10) Wb IV, 544, 8.
- (11) Wb IV, 544.
- (12) Faulkner, R. O., *A Concise Dictionary of Middle  
Egyptian*, Oxford (1976), p. 247.
- (13) Wb IV 543, 5-6.
- (14) Wb IV, 545, 2-3;  
cf. Wb IV, 279, 11;  
Faulkner, R. O., *op.cit.*, 246.
- (15) Urk I, p. 104.
- (16) Redford, D.B., *Egypt Canaan and Israel in Ancient  
Times*. Princeton (1992), pp. 55-56.

- 
- (17) Boessneck, J.C., *Die Haustiere in Alt ägyptische*,  
München (1953), pp. 29 ff.
- (18) Borghouts, J.F., *The Magical Texts of Papyrus*  
Leiden (1977)Vso 4, 5.
- (19) Paton, D., *Animals of Ancient Egypt* San Antino,  
Texas (1994), p. 10.
- (20) Helck, W., *Materialien Zur Wirtschaftsgeschichte  
des Neuen Reiches*, Wiesbaden (1969) pp.  
155-159, 206-207, 232-233, 306-307.
- (21) Klebs, L., *Die Relief und Malereien des Neuen  
Reiches*, III, Heidelberg (1934), p. 7.
- (22) Davies, W., *Masking the below*, Oxford (1992),  
pp. 83-88.
- (23) Klebs, L., op.cit., I, p.68.
- (24) Aldred, C., *Egyptian Art*, London (1980), p. 37;  
Smith, W.S., *The Art and Architecture of Ancient  
Egypt*, New York (1980), p. 44.
- (25) Brunner - Traut, E., op.cit., 426.
- (26) Klebs, L., op.cit., p. 38.
- (27) Ibid., p. 68.
- (28) Among the common hunting scenes in the desert is  
hunting the gazelle by using a loop which is held by a  
hunter in order to catch desert animals of all kinds,  
including gazelles.

see: Klebs, L., op.cit, p. 68.

(29) Junker, H., *Giza*, XI, fig. 63.

(30) Blackmann, A., *Meir*, II, pl. VII.

(31) Aldred, C., op.cit., p. 112.

(32) LD., II, pl. 12.

(33) Davies, N. de. G., *The Mastaba of Ptah hetep and Akhet hetep at Saqqarah*, I, Egypt Exploration fund, London (1900), pl. XXII, p.10.

(34) Wolf, W., *Die Kunst Aegyptens: Gestalt und Geschichte*, Stuttgart (1959), fig. 682.

(35) Smith, W.S., *A History of Egyptian Sculpture and Painting in The Old Kingdom*, London (1946), p. 225.

(36) Klebs, L., op.cit., p. 62.

(37) Brunner - Traut, E., op. cit., p. 426;

Leclant, J., *Fouilles et Travaux en Egypte*, 1952 - 1953, (1954), p. 73 n. 3;

Compare this with the skeleton of the horned gazelles which were found in some of the bell-shaped -tombs [known to Egyptologists as pangraves] in some sites of Upper Egypt and Nubia.

see: Hayes, W., op.cit., p. 40.

- (38) He presented a list of 100 different kinds of animals including gazelle. He confused with the ibex for he named the gazelle ibex while he gave the ibex the name *ghs*  
see: Helck, W., op.cit., p.p. 351 - 354 - 402 - 403 - 428 - 429, 502 - 503
- (39) Bonnet, H., *Reallexikon der Agyptischen Religionsgeschichte*, Berlin (1952), p. 201
- (40) Kees, H., *Bemerkungen zum Tieropfer der Agypter und seiner symbolik*. NAWG (1942), p. 78
- (41) Ibid., p. 83.
- (42) Darby, W.J., (ed) et al., op.cit., p. 234.  
Kees, H., op.cit., p. 78 n.7
- (43) cf. Derchain, P., *Rites Egyptiens I. Le sacrifice de l'Oryx*, Bruxelles (1962), p. 7
- (44) Bonnet, H., op.cit., p. 201
- (45) Komier is one of the cities that is located in the third Nome of Upper Egypt (Nekhen - Nekheb) and lies at about 11 km to the south of Esna  
See: Mahran M. B., *Misr Welshark El Adna El Kadim*, Misr, Part II (in Arabic)  
Alexandria (1988) P. 72
- (46) see: Peterson, B.E.J., *Zeichnungen aus einer Totenstadt*, Stockholm (1970), p. 72

- (47) Brunner - Traut, E., op.cit., p. 426.
- (48) Spiegelberg, W., *Der Aegyptisch Mythus vom sonneauge*, Strasbourg (1917), pp. 51, 53;  
 Daumas, F., *Les propyleet du Temple d'Hathor a philae*, ZAS 95 (1969), p. 10, n. 65.
- (49) Brunner - Traut, E., op.cit., p. 426;  
 Compare that with what is mentioned in the first Chester-Beaty papyrus in the love songs, in which he says: "Come quickly, sister, as the jumping gazelle across the desert, its feet are wounded, its limbs exhausted and fear is penetrating its body".  
 see: Gardiner, A.H., *The Library of Chester-Beaty*, London (1931), p.35.  
 Cf. Simpson, W.K., *The Literature of Ancient Egypt*, New Haven and London (1972), pp. 321 - 322.
- (50) Wildung, D., *Feindsymbolic*, LA II, (1977) p. 147.
- (51) Bonnet, H., op.cit., p. 201.
- (52) Ramdan El Said, *Tarikh Misr El Kadima*, part I (in Arabic) Cairo (1988) p. 256.
- (53) Gouyat, J., Montet, P. *Les inscriptions hieroglyphiques et hieratiques du Ouadi Hammamat*, MIFAO 34 (1912), pp. 77 - 78.
- (54) Ibid. pp. 97-98.

- 
- (55) Ibid
- (56) Cf. Kees, H., op.cit. p 83
- (57) Klebs, L , op.cit., III, p. 100
- (58) Hayes, W . op.cit., p. 19.
- (59) Cf. Brunner - Traut, E., op.cit., P 426.
- (60) Aldred, C., *Jewels of the Pharaohs*, London (1971),  
pp. 119-120.
- (61) Ibid., p. 199.
- (62) Hayes, W., op.cit., p 315, fig. 196.
- (63) Peeters, A.R., *Egypte Onomwonden Egyptische  
Oudheden von het Museum Vlesshuis*,  
Antwerp (1995), p.88.



Fig. 1

Gazelle carved on rocks.

See : Houlihan, P. , The Animal of the pharaohs,  
Cairo, (1997), P. 43



Fig. 2

*A Gazelle pursued by dogs*

See : Smith , W.S., *The Art and Architecture of  
Ancient Egypt* , London , P.44 .



Fig. 3

The Gazelle being pursued by dogs. Hunting Scene in  
the chapel of Sebni  
See : Meir , I , Pl . VIII .

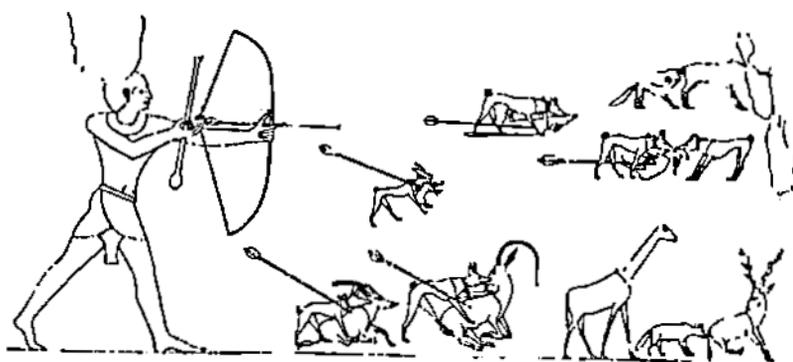


Fig. 4

Gazelle hunted using arrows.

Ukhhoteb I tomb

Klebs, L. Die Relief und malerein des Neuen  
Reiches, Band I, Heidelberg, ( 1934 ), p 68



Fig. 5

Gazelle Mating .  
See : Meir, II , pl. VII .

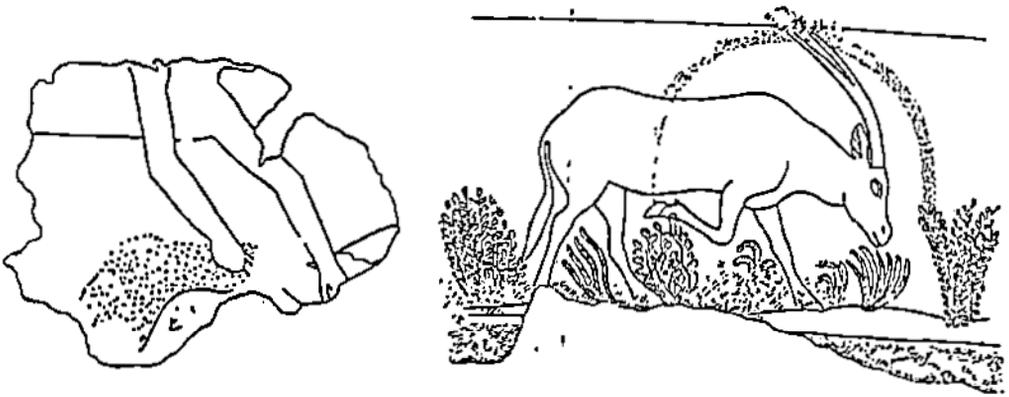


Fig. 6

Gazelle digging with its left hoof  
See : Smith , W.S, op cit., p. 272 .



Fig. 7

Gazelle nursing its young

See : Davies, N . de G. ,the Mastaba of ptah hetep and Akhet hetep at Saqqarah , I , Egypt Exploration Fund London ( 1900) pl XXII .



Fig. 8

A Gazelle caught in a basket or by its feet

See : Wolf , W., Die Kunst Aegyptens : Gestalt und Geschichte, Stuttgart , ( 1959) , p. 682 .

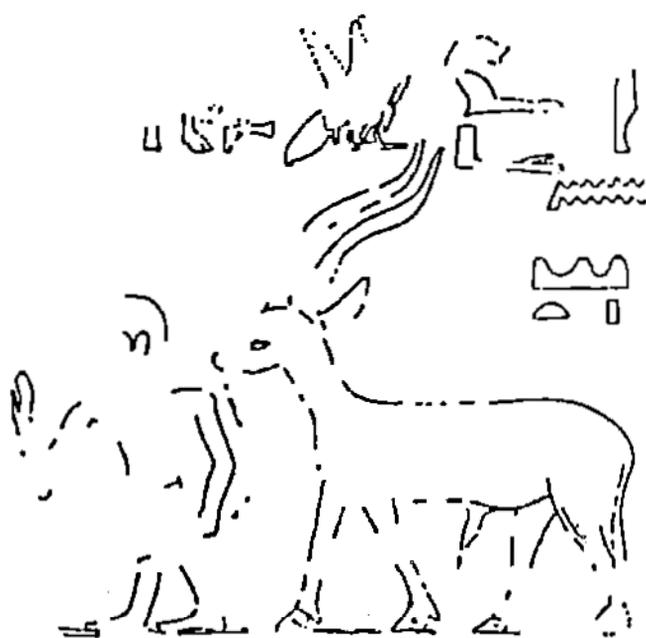


Fig. 9

A Gazelle drawn by a dwarf.

See: Smith, W.S., A History of Egyptian Sculpture and painting in the old Kingdom, London, (1946), p. 225.

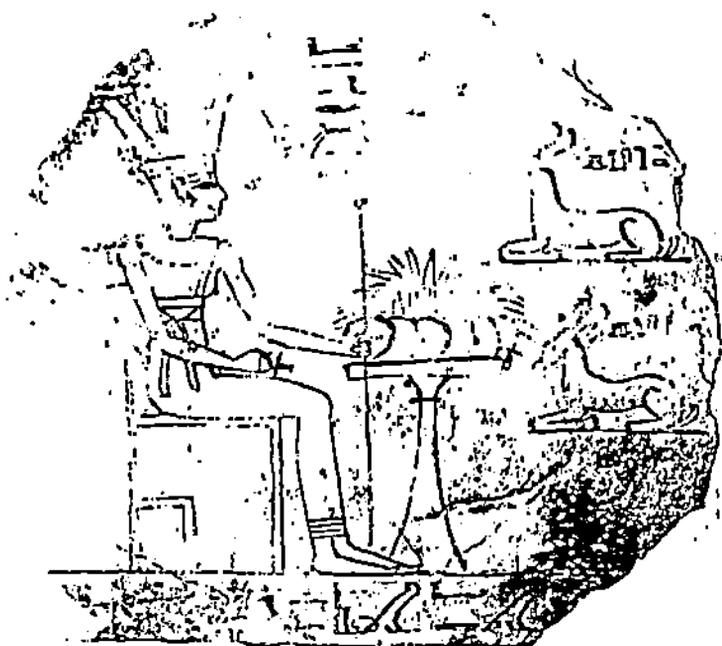


Fig. 10

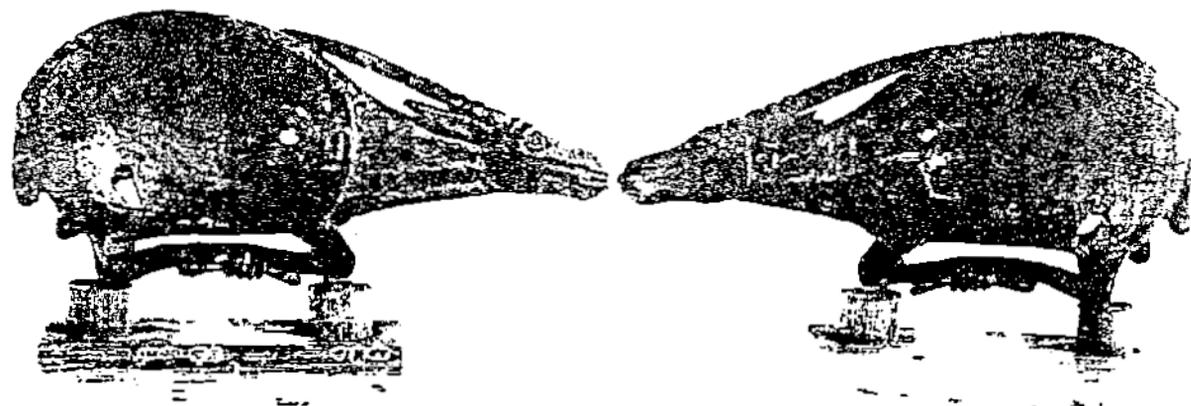
The Goddess Enqt as Gazelle

See: Peterson, B.E.J., *Zeichnungen aus einer Totenstadt*,  
Stockholm, (1973), p. 77.

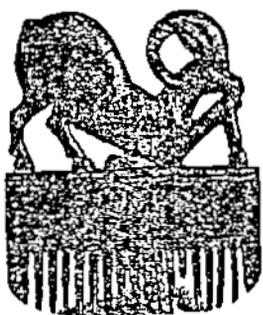


Fig. 11

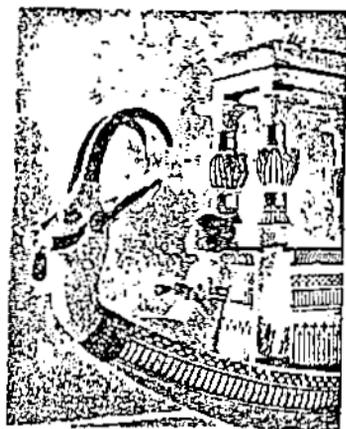
Gazelle decorating fillet .  
See : Aldred, C ., *Jewels of the pharaohs*, London , ( 1971 ) ,  
p. 119 .



A



B



C

Fig. 12

Model of Gazelle

A See Peeters A.R. in  
 Egypte Onomwonden Egyptische oudheden van het  
 Museum Vleeshuis (Amsterdam 1995) p. 88

B,C - Noblecourt, D., *Interprétation et Datation D'une Scène Cravée Sur Deux  
 Fragments De Récipient en Albâtre provenant Des fouilles Du  
 palais D'ugarit, Ugaritica III Tome VII: 1956. Paris, P. 87-88*

